

مَرْوَعُ الذَّهَبِ

وَمَعَادِنُ الْجَوْهَرِ

مُسَيَّدٌ لِلْعَبْدِ الْكَبِيرِ وَالْفَرَسِ الْبَلِيدِ الْإِسْمَيْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ أَبِي نَجْرَانَ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ

الطُّوفِيِّ فِي تَحْقِيقِهَا ٣٥٦ مِنْ الرَّجْعَةِ

تَأَلَّفَ

مِنْ مَوْلَانِي

عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

المجلد الثاني

دار المعرفة

بيروت - لبنان

صُورَةُ الزَّهْنِ

ومعادن الجوهر

تصنيف الرحالة الكبير ، والمؤرخ الجليل
أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي
المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

بتحقيق

محمد بن عبد المنعم

عفا الله تعالى عنه

الجزء الثاني

دار المعرفة

بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع محفوظة لمحققيه

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أهل الحمد ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنده

ذكر السودان ، وأنسابهم ، واختلاف أجناسهم ، وأنواعهم

وتباينهم في ديارهم ، وأخبار ملوكهم

ولد كوش
ابن كنعان
ومساكنهم

قال المسعودي : [و] لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ، ثم افترقوا فسات منهم طائفة ميمنة^(١) بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج ، وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومركه وكوكو وغانة وغير ذلك من أنواع السودان^(٢) والدمادم ، ثم افترق الذين مضوا بين المشرق والمغرب ، فصارت الزنج من المكير والمشكر^(٣) وبربرا وغيرهم من أنواع الزنج ، وقد منا فيما سلف عند ذكرنا للبحر الحبشي ، الخايج البربري وما عليه من أنواع السودان واتصلهم في ديارهم إلى بلاد الدهلك والزيلع وناصع ، وهؤلاء القوم أصحاب جلود النمر الحمر^(٤) وهي لباسهم ، ومن أرضهم تحمل إلى بلاد الإسلام ، وهي أكبر ما يكون من جلود النمورة وأحسنها للسروج ، وبحر الزنج والأحباش هو عن يمين بحر الهند ، وإن كانت مياهها متصلة ، ومن أرضهم يحمل الذبل^(٥) من ظهور السلاحف ، وهو الذي تتخذ منه الأمشاط كالتقرون ، وأكثر ما تكون الدابة المعروفة بالزرافة في أرضهم ، وإن كانت عامة الوجود في أرض النوبة دون سائر بلاد الأحباش .

الزرافة

وقد تنوزع في نتاج هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة ؛ فمنهم من رأى أن بدء نتاجها من الإبل ، ومنهم من رأى أن ذلك كان يجمع بين الإبل والنمورة^(٦) وأن الزرافة ظهرت من ذلك ، ومنهم من زعم أنه نوع من

(١) في ا « ميمنين » .

(٢) في ب ه نحو الزغاوة والقافو ومرتك وكوكو والحمي وغانة وغير ذلك من

أنواع الأحباش والدمادم . (٣) في ب ه من المكين والمسكون وبربرا

(٤) في ب ه النمر والحمر « (٥) في ب ه الذجل » .

(٦) في ب ه كان يجمع بين الإبل والزرافة ، وأن النمر ه .

الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمر والبقر ، وأن ليس سبيلها كسبيل البغال المولدة من [التاج بين] الخيل والحمر ، وتدعى الزرافة بالفارسية اشتركاو^(١) ، وقد كانت تُهدى إلى ملوكهم من أرض النوبة كما تحمل إلى ملوك العرب ومن مضي من خلفاء بني العباس وولاية مصر ، وهي دابة طويلة اليدين والرقبة ، قصيرة الرجلين ، لا ركبتين لرجليها وإنما الركبتان ليديها ، وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاماً كثيراً في نتاجها ، وأن في أعالي بلاد النوبة يجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حَمَارَةِ القَيْظ^(٢) إلى شراع المياه ، فتسافد هنالك ، فيلقح منها ما يلقح ويمتنع منها ما يمتنع ، فيجىء من ذلك خلق كثير مختلفون في الصور والأشكال ؛ منها الزرافة ذات الأظلاف ، وهي دابة منحنية إلى خلفها ، منصوبة الظهر إلى مؤخرها ، وذلك لقصر رجليها ، وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا في بدء نتاجها ، وأن النور ببلاد النوبة عظيمة الخلق ، وأن الإبل صغيرة الخلق قصيرة القوائم ، وأن ذلك كاتساع أرحام القِلاصِ العربية ، لفواجِ كِرمَان^(٣) وغيرها من إبل خراسان ، فيظهر بينهما ويتولد عنهما الجمال البُخْتُ والجمازات^(٤) ، ولا ينتج بين بختي وبختية ، وإنما يصح هذا النوع من الإبل بين فواجِ الإبل^(٥) ، وهي ذات السنامين ، وبين قِلاصِ الإبل ، وهي النوق العربية ، وكنتاج البُخْتِ بين البجاوية والمهرية ، وللزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق في كتابه الكبير [في الحيوان] ومنافع أعضائها وغير ذلك من سائر أعضاء الحيوان ، وقد أتينا على جميع ما يحتاج إليه من ذلك في كتابنا المترجم بـ « القضايا والتجارب » .

والزرافة عجيبية الفعل في إلفها، وتودُّدها إلى أهلها ، وهي كالفيلة: منها وحشية، ومنها مستأنسة أهلية ، مع من قدمنا ذكره من الزوج والأجناس من الأحابش

(١) في ب « اشتركا » .

(٢) في ا « حرارة القَيْظ » .

(٣) في ب « الحوامج الزمان » .

(٤) في ب « بين نواتج الإبل » .

الذين صاروا عن يمين النيل، ولحقوا بأسافل البحر الحبشي، وقطعت الزنج دون سائر الأحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب إلى بحر الزنج، فسكنت الزنج في ذلك الصقع، واتصلت مساكنهم إلى بلاد سفالة، وهي أقاصى بلاد الزنج، وإليها تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين، وهي غاية مقاصدهم في [أسافل] بحر الزنج كما أن أقاصى بحر الصين متصل ببلاد السيلي، وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب، وكذلك أقاصى بحر الزنج هو بلاد سفالة^(١)، وأقاصيه بلاد الواق واق، وهي أرض كثيرة الذهب، كثيرة العجائب، خصبة^(٢) حارة. واتخذها الزنج دار مملكة، وملكوا عليهم ملكا سموه وقلبي^(٣)، وهي سمة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار على ما قدمنا آتفاً، ويركب وقلبي وهو يملك ملوك سائر الزنوج - في ثلثمائة ألف فارس، ودوابهم البقر، وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا إبل، ولا يعرفونها، وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد، ولا غيرهم من الأحابش، ومنهم أجناس محددة الأسنان يأكل بعضهم بعضاً.

وقليبي
ملك الزنج

ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل إلى بلاد سفالة والواق واق، ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطعتهم في الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ أودية وجبال ورمال.

والقبيلة في بلاد الزنج في نهاية الكثرة، وحشية كلها غير مستأنسة، والزنج لا تستعمل منها شيئاً في حروب ولا غيرها، بل تقتلها، وذلك أنهم يطرحون لها نوعاً من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم في الماء، ويختفي رجال الزنج، فتزد القبيلة لشربها، فإذا وردت وشربت من ذلك الماء [حرقها و] أسكرها، فتقع، ولا مفاصل لقوائمها ولا ركب على حسب ما قدمنا، فيخرجون إليها بأعظم ما يكون من الحراب فيقتلونها لأخذ أنيابها؛ فمن أرضهم تجهز أنياب

صيد القبيلة

(١) في ١ « وكذلك أقاصى بحر الزنج وبلاد سفالة وأقاصى بلاد الواق واق ».

(٢) في ب « حصينة حارة » . (٣) في ب « لوقليمن » .

القبيلة ، في كل ناب منها خمسون ومائة مَنّ ، بل أكثر من ذلك [والاثنان منها ثلثمائة مَنّ ، وأكثر من ذلك] ^(١) فيجهر الأكثر منها من بلاد عمان إلى أرض الصين والهند ، وذلك أنها تحمل من بلاد الزنج إلى عمان ، ومن عمان إلى حيث ذكرنا ، ولولا ذلك لكان العاج بأرض الإسلام كثيراً ، وأهل الصين يتخذ ملوكها وقوادها وأراكتها الأعمدة من العاج ، ولا يدخل قوادها ولا أحد من خواصها على ملوكها بشيء من الحديد ، بل بتلك الأعمدة المتخذة من العاج ، ورغبتهم فيما استقام من أنياب القبيلة ولم يتقوس ؛ لا تحاذ الأعمدة منها على ما ذكرنا ، ويستعمل العاج في دخن بيوت أصنامها وأبجزة هياكلها ، كاستعمال النصارى في الكنائس الدخنة المعروفة بدخنة سريم وغيرها من الأبجزة ، وأهل الصين لا يتخذون القبيلة في أرضهم ، ويتطيرون من اقتنائها [عندهم] ^(٢) والحرب عايبها ؛ لخبر كان لهم في قديم الزمان في بعض حروبهم .

والهند كثيرة الاستعمال لما يجهز إليهم من العاج في نصب الخناجر ، وهي الحرارى ^(٣) ، واحداً حرّى ، وفي قوائم سيوفها ، وهي القراطيل ، واحداً قرطل ، وهي سيوف معوجة ، والأغلب في استعمال الهند العاج اتخذها منه الشطرنج والنرد ، والشطرنج ذو صور وأشكال على صور الحيوان من الناطقين وغيرهم ، كل قطعة من الشطرنج كالشبر في عرض ذلك بل أكثر ، فإذا لعبوا بها فإنما يقوم الواحد [منهم] قائماً فيقلها في بيوتها ، والأغلب عليهم القمار في لعبهم بالشطرنج والنرد على الثياب والجواهر ، وربما أنفد الواحد منهم ما معه في لعب في قطع عضو من أعضاء جسمه ، وهو أن يجعلوا بحضرتهم قدرًا من النحاس صغيرة على نار فحم فيها دهن لحم أحمر فيغلي ذلك الدهن المدمل

لعب الشطرنج
وهو قامة
الهند به

(١) هذه الزيادة لا توجد في (٢) في ب « الحرارى واحداً حرزى »

للجراح والماسك لسيلان الدم، فإذا لعب في أصبع من أصابعه وقمر^(١) قطعها بذلك الخنجر، وهو مثل النار، ثم غمس يده في ذلك الدهن، فكواها، ثم عاد إلى لعبه، فإذا توجه عليه اللعب أبان أصبعاً ثانية، وربما توجه عليه اللعب في قطع الأصابع والكف ثم الذراع والزند، سائر الأطراف، وكل ذلك يستعمل فيه الكي بذلك الدهن، وهو دهن عجيب يعمل من أخلاط وعقاير بأرض الهند عجيب المعنى، لما ذكرنا، وما ذكرناه عنهم فستفيض من فعلهم.

والهند تتخذ الفيلة [في بلادها]^(٢) وتنتج في أرضها، ليس فيها وحشية، وإنما هي حربية ومستعملة كاستعمال البقر والإبل، وأكثرها يأوى [إلى] المروج [والضياح]^(٣) والفياض كالجواميس في أرض الإسلام، والفيلة تهرب من المكان الذي يكون فيه الكركدن على حسب ما قدمنا، فلا ترعى في موضع تشم فيه رائحة الكركدن، ويعمر الفيل بأرض الزنج^(٤) نحواً من أربعين سنة، كذلك يذكر الزنج؛ لأنها تعرف في ديارها ومفاوزها، والفيل العظيم مما لا يتأتى لهم قتله، ومنها الأسود والأبيض والأبلق والأعبر، وفي أرض الهند منها ما يعمر المائة سنة والمائتين، ويضع حمله في كل سبع سنين.

الفيل
بلاد الهند

حيوان الزبرق ولها بأرض الهند آفة عظيمة نوع من الحيوان يعرف بالزبرق^(٤)، وهي دابة أصغر من الفهد أحمر ذو زغب وعينين براقتين [عجبية]^(٢) سريع الوثبة، يبلغ في وثبته الثلاثين والأربعين والخمسين ذراعاً، وأكثر من ذلك، فإذا أشرف على الفيل رشش عليه بوله بذنبه فيحرقها. وربما لحق الإنسان فأتى عليه، وفي الهند من إذا أشرفت عليه هذه

(١) قمر - بالبناء المجهول - غلب في لعب القمار .

(٢) الزيادة عن ب .

(٣) في ب « بأرض الهند » . (٤) في ب « بالزبرقان » .

الدابة تعلق بأ كبير ما يكون من [شجر] الساج ، وهي أكبر من النخل وأكبر من شجر الجوز، تكن الشجرة منها الخلق الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ما يحمل إلى البصرة والعراق ومصر من خشب الساج في طوله، فإذا تعلق الإنسان بأعلى تلك الشجرة وعجز هذا الحيوان عن إدراكه لصق بالأرض^(١) ووثب إلى أعلى الشجرة ، فإن لم يلحق الإنسان في وثبته رشش من بوله إلى أعلى الشجرة ، وإلا وضع رأسه في الأرض وصاح صياحا عجيباً، فيخرج من فيه قطع دم ويموت من ساعته ، وأي موضع من الشجر سقط عليه بوله أحرقه ، وإن أصاب الإنسان شيء من بوله أتلغه ، وكذلك سائر الحيوان .

وملوك الهند تتخذ في خزائنها سرارة هذه الدابة، ومذاكيره، ومواضع من أعضائه ، وهو السم القاتل من ساعته ، ومنه ما يستقى به السلاح فيتلف من فوره ، ومذاكيره هذه الدابة كما كير كلب الماء الذي يخرج منه الجند بادستر، وهذا الكلب [أمره] مشهور عند الصيادلة^(٢) وغيرهم ، وهو اسم فارسي معرب ، وإنما هو كند وتفسير ذلك الخصية ، فعرب فقيل جند بادستر .

والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالزبرق لا تأوى إلى موضع يكون فيه النوشان - وهو الكر كدن - وتهرب منه كما يهرب منه الفيل أيضاً، والفيل يهرب من السنابير - وهي القطاط - ولا يقف لها البتة إذا أبصرها، وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت توقي القبيلة المقاتلة بالرجالة حولها ومراعاة حيل الأعداء عند الحرب بتخلية السنابير عليها ، وكذلك أفعال ملوك السند والهند إلى هذه الغاية ، وقد ذكر أن الخنازير ربما تهرب منها القبيلة .

وقد كان رجل بالمولتان من أرض السند يدعى هارون بن موسى مولى الأزدي، وكان شاعراً شجاعاً ذا رياسة في قومه ومنعة بأرض السند مما يلي أرض المولتان، وكان في حصن له، فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها القبيلة،

(١) في اء لطيء بالأرض هـ .

(٢) في اء عند الصيادين وغيرهم .

فبرز هارون بن موسى أمام الصف وقصد لعظيم [من] الفيلة وقد خبا تحت ثوبه سنورا ، فلما دنا في حملته من الفيل خلى القط عليه ، فولى الفيل منهزماً لما بصر بذلك الهر ، وكان ذلك هزيمة الجيش ، وقتل الملك ، وغلبة المسلمين عليهم ، ولهارون بن موسى قصيدة يصف فيها ما ذكرناه^(١) ، وهي :

أليس عجيباً بأن تلقه	له فطن الأسد في جرم فيل ^(٢)
وأطرف من نسيه زوله	بحلم يجل عن الخنثبيل
أليس عجيباً بأن تلقه	غليظ الدراك لطيف الحويل
وأرقص مختلف خلقه	طويل النيوب قصير النصيل
ويخضع لليث ليث العرين	فإن ناشب الهر من رأس ميل
ويلقى العدو بناب عظيم	وجوف رحيب وصوت ضئيل
وأشبه شيء إذا قسته	بخنزير بر وجاموس غيل
ينازعه كل ذي أربع	فما في الأنام له من عدل
ويعصف بالبير بعد النور	كما تعصف الريح بالعندبيل
وشخص ترى يده أنفه	فإن وصلوه فسيب صقيل
وأقبل كالطود هادي الخميس	بصوت شديد أمام الرعيل
فمرّ بسيل كسيل الأتيّ	بخطو خفيق وجرم ثقيل
فإن سُمته زاد في هوله	بشاعة أذنين في رأس غول
وقد كنت أعددت هراً له	قليل التهيب للزندبيل
فما أحسن به في العجاج	أنا الإله بفتح جليل

(١) خمسة الأبيات الأولى مختلفة الترتيب في ا ، ب . وفي جميع الأبيات

اختلاف في بعض الألفاظ ، وقد اخترنا منها عبارة ا .

(٢) في ا « فطن الإنس » .

وطار وراغمَ قِيَاله بقلب نخيب وجسم ثقيل
فسبحان خالقه وحده إله الأنام ورب الفيول

العندبيل : طائر صغير يكون بأرض السند والهند، تذكره الشعراء في أشعارها
تمثلا به نصغره ، والزندبيل : هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها ، وقد قيل : إن
الزندبيل هو اسم لما اشتد في الحرب من إناث الفيلة ، وقد ذكر بعض
الشعراء في هذا المعنى الزندبيل عند ذكره للفيل فقال :
ذاك الذي مشغره طويل وهو من الأفيال زندبيل
وقال آخر :

* وفيه كالطود زندبيل * (١)

وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الحيوان هذه القصيدة ، وفسر
بعض أبياتها، وذكر في معنى الخنشبيل وتفسيره قول الأنصاري في صفة النحل :
[تبيض العشاء بأذناها وفي مَدَرِ الأرض عنها فضول] (٢)
ويشبعها المص مص الثرى إذا عاجت الشاة والخنشبيل (٣)
قال : وهذا غير قوله :

قد علمت جارية عطبول أنى بنصل الصيف خنشبيل

والفيلة لا تنتج ولا تتوالد إلا بأرض الزنج والهند، ولا تعظم أنيابها بأرض
السند والهند على حسب ما تعظم بأرض الزنج، والزنج تتخذ من جلود الفيلة الدرق
وكذلك الهند ، ولا يلحق ذلك في المنعة شيء من الدرق الصيني والتبتي ،
[واللمطى] والبجاوى ، ولا مانع في اللبن وغير ذلك من أنواع الدرق .
وخرطومه أنفه ، وبه يوصل الطعام والشراب إلى جوفه ، وهو شيء بين

(١) في ب * وفيه ذو الطول زندبيل * (٢) هذا البيت لا يوجد في

(٣) ف ب * إذا عاجت الشاة للخنشبيل *

الغضروف واللحم والعصب ، وبه يقاتل ويضرب ، ومنه يصيح ، وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقه .

عناية المنصور
بالفيلة

وقد كان المنصور عني بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة إياها واقتنائها لها، وإعدادها للحروب والزينة في الأعياد وغيرها ؛ فإنها أوطأ مراكب الملوك وأمهدها ، وأخبرني بعض الكتاب ممن يرجع إلى أدب [وَعَقْل] ومعرفة بأيام الناس بمدينة السلام ، أنه اشترى بغاة في غاية الفراهة والحسن^(١) ، فكان يركبها في مهماته وتصرفاته ، وكانت إذارات الجمال البُخْت أو العراب من العمالة أو غيرها في الطريق نفرت وشبَّتْ ، وكان يأتي منها جهداً جهيداً فيصبر على ذلك المكروه ؛ لما هي عاياه من الفراهة والحسن^(٢) ، وأنه لا يحمله غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه [وَسَمَنَه] قال : فلما كان في بعض الأيام اجتزت بباب الطاق - وذلك في أيام المقتدر ، وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد وليحمل عليها الليث بن علي الصفار وأصحابه ، وقد كان مؤنس [المظفر] الخادم أسره ببلاد فارس حين خرج على السلطان - قال : فأشرفت على قطار من الجمال البُخْتِ منهزمة خائفة من الفيل ، تجمر في مشيتها ، لا سبيل لمن عايبها أن يحبسها^(٣) لمساعد لحقها من الجزع ، فلما رأت البغلة ذلك شبَّتْ وولت على عقبها ، ورمت بي الأرض فوقعت كجلد ثور منفوخ ، ودخلت الجمال إلى درب لا ينفذ ، وقد كانت البغلة حين رمت بي ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب ، وجاءت الفيلة على أثر ذلك ، فلما نظرت البغلة إلى الفيلة وعظم خائفها لحقت بالجمال ودخلت بينها كأنها لم تزل معها وتزلزلت كتزلزل الجمال ، إذ رأني جماعة من الناس ، فرفعوني^(٤) ، ودخل الغلام فأخرج البغلة ، وما استطاع إخراجها حتى مضت الفيلة ، وأخرجت من وسط بعض الجمال ، فوالله ما نفرت بعد ذلك من

(١) في ا « في نهاية من الحسن والفراهية » .

(٢) في ا ، من الفراهية والنضارة .

(٣) في ا « لا سبيل لمن عايبها إلى ردها » .

(٤) في ا « فرفعوني » .

جمل ، وقد ألفت الجمال حتى كأنها بعضها ؛ لاستصغارها صورة الجمل عندما شاهدت [من عظم] صورة الفيل .

وكل حيوان ذى لسان فأصل لسانه إلى داخل ، وطرفه إلى خارج ، إلا الفيل ؛ فإن طرف لسانه إلى داخل وأصله إلى خارج ، والهند تزعم أنه لولا أن لسانه مقلوب ثم لقن الكلام لتكلم ، والهند تُشرفُ الفيل وتفضاه على سائر الحيوان ، لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة : من علوسمكه ، وعظم صورته ، وبديع منظره ، واتصال صهوته^(١) ، وطول خرطوميه ، وسعة أذنيه ، وكبر غرموله ، مع خفة ووطئه ، وطول عمره ، وثقل جسمه ، وقلة أكتراه بما وضع على ظهره ، وأنه — مع كبر هذا الجسم وعظم هذه الصورة — يمر بالإنسان فلا يحس بوطئه ، ولا يشعر به [حتى يغشاه] لحسن خطوته واستقامة مشيه .

وقد وصف [عمرو بن بحر] الجاحظ الفيل في كتاب الحيوان فأغرق في وصفه ، وأكثر في مدحه ، وعدّد معاني^(٢) كثيرة في صفة الفيل وهيئته ، وما هو عليه من عجيب التركيب وغريب التأليف ، وللعاني الصحيحة ، والإحساسات اللطيفة ، وفي قبولها التأديب [وصحة تمييزها] وسرعتها إلى التلقين والتقويم ، وما في أبدانها من الأعضاء الكريمة ، والأجزاء الشريفة ، وكم مقدار منافعها ، ومبلغ مضارها ، وبتلك الفضيلة من الإحساس فاقت تلك الأجناس ، وما فيها من الآيات والبرهانات والعلامات النيرات التي جلاها الله لعمى خلقه ، وفرق بينها وبين عقول عباده ، وقيدوا عليهم ، وحفظها لهم ، لتكثر لهم ، وتزيد بهم^(٣) إلى وضوح الحجّة ، وتسخرهم لتمام النعمة ، وما ذكر الله في الكتاب الناطق والخبر الصادق ، وفي الآثار المعروفة ، والأمثال المضروبة ، والتجارب الصحيحة ، وما قالت الشعراء فيه ، ونطقت به الفصحاء ، وميزته العلماء ، وعجبت منه الحكماء ، وحالها عند

(١) في « وتضاؤل صوته » .

(٢) في « ووعد إيراد معان » .

(٤) في « وحفظها لهم ليزيدهم في وضوح الحجّة » .

الملوك ، وموضع نفعها عند الحروب ، وتباينها في العلوم ، وجلالتهافي الصدور ، وفي طول أعمارها ، وقوة أبدانها ، وفي اعتزامها^(١) وتصميمها وأحقادها وشدة اكتراثها ، وطلبها بطوائفها ، وارتفاعها عن ملك الشقاط واقتناء السفلة والأراذل وعن ارتخائها في الثمن ، وارتباطها على الخسف ، وابتذالها ، وإذلالها ، وعن امتناع طبائعها ، وتمنع غرائزها أن تصلح أبدانها وتنبت أنيابها وتعظم جوارحها وتتسافد وتتلاقح إلا في معادنها وبلادها ومفارس أعراقها ، مع التماس الملوك ذلك منها ، وطمع القوم عليها بالتقرب بذلك منها ، حتى أعجزت الخيل ، وخرجت عن حد الطمع ، وعن الأخبار عن حملها ووضعها ومواضع أعضائها ، والذي خالفت فيه الأشكال الأربعة التي تحيط بالجميع مما يستناخ^(٢) أو يقوم أو يمشي أو يطير ، وجميع ما ينتقل عن أولية خلقه ، وما يبقى على الطبع الأول من صورته ، وعمائتازعه من شبه الحيوان ، وما يخالف فيه جميع الحيوان ، وعن القول في شدة قلبه وأسريره وفي حدته^(٣) على ما هو أعظم بدناً وأشد قلباً^(٤) وأحد ظفراً وأدرب لساناً^(٥) وهربه مما هو أصفر جسماً ، وأكل حديداً ، وأضعف أسراً ، وأحمل ذكراً ، وعن الأخبار عن خصاله المذمومة ، وأموره المحمودة ، وعن القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظامه وبوله ونجوه ، وعن لسانه وفمه ، مع غير ذلك من المواعيد الكثيرة التي تضمن إيرادها ، فلما انتهى إلى موضع نظمها وإيراد وصفها وما أسلفه من القول في هذه المعاني التي قدّمها أورد جوامع متفرقة ، ولما غير متسقة في القبلة وغيرها ، وأعرض عن إيراد خواص أعضائها ، وأكثر منافعها ، وعجيب خصالها ، وما ذكر من أسرار الطبيعة فيها ، وما قالته فلاسفة الهند في بدنها ، وما أثرته عن تقدم من حكائنها في بدء أوليتها وعلة تكوینها في أرض الزنج والسند ، دون سائر البقاع

(١) في ا « وفي اعتراضها وتصميمها » .

(٢) في ا « مما يسبح » . (٣) في ا « وفي جرائه » .

(٤) في ا « وأشد قلباً » . (٥) في ا « وأدرب أنياباً » .

من الأرض ، والسبب المانع لتكونها في غيرها ، والتضاد الذي بينها وبين الكركدن مع عظم خلقها ، وفرارها من السنور ، مع صغر حجم جسمه ولطافة منظره ، وعن كثرة الطرب الذي يوجد في الفيل دون غيره من الحيوان ، وقبولها الرياضة والدربة^(١) والمعرفة عند المحاورة ، والدهاء ، والخبث ، والتميز .

وقد ذكر صاحب المنطق في كتاب الحيوان جملاً كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه ، وسلك طريقة لم يسلكها من تقدم من حكماء الهند [في الفيل ، وما ذهب إليه حكماء الهند] من أن العالم بما فيه من الأجسام على جهات ثلاث : متفق ، ومختلف ، ومضاد ، وأن ذلك في الجملة هو جماد ونام ، وإخراجهم عن العالم الأفلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الأجسام السماوية ، وأنها ليست بجماد ولا نام ، وأنها أحياء ناطقة^(٢) .

قال المسعودي : فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه آنفاً في صدر هذا الباب ، من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من أنواع الأحابش ؛ فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من القبله وجفها لعاجها غير منتفعة بشيء من ذلك في آلاتها ، وإنما تتحلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة ، وما ذكرنا من دوابهم أنها بقر ، وأنهم عليها يتقاتلون بدلا من الإبل والخيول ، وهي بقر تجرى كالخيل بسروج ولحم ، ورأيت بالرى نوعاً من هذا البقر يبرك كما يبرك الجمل^(٣) ، ويشور بحمله كما تشور الإبل إذا استقلت بأحمالها ، وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان كالخيل والإبل والحمر والبغال ، ومثلاً كهناوع من الجوس مزدقية^(٤) ، ولهم خارج الرى قرية لا يسكن معهم فيها غيرهم ، فإذا مات بالرى أو قزوين شيء مما ذكرنا من البهائم ورد الواحد منهم مع ثوره فأناخه ، وحمل عليه تلك الجيفة وسار بها إلى

(١) في ا ، ب « الدراية » وأحسبها محرقة عما أثبت .

(٢) في ب « وأنها أحيانا ناطقة » .

(٣) في ب « يبول كما يبول الخيل » . (٤) في ب « نوع من الجوس من دفته » .

قريته ، فأكلهم منها ، وبنيتهم من عظامها ، وَيَجْفُونَ من لحمها ما يدخرونه
لشتاتهم ، فأكثر أكلهم وأكل بقرهم من تلك اللحمان رطباً ويابساً ،
وهذا النوع من البقر الغالب عليه حمرة الخدق ، وسائر البقر تنفر وتهرب
من هذا البقر ، ورأيت بأصبهان وقمّ منها ما في أنوفها حلق الحديد والصُّفْرُ ،
قد خُزِمَتْ فيها الحبال ، وخطمت بها كما يفعل بالجمال البُخت ، وكذلك
باري رأيت ثوراً منها قد عدا نحو ثور من غير هذا النوع ، فلما رآه [قد]
قصده قام فرزاعاً من هذا الجنس .

وليس في سائر أنواع البقر ما يأوي المياه والجزائر والبحيرات إلا البقر
المعروف الحبشية التي تكون ببلاد مصر وأعمالها ، وبحيرة تنيس ودمياط
وما اتصل بتلك الديار ، وأما الجواميس فإنها بالثغر الشامي تجر^(١) أكبر
ما يكون من العجل ، في أنوفها حلق الحديد والصُّفْرُ على ما ذكرنا من البقر ،
وكذلك منها ببلاد أنطاكية ، وأكثر ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان ،
وقرون تلك البقر أكبر من قرون هذه الجواميس التي بأرض الإسلام ،
وطول القرن منها نحو الذراع والذراعين وكذلك الجواميس كثيرة بأرض
العراق مما يلي طفوف الكوفة^(٢) والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار ،
والناس يذكرون عنقاء مُغرب ويصورون العنقاء في الحمامات وغيرها ، ولم
أجد أحداً في هذه الممالك ممن شاهده أو نرى إلى خبره ذكر أنه رآها ،
ولست أدري كيف ذلك ، ولعله اسم لامسى له ! .

ولنرجع الآن إلى أخبار الزنج وأخبار ملوكها : فأما تفسير اسم ملك الزنج -
الذي هو وقلبي - فعني ذلك ابن الرب الكبير ؛ لأنه اختاره لملكهم والعدل
فيهم^(٣) ، فمتى جار الملك عليهم في حكمه وحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ،
ويزعمون أنه إذا فعل ذلك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي هو ملك السموات

تفسير لقب
ملك الزنج

(١) في ب ه في بحر أكبر ما يكون من العجل ه ولامعى له .

(٢) في ب ه صفوف الكوفة ه . (٣) في ا ه والعدل بينهم ه .

والأرض ، ويسمون الخالق عزوجل ملكنجلو^(١) ، وتفسيره الرب الكبير ، والزنج أولو فصاحة في ألسنتهم ، وفيهم خطباء بلغتهم ، يقف الرجل الزاهد منهم فيخطب على الخلق الكثير منهم ، ويرغبهم في القرب من بارئهم ، ويبعثهم على طاعته ، ويرهبهم من عقابه وصوائته ، ويذكرهم من مضي من ملوكهم وأسلافهم ، وليس لهم شريعة يرجعون إليها ، بل رسوم الملوكهم ، وأنواع من السياسات يسوسون بها رعيتهم ، وأكلهم الموز ، وهو ببلادهم كثير ، وكذلك بأرض الهند ، والغالب على أقوات الزنج الذرة ، ونبت يقال له الكلاري يقلع من الأرض : كالكمأة ، والراسن ، ومنه كثير ببلاد عدن وما اتصل بها من أرض اليمن ، ويشبه هذا الكلاري القلقاس الذي يكون بالشام ومصر ، ومن غذائهم أيضاً العسل واللحم ، ومن هوى منهم شيئاً من نبات أو حيوان أو جماد يجده^(٢) ، وجزائرهم في البحر لا تحصى كثرة ، وفيها النار جبل يعم أكله سائر الزنج ، ومن بعض تلك الجزائر جزيرة بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين ، فيها خلائق من المسلمين يتوارثها ملوك من المسلمين ، يقال لها قبلو^(٣) ، على حسب ما ذكرنا من أمرها في هذا الكتاب .

وأما النوبة فافتقت فرقتين : فرقة في شرق النيل وغربيه ، وأناخت مساكن النوبة على شاطئه ، فاتصلت ديارها بديار القبط [من] أرض مصر والصعيد من بلاد أسوان وغيرها ، واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مُصعدة ، ولحقوا بقرب من أعاليه ، وبنوا دار مملكة ، وهي مدينة [عظيمة] تدعى دنقلة ، والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوة ، وبنوا مدينة عظيمة وسموها سرية .

قال المسعودي : وانتهيت في تصنيفي إلى هذا الموضع من كتابنا هذا في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، [وكنت بفسطاط مصر]

(١) في ب « مكنجولو » بتقديم الكاف

(٢) في ا « عبده »

(٣) في ب « يقال لهم قبلو ، ويتوارثها المسلمون »

البجة

فأخبرت أن الملك في مدينة دنقلة للنوبة « كابل^(١) » بن سرور ، وهو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعدا وملكه يحتوى على ما قررة وعلوة ، والبلد المتصل بمملكته بأرض أسوان يعرف بمريس ، وإليه تضاف الريح^(٢) الرئيسية ، وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان .
وأما البجة فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ، وتشعبوا فرقا ، وملكوا عليهم ملكا ، وفي أرضهم معادن الذهب ، وهو التبر ، ومعادن الزمرد ، وتتصل سراياهم [ومناسرهم] على النُجُبِ إلى بلاد النوبة ، فيغيرون ويسبون ، وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجة ، إلى أن قوى الإسلام وظهر ، وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيداب ، وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فاشتدت شوكتهم ، وتزوجوا في البجة ؛ فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة ، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار ، وصاحب المعدن في وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — أبو مروان بشر بن إسحاق^(٣) ، وهو من ربيعة ، يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النُجُبِ من البجة بالحجف البجاوية ، وهم الحداربة^(٤) ، وهم المسلمون ممن بين سائر البجة ، وباقي البجة كفار يعبدون صنما لهم .

الحبش

وأما الحبشة فاسم مملكتهم كعب^(٥) وهي مدينة عظيمة، وهي دار مملكة النجاشي ، وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة ، يتصل ملك النجاشي بالبحر الحبشي ، ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة ، وهو مقابل لبلاد اليمن : فمن مدن

() هكذا في نسخة عندنا ووقع في « كبرى بن سرور » ووقع في ب

« ليرني بن سدر » (٢) في ب « الزنج الرئيسية » محرفا

(٣) في ب « بشر بن مروان بن إسحاق »

(٤) في ب « وهم الحدارب » (٥) في ب « كعمى »

الخبشة على الساحل الزيلع والدهلك وناصع ، وهذه مدن فيها خلق من المسلمين إلا أنهم في ذمة الخبشة ، وبين ساحل الخبشة ومدينة غلافة^(١) — وهي ساحل زبيد من أرض اليمن — ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ، ومن هذا الموضع عبرت الخبشة البحر حين ملكت اليمز، في أيام ذى نواس وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن ، وصاحب زبيد في وقتنا هذا إبراهيم ابن زياد صاحب الحرمل ومرابكة تختاف إلى ساحل الخبشة ، وتركب فيها التجار بالأمته ، وبينهم مهادنة ، وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين — أعنى ساحل اليمن ، وساحل الخبشة — أقل المواضع فيه عرضاً ، وهناك جزائر بين هذين الساحلين : منها جزيرة العقل ، يقال : إن فيها ماء يعرف بماء العقل ، يستسقى^(٢) منه أرباب المراكب ، ويفعل في القرائح والذكاء فعلا جميلا ، وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعل هذا الماء وماله من الخواص ، وذكر علة ذلك ، وقد أتينا على الخبر في كتابنا « أخبار الزمان » عند ذكرنا لأخبار المتطبين في تجاربهم وما كان من قضاياهم في علاجاتهم من سلف قبل ظهور الإسلام وغيرهم ممن اتصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع ، وقد غلب ابن زياد على هذه الجزيرة ، وله في هذا الوقت رجال مرتبون فيها من أصحابه .

وفي هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرة ، إليها يضاف الصبر جزيرة سقطرة وسكانها
السقطري ، ولا يوجد إلا فيها ، ولا يحمل إلا منها ، وقد كان أرسطاطاليس بن نقوماخس^(٣) كتب إلى الإسكندر بن فيابس حين سار إلى الهند^(٤) في أمر هذه الجزيرة بوصيه بها ، وأن يبعث إليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطري الذي يقع في الأبارجات وغيرها ، فصير الإسكندر إلى هذه الجزيرة خلقاً من اليونانيين أكثرهم من مدينة أرسطاطاليس بن نقوماخس^(٣) ، وهي

(١) في ب « علاقته »
(٢) في ب « تسقى »
(٣) في ب « تمر ياحين »
(٤) في ب « إلى الشام »

مدينة اسطاغر^(١) ، في المراكب بأهلهم في بحر القلزم ؛ فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند ، وملكوا الجزيرة ، وكان للهند بها صنم عظيم ، فنقل ذلك الصنم في أخبار بطول ذكرها ، وتنازل من الجزيرة من اليونانيين فيها ، ومضى الإسكندر فظهر المسيح فتنصر من كان بها إلى هذا الوقت ، وليس في الدنيا — والله أعلم — موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون أنسابهم لم يداخلهم في أنسابهم رومي ولا غيرهم غير أهل هذه الجزيرة ، وهم في هذا الوقت تأوى إليهم بوارج الهند الذين يقطعون على المسلمين في هذه البوارج وهي المراكب على من أراد الصين والهند وغيرها كما يقطع الروم في الشواني على المسلمين في البحر الرومي من ساحل الشام ومصر ، ويحمل من جزيرة سقطرة الصبر [السقطري] وغيره من العقاقير ، ولهذا الجزيرة أخبار عجيبة ، ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا . وأما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن أمعن في المغرب — مثل الزغاوة والكوكو والقراقرو ومديدة ومريس والمبرس والملانة والقوماطي ودويلة والقرمة^(٢) — فلكل واحد من هؤلاء وغيرهم من أنواع الأحابش ملك ، ودار مملكة .

بقية أجناس
السودان

وقد أتينا على ذكر جميع أجناس السودان وأنواعهم ومساكنهم ومواضعها من الفلك ، ولأية علة تفلقت شعورهم واسودت ألوانهم ، وغير ذلك من أخبارهم وأخبار ملوكهم ومجائب سيرهم وتشعبهم في أنسابهم ؛ في كتابنا « أخبار الزمان » في الفن الأول من جملة الثلاثين فناً ، ثم في الكتاب الأوسط مما لم نذكره في كتابنا « أخبار الزمان » من أخبارهم ، وذكرنا في هذا الكتاب ما لا يسع ترك إيراده فيه ولا تعريته منه .

(١) في ب « اسطاعور »

(٢) في ب « مثل الزغاوة والكركر والقراقرو ومرندة والرويين والهنديين

واللالة والقرواطن وزويلة والعرمد »

قال المسعودي : وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص مصر كتب إليه بمحاربة النوبة ، فغزاهم المسلمون ، فوجدوهم يرمون الحدق وأبى عمرو بن العاص أن يصالحهم ، حتى صُرِفَ عن مصر ، ووليها عبد الله بن سعد ، فصالحهم على رموس من السبي معلومة ، مما يسبى هذا الملك المجاور للمسلمين من غيرهم من ممالك النوبة المقدم ذكرها فيما سلف من صدر هذا الباب المدعو بملك تريس وغيرها من أرض النوبة ، فصار ما قبض منه من السبي سنّةً جارية في كل سنّةٍ إلى هذه الغاية يحمل إلى صاحب مصر ويدعى هذا السبي [في العربية] (١) بأرض مصر والنوبة بالبقط ، وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمس وستون رأساً ، وأراه رُسم على عدد أيام السنة ، هذا لبيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة ، وللأمير بمصر غير ما ذكرنا من عدد السبي أربعون رأساً ، ونخليفته المقيم ببلاد أسوان المجاورة لأرض النوبة ، وهو المتولى لقبض هذا البقط ، وهو السبي ، عشرون رأساً غير الأربعين ، وللحاكم المقيم بأسوان الذي يحضر مع أمير أسوان قبضُ البقط خمسة رؤوس غير العشرين التي يقبضها الأمير ، ولائني عشر شاهداً عدولاً من أهل أسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأساً من السبي حسب ما جرى به الرسم في صدر الإسلام في بدء إيقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة ، والموضع الذي يتسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر ، وهو على ستة أميال من مدينة أسوان بالقرب من جزيرة بلاق ، وبلاق هذه مدينة في الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والأحجار ، وهذه المدينة في هذه الجزيرة يحيط بهاماء النيل كإحاطة ماء الفرات بالمدن التي في الجزائر [الكائنة] (٢) بين رَحْبَةَ مالك بن طوق وهَيْت (٣) ، وهي

(١) هذه الكلمة لا توجد في أ (٢) هذه الكلمة لا توجد في ب

(٣) في ب « بين رحبة ملك بن طوق وبين الرسة وناوسة وغانة

والحديث - إلخ »

ناوسة وعانة والحديثة ، وفي مدينة بلاق خلق كثير من الناس^(١) ومنبر ونخل كثير في كلا الشطين ، وهذه المدينة إليها تنتهي سفن النوبة وسفن المسلمين من بلاد مصر وأسوان ، ومدينة أسوان يسكنها كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة^(٢) ومضر وخلق من قریش ، وأكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره ، والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير تُودَعُ النوااة الأرض فتنبت نخلة ، وبؤ كل من ثمرها بعد سنتين ، وليست تربتهم كثرة البصرة ولا الكوفة ولا غيرها من أرض النخل ؛ لأن النخل بالبصرة لا ينبت من النوى بل ينبت من الثال والفسيل ، وهو النخل الصغير ، وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح^(٣) ، ولبن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة يؤدُون خراجها إلى ملك النوبة ، وابتيعت هذه الضياع من النوبة في صدر الزمان في دولة بني أمية وبني العباس ، وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم إلى القسطنطينة ذكروا عنه أن ناساً من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان ، وأنها ضياعه والقوم سييد [ه ، و] لا أملاك لهم ، وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها ، فرد المأمون أمرهم إلى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من أهل العلم والشيخ ، وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها ستززع من أيديهم ، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتاع منهم من أهل النوبة أنهم إذا حضروا حضرة الحاكم أن لا يقرروا المليكهم^(٤) بالعبودية ، وأن يقولوا : سبيلنا معاهر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته ، فإن كنتم أتم عبيداً لملككم وأموالكم له فنحن كذلك ، فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب

(١) في « من المسلمين »

(٢) في « نزار بن ربيعة ومضر »

(٣) في « ولا يفلح »

(٤) في « المليكهم »

الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم أو نحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى ، فمضى البيع لعدم إقرارهم بالرق للملكهم إلى هذا الوقت ، وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مَرِيس ، وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين : نوع ممن وصفنا أحرار غير عبيد ، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد ، وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لأسوان ، وهي بلاد مَرِيس .

معدن الزمرد
وأنواعه

ومعدن الزمرد في عمل الصعيد الأعلى من أعمال مدينة قفط^(١) ، ومنها يخرج إلى هذا المعدن ، والموضع الذي فيه الزمرد يعرف بالخربة مفاوز وجبال ، والبجة تحمي هذا المكان المعروف بالخربة ، وإليها يؤدي الخفارات من يرد إلى حفر الزمرد ، والزمرد الذي يقتلع من هذا المكان يتنوع أربعة أنواع : النوع الأول منها يعرف بالمر ، وهو أجودها وأغلاها ثمناً ، وهو شديد الخضرة كثير الماء ، وتشبه خضرته بأشد ما يكون من السلق خضرة ، وهذا اللون غير كدر ولا ضارب إلى السواد ، والنوع الثاني يدعى بالبحري ، ومعناها في هذه التسمية هو أن ملوك البحر من الهند والسنج^(٢) والصين ترغب في هذا النوع من الزمرد ، وتباهى في استعماله ولباسه في تيجانها وأكاليلها وخواتيمها وأسورتها ، فسمى البحري لما ذكرنا ، وهو ثاني المر في الجودة وتشبه خضرته بالأول والماء كفراخ^(٣) ورق الآس الذي يظهر في أوائل أغصان الآس وأطرافه ، والنوع الثالث يعرف بالمغربى ، ومعناها في هذه التسمية وإضافتهم إياه إلى المغرب هو أن ملوك المغرب من الإفرنجية والنوكيرد^(٤) والأندلس والجلالقة والوشكند^(٥) والصقالبة والروس ، وإن كان أكثر هؤلاء الأمم متصلين بالجدى^(٦) وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولدبافث بن نوح يتنافسون في هذا النوع من الزمرد كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصين

(١) في « من أعمال مدينة قبط » (٢) في ب « والراجح »

(٣) في ب « كقداح ورق الآس » (٤) في ب « والنوكير »

(٥) في ب « والوسكنس » (٦) في ب « بالجربى »

في النوع المعروف بالبحري ، والنوع الرابع هو المسمى بالأصم ، وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمناً ؛ لقلة مائه وخُضْرته ، وهذا النوع يتفاوت في اللون من الخضرة في القلة والكثرة ، وجملة الوصف لهذه الأنواع الأربعة في الجودة والمبالغة في الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد والصفرة ، وغير ذلك من الألوان ، مع تعري هذا الجوهراً^(١) من النموشة ، فإذا سلم مما ذكرنا كان في نوعه غايةً في الجودة ونهايةً في الوصف ، وفي حجارتها ما يبلغ الخمسة المائتين من الوزن ، إلى أن ينتهي إلى حد العدسة في المقدار ، فيدخل ذلك في النظم من الخائق وغيرها .

وآفات هذا الجوهراً كثيرة ، منها الريم ، والحجارة ، والعروق البيض التي تشوب هذا الجوهراً وتوجد فيه ، ولا تناكر بين ذوى الدرزية بهذا الجوهراً ومن عني بمعرفته أن الحيات والأفاعي وسائر أنواع الحيات من الثعابين وغيرها إذا أبصرت الزمرد الخالص سالت أحداقها ، وأن الماسوع إذا سقى من الزمرد الخالص ، وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من أن يسرى السم في جسده^(٢) ، ولا يوجد شيء من أنواع الحيات يقرب من معدنه وأرضه ، وهو حجر لين رخو ، يتكلس إذا ورد على النار^(٣) .

وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلامهم من ملوك الروم تعظم شأن هذا الجوهراً ، وتفضله على غيره من سائر الجواهر ؛ لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة ، والمنافع الكثيرة ، ولخفته في الوزن دون سائر الجواهر المعدنية . وأكثر ما يوجد من هذه الأنواع الأربعة العروق في الأرض ، وهو المتنافس فيه ، إذا سلم من الاعوجاج والثقب^(٤) ، واستقام سلكه ، واستطال ما استدار ، وأدناه ما ينحل في معدنه من التراب ويلتقط من الطين ، وقد

(١) في ا « مع تعري هذا النوع من النموشة » .

(٢) في ا ه في جوفه » . (٣) في ب « إذا ورد على الماس » .

(٤) في ب « والثقب » .

يوجد على ظهر الأرض في هذا المعدن في وهاده وجباله وما انخفض وارتفع من أرضه نوعان منه وهما المغربى والأصم المقدم ذكرهما .
وقد يحمل من أرض الهند من بلاد سندان ، ونحو كنباية^(١) من مملكة البلهر اصحاب المانكير المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب نوع من الزمرد يلحق بما وصفناه من النور والخضرة والشعاع ، إلا أنه حجر صلب أصلب مما وصفناه ، وأثقل مما ذكرنا ، ولا يُفَرَّقُ بين هذا النوع المحمول من أرض الهند وبين الأنواع الأربعة المقدم ذكرها إلا ذو دراية فطن أو ما هرفيه^(٢) ، وهذا النوع الهندى يعرفه أصحاب الجوهر بالكي ؛ لأنه يحمل من أرض الهند إلى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن ، ويؤتى به مكة ، فاشتهر بهذا الاسم لما وصفناه ، وبان بهذا النعت لما ذكرنا .

وقد أتينا على مبسوط أخبار الجواهر الشفافة وغيرها ووصف معادنها على الشرح والإيضاح في كتابنا « أخبار الزمان » ووجدت جماعة بصعيد مصر ، من ذوى الدراية - ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن ، وعرف هذا النوع من الجوهر الذى هو الزمرد - يخبرون أن هذا الزمرد يكثر ويقل في فصول من السنة ، وفي قوة من مواد الهواء ، وهبوب نوع من الرياح الأربع ، وتقوى الخضرة فيه والشعاع النورى في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر ، وكذلك وجدت في أخبار من عني بمعرفة أكثر المعادن من الجوهريه وغيرها أن الكبريت الأبيض والأصفر وغيرها من أنواع الكبريت يكثر في معدنه في السنة التى يكثر برقها ، وتشتد صواعقها ، على حسب ما أخبرنا به فيما سلف من هذا الكتاب عن الكافور في بلاد منصوره^(٣) وغيرها من أرض الهند أنه يكثر في السنة التى تكثر فيها الصواعق والرعود والبروق ، ولولا أن المكثار كحاطب ليل ، والإيجاز لمحة دالة ، ووَخَى صَرَّحَ عن ضمير ، والبلاغة إيضاح بإيجاز لأسهبت في هذا الباب .

(١) فى ب « من بلاد سندان وبحر كنبایت من مملكة البلهر اصحاب الناكور »

(٢) فى ب « أو ما هرفيه » (٣) فى ب « من بلاد منصوره »

وبين هذا الموضع المعروف بالخربة الذي فيه معدن هذا النوع من الجوهر، وهو الزمرد، وبين ما اتصل به من العارة وقرب منه من الديار، مسيرة سبعة أيام وهي قفط وقوص وغيرها من صعيد مصر، وقوص راكبة للنيل، وبين النيل من بلاد مصر وقفط نحو من ميلين، ولدينتي قفط وقوص أخبار عجيبة في بدء عمر انهما وما كان في أيام الأقباط [من أخبارها] إلا أن مدينة قفط في هذا الوقت متداعية للخراب، وقوص أعمر، والناس فيها أكثر.

وبوادي البجة المالكة لهذا المعدن تتصل ديارها بالعلاقي، وهي معدن الذهب على حسب ما قدمنا في هذا الباب، وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة، وماء أهل العلاقي ما انهل من السماء، ولهم ماء من عين^(١) يسيل في وسط العلاقي، وأقرب العارة إليه مدينة أسوان، ومنها يسمى^(٢) العلاقي، والنوبة متصلة بتجارتها وقوافلها بمدينة أسوان^(٣)، وأهل أسوان مختلطون بالنوبة.

الواحات

قال المسعودي : وأما بلاد الواحات - وهي بين بلاد مصر والإسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الأحابش من النوبة وغيرهم - فقد ذكرنا جملا من أخبارها، وكيفية العمران بها، والخواص في أرضها، فيما سلف من كتبنا، وبها أرض شبية وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم، وصاحب الواحات في وقتنا هذا هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - عبد الملك بن مروان، وهو رجل من من لواتة، إلا أنه مرواني المذهب، ويركب في ألوف من الناس خيلا [ورجلا] ونجبا، وبينه وبين الأحابش نحو من ستة أيام، وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العائر هذا المقدار من المسافة، وفي أرضه خواص وعجائب، وهو بلد قائم بنفسه، غير متصل بغيره، ولا مفتقر إليه، ويحمل من أرضه التمر

(١) في ب « ولهم معين يسيل »

(٢) في ب « ومنها يستمد العلاقي »

(٣) في ب « والنوبة متصلة بتجاراتها وقوافلها بمدينة أسوان »

والزيب والأعنان ، وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات بباب الإخشيد محمد بن طنج ، وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة ، وسألته عن كثير من أخبار بلدهم ، وما احتجت أن أعلمه من خواص أرضهم ، وكذلك كان فعلى مع غيره في سائر الأوقات ممن لم أصل إلى بلادهم ، وأخبرني هذا الرجل عما بأرضهم من الشبِّ وأنواع الزاج ، وما يحمل من بلادهم ، وما بأرضهم من أنواع العيون الحامضة ، وغير ذلك من المياه المختلفة الطعوم .

وقد ذكر صاحب المنطق أن ببعض المواضع عيوناً حامضة يستعمل ماؤها ، كاستعمال الخلل ، وذكر المواضع التي تتبع منها العيون المرة ، وأن قوة ماؤها في المرارة لا يخالط شيئاً إلا مرَّره ، وأن العلة في اختلاف هذه الطعوم في المياه أن الأرضين مختلفة مثل مواضع الشبِّ والمواضع النارية والرمادية ، وذكر الأطحمة^(١) التي ببلاد صقلية المقدم ذكرها إذا خالطت الماء أفادته طعوماً مختلفة على قدر اختلافها وأعداد طعومها .

أعداد الطعوم
وخواصها

وأعداد الطعوم ثمانية : فأولها العذب ، والمالح ، والدم ، والحلو ، والحامض والمر ، والقابض ، والحريِّف ، وقد تنازع الناس فيما ذكرنا ؛ فمنهم من رأى أن أعدادها سبعة ، ومنهم من ذهب إلى أنها ستة ، وأكثر من قال في أعدادها هو ما ذكرنا آنفاً [من أنها]^(٢) ثمانية ، وقد قال من سأل في قوى المياه أقاويل مختلفة : فمن ذلك أن العذب مُغذٍّ وإن كان سخناً ؛ فإن استعمل من داخل أو من خارج [بقدر الحاجة إليه]^(٣) فإنه ينقى الجسد ، وإن استعمل أكثر مما يحتاج إليه فإنه يرخي الأعضاء ويضعفها ، وأن الماء البارد يشدُّ الأعضاء ، ويقطع العطش^(٣) ، وأن الزيادة منه تخدر الجسد وتتميته ، وأن الماء الأجاج ينفع

(١) كذا في الأصل ، والظاهر أنه أراد « وذكر أن المعادن إلخ »

(٢) ما بين المعرفين ساقط من ب وحدها

(٣) في « ويدفع العطش »

من شدّد الكبد والطحال، وأن الماء الكبريتي ينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة، والبورقي^(١) نافع للحكة والجرب، وأما القاري^(٢) فإنه نافع من أوجاع الصلب والعصب، وماء الحديد نافع من الاسترخاء في الأحشاء وما بطن من الأوعية، وماء النحاس نافع من الرطوبة والبلة الكائنة في الجسد والرأس، وماء الجص يشنج المعدة ويقبضها ويكرشها، وماء الزجاج بحسب^(٣) الدم، وماء البحر نافع من البرص، وقد ذكر جماعة أنه ينفع من الأخلاط الفاسدة إذا شرب منه اليسير مع دهن اللوز، وله في البصر إعتاب فظيع^(٤)، وأن أصحّ المياه للأجساد الأبيض البراق الذي يخرج من جبال الطين^(٥) من مشرق الشمس نحو مغربها، القابل بسرعة ما يبرد إليه من الحر والبرد، وللناس فيما ذكرنا كلام كثير في أنواع المياه وأوصافها ومنافعها ومضارها، وليس كتابنا هذا موضعاً له، وإنما تغفل بنا الكلام إلى ذكرها، وتشعب بنا القول إلى وصفها

وكل ما ذكرنا من بلاد الأحابش ما كان من غربي اليمن وجدة والحجاز^(٦) مما يلي بحر القلزم، فبلاد قشفة لا خير في أرضها، ولا شيء يحمل من ساحلها إلا ما وصفنا من الذبل والنمور [وغيرها]، وكذلك ما عليه من ساحل الشحر وبلاد الأحقاف من ساحل حضرموت إلى عدن، فبلاد لا خصب لأهلها فيه، ولا يحمل من أرضهم [في وقتنا] إلا اللبان ويسمى الكندر، وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهند وإن كان الماء متصلاً، وليس في البحار، وما ذكرنا من الحاجبان مما احتوى عليه البحر الحبشي، أصعب ولا أكثر حياءً، ولا أسهك راحة، ولا أقحط، ولا أقل خيراً في بطنه وظهره من بحر القلزم، وسائر البحر الحبشي تقطعه المراكب في إبان سيرها فيه بالليل والنهار، إلا بحر القلزم؛

وصف
بلاد الأحابش
وحاصلاتها

(٢) في ب « وأن ماء النصار فإنه »

(١) في ب « والروقي »

(٤) في ب « إعتاب فظيع »

(٣) في ب « يحسن الدم »

(٦) في ب « والجار »

(٥) في ب « من جبال الصين »

فإن المركب تسير فيه بالنهار، فإذا جنَّ الليل أُرْسَتْ في مواضع معروفة كالمراحل المشهورة، والمنازل^(١) المعروفة؛ لكثرة جباله وظلمته ووحشته، وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره في شيء، وهو بالضد من ذلك؛ لأن بحر الهند والصين في قعره اللؤلؤ، وفي جباله الجواهر، ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعي، وفي أفواه دوابه العاج، وفي منابته الآبنوس، والخيزران، والقنأ، والبقم، والساج، والعود، وأشجار الكافور، والجوز، والقرنفل، والصندل، والأفأويه، والطيب، والعبر، وطيوره البياغى البيض والخضر، وأحدها بيغة^(٢)، ثم الطواويس وأنواعها في صورها واختلافها في الصغر والكبر ومنها ما يكون كالنعامة كبراً، وحشرات أرض^(٣) الهند الزباد كالسنابير بأرض الإسلام كثيرة متخذة^(٤) كالسنور، وأكثر ما يخرج من ضروعها الطيب المعروف بلبن الزباد، وهو نوع من الطيب عجيب، ثم ما يظهر في وقت من السنة من جباه القبلة بأرض الهند ورءوسها من العرق الذي هو كالمسك، والهند تراعى ظهور هذا الطيب في الفصل من الزمان الذي يكون فيه، فتأخذه وتجعله على بعض أدهانها الطيبة، فيكون أغلى طيبها والمستطرف عندها، والذي تستعمله ملوكها وخواصها لضروب من المنافع منها طيب الرائحة والتجمر^(٥) الذي قد فاق على سائر الطيب عندهم، وما يؤثر في الإنسان عند شمه إياه واستعماله من ظهور الشَّبَق من الرجال والنساء والطلب للباه والاعتلام والطرب والنشاط والأريحية، وكثير من فتاك الهند وشجعانهم يستعمل هذا الدهن عند اللقاء والحرب؛ لأن ذلك عندهم مما يشجع القلب، ويقوى النفس، ويبعثها على الإقدام، وأكثر

من أوصاف
الفيل أيضاً

(١) في ب « والمنافذ المعروفة »

(٢) المعروف أن الواحد يبغياء، والجمع يبغيوات

(٣) كذا، ولعل الأصل « ومن حشرات أرض الهند الزباد وهي كالسنابير - إلخ »

(٤) في ا « منمرة كالسنور »

(٥) في ا « والتجمر »

ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه القبيلة في ذلك الفصل من السنة في حال اغتلامها وهيجانها ، وإذا كان ذلك منها هرب عنها سُوَامُهَا ورُعَاتُهَا ، ولا تفرق بين من تعرف وغيره من الناس ، وإذا وجد الفيل ما وصفنا سلك الأودية والجبال والفياض ، وتدّ عن بلده ، وغاب عن وطنه ؛ فإذا قدم على النوشان الذي هو الكر كدن هرب حينئذ من الفيل ، ولا يقيم في الموضع الذي هو فيه ؛ لأن الفيل عند ذلك بحال السكران لا يعقل ولا يميز بين الكر كدن الذي كان يخافه قبل ذلك وغيره ؛ فإذا خرج عنه ذلك الفصل من السنة واسترجع عاد إلى بلاده على مسيرة شهر وأكثر من ذلك ، وهو في بقية من سكره ، فيبقى نحو ذلك المقدار الذي كان هيجانه فيه عليلاً ، ولا يكون ذلك إلا في الفحول من القبيلة وذوى الجراءة منها والإقدام ، وما ذكرنا من ظباء^(١) المسك وغير ذلك مما عنه أمسكنا من عجائبه [وخيراته] وفيما ذكرنا تنبيه على غيره .

وللهند خطب طويل في ظهور هذا النوع من الطيب في هذه الحالة^(٢) من القبيلة ، والفرق بينه وبين سائر أنواع الدواب وما يظهر من الفيل من الجزع عند وروده المياه من الغدران والأنهار للشرب إذا كان الماء صافياً ، فإنه يشربه ويكدره ويمتنع من شربه حين صفائه ، وإن ذلك يوجد في أكثر الخيل إذا وردت الماء وكان صافياً ضربته بأيديها فكدرته فتشرب حينئذ ، وتوافق الخيل القبيلة في هذا المعنى دون سائر الحيوان ، وإن ذلك لمشاهدة صورها في الماء لصقالته وصفائه ، ولعلها تقصد زوال ذلك عند كدر [ما تضربه بأيديها ؛ لعدم ظهور الصور فيه في حال الكدر]^(٣) ، وإن الإبل الأغلب منها يفعل ذلك ، ولعمان غير ذلك مما وصفنا من أن ما عظم من الحيوان إذا رأى صورته منعكسة على صفاء الماء أعجبت له عظمتها وحسنها وما بان به من حسن الهيئة عما دونه من أنواع الحيوان ، وليس شيء يفعل ذلك من

(١) في ب « من طيب المسك » (٢) في ب « في هذه الحياة »

(٣) زيادة في ا وحدها .

الحيوان غير ما ذكرنا من الخيل والإبل [والفيلة]^(١)، وإن الفيل - مع عظم جسمه [ولطافة نفسه]^(٢) وخفة روحه وحسن تمييزه والفرقة بين وليه^(٣) وعدوّه من الناطقين وغيرهم وقبوله الرياضة - يمتنع من الأثى كما تمتنع النوق إذا لقت ، وليس شيء من الدواب يمتنع من السّفَاد من الإناث عند حماها إلا الفيلة والإبل ، وهذا باب إن نحن تَقَصَّيْنَاهُ وذكّرنا ما فيه طال به الكتاب ، وخرج عن حد الاختصار والإيجاز . وقد أتينا على وصف جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وغيره من كتبنا ، فلنذكر الآن أنواعاً من ولد يافث بن نوح ؛ إذ كنا قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كثيراً من ذكر الأمم مع اختلاف ألوانهم ، وتباينهم في ديارهم ، واختلافهم في أحوالهم ، إن شاء الله تعالى .

(١) زيادة في ا وحدها .

(٢) زيادة في ب وحدها .

(٣) في ب هـ والمعرفة بوليه وعدوه هـ

ذكر الصقالبة ومساكنها

وأخبار ملوكها ، و [تفرق] أجناسها

نسب الصقالبة : من ولد مار^(١) بن يافث بن نوح ، وإليه يرجع سائر أجناس الصقالبة ، وبه ياحقون في أنسابهم ، هذا قول كثير من أهل الدراية ممن عني بهذا الشأن ، ومساكنهم بالجدى^(٢) إلى أن يتصلوا بالمغرب ، وهم أجناس مختلفة وبينهم حروب ، ولهم ملوك ، ومنهم من ينقاد إلى دين النصرانية إلى رأى اليعقوبية^(٣) ، ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة ، وهم جاهلية لا يعرفون شيئاً من الشرائع ، وهؤلاء أجناس : فمنهم جنس كان الملك فيهم قديماً في صدر الزمان ، وكان ملكهم يدعى ماجك^(٤) ، وهذا الجنس يدعى ولينانا ، وكان يتلو هذا الجنس في القديم سائر أجناس الصقالبة ؛ لكون الملك فيهم ، وانقياد سائر ملوكهم إليه ، ثم يتلو هذا الجنس من أجناس الصقالبة اصطبرانة ، وملكهم في هذا الوقت يدعى بصقلايح^(٥) ، وجنس يقال له دلانة ، وملكهم يدعى وانج علاف^(٦) وجنس يقال لهم نامجين^(٧) ، وملكهم يدعى عزانة^(٨) ، وهذا الجنس أشجع أجناس الصقالبة وأفرس ، وجنس يدعى منابن^(٩) ، وملكهم يدعى زنبير^(١٠) ، ثم جنس يقال له سرتين وهو جنس^(١١) عند الصقالبة مهيب لعل بطول ذكرها أو أوصاف يكثر شرحها ، ونفرتهم من ملة ينقادون إليها ، ثم جنس يقال له صاصين^(١٢) ، ثم جنس يقال له جروانيق^(١٣) ، ثم جنس يقال له خشانين^(١٤) ، ثم جنس

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| (١) في ب « من ولد بار بن يافث » | (٢) في ب « ومساكنهم بالجدى » |
| (٣) في نسخة عند ب « النسطورية » | (٤) في ب « يدعى ماجل » |
| (٥) في ب « بصقلايح » | (٦) في ب « وانج صلاف » |
| (٧) في ب « ياحيق » | (٨) في ب « يدعى عرابة » |
| (٩) في ب « ماين » | (١٠) في ب « زبير » |
| (١١) زيادة عن ا وحدها | (١٢) في ب « مرادة » |
| (١٣) في ب « جروانش » | (١٤) في ب « صاصيف » |

يقال له برانجاين^(١)، وما سميناه من أسماء بعض ملوك هذه الأجناس فسيمة معروفة
للوكمهم؛ والجنس الذي سميناه المعروف بسر تين يحرقون أنفسهم بالنار إدامات فيهم
الملك والرئيس ، ويحرقون دوابه، ولهم أفعال مثل أفعال الهند، وقد قدمنا فيما سلف
من هذا الكتاب طرفاً من ذكرهم عند ذكرنا لجبل القبيخ^(٢) والخزر، وأن في بلاد
الخزر [مع الخزر] خاقاً من الصقالبة والروس، وأنهم يحرقون أنفسهم بالنيران،
وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق، ويعبرون من المغرب^(٣).

فالأول من ملوك الصقالبة ملك الدير، وله مدن واسعة، وعمائر كثيرة، ملوك الصقالبة
وتجار المسلمين يقصدون دار ملكه بأنواع التجارات .

ثم يلي هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الأوانج^(٤)، وله مدن وعمائر
واسعة، وجيوش كثيرة، وعدد كثير، ويحارب الروم والإفرنج
والنو كبرد، وغير هؤلاء من الأمم، والحرب بينهم سجال.

ثم يلي هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الترك، وهذا الجنس أحسن
الصقالبة صوراً، وأكثرهم عدداً، وأشدهم بأساً.

والصقالبة أجناس كثيرة، وأنواع واسعة، لا يأتي كتابنا هذا على وصف
أجناسهم وتفريع أنواعهم، وقد قدمنا الأخبار عن الملك الذي كان ينقاد إليه
ملوكهم في قديم الزمان، وهو ما جك [ملك] ولينا، وهذا الجنس أصل
من أصول الصقالبة معظم في أجناسهم، وله قدم فيهم .

ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم؛ فزال نظامهم، وتحرّبت أجناسهم،
وملك كل جنس [منهم] ملكاً على حسب ما ذكرنا من ملوكهم لأموار يطول
ذكرها، وقد أتينا على جمل من شرحها وكثير من مبسوطها في كتابنا^(٥)
« أخبار الزمان » من الأمم الماضية، والأجيال الخالية، والممالك الدائرة .

(١) في ب « حانين » (٢) في ب « الفتح » .

(٣) في ا « ويتعدون من المغرب » وفي ب « ويعدون من المغرب » وأظنه
تحريراً عن « ويعبرون من المغرب » الذي أثبتناه .

(٤) في ب « ملك الإفرنج » . (٥) في ا « كتابنا أخبار الزمان والأوسط » .

ذكر الإفرنجية والجلالقة ، وملوكها

[وما يتصل بذلك]

نسبهم وصفاتهم

الإفرنجية والصقالبة والنوكبرد والأشبان وبأجوج ومأجوج والترك
والخزر وبران واللان والجلالقة وغير ذلك ممن ذكرنا ممن حل الجدي^(١) ،
وهو الشمال ، لا خلاف بين أهل البحث والنظر من الشرعيين أن جميع من ذكرنا
من هؤلاء الأمم من ولد يافث بن نوح [وهو الأصغر من ولد نوح] ؛ فالإفرنجية
أشد هؤلاء الأجناس بأساً ، وأمنعهم هيبة^(٢) ، وأكثرتهم عدّة ، وأوسعهم
ملكاً ، وأكثرتهم مدناً . وأحسنهم نظاماً وانقياداً لملوكهم ، وأكثرتهم
طاعة ؛ إلا أن الجلالقة أشد من الإفرنجية بأساً ، وأعظم منهم نكابة ، والرجل
من الجلالقة يقاوم عدة من الإفرنجية ، وكلمة الإفرنجية متفقة على ملك واحد ،
لا تنازع بينهم في ذلك ، ولا تحزب ، واسم دار مملكتهم في وقتنا هذا
بؤيرة^(٣) ، وهي مدينة عظيمة ، ولهم من المدن نحو من خمسين ومائة مدينة غير
العمائر والكور .

مساكنهم

وكان أوائل بلاد الإفرنجية قبل ظهور الإسلام في البحر جزيرة رودس ،
وهي الجزيرة التي ذكرنا أنها مقابلة للإسكندرية ، وأن فيها دار صناعة المراكب في
وقتنا هذا للروم ، ثم جزيرة إقريطش ، وقد كانت للإفرنجية أيضاً ففتحها المسلمون
ونزلوها إلى هذه الغاية ، وكانت بلاد إفريقية وجزيرة صقلية للإفرنجية أيضاً ،
وقد أتينا على أخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة بالبركان ، وهي الأطمة
التي يخرج منها أجسام من النار كأجساد الناس بلا رءوس فتعلو في الهواء بالليل ،
ثم تسقط في البحر [فتطفو على الماء] وهي الحجارة التي يحك بها الكتابة من
الدقائر ، وهي خفاف بيض على هيئة الشهد وأكوار الزناير الصفار ، وهي

(٢) في ١ « وأمنعهم جهة » .

(١) في ب « الجرا » .

(٣) في ب « نومرة » .

الأطمة المعروفة بأطمة صفاية ، وفيها قبر فرفوريس^(١) الحكيم الذي صنف كتاب إيساغوجي ، وهو المدخل إلى علم المنطق ، وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف ، وكذلك أتينا على ذكر أطام الأرض ، كأطمة وادي برهوت من بلاد حضر موت وبلاد الشَّحْر ، وأطمة بلاد الزابج^(٢) من بحر الصين ، وأطمة بلاد أسك ، وهي ما بين بلاد فارس [وبلاد الأهواز من أعمال مدينة أَرْجَان من بلاد فارس]^(٣) ، وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخاً ، وهي مشهورة بأرض الإسلام ، وتفسير أطمة هي عين النار التي تنبع^(٤) من الأرض .

ولم نتعرض في هذا الكتاب لذكر الحمامات^(٥) الكبريتية والزاجية ، ولا الحمامات التي تظهر من مائها النار بالأطمة^(٦) التي يبلاد ماسبدان من أرض أريوجان والسيروان يقال لها النومان [وهي أطمة تظهر من وسط مائها النار] وهي أطمة عجيبة تمنع ورود الماء عن إطفائها ، وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لها ، وهي إحدى عجائب العالم ؛ إذ كنا قد أتينا على عال جميع ذلك فيما سلف من كتبنا .

وقد أتينا على منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناها ، ولمع لوحنا بها ، فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لأرض الواحات من بلاد مصر ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدّم من كتبنا .

(١) في ب « وفيها هلك مرقونوس » .

(٢) في ب « الزنج » .

(٣) زيادة عن ا وحدها .

(٤) في ب « التي تعرض من الأرض » .

(٥) في ب « لذكر الخاصة » .

(٦) في ب « كالخاصة » .

قال المسعودي ، ووجدت في كتاب وقع إلى بفسطاط مصر سنة ست وثلاثين
 وثلثمائة^(١) أهداه عرماز الأسقف بمدينة جريدة من مدن الإفرنجية في سنة ثمان
 وعشرين وثلثمائة إلى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن
 عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية [بن هشام] بن
 عبد الملك بن مروان بن الحكم ولي عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الأندلس في هذا
 الوقت في عهده : يا أمير المؤمنين ، إن أول ملوك إفرنجية قلوودية ، وكان محوسياً فنصرته
 امرأته وكان اسمها غرطلة ، ثم ملك بعده ابنه لذريق ، ثم ولي بعد لذريق ابنه
 دقشرت ، ثم ولي بعده ابنه « لذريق » ، ثم ولي بعده « قرطان » ابن دقشرت ،
 ثم ولي بعده ابنه « قارله » ثم ولي بعده ابنه « تبين » ثم ولي بعده « قارلة »^(٢) بن
 تبين « وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة ، وكان في أيام الحكم صاحب الأندلس ،
 وقد تدافع أولاده بعده ووقع الاختلاف بينهم ، حتى تفانت الإفرنجية بسببهم ،
 وصار لذريق بن قارلة^(٣) صاحب ملكهم ؛ فملك ثمانياً وعشرين سنة وستة
 أشهر ، وهو الذي أقبل إلى طرطوشة فحاصرها ، ثم ولي بعده ابنه « قارلة بن
 لذريق » وهو الذي تهادن^(٤) مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن
 عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان محمد يخاطب
 بالإمام ، وكانت ولايته تسعاً وثلاثين سنة ، وستة أشهر ، ثم ولي بعده ابنه
 « لذريق » ستة أعوام ، ثم وثب عليه قائد الإفرنجية المسمى نوسة^(٥) ، وملك
 إفرنجية ، وأقام في ملكه ثمان سنين ، وهو الذي صالح المجوس على بلده سبع سنين
 بستمئة رطل ذهب وستمئة رطل فضة يؤديها صاحب الإفرنجية إليهم ، ثم ولي
 بعده « قارلة بن تقويرة »^(٥) أربع سنين ، ثم ملك بعده قارلة آخر ، ومكث

(١) كذا والمؤلف يذكر دائماً سنين وثلثين وثلثمائة ، وانظر أول ٣٧ أيضاً

(٢) في ب « نازلة » (٣) في ب « وهو الذي كان يهادى محمد - إلخ »

(٤) في ب « المسمى برشة » (٥) في ب « نازلة بن بغيرة » .

إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، ثم ولي بعده « لذريق ابن قارلة » وهو ملك إفرنجية إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين^(١) وثلاثين وثلاثمائة — وقد استوفى في مملكته عشر سنين إلى هذا التاريخ على حسب ما نرى إلينا من خبره .

بين
عبد الرحمن
والجلالقة

قال المسعودي: وأشد ما على الأندلس من الأمم المحاربة لهم الجلالقة، كما أن الإفرنجية حرب لهم، غير أن الجلالقة أشد بأساً، وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الأندلس في هذا الوقت وزير من ولد أمية^(٢) يقال له أحمد بن إسحاق فقبض عليه عبد الرحمن لأمر كان منه استحق عليه في الشريعة العقوبة، فقتله عبد الرحمن، وكان للوزير أخ يقال له أمية في مدينة من ثغور الأندلس، يقال لها شَنْتَرِين^(٣)، فلما نرى إليه ما فعل بأخيه عصى على عبد الرحمن؛ فصار في حيز رذمير ملك الجلالقة، فأعانه على المسلمين، ودلَّه على عوراتهم، ثم خرج أمية في بعض الأيام من المدينة يتصيد في بعض منتزهاتها، فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعوه من الدخول إليها، وكتبوا إلى عبد الرحمن^(٤)، ومضى أمية بن إسحاق أخو الوزير المقتول إلى رذمير، فاصطفاه، واستوزره، وصيره في جمالته^(٥)، وغزا عبد الرحمن صاحب الأندلس سمورة^(٦) مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها وأسوارها في باب جمل الأخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ومراتب الملوك وأخبار الأندلس وغير ذلك، وكان عبد الرحمن في مائة ألف أو يزيدون، فكانت الواقعة بينه وبين رذمير ملك الجلالقة في شوال سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الكسوف الذي كان في هذا الشهر بثلاثة أيام، وكانت

(١) في ١ هـ وهو سنة ست وثلاثين وثلاثمائة « وانظر أول ص ٣٦ السابقة

(٢) في ١ هـ من ولد أبيه « . (٣) في ب هـ سيرين هـ .

(٤) في ١ هـ وكاتب عبد الرحمن هـ . (٥) في ١ هـ في حملته هـ .

(٦) في ب هـ بثورة هـ .

للمسلمين عليهم ، ثم أنابوا^(۱) بعد أن حوصروا وأولجوا إلى المدينة فقتلوا من المسلمين — بعد عبورهم الخندق — خمسين ألفاً ، وقيل : إن الذي منع رذمير من طلب مَنْ نجا من المسلمين أميةُ بن إسحاق ، وخوفاً الكمين ، ورغبه فيما كان في معسكر المسلمين من الأموال والعُدَدِ والخزائن ، ولولا ذلك لآتى على جميع المسلمين ، ثم إن أمية بعد ذلك استأمن إلى عبد الرحمن ، وتخلص من رذمير ، فقبله عبد الرحمن أحسن قبول ، وقد كان عبد الرحمن [صاحب الأندلس] بعد هذه الواقعة جَهَّزَ عساكر مع عدة من قواده إلى الجلالقة ، وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الواقعة الأولى ، وكانت للمسلمين عليهم إلى هذه الغاية ، ورذمير ملك الجلالقة إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين^(۲) وثلاثين وثلثمائة — وكان قبله على الملك أردون [وكان قبل أردون أذبوشن]^(۳) ، والجلالقة والإفرنجية تدين بدين النصرانية على رأى الملكية .

(۱) في ب « ثم تابوا » .

(۲) في ا « وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة »

(۳) زيادة عن ا وحدها .

ذكر النوكبرد ، وملوكها

قد تقدم ذكرنا للنوكبرد ، وأنهم من ولد يافت بن نوح ، وببلادهم متصلة بالمغرب ، ومحلمهم بالجدى ، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس ، وهم ذوو وبأس شديد ومنعة ، ولهم مدن كثيرة يجمعهم ملك واحد ، وأسماء ملوكهم في سائر الأعصار « أدنكيس » والمدينة العظمى من مدنها ودار مملكتهم هي يست ، ويحترقها نهر عظيم ، وهي جانبان ، وهذا النهر أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر والمعائب يقال له سايبط ، قد ذكره جماعة ممن عني بهذا المعنى ممن تقدم ، وكان المسلمون ممن جاورهم من بلاد الأندلس والمغرب غلبوهم على مدن كثيرة من مدنها مثل مدينة باري ومدينة طارنيو ومدينة شبرامة وغيرها من مدنها الكبار . ثم إن النوكبرد أتوا^(١) ورجعوا على من [كان] في تلك المدن من المسلمين فأخرجوهم عنها بعد حرب طويل ، وما ذكرنا من المدن في وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — في أيدي النوكبرد .

قال السعدي : ومن ذكرنا من الجلالقة والإفرنجية والصقالبة والنوكبرد وغيرها من الأمم فديارهم متقاربة ، والأكثر منهم حرب لأهل الأندلس ، وصاحب الأندلس في هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما قدمنا من نسبه وأخباره ، وقد كان عبدالرحمن بن معاوية بن هشام سار إلى الأندلس في أول دولة بني العباس ، وله أخبار كثيرة في كيفية وصوله إلى الأندلس ، ودار مملكة الأندلس قرطبة على ما ذكرنا ، ولهم مدن كثيرة وعمائر [متصلة] واسعة ، وثغور في أطراف أرضهم ، وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الأمم من ولديا فت من الجلالقة وبرجان والإفرنجية وغيرها من الألسن^(٢) وصاحب الأندلس في هذا الوقت يركب في مائة ألف ، وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد ، والله أعلم .

(١) في « تابوا » .

(٢) في ب « من الأمم »

ذكر عاد وملوكها

عاد الأولى ذكر جماعة من ذوى العناية بأخبار العالم أن الملك يُؤثر^(١) من بعد نوح في عاد الأولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ، ومصداق ذلك قوله عز وجل : (وأنه أهلك عاداً الأولى) فإنه يدل على تقدمهم ، وأن هناك عاداً ثانية ، وأخبر الله عن ملكهم ، ونطق بشدة بطشهم ، وما بنوه من الأبنية المشيدة التي تدعى على مر الدهور العادِيَّة ، وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه إياهم : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين) .

عاد أول ملك بعد نوح عاد أول من ملك في الأرض في قول هذه الطائفة ، بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح ، وذلك لقوله تعالى : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في الخلق بسطة) وذلك أن هؤلاء القوم كانوا في هيات النخل طولاً ، وكانوا في اتصال الأعمار وطولها بحسب ذلك من القدر ، وكانت نفوسهم قوية ، وأكبادهم غايظة ، ولم يكن في الأرض أمة هي أشد بطشاً وأكثر آثاراً وأقوى عقولاً وأكثر أحلاماً^(٢) من قوم عاد ، ولم يكن الهلك يعرض في أجسامهم ، لقوة آثار الطبيعة فيها ، وما أوتوه من الزيادة في تمام البنية وكال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل .

نسب عاد وكان عاد رجلاً جباراً عظيم الخلق ، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وكان عاد يعبد القمر ، وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد ، وأنه تزوج ألف امرأة ، وكانت بلاده متصلة باليمن ، وهي بلاد الأحقاف ، وبلاد

(١) في « تأمل من بعد نوح » .

(٢) في « وأعظم أخلاقاً » .

صحارى^(١) [هي و] بلاد عمان إلى حضر موت على حسب ما قدمنا آنفاً فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا .

وقد ذكر جماعة من الإخباريين — ممن عني بأخبار العرب — أن عاداً لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ، ورأى البطن العاشر من ولده ، وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الأمر ، غمر^(٢) إحسانه الناس^(٣) ، وقرى الضيف ، وأحواله منتظمة ، والدنيا عليه مقبلة ، فعاش ألف سنة ومائتي سنة ثم مات .

وكان الملك بعده في الأكبر من ولده ، وهو « شديد بن عاد » وكان شديد بن عاد ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة ، وقيل غير ذلك .

ثم ملك بعده أخوه « شداد بن عاد » وكان ملكه تسعمائة سنة ، ويقال : شداد بن عاد إنه احتوى على سائر ممالك العالم ، وهو الذي بنى مدينة إرم ذات العماد ، على حسب ما قدمنا فيما سلف من كتبنا عند إخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس في كفيتهما [وماهيتها] وفي أي بلاد هي .

وهذه عاد الثانية التي ذكرها الله تعالى فقال : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) وإلى هذه الأمة^(٤) انتهى البطش ، ولشداد بن عاد مسير في الأرض ، وطواف في البلاد [وبأس] عظيم في ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب ، وحروب كثيرة ، أعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ، ومقولنا في ذلك على ما بسطنا من أخبارهم في كتاب « أخبار الزمان : من الأمم الماضية ، والأجيال الخالية ، والممالك الدائرة » وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب — عند ذكرنا تفرق الناس ببابل وتشعب الأنساب ، وما قالوا في ذلك من الأشعار — جملاً من أخبار عاد ونيها هود ، فأما تنازع الناس ممن سلف وخلف في العلة التي

(١) في ب : سنجار ، محرّفاً ، وكلمة « وهي » ساقطة منها .

(٢) في ا : عم . (٣) في ب : النامي .

(٤) في ب : وإلى هذه المدينة .

لها عظامت أجسامهم وطالت أعمارهم فقد أتينا على ذكر ذلك في كتابنا المترجم
بـ «كتاب الرؤس السبعة من السياسة الملوكية» وكذلك في كتابنا المترجم
بـ «كتاب الزلف» .

[وذكرنا العلة التي لها ومن أجلها عدم كون السباع والجمال بأرض الأندلس،
وما يتكون في هذه الأرض من الجواهر في نباتها ومعادتها، وما في أرض جليقية،
وإلى هذه الأرض أضيفت مملكة الجلالة المقدم ذكرها فيما سلف من هذا
الكتاب ، وهم أشد الأمم على أهل الأندلس ، وأعظمهم بطشاً من جاورهم، ثم
يليهم في الناس أمة عظيمة الملك يقال لها الوشكنش ، على حسب ما قدمنا من
ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وفي غيره من كتبنا مما تقدم تأليف هذا
الكتاب] (١)

ذكر ثمود وملوكها ، وصالح نبيها

مساكن ثمود قد ذكرنا فيما سلف من ذكر ثمود [ونبيها صالح عليه السلام لمعا ، وإن
كنا قد بسطنا ذلك] في غير هذا الكتاب ، وكان ملك ثمود بن عابر بن
إرم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي ، وديارهم
بِفَجِّ الناقة ، وبيوتهم إلى وقتنا هذا أبنية (٢) منحوتة في الجبال، ورسومهم (٣)
باقية ، وآثارهم بادية ، وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من
وادي القرى ، وبيوتهم منحوتة في الصخر بأبواب صفار ، ومساكنهم
على قدر مساكن أهل عصرنا ، وهذا يدل على أن أجسامهم على قدر
أجسامنا ، دون ما يخبر به القصاص من بعد أجسامهم ، وليس هؤلاء
كعاد ؛ إذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بأرض الشحر تدل
على بعد أجسامهم .

(١) هذا الكلام لا يوجد في ب ، وهو ثابت في ا في هذا الموضع، وظاهر أن

محل الحقيقة في الباب الذي قبل هذا الباب .

(٢) في ا « بينة منحوتة في الجبال . » (٣) في ب « ورسومهم باقية » .

وكان ملك الملك الأول من ملوكهم مائتي سنة ، وهو عابر بن إرم بن ثمود
ثمود بن عابر [بن إرم] بن سام بن نوح .
ثم ملك بعده « جندع بن عمرو » بن الذبيل^(١) بن إرم بن ثمود بن عابر
ابن إرم بن سام بن نوح ، وكان ملكه إلى أن هلك مائتي سنة وتسعين
سنة ، وهلك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبي صلى الله عليه وسلم
ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة ، فجميع ما ملك هذا الملك - وهو جندع -
ثلاثمائة وسبع وعشرون سنة ؛ فهؤلاء ملوك ثمود .

وبعث الله صالحاً نبياً وهو غلام حدث لثمود على حين فترة كانت بينه
صالح رسول الله
إلى ثمود
وبين هود نحو من مائة سنة ، فدعاهم إلى الله ، وملكهم يومئذ هو جندع
ابن عمرو على ما ذكرنا ، فلم يجب صالحاً من قومه إلا نفر يسير ، وكبر
صالح ، ولم يزد قومه من الإيمان إلا بُعداً ، فلما تواتر عليهم إعداره
وإذاره ووعدده ووعدده ساموه المعجزات ، وإظهار العلامات ؛ ليمنعوه من
دعائهم ، وليمجزوه عن خطابهم ، فحضر عيداً لهم ، وقد أظهروا أوثانهم ،
وكان القوم أصحاب إبل ، فساموه الآية من جنس أموالهم^(٢) ، وطالبوه
بما هو مجانس لأملأهم ، [وذلك] من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم
من زعمائهم : يا صالح ، إن كنت صادقاً في قولك ، وأنتك مُعَبَّرٌ عن ربك ،
فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ، ولتكن [وَبَرَاء] سوداء عُسْرَاء نَتُوجاً
حالكة صافية^(٣) اللون ذات عرف وناصية وشعر ووبر ، فاستغاث بربه ،
فتحركت الصخرة وتمايلت ، وبدأ منها حنينٌ وأنين ، ثم انصدعت من بعد
تمخض شديد كتمخض المرأة حين الولادة ، وظهر منها ناقة على ما طلبوه
من الصفة ، ثم تلاها من الصخرة سَقْبٌ لها نحوها في الوصف ، فأمعنا في
رَعَى الكَلَأَ وطلب [الماء] المرعى ، فأمن خلق ممن حضره ، وزعيمهم

(١) في ب « بن الذبيل » .

(٢) في ا « فساموه الدلالة من حيث أموالهم »

(٣) في ا « صهاية » وليس فيها كلمة « اللون » .

الذي سأله وهو جندع بن عمرو ، وأقامت الناقة يحابون من لبنها ما يعم شربه ثموداً كلها ، وضايقتهم في الكلاً والماء ، وكان في ثمود امرأتان ذواتاً حسن وجمال ، فزارها رجلان من ثمود ، وهما قدار بن سالف ، ومصدع بن مفرج^(١) ، والمرأتان عزيزة بنت غنم^(٢) ، وصدوف بنت الحيا^(٣) . فقالت صدوف : لو كان لنا في هذا اليوم ماء لأستقينا كما خمرأ ، وهذا يوم الناقة ووردها [إلى الماء] ولا سبيل لنا إلى الشرب ، فقالت عزيزة : بلى والله لو أن لنا رجلاً لكفوناً إياها ، وهل هي إلا بعير من الإبل ؟!! فقال قدار : يا صدوف ، إن أنا كفيتك أمر الناقة فمالي عندك؟ فقالت : نفسي ، وهل حائل دونها عنك؟ فأجابت الأخرى صاحبها بنحو ذلك ، فقالا : ميلاً علينا بالتمر ، فشربا حتى توسط السكر ، ثم خرجا فاستغويا تسعة رهط^(٤) ، وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم في كتابه بقوله : (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وقصدوا طريق الناقة في حال صدورها ، فضرب قدار عرقوبها بالسيف ، فعرقبها^(٥) ، وأتبع صاحبه الآخر العرقوب الآخر [بسهمه] ، فخرت الناقة لوجهها ، ووجأ قدار كبتاً فتحرها ، ولاذ السقب بصخرة فلحقه بعضهم فعقره [وفرقوا لحم الناقة]^(٦) ، وورد صالح فنظر إلى ما فعلوه ، فوعدهم العذاب ، وكان ذلك في يوم الأربعاء ، فقالوا له مستهزئين : يا صالح ، متى يكون ما وعدتنا به من العذاب عن ربك؟ فقال : تصبح وجوهكم يوم مؤنس — وهو يوم الخميس — مصفرة ، ويوم العروبة محمرة ، ويوم شيار مسودة ، ثم يصبحكم العذاب يوم أول ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء الشهور والأيام بافتهم ، فهم التسعة بقتل صالح ، وقالوا : إن كان صادقاً كنا قد عاجلناه قبل أن يعاجلنا ، وإن كان كاذباً كنا قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلاً ، فحالت

(١) في « ا » و « صدع بن مفرج » .

(٢) في ب « بنت زعيم » .

(٣) في ب « وصدوف بنت الحيا » .

(٤) في ا « فاستغويا سبعة رهط » .

(٥) في ا « فعقرها » .

(٦) لا توجد هذه الجملة في ب .

الملائكة بينهم وبينه ، وأمطرتهم الحجارة ، ومنعه الله منهم ، فلما أصبحوا نظروا إلى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنها الورس : قد حالت الألوان ، وتغيرت الأجسام ، وتيقن القوم صدق الوعيد ، وأن العذاب واقع بهم ، وخرج صالح في ليلة الأحد من بين ظهرائهم مع من خفت من المؤمنين ، فنزل موضع مدينة الرملة من بلاد فلسطين ، وأتاهم العذاب يوم الأحد ، وفيهم يقول^(١) بعض من آمن بصالح عليه السلام :

أراكم يا رجال بني عتيد كأن وجوهكم طليت بورس
ويوم عروبة أحررت وجوه مصفرة ، ونادوا يال مرس
ويوم شيار فاسودت وجوه من الحين قبل طلوع شمس
فلما كان أول في ضحاه أتتهم صيحة عمت بتعس
وفيهم يقول حباب بن عمرو ، وكان ممن اعتزلهم من المؤمنين [وبان
عن ديارهم] :

كانت ثمود ذوى عز ومكرمة ما إن يضام لهم في الناس من جار
[لا يرهبون من الأعداء حولهم وقع السيوف ، ولا نزعا بأونار^(٢)
فأهلكوا ناقة كانت لرَبِّهم قد أنذروها وكانوا غير أبرار
[نادوا أقداراً ولحم السَّقب بينهم هل للعجول وهل للسقب من نار
[لم يرَ عيًّا صالحاً في عقر ناقته وأخفروا العهد هذياً أى إخفار
[فصادفوا عنده من ربه حرساً فشدَّ خواروسهم شدَّ خاباً حجار

وسند ذكر فيما يرد من هذا الكتاب - عند ذكرنا لتفرق الناس ببابل - من أخبار ثمود بجملاً، وما كان من أمر الناس [بأرض بابل] وافتراق لغاتهم، وما قاله كل فريق منهم من الشعر ، على حسب ما أعطاه الله من اللسان ، وإن كنا قد أتينا على شرح ذلك على الكمال فيما تقدم لنا من كتابنا « أخبار الزمان » وبالله التوفيق .

(١) لا توجد القطعة الأولى في (٢) الأبيات الأربعة التي بين المعقوفين ساقطة من

ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت

وَمَنْ تَدَاوَلَهُ مِنْ جُرْهُمِ وَغَيْرِهَا ، وَمَا لَحِقَ بِهَذَا الْبَابِ

ولما أسكن إبراهيمُ ولده إسماعيل مكة مع أمه هاجر ، واستودعها
خالقته على حسب ما أخبر الله عنه أنه أسكنه بواد غير ذي زرع ، وكان
موضع البيت ربوة حمراء - أمر إبراهيم هاجر أن تتخذ عليها عريشاً
يكون لها مسكناً ، وكان من ظمأ إسماعيل وخبر هاجر ما كان إلى أن أنبع
الله لها زمزم ، وأفحط الشحر واليمن ، ففترق العاليقُ وجرحهم [في البلاد]
وَمَنْ هُنَاكَ مِنْ بَقَايَا عَادَ .

فيمت العاليق نحو تهامة يطالبون الماء والمرعى والدار الخصبية ، وعليهم
السميدع بن هوبر بن لاوي بن (١) قيطور بن كركر بن حيدان ، فلما
أمعنت بنو كركر في المسير - وقد عدت الماء [والمرعى] ، واشتد بها
الجهد - أقبل السميدع بن هوبر يحثهم على السير في شعر له ويشجعهم بما
قد نزل بهم ، وهو :

سيروا بني الكركر في البلاد إني أرى ذا الدهر في فساد
قد سار من قحطان ذي الرشاد [جُرْهُمُ لَمَّا هَدَّهَا التَّعَادَى] (٢)
فأشرف رؤوآدم وهم المتقدمون منهم لطلب الماء على الوادي ، فنظروا الطير
ترتفع وتنخفض ، فهبطوا الوادي ونظروا إلى العريش على الربوة الحمراء ، وفيها
هاجر وإسماعيل ، وقد زمت حول الماء (٣) بالأحجار ومنعته من الجريان ،
وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله أمنا هاجر ، لولا أنها
بخلت ومنعت ماء زمزم من أن يجري بما حوطت حوله من الأحجار لجرى الماء
على وجه الأرض » فسلم الرؤوآد عليها ، واستأذنها في نزولهم وشربهم من الماء ،

(١) في ب « السميدع بن هود بن لابي بن قنطور بن كركر بن حيدان » .

(٢) ما بين المقوفين ساقط من ا (٣) في ا « وقد زما . . . ومنعوه » .

فَأَنسَتْ إِلَيْهِمْ ، وَأَذْنَتْ لَهُمْ فِي النُّزُولِ ، فَتَقَوُا مَنْ [كَانَ] وَرَاءَهُمْ مِنْ أَهْلِيهِمْ ، وَأَخْبَرُوهُمْ خَيْرَ الْمَاءِ ، فَزَلُّوا الْوَادِيَّ مَطْمَئِنِينَ ، مُسْتَبْشِرِينَ بِالْمَاءِ ، وَبِمَا أَضَاءَ الْوَادِيَّ مِنْ نُورِ النَّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، [فَرَحِينَ ، وَعَيْلَ إِسْمَاعِيلِ] ، وَتَكَلَّمَ إِسْمَاعِيلُ بِالْعَرَبِيَّةِ خِلَافَ لُغَةِ أَبِيهِ .

وقد ذكرنا في هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس في ذلك من قحطان ونزار وتزوج إسماعيل بالجداء بنت سعد العملاق .

وقد كان إبراهيم استأذن سارة في زيارة إسماعيل ، فأذنت له ، فوافى مكة زيارة إبراهيم وإسماعيل في الصيد [والرعى] ومعه أمه هاجر ، فسلم على الجداء [بنت سعد] الأولى لابنه زوجة إسماعيل ، فلم تردّ عليه السلام ، فقال : هل من منزل ؟ فقالت : لا ها الله ، قال : فما يفعل رب البيت ؟ قالت : هو غائب ، فقال لها : إذا ورد فأخبر به أن إبراهيم يقول لك بعد مسألته عنك وعن أمك : استبدل بعتبة بيتك غيرها ، وانصرف إبراهيم من فوره نحو الشام ، وراح إسماعيل وهاجر ، فنظر إلى الوادي قد أشرق وأنار ، والأغنام تنسم ^(١) الآثار ، فقال لزوجته الجداء : هل كان لك بعدى من خبر ؟ قالت : نعم ، شيخ ورد على ، وأخبرته بالقصة ، فقال : ذاك أبي خليل الرحمن ، وقد أمرني بتخايتك ، فالخفي بأهلك ، فلا خير فيك .

وتسامعت جرم بيني كركرو نزولهم الوادي ، وما هم فيه من الخصب وإدرار الضرع ^(٢) ، وهم في حال القحط ، فبادروا نحو مكة ، وعليهم الحارث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هيني ^(٣) بن نبت بن جرم ، حتى أتوا الوادي ، ونزلوا مكة ، واستوطنوها مع إسماعيل ومن تقدمهم من العماليق من بني كركر ، وقد قيل في [بني] كركر : إنهم من العماليق ، وقيل : إنهم من جرم ، والأشهر أنهم من العماليق ، وتزوج إسماعيل زوجته الثانية ، وهي سامة بنت مهليل بن سعد بن عوف بن هيني بن نبت .

(١) في « والأغنام تشم الآثار » . (٢) في « ودرور الضرع » .

(٣) في ب « ظالم بن محالة بن هيني بن نبت » .

زيارة إبراهيم
الثانية

واستأذن إبراهيم سارة في زيارة إسماعيل ، فاستحلفتها غيرة عليه أنه إذا أتى
الموضع لا ينزل من ركبته ، وقد تنازع الناس على أي شيء كان ركوبه : فمنهم
من قال : إنه كان راكباً على البراق ، ومنهم من قال : على أتان ، وقيل غير ذلك من
الحيوان ، فلما أتى إبراهيم الوادي سلم على زوجة إسماعيل الجرهمية ، فسلمت عليه ،
ورحبت به وتلقته بأحسن لقاء ^(١) ، وسألها عن إسماعيل وهاجر ، فأخبرته بخبرهما ،
وأنهما في رعيتهما ، وعرضت عليه النزول ، فأبى ، وقيل : إن هاجر كانت قد
ماتت ولها من السن تسعون سنة ، وألحت الجرهمية على إبراهيم في النزول ،
فأبى ، فقدمت إليه لبناً وشرائح من لحم الصيد ، فدعا فيه بالبركة ، وجاءته
بجحر كان في البيت ، فقال عن ركبته ^(٢) ، وجعلته تحت قدمه اليميني ، ثم رجّلت
شعره ودهنته ، ثم حوّلت الحجر إلى شماله ، فوضع رجله اليسرى عليه أيضاً ،
ومال برأسه نحوها ، فرجّلته ودهنته ، فأثرت قدماء في الحجر على ما وصفنا
من ترتيب اليمين والشمال ، فلما رأت الجرهمية ذلك أكرّبت ماشاهدته ^(٣) ،
وهذا الحجر هو مقام إبراهيم ، فقال لها إبراهيم : ارفعيه ، فيكون له شأن ونبأ
بعد حين ، ثم قال لها : إذا جاءك إسماعيل فقولي له : إن إبراهيم يقرأ عليك
السلام ويقول لك : احتفظ بعتبة بيتك ، فنعمت العتبة هي ، وسار إبراهيم
راجعاً نحو الشام .

سر تسمية
إسماعيل

وقيل : إنما سمي إسماعيل لأن الله سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت
من سيدتها سارة أم إسحاق ، وقيل : إن الله سمع دعاء إبراهيم .

وقبض إسماعيل وله مائة وسبع وثلاثون سنة ؛ فدفن في المسجد الحرام
حيال الموضع الذي [كان] ^(٤) فيه الحجر الأسود .

(١) في ١ هـ بأحسن لقين هـ .

(٢) في ١ هـ فقال على ركبته هـ .

(٣) في ١ هـ أكبرته هـ .

(٤) لا توجد هذه الكلمة في ب .

وولد لإسماعيل اثنا عشر ولداً ذكراً ، وهم نابت^(١) ، وقيدار ، وأدبيل ، أبناء إسماعيل ومبسم ، ومشمع ، ودوما ، ودوام ، ومسا ، وحداد ، وثيا ، وبطور ، وناقش وكل هؤلاء قد أنسل^(٢) .

وقد كان إبراهيم قدم إلى مكة وإسماعيل ثلاثون سنة ، حين أمره الله ببناء الكعبة تعالى ببناء البيت ، فبناه ، وكان إسماعيل يأتي بالحجر من عدة^(٣) جبال ذكرت ، وطوله ثلاثون ذراعاً ، [والحجر فيه وهو سبعة أذرع] ، وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً ، وسمكه سبعة أذرع^(٤) ، وجعل له باباً ، ولم يسقف ، ووضع الركن موضعه ، وألصق المقام بالبيت ، وذلك قوله عز وجل : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) الآية ، وأمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج .

ولما قبض إسماعيل قام بالبيت بعده نابت بن إسماعيل ، ثم قام من بعده ولاية البيت من أناس من جرهم ، لغلبة جرهم على ولد إسماعيل ، وكان ملك جرهم يومئذ الحارث ابن مضاض ، وهو أول من ولي البيت ، وكان ينزل هناك في الموضع المعروف بقميقان في هذا الوقت ، وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرينها عليه^(٥) ، وذلك في أعلى مكة ، وملك العماليق السميذع بن هو بر [بن لاوي بن قبطور بن كركر بن حيد] وكان ينزل أجباداً من أسفل مكة ، وكان يُعشر^(٥) من دخل مكة من ناحيته ، وكانت بينهم حروب ، فخرج الحارث بن مضاض ملك جرهم تتقمع معه الرماح والدراق ، فسمى الموضع بقميقان لما ذكرنا ، وخرج السميذع ملك العماليق ومعه الجياد من الخليل فعرف للموضع بأجباد إلى هذا الوقت ، فكانت على

(١) في بعض هذه الأسماء اختلاف كثير ، وقد رأينا بقاءه كما في ا ، فمن أمثلة ذلك أنه وقع في ب نابت وقيدار وإربل ومسيم ومسمع ودوما ودوام ومشي وحداد ونيم وبطور ونابسر .

(٢) في ا « وكل هؤلاء قد أسلم » محرفاً . (٣) في ب « عشرة جبال »

(٤) في ا « تسعة أذرع » . (٥) عشرينها عليه : أي أخذ عشرينها .

(٤ - مروج الذهب ٢)

الجرهيين وافتضحوا ، فسمى الموضع فاضحا إلى هذا الوقت ، ثم اصطلحو وانحرو
 [الجُرُور] وطبخوا فسمى الموضع بطابخ إلى الآن ، وصارت ولاية البيت إلى
 العماليق ، ثم كانت لجرهم عليهم ، وأقاموا ولاية البيت نحو ثلثمائة سنة ، وكان
 آخر ملوكهم الحارث بن مُضاض الأصغر بن عمرو بن الحارث بن مُضاض الأكبر ،
 وزادوا في بناء البيت ، ورفعته على ما كان عليه من بناء إبراهيم عليه
 السلام ، وبنّت جرهم في الحرام وطغت ، حتى فسق رجل منهم في الحرم
 بامرأة ، وكان الرجل يدعى ياساف والمرأة نائلة ، فسخما الله عروجل حجرتين
 صيّرا بعد ذلك وثنين وعُبدًا تقربا بهما إلى الله تعالى ، وقيل : بل هما حبران
 نحتا ومثلا بمن ذكرنا وسميا بأسمائهما ، فبعث الله على جرهم الرّءاف والنمل وغير
 ذلك من الآفات ^(١) فهلك كثير منهم ، وكثر ولد إسماعيل [وصاروا ذوى قوة
 ومنعة فغلبوا على أخوالهم جرهم] ^(٢) وأخرجوهم من مكة ، فلحقوا بجُهينة ، فأتاهم
 في بعض الليالي السيل فذهب بهم ، وكان الموضع يعرف بإضم ، وقد ذكر
 ذلك أمية بن أبي الصلت الثقفي في شعر له فقال :

إساف ونائلة
صنان

وجرهم دمنوا تهامة في الد هر فالت بجمعهم إضم

وفي ذلك يقول الحارث بن مُضاض الأصغر الجرهمي :

كأن لم يكن بين الحُجُون إلى الصفا أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر
 بلى نحن كنا أهلها ، فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر
 وكنا لإسماعيل صهراً ووصلة ولنا تدُر فيها علينا الدوائر ^(٣)
 وكنا ولاية البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر ^(٤)
 [فبدّلنا ربي بها دار غريبة بها الذئب يعوى والعدو المحاصر] ^(٥)

وفيما ذكرنا من أخبارهم يقول عمرو بن الحارث بن مُضاض الأصغر الجرهمي :

(١) في ١ « وغير ذلك من الآيات » .

(٢) زيادة في ب وحدها . (٣) في ١ « صهرا وجيرة »

(٤) في ١ « والخير ظاهر » ، (٥) لا يوجد هذا البيت في ١

وكنا ولاية البيت والقاطن الذي إليه يؤدى نذره كل محرم
سكناً لها قبل الظباء وراثه لها عن بني هني بن نبت بن جرهم
[وفي ذلك يقول : (١)]

كهننا جرهم ، وأبة كهفٍ وولاية لبيته والحجاب
فسقوا في الحرام بعد تقام واستعاضوا العقاب بعد الثواب [(١)]

ثم صارت ولاية البيت في ولد إياد بن نزار بن معد ، وكانت حروب كثيرة
بين مضر وإياد ، وكانت لمضر على إياد ، فأنجلوا (٢) عن مكة إلى العراق .
وسنورد بعد هذا جملاً من أخبار مكة وولد نزار وخزاعة وغيرهم .

قال المسعودي : وقد أتينا على جمل من الأخبار في هذا الباب من أخبار
جرهم وغيرها ، ووجدت في [وجه] آخر من الروايات أن أول من ملك من ملوك
جرهم بمكة مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هني بن نبت بن جرهم بن
قحطان مائة سنة ، ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مضاض مائة وعشرين سنة ، ثم
ملك بعد الحارث بن عمرو مائتي سنة ، وقيل دون ذلك ، ثم ملك بعده عمرو بن
الحارث مائتي سنة [وقيل دون ذلك] ثم ملك مضاض بن عمرو الأصغر بن
الحارث بن عمرو بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هني بن نبت بن
جرهم بن قحطان أربعين سنة .

وانقرضت العرب العاربة من عاد وثمود وعبيد وطسم وجديس والعماليق
ووبار (٣) وجرهم ، ولم يبق من العرب إلا من كان من عدنان وقحطان ، ودخل
من بقي ممن ذكرنا من العرب البائدة في عدد قحطان وعدنان ، فأمحت
أنسابهم وزالت آثارهم .

(١) ما بين المعقوفين لا يوجد في ا

(٢) في ا ه فأنجلوا عن مكة .

(٣) في ب ه وإياد وجرهم وليس بشيء ؛ لأن إياداً من العدنانية لا البائدة .

العالميق

وقد كانت العالميق بفتت في الأرض ، فسلط الله عليهم ملوك الأرض فأفتتها ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا للروم وأنسابها من ألق ولد عملاق وغيرهم ، ممن ذكرنا ، بولد عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وأن علماء العرب تنسبهم إلى غير هذا النسب ، وهو الأشهر في الناس ؛ وقد رثتهم الشعراء : فقال بعض من رثاهم :

مضى آل عملاق فلم يبق منهم خطير ، ولا ذو نخوة متشاوس^(١)
عتوا فأدال الله منهم ، وحكمه على الناس هذا وعده وهوسائس

طسم وجديس

وأما طسم وجديس فتفانت في نحو من سبعين سنة في البراري ، بما كان بينهم من الشحناء ، وطلب الرياسة ، فذثروا ، ولم يبق لهم باقية ، فضربت بهم العرب المثل ، وضربت بهم الشعراء المقال^(٢) [فمن ذلك ما قاله بعض الشعراء ممن رثاهم في قوله :

فويلى من جوى هم رسيس من اللاوا لطمم أو جديس
بنو عم تفانوا بالذاكى وباليوم الأحم العيطموس^(٢)

أصحاب الرس

أما الرس وأصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتبنا ، وهم قوم حنظلة ابن صفوان العبسي ، بعثه الله [إليهم] فكذبوه ، وقد ذكرنا من خبره لمعا ، وقد قيل في أصحاب الرأس أوجه كثيرة غير ما ذكرنا في هذا الكتاب ، وقد ذكرت هذه القبائل في التوراة ، وكل يرجع إلى ولد سام بن نوح . من بني إرم بن سام وهو من ولده عوص بن إرم ، ومن ولده [عابر بن إرم ، ومن ولده]^(٢) ماش بن إرم .

النيبط

[فولد عوص عاد بن عوص ، وولد عابر ثمود بن عابر ، وولد ماش بن إرم]^(٢) نبيط بن ماش ؛ فسائر النبط وملوكها ترجع في أنسابها إلى نبيط ابن ماش .

(١) في ا « فلم يبق منهم * خطير » .

(٢) ما بين المعقوفين لا يوجد في ا

فحلَّ عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وولده الأحقافَ من بلاد
حضر موت ، وحل ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وولده أكنافَ
الحجاز ، وحل جدیس بن عابر بلاد جَوَّ ، وهي بلاد اليمامة ما بين البحرين
والحجاز ، وهذا البلد في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة —

بيد ولد الأخيضر العلوي ، وهو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضى
الله عنه ، وهو مجاور للبحرين ، ومَنْ فيها إلى هذا الوقت ، وحلَّ طَّسَم بن
لود بن سام بن نوح وولده اليمامة مع بنى جدیس ، وحل عمليق بن لود^(١)
ابن سام بن نوح الحجاز ، وقد ذكرنا ولد عيلام فيما سلف من هذا الكتاب
أنهم حلوا الأهواز وقارس ، وهو عيلام بن سام بن نوح ، وحل نبيط
ابن ماش بن إرم بن سام بن نوح بابل ، فغلبوا على العراق ، وهم النبط ،
ومنهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم ، وأنهم الملوك الذين عمروا الأرض ،
ومهدوا البلاد ، وكانوا أشر^(٢) ملوك الأرض ، فأدال منهم الدهر^(٣) ، وسلبهم
الملك والعزَّ ، فصاروا على ما هم عليه من الذل في هذا الوقت بالعراق وغيرها .

وقد زعم جماعة من المتكلمين — منهم ضرار بن عمرو وثمامة بن الأشرس
وعمر بن بحر الجاحظ — أن النبط خير من العرب ؛ لأن من جعل الله
تبارك وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم منهم لم يدعْ أكبر شرف في الدنيا
إلا وقد [أعطاهم إياه ، ومَنْ لم يجعله منهم فلم يدعْ أكبر شرف في الدنيا إلا
وقد]^(٤) أعراهم منه وسلبهم إياه ، ولا نعمة على من جعل الله تعالى النبي
عليه السلام منهم أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا بلوى على من لم
يجعل الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبي صلى الله
عليه وسلم عنهم ، إلا أنهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء .

(١) في ب • عملوق بن أد • (٢) في ا • وكانوا أشرف ملوك الأرض • محرفا

(٣) في ا • فأذلهم الدهر • (٤) زيادة في ا وحدها .

الرد
على الشعوبية

قال المسعودي : ولما لم يبالي من قدمنا ذكره من تشریف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة والملك والعزة قال لهم المحتج عن قحطان ونزار : إذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم ، فللعرب أيضاً التعلق بهذه العلة التي اعتل بها النبط ، فتقول : قد صرنا بعد أفضل من النبط ؛ لما امتحننا به من سلب ما جعل الله للنبط من الفضل في شدة امتحانهم بسلب النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ، والنبط أيضاً قد صاروا دون العرب ؛ إذ للعرب من فضل النبي صلى الله عليه وسلم مما جعله الله لهم بتعريفهم من فضل النبط على شدة امتحانهم بتعريفه الله إياهم من النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس للنبط ؛ فتصير العرب أيضاً خيراً من النبط ، وهذا لا يصح لهم إلا كما يصح عليهم ، والكلام متوجهٌ عليهم فيما قالوه ، ومكافئ لعلتهم فيما أوردوه : من تفضيل النبط على العرب .

وقد ذكرنا تنازع الناس في الأنساب والفضل بها وبالأعمال دون الأنساب [ومن قال العمل والنسب] ومن قال العمل دون النسب ، وما قالته الشعوبية وغيرها في كتابنا « المقالات » ، في أصول الديانات ^(١) .

وقد ذكر أبو الحسن أحمد بن يحيى في كتابه في الرد على الشعوبية عللاً كثيرة ، وذكر أن من اختصه الله تعالى من عباده ، واصطفاه من خلقه، أذاك على طريق الثواب أم على طريق التفضيل ؟ قال : فإن زعم زاعم أن ذلك ثواب خرج من معقول كلام العرب ومفهوم خطابها ؛ لأنه لا يقال لمن أعطى الأجير أجرته ووفى العامل ثوابه : قد اختص فلان فلانا بعطيته ، وإنما يقال ذلك إذا تطوع عليه ^(٢) بالعطية بغير عمل ومنعها غيره بغير جرم ، وإن زعموا أنه تفضل قلنا

(١) في هذه العبارات قلق ليس بالقليل .

(٢) في ١ « تطول عليه بالعطية » ومعناه تفضل .

لهم : فإذا جاز أن يصرف الله عز وجل رحمته إلى بعض خلقه بغير عمل استحقوها به ، فلم لا يجوز أن يشرفهم بأنسابهم ، وإن لم تكن الأنساب من أعمالهم ؟ ! فإن قالوا : ليس من العدل^(١) أن يشرفهم بغير أعمالهم ، قلنا لهم : أرايتكم إن عارضكم معارض ؛ فزعم أنه ليس من العدل أن يمن عليهم برحمته دون غيرهم بغير عمل كان منهم ، وبغير معصية كانت من غيرهم ، ماذا يكون الفصل بينكم معاشر الشعوبية وبينه ، وقد أخبر الله عن اصطفاه من خلقه فقال : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم) ؟

والواجب على ذى النسب الشريف ، والمجد الرفيع ، أن لا يجعل ذلك سلباً إلى التراخي عن الأعمال الموافقة لنسبه ، والاتكال على آبائه^(٢) ، فإن شرف الأنساب يحض^(٣) على شرف الأعمال ، والشريف بهذا أولى ؛ إذ كان الشرف يدعو إلى الشرف [ولا يثبط عنه] كما أن الحسن يدعو إلى الحسن [ويحرك عليه] وأكثر المدوحين إنما مدحوا بأعمالهم دون أنسابهم ، وهذا كثير في أشعار الناس ومنثور كلامهم ، وقد قال الشاعر في هاشم بن عبدمناف وهو إمام ذوى الأنساب :

عَمَّرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالَ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ
فَدَحَهُ بِعَمَلِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ نَسَبَهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا رَفِيعًا ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَذَوِي
الْأَنْسَابِ أَنْ يَكُونُوا كَمَا قَالَ أَخُوهُمْ وَشَرِيكِهِمْ فِي النَّسَبِ [عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ] :
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ سَيْدِ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحُ الْمَهْدَبُ
فَمَا سَوَّدَتْني عَامِرٌ عَنِ وِرَائِهِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَتَمُّوْا بِأَمِّ وَلَا أَبِ
وَلَكِنِّي أَحْمَى حَمَاهَا ، وَأَتَقَى أَذَاهَا ، وَأَرْمَى مَنْ رَمَاهَا بِمَقْنَبِ
وَمَا قَالَ الْآخِرُ :

(١) في ١ « ليس في العدل أن يشرفهم » (٢) في ١ « والإنكار على آبائه »

محرفاً (٣) في ١ « يختص على أشرف الأعمال » وليس بذلك .

لسنا وإن كرمت أوائلنا يوماً على الأحساب تكل
 نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ، ونفعل كالذي فعلوا^(١)

قال المسعودي : ولما خرج عمرو بن عامر وولده من مأرب انمزع
 بنو ربيعة ، فنزلوا تهامة ، فسُموا خزاعة لانمزعهم ، ولما ثارت الحرب
 بين إياد ومضر ابني نزار ، وكانت علي إياد قلع الحجر الأسود ودفنته
 في بعض المواضع ، فرأت ذلك امرأة من خزاعة ، فأخبرت قومها ، فاشترطوا
 على مضر أنهم إن ردوا الحجر جعلوا ولاية البيت فيهم ، فوفوا لهم بذلك ،
 ووليت خزاعة أمر البيت ، وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحي ، واسم
 لحي حارثة بن عامر^(٢) ، فغير دين إبراهيم وبدله ، وبعث العرب على عبادة
 التماثيل ؛ لخبير قد ذكرناه في هذا الكتاب وغيره ، حين خرج إلى الشام ورأى
 قوماً يعبدون الأصنام ، فأعطوه منها صنماً فنصبه على الكعبة ، وقويت
 خزاعة ، وعمم الناس ظلم عمرو بن لحي ، وفي ذلك يقول رجل من جرهم
 كان على دين الحنيفية :

ولاية خزاعة
 أمر البيت

عمرو بن لحي
 أول من عبد
 الأصنام

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلد حرام
 سائل بعاد أين هم وكذاك تُخترم الأنام
 وبنى العماليق الذين لهم بها كان السوام

ولما أكره عمرو بن لحي من نصب الأصنام حول الكعبة وغلب على
 العرب عبادتها ، وانمحت الحنيفية منهم إلا لمعاً ، قال في ذلك شحنة بن
 خلف^(٣) الجرهمي :

يا عمرو ، إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصبا
 وكان للبيت رب واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا

(١) في ا هـ ونفعل مثلما فعلوا هـ .

(٢) في ا هـ حارث بن عامر هـ

(٣) في ب هـ سحنة بن خلف هـ .

تُعرفنَّ بأنَّ الله في مَهَسَل سيصطفى دونكم للبيت حُجَّاباً
وَعُمَّرَ عمرو بن لحي ثمانمائة سنة وخمساً وأربعين سنة .

خصال ولاية
البيت ثلاثة
خصال

وكانت ولاية البيت في خُرَاعة وفي مضر ثلاث خِصال : الإجازة بالناس
من عَرَفة ، والإفاضة بالناس غداةَ النحر إلى مِئى ، فانتهى ذلك منهم إلى
أبي سَيَّارة ، فدفع أبو سَيَّارة من مزدلفة إلى مِئى أربعين سنة على حمار له ،
ولم يعتل في ذلك ، حتى أدركه الإسلام ، فكانت العرب تتمثل به فتقول
« أَصَحُّ مِنْ عَيْرِ أَبِي سَيَّارة »^(١) .

وفي أبي سيارة يقول قائلهم :

نحن دفعنا عن أبي سَيَّارة حتى أفاض مُحَرِّماً حماره^(٢)

* مستقبل القبلة يدعو جاره *

والنساء للشهور الحُرْمِ^(٣) ، وكانت النساء في بنى مالك بن كنانة ، النساء والنساء
وكان أولهم أبو القلمس^(٤) حذيفة بن عبد ، ثم ولده قلع بن حذيفة ، وورد
الإسلام وأخرهم أبو ثمامة ، وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج
وأرادت الصَّدْر اجتمعت إليه ، فيقوم فيهم ، فيقول : اللهم إني قد أحللت
أحد الصَّفْرَيْنِ الصفر الأول ، وأنسأت الآخر للعام المقبل ، وظهر الإسلام
وقد عادت الشهور الحرم إلى بدئها على ما كانت عليه في أصلها ،
وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والأرض » وما ذكر عليه الصلاة والسلام في هذا
الحديث إلى آخره ، فأخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله تعالى : (إِنَّمَا

(١) في ١ « أحج من عير أبي سيارة » .

(٢) في ١ « مجرياً حماره » . (٣) هذه هي الخصلة الثالثة .

(٤) في ب « القلمس » وفيها « ولده فيولع » والصواب ما ذكرنا عن ا

مواقفا لابن إسحاق .

النسيء زيادة في الكفر - الآية) وقد فخر بذلك عمير بن قيس بن جذل الطعان^(١) فقال :

ألسنا الناسئين على معد شهرور الحل نجعلها حراما؟

وقد كان قصي بن كلاب بن مرة تزوج ابنة حليل ، وحليل هو آخر من ولي البيت من خزاعة ، وقد كان عمرو بن لحي - حين عمر ما ذكرنا من السنين - مات وله من الولد وولد الولد ألف ، ولما حضرت حليلا الوفاة - وهو آخر من ولي البيت من خزاعة - وقد كان عمرو على ما ذكرنا جعل ولاية البيت إلى ابنته زوج قصي بن كلاب ، فقيل له : إنها لا تقوم بفتح الباب وغلقه ، فجعل ولاية البيت إليها ، وفتح الباب وغلقه إلى رجل من خزاعة يعرف بأبي غبشان الخزاعي ، فباعه أبو غبشان إلى قصي ببيعير وزق خمر ، فأرسلت العرب ذلك مثلاً ، فقالت «أخسر من صفقة أبي غبشان^(٢)» وفي بيعه لولاية البيت ببيعير وزق من الخمر ونقله ولاية البيت من قومه من خزاعة إلى قصي بن كلاب ، يقول الشاعر :

ولاية البيت
تؤول إلى
قصي بن كلاب

أبو غبشان أظلم من قصي وأظلم من بني فهر خزاعة
فلا تلحوا قصيا في شراه ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وقال في ذلك آخر :

إذا افتخرت خزاعة في قديم وجدنا فخرها شرب الخمر
وباعت كعبة الرحمن جهراً بزقاً ، بثس مفتخر الفخوز^(٣)

وقد كانت ولاية البيت في خزاعة ثلاثمائة سنة ، واستقام أمر قصي ، وعشر على من دخل مكة من غير قريش ، وبني الكعبة ، ورتب قريشاً على منازلها في النسب بمكة ، وبين الأبطحي من قريش ، وهم الأباطح ، وجعل الظاهري ظاهرياً

(١) في ٥ عمير بن قيس القرشي ه وفي ب « عمرو بن قيس الفراسي » .

(٢) انظر المثل رقم ١١٦٧ في مجمع الأمثال بتحقيقنا .

(٣) في ١٥ مفتخر الفجور ه .

وقريش البطاح : هي قبائل عبدمناف ، وبنو عبدالدار ، وبنو العزّي قريش البطاح
ابن قصي ، وزُهرة ، ومخزوم ، وتيم بن مرة ، وجَمح ، وسهم ، وعدّي ،
وم عمّة الدم ، وبنو عتيك بن عامر^(١) بن لؤي .

قريش
الظواهر
وقريش الظواهر : بنو [محارب ، و] الحارث بن فهر ، وبنو الأذرم بن
غالب بن فهر ، وبنو هصيص^(٢) بن عامر بن لؤي ، وفي ذلك يقول ذكوان
مولى عبد الدار للضحّاك بن قيس الفهري :

تطاوَلتُ للضحّاك حتى رَدَدْتُهُ إلى نسب في قومه متقاصر^(٣)

فلو شاهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر

ولكنهم غابوا وأصبحتُ شاهداً فقبحت من حامى دمار وناصر^(٤)

[فريقان منهم ساكن بطن يثرب ومنهم فريق ساكن بالمشاعر]^(٥)

والأحلاف من قريش : بنو عبد الدار بن قصي ، وسهم ، وجَمح ،
وعديّ ، ومخزوم .

والمطيّون : بنو عبدمناف ، وبنو أسد بن عبد العزّي ، وزُهرة ، وتيم ،
وبنو الحارث بن لؤي .

وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي في امرأة :

ولها في المطيين جدودٌ ثم نالت ذوائب الأحلاف

إنها بين عامر بن لؤي حين تُدعى وبين عبد مناف

وأخذت قريش الإيلاف من الملوك ، وتفسير ذلك الأمن ، وتقرّشت ،
والتقرش : الجمع ، ومنه قول ابن حِلْزة اليشكري^(٦) :

الإيلاف
والتقرش

(١) في ١ « وبنو حنبل بن عامر بن لؤي » .

(٢) في ١ « وبنو هصيص بن عامر بن لؤي ، (٣) في ١ « إلى حسب في قومه متقاصر »

(٤) في ١ « فقبحت من حامى ديار وناصر » (٥) لا يوجد هذا البيت في ١

(٦) في ١ « أبي خالد اليشكري » .

إخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرنا وقديم
ورحلت^(١) قريش — حين أخذها الإيلاف من الملوك — إلى الشام
[والحبشة] واليمن والعراق ، وفي ذلك يقول مطرود^(٢) الخزاعي :
يا أيها الرجل المحوّل رحله هلاً نزلت بآل عبد مناف
الآخذين العهد من آفاقنا والراحلين برحلة الإيلاف^(٣)
ولقريش أخبار كثيرة ، وكذلك لجرهم وخزاعة وغيرهما من معد ،
وقد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً ،
تنبيهاً بها على ما سلف ، وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملاً
من أخبار مكة وعبد المطلب والحبشة ، وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى ،
إن شاء الله

(١) في ١ هـ وانحدرت قريش هـ . (٢) في ب هـ مطرف الخزاعي هـ

(٣) في ١ * الآخذين العهد من آفاقها *

ذكر جوامع [من] الأخبار ، ووصف الأرض والبلدان

وحنين النفوس للأوطان^(١)

ذكر ذوو الدراية^(٢) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه - حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر ، وغير ذلك من الأرض - كتب إلى حكيم من حكماء العصر : إنا أناسٌ عرب ، وقد فتح الله علينا البلاد ، ونريد أن نتبوا الأرض ، ونسكن [البلاد و] الأمصار ، فصِفْ لى المدن وأهويتها ومساكنها ، وما تؤثره التربة والأهوية فى سكانها .

عمر بن الخطاب
يستوصف
بقاع الأرض

تأثير البيئة
الطبيعية

فكتب إليه ذلك الحكيم : اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى قد قسم الأرض أقساماً : شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، فما تنهى فى التشرىق [وَلَجَجَ فى المطلاع السامح منه النور]^(٣) فهو مكروه لا حتراقه وناريتة وحِدَّتة وإحراقه لمن دخل فيه ، وما تنهى مغرباً أيضاً أضرَّ سكانه ؛ لموازاته ما أوغل فى التشرىق ، وهكذا ما تنهى فى الشمال أضرَّ ببردِه وقره وثلوجه وآفاته الأجسام فأورثها الآلام ، وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرقت بناريتة ما اتصل به من الحيوان ؛ ولذلك صار المسكون من الأرض جزءاً يسيراً ، ناسب الاعتدال ، وأخذ بحظه من حسن القسمة ، وسأصف لك - يا أمير المؤمنين - القطع المسكونة من الأرض .

الشام

أما الشام فسُحِبُ وآكام ، وريح وغمام ، وغدق ورُكَّام ، ترطب الأجسام ، وتبلد الأحلام ، وتصفى الألوان ، لاسيما أرض حِمْص فإنها تحسن الجسم ، وتصفى اللون ، وتبلد الفهم ، وتنزح غوره ، وتجنفى الطبع ، وتذهب بماء القريحة ، وتنصب العقول ، والشام - يا أمير المؤمنين ، وإن كانت على ما وصفت لك - فهى مَسْرَح خصب ، ووايل سَكْب ، كثرت أشجاره ،

(١) فى ا « إلى الأوطان » .

(٢) فى ا « ذوو الرواية » .

(٣) زيادة عن ا .

واطرّدت أنهاره ، وغمرت أعشاره^(١) ، وبه منازل الأنبياء ، والقدس المجتبي ،
وفيه حلّ أشرف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين ، وجباله مساكن
المجتهدين والمفردين .

مصر

وأما أرض مصر فأرض قوَرَاءَ غَوَرَاءَ ، ديار القراعنة ، ومنازل الجبابرة ،
تحمد بفضل نيلها ، وذمّها أكثر من حمدها ، هواؤها راكد ، وحرها زائد ،
وشرها وارد^(٢) ، تكدر الألوان ، وتخبب الفِطَنَ [وتكثر الإحن] وهي معدن
الذهب والجوهر والزمرد والأموال ، ومفارس الغلّات ، غير أنها تسمن الأبدان^(٣)
وتسود الأبخار ، وتنمو فيها الأعمار ، وفي أهلها مكر ورياء ، وخبث ودهاء
وخديعة ، إلا أنها بلد مكسب لابلد مسكن ؛ لترادف فتنها ، واتصال شرورها .

اليمن

وأما اليمن فيضعف الأجسام ، ويذهب الأحلام^(٤) ، ويذهب بالرطوبة ،
في أهله هم كبار ، ولهم أحساب وأخطار ، مغايضة خِصْبَة ، وأطرافه جدّبة ،
وفي هوائه انقلاب ، وفي سكانه اغتيال ، وبهم قطعة من الحسن ، وشعبة من
التّرفه^(٥) وفقره من الفصاحة .

الحجاز

وأما الحجاز فحاجز بين الشام واليمن والتهائم ، هواؤه حرّور ، وليله
بهور^(٦) ، ينحف الأجسام ، ويحجف الأدمغة ، ويشجع القلوب ، ويبسط
الهمم^(٧) ، ويبعث على الإحن^(٨) [وهو بلد تحلّ قحط جذب صنك .

المغرب

وأما المغرب فيقسي القلب ، ويوحش الطبع ، ويطيّش اللب^(٩) ويذهب
بالرحمة ، ويكسب الشجاعة ، ويقشع الضراعة ، وفي أهله غدر ، ولهم خبث
ومكر ، ديارهم مختلفة ، وهمهم غير مؤتلفة ، ولديارهم في آخر الزمان نبأ
عظيم ، وخطب جسيم ، من أمر يظهر ، وأحوال تبهر .

- (١) في ا « وعمرت عشاره » (٢) في ا « وشرها بائد »
(٣) في ا « تسهل الأجسام » . (٤) في ا « ويهذب الأحلام »
(٥) في ا « وشعبة من الرقة » . (٦) في ب « وليله سهور » .
(٧) في ا ويسقط الهمم » . (٨) ما بين المعرفين ساقط من ا

العراق وأما العراق فنار الشرق ، وسرّة الأرض وقلبها ، إليه تحادرت المياه^(١) ،
وبه اتصلت النضارة ، وعنده وقف الاعتدال ، فصفت أمرجة أهله ،
ولطفت أذهانهم ، واحتدّت خواطرهم ، واتصلت مسراتهم^(٢) ، فظهر منهم
الدهاء ، وقويت عقولهم ، وثبتت بصائرهم ، وقلّب الأرض العراق [وهو المجتبي
من قديم الزمان] وهو مفتاح الشرق ، ومسلك النور [ومسرح العينين ،
ومدنه المدائن وما والاها] ولأهله أعدل الألوان ، وأنقى الروائح ، وأفضل
الأمزجة ، وأطوع القرائح ، وفيهم جوامع الفضائل ، وفوائد المبرات ،
وفضائله كثيرة ؛ لصفاء جوهره ، وطيب نسيمه ، واعتدال تربته ، وإغداق
الماء عاياه ، ورفاهية العيش به .

الجبال وأما الجبال فتخشن الأجسام وتغلظها ، وتبلد الأفهام وتقطعها ، وتفسد
الأحلام ، وتميت الهمم ؛ لما هي عاياه من غلظ التربة ، ومتانة الهواء ،
وتكاثفه ، واختلاف مهابه ، وسوء متصرفاته .

والأخلاق والصور — يا أمير المؤمنين — تناسب البلد وتحاذيه ،
وتقاربه ، وتوافقته وتضاهيه ، وكل بلد اعتدل هواؤه ، وخف ماؤه ،
ولطف غذاؤه — كانت صور أهله وخلاتهم تناسب البلد وتحاذيه ، وتشاكل
ما عليه أركانه ، وما أسس عليه بنيانه [وكل بلد يزول عن الاعتدال ،
انتسب أهله إلى سوء الحال] .

خراسان وأما خراسان فتكبر الهام ؛ وتعظم الأجسام ؛ وتلطف الأحلام ؛ ولاهليها
عقول وهمم طامحة ؛ وفيهم غوص وتفكير ؛ ورأى وتقدير^(٣) .

فارس وأما بلد فارس فخصب الفضاء ، رقيق الهواء ، متراكم الماء ، معتم
بالأشجار ، كثير الثمار ؛ وفي أهله شح ، ولهم خب ؛ وغرائزهم سيئة ،
وهمهم دينية ، وفيهم مكر وخداع .

(١) في ا ه إليه تطاردت المياه .

(٢) في ا واصلت مرأثرهم .

(٣) في ا ه ورأى وتقرر .

خوزستان وأما بلاد خوزستان فهي كديرة الأهواء ، تفسد الأحلام^(١) ، وتبلىد الأفهام ، وتخبث الهمم ، وتستأصل الكرم ، يساق أهله سوق الأنعام ، وهم الهمج الطغام .

الجزيرة وأما أرض الجزيرة فتناسب البر بالهواء اللطيف ، وفيها خصب وسرح ، ولأهلها بأس ومراس .

والبر — يا أمير المؤمنين — أفضل قطع الأرض وأسناها ، وأشرفها وأعلاها ، نحو الأنجاد والتهائم ؛ لحماية الهواء الأقداء عن سكانه ، ودفعه الآفات عن قطّانه ، وسماحة المثوى ، وتهذيب الماء ، وصحة المتنسم ، وارتفاع الأكدار ، وذهاب الأضرار .

واعلم — يا أمير المؤمنين — أن الله تبارك وتعالى قسم الأرض أقساما فضّل بعضها على بعض ، فأفضّل أقسامها العراق ، فهو سيد الآفاق ، وقد سكنه أجيال وأم ذوو كمال .

الهند والصين وأما الهند والصين وبلاد الروم فلا حاجة بي إلى وصفها لك ؛ لأنها منازل شاسعة ، وبلدان نائية ، كافرة طاغية .

وفي الذي ذكرته لك ما أشقى بك إلى ما شئمتَ إلى علمه^(٢) ، وكل ما وصفته في هذه البلدان فهو الأعم من أمور أهلها ، والأغلب على أحوالهم ، فإن وجد فيهم أحد بخلاف ذلك فهو النادر يا أمير المؤمنين ، والحكم [في ذلك] للأغلب .

قال المسعودي : وذكّر جماعة من أهل العلم بالسير والأخبار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد الشخوص إلى العراق — حين بلغه ما عليه الأعاجم من الجمع ببلادهم^(٣) — سأل كعب الأخبار عن العراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ،

كعب الأخبار
يصف لعمر
العراق

(١) في ١ هـ وهي كور الأهواز تفسد الأحلام هـ .

(٢) في ١ هـ إلى ما سموت إلى علمه هـ . (٣) في ١ هـ ببلادنهاوند هـ محرفا

إن الله لما خلق الأشياء ألحق كل شيء بشيء ، فقال العقل : أنا لاحق بالعراق ، فقال العلم : وأنا معك ، فقال المال : وأنا لاحق بالشام ، فقالت الفتن : وأنا معك ، [فقال الخصب : وأنا لاحق بمصر ، فقال الذل : وأنا معك ، فقال الفقر : وأنا لاحق بالحجاز ، فقالت القناعة : وأنا معك]^(١) .
فقال الشفاء^(٢) : وأنا لاحق بالبوادي ، فقالت الصحة : وأنا معك .

وصف
إقليم بابل
وحنين المؤلف
إليه

قال المسعودي : وأوسط الأقاليم الإقليم الذي ولدنا به ، وإن كانت الأيام أنأت بيننا وبينه ، وساحقت مسافتنا عنه ، وولدت في قلوبنا الحنين إليه ، إذ كان وطننا ومقطنا ، وهو إقليم بابل ، وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلا ، وقدره عظيما ، وكانت عنايتهم إياه مصروفة ، وكانوا يشتون بالعراق ، وأكثرهم يصيفون بالجبال ، وينتقلون في الفصول [إلى الصرود من الأرض والحرور]^(١) ، وقد كان أهل المروءات في الإسلام كأبي دلف القاسم بن عيسى^(٣) العجلى وغيره يشتون في الحرور^(٤) ، وهو العراق ، ويصيفون في الصرود ، وهي الجبال ، وفي ذلك يقول أبو دلف :

وإني امرؤ كسروىُّ الفعّال أصيفُ الجبالَ وأشتو العراقا

وذلك لما خص به هذا الإقليم من كثرة مرافقه ، واعتدال أرضه ، وغضارة عيشه ، ومادة الوافدين إليه^(٥) ، وهما دجلة والفرات ، وعموم الأمن فيه ، وبعُد الخوف عنه^(٦) ، وتوسطه الأقاليم السبعة ، وقد كانت الأوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد ؛ لأن أرضه من إقليم بابل الذي تشعبت الآراء عن أهله بحكمة الأمور كما يقع ذلك عن القلب^(٧) ، وبذلك اعتدلت ألوان أهله [واقتدرت]

(١) ما بين العقوقين ساقط من ا

(٢) في ا « فقال الشفاء » بالفاء بدل القاف .

(٣) في ب « القاسم بن علي » (٤) في ا « في الجروم وهي العراق »

(٥) ربما كان الأصل « الرافدين إليه » (٦) في ا « وبعد الأشرار عنه » .

(٧) في ا « التي كشفت الآراء من أهله بحكمة الأمور كما يرتفع ذلك عن القلب »

(٥ - مروج الذهب ٢)

أجسامهم ، فسلموا من سُقْرَةِ الروم والصقالبة ، وسواد الحبشة ، وغلظ البربر ،
ومَنْ جَفَاً من الأمم ، واجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار ، وكما اعتدلوا في الجبلة
كذلك لَطُفُوا في الفطنة ، والتمسك بمحاسن الأمور ، وأشرف هذا الإقليم مدينة
السلام ، ويعز عليّ ما أصارتني إليه الأقدار من فراق هذا المصر الذي عن بقعته
فصلنا ، وفي قاعته تجمعا^(١) ، لكنه الزمن الذي من شيمته التشتيت ، والدهر
الذي من شروطه الإبانة^(٢) [ولقد أحسن أبو دلف العجلي حيث يقول :

أيا نكبة الدهر التي طوّحت بنا أيادي سبأ في شرقها والمغرب
قفي بالتي نهوى فقد طيرت بالتي إليها تناهت راجعات المصائب]^(٣)

الحنين إلى
الأوطان

وقد ذكر الحكماء - فيما خرجنا إليه من هذا المعنى - أن من علامة وفاء
المرء ودوام عهده حنينه إلى إخوانه ، وشوقه إلى أوطانه ، وبكائه على ما مضى
من زمانه ، وأن من علامة الرشد أن تكون النفوس إلى مولدها مشتاقة ، وإلى
مسقط رأسها تواقفة ، وللإيف والعادة قطع الرجل نفسه لصلة وطنه .

وقال ابن الزبير : ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم ،
وقال بعض حكماء العرب : عمر الله البلدان بحب الأوطان ، وقالت الهند : حرمة
بلدك عليك كحرمة والديك ؛ لأن غذاءك منهما ، وغذاءها منه ، وقال آخر :
أولى البلدان [بصيانتك] بلد رضعت مائه ، وطعمت غذاءه ، وقال آخر : ميلك
إلى موضع مولدك من كرم محتدك ، وقال بقراط : يداوى كل عليل بعقاقير
أرضه ؛ فإن الطبيعة تتطلع إلى هوائها ، وتنزع إلى غذائها ، وقال أفلاطون :
غذاء الطبيعة من أنفع أدويتها ، وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أرضه
كما تنبت الحبة ببيل الأرض^(٤) .

وللنفوس في علة حنينها إلى الأوطان كلام ليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه

(١) في ١ « وفي قاعه نجما » (٢) ما بين المعقوفين ساقط من ١

(٣) في ١ « كما ثوب الجنة يبل العطر » .

في كتابنا المترجم بـ « سر الحياة » وفي كتاب « طب النفوس » .

فضل علم
الأخبار

ولولا تقييد العلماء، خواطرهم على الدهر لبطل أول العلم، وضاع آخره؛ إذ كان كل علم من الأخبار يستخرج [وكل حكمة منها تستنبط] ^(١) والفقهاء منها يستشار ^(٢) والفصاحة منها تستفاد، وأصحاب القياس عاينها يبنون، وأهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق ومعاليها منها تقتبس، وآداب سياسة الملك والحزم ^(٣) منها تاتمس، وكل غريبة منها تعرف، وكل عجيبة منها تستطرف، وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، ويأنس بمكانه وينزع إليه الخاصي والعامي، ويميل إلى رواياته ^(٤) العربي والعجمي .

وبعد؛ فإنه يوصل به كل كلام، ويتزين به في كل مقام، ويتجمل به في كل مشهد، ويحتاج إليه في كل محفل، ففضيلة علم الأخبار بينة على كل علم، وشرف منزلته صحيح في كل فهم، فلا يبصر على فهمه وتيقن ما فيه، وإيراده وإصداره إلا إنسان قد تجرد له، وفهم معناه، وذاق ثمرته، واستسفر من غرره ^(٥) فضل الكتاب ونال من سروره، وقد قالت الحكماء: الكتاب نعم الجليس، ونعم الذخر ^(٦)، إن شئت ألهتك نوادره، وأضحكتك بوادره، وإن شئت أشجبتك مواعظه، وإن شئت تعجبت من [غرائب] فوائده، وهو يجمع لك الأول والآخر [والغائب والحاضر] والناقص والوافر [والشاهد والغائب] والبادي والحاضر، والشكل وخلافه، والجنس ^(٧) وضده، وهو ميت ينطق عن الموتى، ويترجم عن الأحياء وهو مؤنس ينشط بنشاطك، وينام بنومك، ولا ينطق [معك] إلا بما تهوى، ولا نعلم جاراً أبر، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا معداً أخضع ^(٨)،

(١) زيادة عن ب وحدها .

(٢) في ا « يستشار » وليس بشيء

(٣) في ا « سياسة الملك والحرب »

(٤) في ا « ويميل إلى روايته »

(٥) في ا « واستشعر من عزة »

(٦) في ا « نعم الجليس والعمدة »

(٧) في ب « والحسن وضده »

(٨) في ا « ولا معداً أجمع »

ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل خيانة^(١) ، ولا أجدي^(٢) نفعاً ، ولا أحد أخلاقاً [ولا أقل خلاقاً] ولا أدوم سروراً ، ولا أسكت غيبة ، ولا أحسن موافاة^(٣) ، ولا أعجل مكافاة ، ولا أخف مؤنة [منه] إن نظرت إليه أطال إمتاعك ، وشحذ طباعك ، وأيد فهمك ، وأكثر علمك ، وتعرف منه في شهر ، مالا تأخذه من أفواه الرجال في دهر ، ويفنيك عن كد الطلب ، وعن الخضوع لمن أنت أثبت منه أصلاً ، وأسمح فرعاً^(٤) ، وهو المعلم الذي لا يجفوك ، وإن قطعت عنه المائدة ، لم يقطع عنك الفائدة ، وهو الذي يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار ، ويطيعك في السفر كطاعته لك في الحضر ، وقد قال الله تبارك وتعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) [فرصف عن نفسه أنه علم بالقلم] كإخباره عن نفسه بالكرم ، [وفي ذلك يقول بعض أهل الأدب :

لَمَّا عَلِمْتُ بَأَنِي لَسْتُ أَعْجَزُهُمْ	فَوْتًا وَلَا هَرَبًا قَدِمْتُ أُحْتَجَبُ
فَصَرْتُ بِالْبَيْتِ مَسْرُورًا بِهِ جَدًّا	حَاوِي إِبْرَاءَةَ لَا شَكْوَى وَلَا شَفْبُ
فَرَدًّا يُحَدِّثُنِي حَقًّا وَيَنْطِقُ لِي	عَنْ عِلْمِ مَا غَابَ عَنِّي مِنْهُمْ الْكُتُبُ
الْمُؤَنِّسُونَ هُمُ اللَّائِي عُنَيْتُ بِهِمْ	فَلَيْسَ لِي فِي جَلِيسٍ غَيْرِهِمْ أَرْبُ
لِللَّهِ دَرٌّ جَلِيسِي لَا جَلِيسَهُمْ	فَذَا عَشِيرَهُمُ لِلسُّوءِ يَرْتَقِبُ [

وقد كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس، ونزل مقبرة، وكان لا يرى إلا وفي يده كتاب يقرؤه، فسئل عن ذلك، فقال: لم أرَ واعظاً أو عظم من قبر، ولا ممتعاً أمتع من كتاب، ولا شيئاً أسلم

(٢) في ب « ولا ابدى نفعاً »

(١) في ا « ولا أقل جنابة »

(٤) في ا « وأشجع فرعاً »

(٣) في ا « ولا أحسن موافاة »

من الوحدة ، فقيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ؛ فقال : ما أفسدها للجاهل
 وقد قال بعض الشعراء فيمن يجمع الكتب ولا يعلم ما فيها :
 زَوَامِلُ لِلأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الأَبَاعِرِ^(١)
 كَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي البَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَحْمَالِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الفَرَّارِ^(٢)

ذكر تنازع الناس

في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمنا ، والعراق عراقا
 والشام شاما ، والحجاز حجازاً

تنازع الناس في اليمن وتسميته ؛ فمنهم من زعم أنه إنما سمي يمناً لأنه عن
 يمن الكعبة [وهو اليمن] وسمي الشام شاماً لأنه عن شمال الكعبة ، وسمي
 الحجاز حجازاً لأنه حاجز بين اليمن والشام ، نحو ما أخبر الله عز وجل عن
 البرزخ^(٣) الذي بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل : (وَجَعَلَ بَيْنَ
 الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) وإنما سمي العراق عراقا لمصب المياه إليه كالدرجة والفرات
 وغيرها من الأنهار ، وأظنه مأخوذاً من عَرَاقِي الدلو وَعَرَاقِي القربة .
 ومنهم من زعم أن اليمن إنما سمي يمناً ليمنه ، والشام شاماً لشؤمه ، وهذا
 قول يُعزى إلى قُطْرِبِ النحوي في آخرين من الناس .

ومنهم من رأى أنه إنما سمي [اليمن] يمناً لأن الناس حين تفرقت لغاتهم
 بابل تيامن بعضهم يمن الشمس وهو اليمن ، وبعضهم تشاءم فوسم له هذا
 الاسم ، وسنذكر تفرق هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا الموضع ،
 وبعض ما قالوه في ذلك من الشعر ، عند مسيرهم في الأرض
 واختيارهم البقاع .

(١) حفظى • زوامل للأشعار • وسياق المؤلف يؤكد ما أثبتناه في الأصل

(٢) في « بأوساقه ، أو راح ، ما في الفرائر » .

(٣) في ب « عن الفرق الذي بين - الخ » .

وقيل : إنما سُمي الشام شاماً لشاماتٍ في أرضه بيض وسود ، وذلك في التراب والبقاع [والحجر] وأنواع النبات والأشجار ، وهذا قول الكلبي . وقال الشرقى بن القطامي : إنما سُمي الشام شاماً بسام بن نوح ، لأنه أول من نزل وقطن فيه ، فلما سكنته العرب تطيرت من أن تقول سام ، فقالت : شام .

وقيل : إن سامراً إنما سميت بذلك إضافة إلى سام .

وقيل : إن أول من سكنها من خلفاء بني العباس سماها بهذا الاسم ، وإنها سرور لمن رآها^(۱) .

وقد ذكر في أسماء هذه [المعامل و] البقاع والأمصار وجوه غير ما ذكرنا قد اتينا عليها فيما سلف من كتبنا .

ذكر اليمن وأنسابها ، وما قاله الناس في ذلك

اختلف الناس في أنساب قحطان ؛ فحكى هشام بن الكلبي عن أبيه والشرقي ابن القطامي أنهما كانا يذهبان إلى أن قحطان ابنُ الهميسع بن كبت — وهو نابت — بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، ويحتجان لذلك بوجه من الأخبار . منها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ما رواه هشام عن أبيه عن ابن عباس ، ورواه الهيثم عن الكلبي عن أبي صالح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الأنصار يتناضلون ، فقال : « ازموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ازموا وأنا مع ابن الأدرع » رجل من خزاعة ، فرمى القوم نبالهم^(۲) ، وقالوا : يا رسول الله ، من كنت معه فقد نضَلَّ ! ! فقال « ازموا وأنا معكم جميعاً » .

قال المسعودي : وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يأبى هذا القول وينكره

(۱) المعروف أن الاسم الأول لهذه المدينة « سر من رأى » ثم لما كثر استعمال هذا الاسم خففوه بقولهم « سامرا » فهم لا بد يلحظون المعنى الذي يدل عليه الاسم الذي وضعوه لها أولاً .

(۲) في « فالتقى القوم نبالهم » .

وقد ثبت أن قحطان هو يقطن^(١) ، وإنما عُرِّبَ فُقيل له : قحطان وحكى ابن الكلبي ، أن اسم يقطن في التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن إرنخشد بن سام بن نوح ، والواضح من أنساب اليمن ، وما تدين به كهلان وحمير أبنا قحطان إلى هذا الوقت قولاً وعملاً ، وينقله الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير [والذي] وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وغيرها من الأمم ، وعليه وجدت الأكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والأنجاد وبلاد حضر موت والشحر والأحقاف وبلاد عمان وغيرها من الأمصار أن الصحيح في نسب قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ [بن سالم^(٢)] — وهو قينان — ابن إرنخشد بن سام بن نوح ، وقد كان لعابر ثلاثة أولاد : فالغ ، وقحطان ، وملككان ، والخضر عليه السلام من ولد ملككان في قول كثير من الناس ، وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكراً ، وأمهم حَي^(٣) بنت روق بن فزارة بن منقذ^(٤) ابن سويد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، فولد قحطان يعرب بن قحطان ، وولد يعرب يشجب ، وولد يشجب ولد بن ، أحدهما عبد شمس — وهو سبأ بن يشجب — وإنما سمي سبأ لسببه السبايا ، فولد سبأ حمير وكهلان ابني سبأ ، والثاني لم يعقب ، وإنما العقب من ولد هذين — وهما حمير وكهلان ؛ فهذا المتفق عليه عند أهل الخبرة بهما ، والمتيقن لديهم . وكان الهيثم بن عدى الطائي [ينكر أيضاً أن يكون قحطان من ولد إسماعيل ، وإنما] إسماعيل تكلم بلفظ جرم ؛ لأن إسماعيل كان سرياني اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حين أسكنه هو وأمه هاجر بمكة على ما ذكرناه ، فصاهر جرم ، ونشأ على لغتها ، ونطق بكلامها^(٥) [وقفاً في مرآته خطاباً] .

(١) في ا « وتذهب طائفة منهم في أنسابها وما اتضح من أحسابها أن قحطان هو يقطن » .

(٢) سقط هذا الاسم من ب

(٣) في ب « حَي »

(٤) في ب « فزارة بن سعد »

(٥) في ا « وأعرّب بكلامها »

ونزار تأبى أن يكون إسماعيل نشأ على لغة جرهم ، ويقولون : إن الله عز وجل أعطاه هذه اللغة ، وذلك أن إبراهيم خلفه هو وأمه هاجر ، وإسماعيل ابن ست عشرة سنة ، وقيل : ابن أربع عشرة سنة ، في واد غير ذى زرع ، ولا أنيس ، فحفظهما الله تعالى ، وأتبع لها زمزم ، وعلم إسماعيل هذه اللغة العربية .

قالوا : ولغة جرهم غير هذه اللغة ، ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد ، فهذا يقضى بإبطال قول من قال : إن إسماعيل أعرب^(١) بلغة جرهم ، ولو وجب أن يكون إسماعيل [إنما كان] عربي اللسان لأجل جرهم [ونشئه فيها] لوجب أن تكون لغته موافقة للغة جرهم ، أو لغيرها ممن نزل مكة ، وقد وجدنا قحطان سرياني اللسان ، وولده يعرب بخلاف لسانه ، وليس منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة إسماعيل ، ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة إبراهيم [خليل الرحمن] فيمنع إسماعيل فضيلة اللسان العربي التي أعطاها يعرب بن قحطان .

ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا ، في التنازع والتفاخر بالأنبياء والملوك ، وغير ذلك مما قد أتينا على ذكر جمل من حججهم وما أدلى به كل فريق منهم من سلف وخلف ، وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية في كتابنا « أخبار الزمان » .

وزعم الهيثم [بن عدي] أن جرهم بن عابر بن سبأ بن يقطن هو قحطان ، وتناول الهيثم قول النبي صلى الله عليه وسلم - حين قال للرمادة من الأنصار ، « ارموا يا بني إسماعيل » - أنه عليه السلام نسبهم إلى إسماعيل من جهة الأمهات ، وما نالهم من الولادات^(٢) من ولد إسماعيل ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزيل نسباً

(١) في ب « أعرف بلغة جرهم » (٢) في ب « نالهم من الولايات » محرفاً

قد ثبت ، ولا يثبت نسب قوم إلى غير آبائهم ، وقد نقلوا ذلك قولاً وعملاً وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلاً سأله من مراد عن سباً : أرجلا كان أو امرأة أو وادياً أو جبلاً ؟ فقال له : « كان رجلاً ، ولد له عشرة فنشأهم أربعة وتيامن ستة ؛ فالذين نشأوا لحمٌ وجُدَامٌ وعاملةٌ وغَسَّانٌ ، والذين تيامنوا حميرٌ والأزدٌ ومَذْحِجٌ وكنانةٌ والأشعريون وأنمار الذين هم بجيلةٌ وخثعمٌ » .

وقال أبو المنذر^(١) : هو أنمار بن إباد^(٢) بن عمرو بن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

قال المسعودي : وقد تنوزع في نسب أنمار ؛ فذهب الأكثر إلى أن أنماراً وإباداً وربيعاً ومضر بنو نزار بن معد بن عدنان ، وإنما دخلوا في اليمين فأضيفوا إليهم ، وما ذكرناه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن تيامن وتشاءم فمن أخبار الأحاد ، وليس مجيئه مجيء الاستفاضة التي يقطع بها العذر^(٣) ويثبت بها الحكم .

وللناس في هؤلاء كلام كثير ، وقد ذكر هشام عن أبيه الكلبي قال : كان يقال لسائر ولد سبأ السَّبِيثيون ، ولم تكن لهم قبائل تجمعهم دون سبأ . وسند كرفيا يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامرٍ من يقياء ، وخبر طريفة الكاهنة ، وخبر عمران الكاهن ، وهو أخو عمرو بن عامر ، وأخبار العرم والسيل ، وما كان من كهاتهما في أمر السد وسيل العرم ، وتفرق القبائل من مأرب ، ومن لحق بعمان وشنوءة والسراة^(٤) والشام وغير ذلك من بقاع الأرض .

(١) في ب « ابن المنذر »

(٢) في ب « أنمار بن إباد »

(٣) في ب « التي يقطع بها العدد »

(٤) في ب « السراة »

ذكر اليمن وملوكها ، ومقدار سننها

سبأ أول من يُعدّ من ملوك اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، واسمه عبد شمس ، وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لأية علة سمي سبأ على ما قيل ، والله أعلم ، وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعاً وثمانين سنة .
حمير ثم ملك بعده ولده حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ، وكان أشجع الناس في وقته ، وأفرسهم ، وأكثرهم جمالا ، وكان ملكه خمسين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وقيل : أقل [وكان يعرف بالمتوج]^(١) وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن .

كهلان ثم ملك بعده أخوه كهلان بن سبأ ، فطال عمره ، وكبر سنه ، واستقامت له الأمور ، وكان ملكه ثلثمائة سنة ، وقيل غير ذلك^(٢) .

ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان إلى ولد حمير ؛ لأخبار بطول ذكرها ، وتنازع في الملك [بين]^(١) ولد حمير وكهلان .

عمرو بن سبأ ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبأ^(٣) ، واتصل ملكه ، وعمر الناس عدله^(٤) ، وشملهم إحسانه ، وكان ملكه ثلثمائة سنة .

قول آخر وقيل : إن أول من ملك بعد كهلان الرأش ، وهو الحارث بن شداد^(٥) .

ثم ملك جبار بن غالب [بن زيد بن كهلان ، فكان ملكه عشرين ومائة سنة .
ثم ملك بعده الحارث بن مالك]^(٦) بن إفريقس بن صيفي بن يشجب بن سبأ ، وكان ملكه مائة سنة ونحو أربعين سنة ، وقيل : إن هذا الملك هو [أبو] أبرهة بن الرأش المعروف بذي المنار .

(١) زيادة عن ب وحدها (٢) في ١ « وقيل : أقل من ذلك »

(٣) في ١ « أبو مالك بن عسكر بن سبأ » (٤) في ١ « وعم الناس عدله »

(٥) في ب « الحارث بن ذي مدد »

(٦) هذه الزيادة لا توجد في ب

ثم ملك بعده الرائش بن شداد بن ملطاط^(١) ، وكان ملكه مائة وخمسة وعشرين سنة .

ثم ملك بعده أبرهة بن الرائش ، وهو ذو المنار ، وكان ملكه مائة وثمانين سنة .
[ثم ملك بعده أفريقس بن أبرهة ، فكان ملكه مائة وأربعاً وستين سنة]^(٢) .

ثم ملك بعده أخوه العبد بن أبرهة^(٣) ، وهو ذو الأذعار ، وكان ملكه خمسة وعشرين سنة .

ثم ملك بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش ، وقد تنوزع في مقدار ملكه ؛ فمنهم من رأى أنه عاش عشر سنين ، ومنهم من ذكر سبعاً ، ومنهم من قال : ستاً .

ثم ملك تبع الأول ، وكان ملكه أربعاً مائة سنة ، وذكر كثير من الناس تبع الأول أن بليقيس قتله ، وقيل غير ذلك ، والأشهر ما قدمنا .

ثم ملكت بعده بليقيس بنت الهدهاد ، وكان لمولدها خبر ظريف ذكرته الرواة فيما روي أنه تصور لأبيها في بعض قنصه حيتان سوداء وبيضاء فأمر بقتل السوداء منها ، وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن ، وأن الشيخ زوجه بابنته ، واشترط عليه شروطاً [لها] ، فعلقت منه ببليقيس ، ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه لها ، فغابت عنه ، في خبر ظريف ، وهو موجود في كتاب [أخبار] التبابعة .

وإنما نحكى هذه الأخبار على حسب ما وجدناه في كتب الأخباريين وعلى حسب ما توجبه الشريعة والتسليم لها ، وليس قصدنا^(٤) من ذلك وصف أقاويل أصحاب القدم ؛ لأنهم ينكرون هذا ويمنعونه ، وإنما نحكى في هذا الكتاب أقاويل أصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسئلين للحق ، وأخبار الشياطين^(٥) على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل ، وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على

(١) في « ملطاط » بطاءين مهملتين (٢) زيادة عن اوحدها

(٣) في ب « العبد بن أبرهة » (٤) في « وليس وصفنا في ذلك »

(٥) في « والمسئلين للجن ولأخبار الشياطين »

صدقہ صلی اللہ علیہ وسلم ، وإعجاز الخلیقة أن یأتوا بمثل هذا القرآن الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه .

وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة ، وكان من أمرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل في كتابه ، وما اقتص من خير الهدهد ، وما اقتص من أمرها ، فملك سليمان اليمن ثلاثاً وعشرين سنة .

ثم عاد بعد ذلك الملكُ إلى خيبر ؛ فلكهم ناسر النعم بن عمرو بن يعفر^(١) وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة .

بقية
ملوك اليمن

[ثم ملك بعده شمر بن إفريقيس بن أبرهة ، فكان ملكه ثلاثاً وخمسين سنة .

ثم ملك بعده تبع الأقرن بن شمر ، فكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة]^(٢) .

ثم ملك بعده كليكرب بن تبع^(٣) وكان ملكه مائة سنة^(٤) وعشرين سنة ،

وسير^(٥) قومه نحو الشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان .

ثم ملك بعده حسان بن تبع ، فاستقام له الأمر ، ثم وقع بعد ذلك في

ملكه تنازع وخلاف ، وكان ملكه إلى أن قتل خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده عمرو بن تبع ، وهو القاتل لأخيه حسان الملك الماضي ،

وكان ملكه أربعاً وستين سنة ، ويقال : إنه عدم النوم ، لما كان من

فعله من قتل أخيه .

ثم ملك بعده تبع بن حسان بن كليكرب^(٦) ، وهو الملك السائر من اليمن إلى

الحجاز^(٧) ، وكانت له مع الأوس والخزرج حروب ، وأراد هدم الكعبة فمنعه

(١) في ١ «ياسر بن عبد بن يعفر» (٢) ما بين المعقوفين ساقط من ب

(٣) وقع في ١ «مليكرب» ومنهم من يجعله ابن زيد ، وزيد هو تبع الأول

وزيد : ابن عمرو ذو الأذعار بن أبرهة ذو المنار ، أما حسان الآبي فهو ابن تبع

الآخر ، واسم تبع الآخر تبان أسعد ، وكنيته أبو كرب ، وتبان بزة غراب أورمان

(٤) في ب «ثلاثمائة وعشرين سنة» (٥) في ب «وسكن قومه إلح» محرفاً

(٦) في ١ «تبع بن حسان أبو كرب» (٧) في ١ «من اليمن إلى يثرب»

مَنْ كَانَ مَعَهُ^(١) مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ ، فَكَسَاهَا الْقَصَبَ الْيَمَانِي ، وَسَارَ نَحْوَ
الْيَمَنِ وَقَدْ تَهَوَّدَ وَغَابَتْ عَلَى الْيَمَنِ الْيَهُودِيَّةُ ، وَرَجَعُوا عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ،
وَكَانَ مُلْكُهُ نَحْوَ مِائَةِ سَنَةٍ .

ثُمَّ مَلَكَ عَمْرُو بْنُ تَبَعٍ بَعْدَ تَفَرُّقِ وَتَنَازُعِ كَانٍ بَيْنَهُمْ فِي الْمَلِكِ ، ثُمَّ خَلَعَ
عَنِ الْمَلِكِ وَمَلَكَوا عَلَيْهِمْ مَرْتَدُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَكَانَ فِي الْيَمَنِ تَنَازُعٌ
وَحُرُوبٌ ، وَكَانَ مَلَكَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ وَاَلِيعَةُ بْنُ مَرْتَدٍ^(٢) ، وَكَانَ مَلَكَهُ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أِبْرَهَةَ بْنُ الصَّبَاحِ بْنِ وَاَلِيعَةَ بْنِ مَرْتَدٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَدْعَى
شَيْبَةَ الْحَمْدِ^(٣) ، وَكَانَ مَلَكَهُ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ : أَقَلُّ مَنْ ذَلِكَ ،
وَكَانَ عَلَامَةً لَهُ سِيرٌ مُدَوَّنةٌ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ عَمْرُو بْنُ ذِي قَيْفَانَ^(٤) ، وَكَانَ مَلَكَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً^(٥)
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ذُو شَنَاثَرٍ^(٦) ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَلِكِ ، فَفَرِيَ بِالْأَحْدَاثِ
مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، وَطَالِبِهِمْ بِمَا تُطَالَبُ بِهِ النِّسْوَانُ ، وَأَظْهَرَ الْفَسْقَ بِالْيَمَنِ وَاللُّوَاطِ ،
وَعَدَلَ مَعَ ذَلِكَ فِي الرِّعِيَّةِ ، وَأَنْصَفَ الْمَظْلُومَ ، وَكَانَ مَلَكَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ :
تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَقَتْلَهُ يُوسُفُ ذُو نُوَاسٍ ، وَكَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، خَوْفًا
عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَنْفَقَ أَنْ يَفْسُقَ بِهِ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ يُوسُفُ ذُو نُوَاسٍ بْنُ زُرْعَةَ بْنِ بَيْعِ الْأَصْغَرِ بْنِ حَسَانَ بْنِ
كَلِيكَرِبٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا خَبْرَهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ كِتَابِنَا^(٧) ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ
مَعَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ ، وَتَحْرِيقِهِ إِيَّاهُمْ بِالنَّارِ ، وَهُمْ الَّذِينَ خَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي
كِتَابِهِ فَقَالَ : (قَتَلَ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ ، النَّارُ ذَاتَ الْوَقُودِ) وَإِلَيْهِ عَبَّرَتِ الْحَبْشَةُ مِنْ
بِلَادِ نَاصِعٍ وَالزَّبِيْعِ ، وَهُوَ سَاحِلُ الْحَبْشَةِ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرْنَا ، إِلَى بِلَادِ [غَلَا فِقَّةِ

(١) فِي أ « مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ » (٢) فِي ب « وَكَيْعَةُ بْنُ مَرْتَدٍ »

(٣) فِي أ « وَهُوَ الَّذِي يَدْعَى شَيْبَةَ الْخَيْرِ » (٤) فِي ب « بْنُ ذِي قَيْفَانَ »

(٥) فِي أ « تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً » (٦) فِي أ « ثُمَّ مَلَكَ لِحْنِيْعَةُ ذُو شَنَاثَرٍ »

(٧) فِي أ « مِنْ كِتَابِنَا »

من ساحل [زييد من أرض اليمن، ففرق يوسف نفسه بمدحروب طويلة خوفاً من العار؛ وكان ملكه مائتي سنة وستين سنة، وقيل أقل من ذلك، وذلك أن النجاشي ملك الحبشة لما باغاه فعل ذى نواس باتباع المسيح عليه السلام، وما يعذبهم به من أنواع العذاب والتحريق بالنار بعث إليه الحبشة وعاليهم أرياط بن أصحمة^(١) فملك اليمن عشرين سنة، ثم وثب عليه أبرهة الأشرم أبو يكسوم^(٢) فقتله وملك اليمن، فلما بلغ ذلك من فعله إلى النجاشي غضب عليه، وحاف بالمسيح أن يجز ناصيته، ويريق دمه، ويأطأ تربته - يعني أرض اليمن - فبلغ ذلك أبرهة فجز ناصيته وجعلها في حق من العاج، وجعل من دمه في قارورة، وجعل من تراب اليمن في جراب، وأنفذ ذلك إلى النجاشي ملك الحبشة، وضم إلى ذلك هدايا كثيرة وأطافاً، وكتب إليه يعترف بالعبودية، ويحلف له بدين النصرانية أنه في طاعته، وأنه باغاه أن الملك حلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويأطأ أرضه، وقد أنفذت إلى الملك ناصيته فليجزها بيده، وبدمي في قارورة فليهرقه، ويجراب من تربة بلادى فليأطأه بقدميه، وليطفي الملك عن غضبه، فقد أبررت يمينه، وهو على سرير ملكه، فلما وصل ذلك إلى النجاشي استصوب رأيه، واستحسن عقله، وصفح عنه [وكان ذلك في ملك قباد ملك فارس] .

أبرهة
أبو يكسوم

وأبرهة أبو يكسوم^(٢) هو الذي سار بأصحاب الفيل [إلى مكة] لإخراب الكعبة، وذلك لأربعين سنة خات من ملك [كسرى] أنوشروان، فعدل إلى الطائف فبعثت معه ثقيف بأبي رُغَال ليدلّه على الطريق السهل إلى مكة، فهلك أبو رُغَال في الطريق بموضع يقال له المغّس بين الطائف ومكة، فرُجم قبره بعد ذلك [والعرب تتمثل بذلك]، وفي ذلك يقول جرير بن الحطفي في الفرردق

أبو رغال

(١) في ا « فعب بالحبشة إليه وعليهم أرياط بن أضخم »

(٢) في ب « أبرهة الأشرم بن يكسوم »

إذا مات الفرزدق فارجوه كما ترّمون قبر أبي رغال
قال السعدي رحمه الله ، وقيل : إن أبا رغال وجهه صالح النبي صلى الله
عليه وسلم على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السيرة ، فوثب عليه
ثقيف وهو قسي بن منبه - فقتله قتلة شذيفة لسوء سيرته في أهل الحرم ؛ فقال
غيلان بن سلمة^(١) وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبي رغال * نحن قسي وقسا ابونا *
وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقيفي :

نفوا عن أرضهم عدنان طرأ وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبا رغال بمكة إذ يسوق بها الوضينا
وفي ذلك يقول عمرو بن دراك العبدي :

تراني إن قطعت جبال قيس وخالفت المرور على تميم^(٢)
لأعظم فجرة من أبي رغال وأجور في الحكومة من سدوم
[وقال مسكين الدارمي :

وأرجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال]
وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان
من أمرهم في ذلك .

قال : وفي طريق العراق إلى مكة - وذلك بين الثعلبية والهبير^(٤) نحو البطان -
موضع يعرف بقبر العبادي ، ترجمه للمرة إلى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال ،
وللعبادي خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب « أخبار الزمان » وفي
كتاب « حدائق الأذهان » وفي أخبار أهل البيت رضي الله عنهم .
فكان ملك أبرهة على اليمن إلى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد

(١) في « عيلان بن سلمة » بالعين المهملة في أوله .

(٢) في « إن قطعت جبال قيس »

(٣) في ب « لأعظم من فخار أبي رغال » ولا يتسق مع المعنى

(٤) في ب « بين الثعلبية والهند نحو النظامية » محرفا ، ووقع في « نحو
البطانية » والبطان بكسر أوله - منزل بطريق الكوفة من جهة مكة دون الثعلبية

سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الأبايل ثلاثاً وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين^(۱) سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة الغدر^(۲) .

وسندكر بعد هذا في الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملاً من تاريخ عالم وتاريخ الأنبياء والملوك ، في باب نُفَرِدُهُ لذلك إن شاء الله تعالى .
ثم ملك اليمن بعد أبرهة الأشرم ولده يكسوم ، فعمّ أذاه ساثر اليمن ، وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة .

ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ، فاشتدت وطأته على اليمن ، وعمّ أذاه ساثر الناس ، وزاد على أبيه وأخيه في الأذى ، وكانت أمه من آل ذى يزن ، وكان سيف بن ذى يزن قد ركب البحار ، ومضى إلى قيصر يستنجده ، فأقام بيابه سبع سنين ، فأبى أن يُنَجِّدَهُ ، وقال : أتم يهود ، والحبشة نصارى ، وليس في الديانة أن تنصر المخالف على الموافق ، فمضى إلى كسرى أنوشروان فاستنجده ومَتَّ إليه بالقرابة ، وسأله النصره ، فقال له كسرى : وما هذه القرابة التي أدليت بها إلى ؟ فقال : أيها الملك الجبلية وهي الجلدة البيضاء ؛ إذ كنت أقرب إليك منهم ، فوعده أنوشروان بالنصرة [على السودان] وشغل بحرب الروم وغيرها من الأمم ، ومات سيف بن ذى يزن ، فأتى بعده ابنه معد بكر بن سيف ، فصاح على باب الملك ، فلما سئل عن حاله ، قال : لى قبل الملك ميراثٌ ، فوقف بين يدي أنوشروان ، فسأله عن ميراثه ، فقال : أنا ابن الشيخ الذي وعده الملك بالنصرة على الحبشة ، فوجه معه وهرز إصْبِهَيْدَ الديلم في أهل السجون ، فقال : إن فتحوا

مسروق
ابن أبرهة

(۱) في ۱ « سنة ثمانمائة واثنين وثمانين للاسكندر »

(۲) كذا في ا ونسخة عند ب ، وفي ب « حجة العدد » وفي أخرى عند ب

(۳) في ا « سنتين »

أيضاً ه العذر ه

فلنا ، وإن هلكوا فلنا ، وكلا الوجهين فَتَحَ ، فحملوا في السفن [في دجلة] ومعهم خيولهم وعُدَدُهم وأموالهم^(١) ، حتى أتوا أُبَلَةَ البصرة - وهي فرج البحر^(٢) ، ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة ، وهذه مدن إسلامية - فركبوا في سفن البحر ، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مَثُوب^(٣) ، فخرجوا من السفن ، وقد كان أصيب بعضهم في البحر ، فأمرهم وَهْرِزُ أن يحرقوا السفن ليعلموا أنه الموت ، ولا وجه يؤملون المَفَرَّ إليه فيجهدون أنفسهم ، وفي ذلك يقول رجل من حضرموت :

أصبح في مَثُوبِ أَلْفٍ فِي الْجَنَنِ من رهط ساسان ورهط مهرسن^(٤)
ليخرجوا السودان من أرض اليمن دَلَّهُمُ قَصْدَ السَّبِيلِ ذُو يَزَانَ
في شعر له طويل ، ونما خبرهم إلى ملك اليمن مسروق بن أبرهة ، فأتاهم في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر مَنْ سَكَنَ اليَمِينَ [من الناس] وتصافَّ القوم ، وكان مسروق على فيل عظيم ، فقال وَهْرِزُ لمن كان معه من الفرس : أصدقوهم الحملة^(٥) ، واستشعروا الصبر ، ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملاً ، ثم نزل عن الجمل فركب فرساً ، ثم أنف أن يحارب على فرس فركب حماراً استصفاً لأصحاب السفن ، فقال وَهْرِزُ : ذهب ملكه ، وتنقل من كبير إلى صغير ، وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معاقمة في تاجه بمعلق من الذهب تضيء كالنار ، فرمى وَهْرِزُ ، ورمى القوم ، وقال وَهْرِزُ لأصحابه : قد رميت ابن الحمار ، فانظروا إن كان القوم يجتمعون عليه [ولا يتفرقون عنه فهو حي ، وإن كان أصحابه يجتمعون عليه]^(٥) ويتفرقون عنه فقد هلك ، فنظروا إليهم [فأروهم] يجتمعون ويتفرقون عنه ، فأخبروه بذلك ، فقال : احموا

(١) في « وغلانهم » (٢) في ب « وهي برج البحر » .

(٣) مَثُوب - بفتح الميم وسكون التاء وفتح الواو - بلد باليمن ، قاله ياقوت .

(٤) في ب « اصدقوهم الخبر » محرفاً .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ب .

على القوم واصلدقوم [فحملوا عليهم وصدقوم]^(١) ، فانكشفت الحبشة
وأخذهم السيف ، ورفع رأس مسروق ورؤوس خواص الحبشة ورؤوسهم ،
فقتل منهم نحو ثلاثين ألفاً ، وقد كان أنوشروان اشترط على معديكرب
شروطاً : منها أن الفرس تزوج باليمن ولا تزوج اليمن منها [وفي ذلك
يقول الشاعر :

على أن ينكحوا النسوان منهم

ولا ينكحوا في الفارسينا]^(٢)

[وَخَرَّاجٍ يَحْمَلُهُ إِلَيْهِ]^(١) فتوَجَّجَ وهرز معديكرب بتاج كان معه وبدنة^(٢)
من الفضة ألبسه إياها ، [ورتبه في ملكه على اليمن]^(٣) ، وكتب إلى
أنوشروان بالفتح ، وخلف هناك جماعة من أصحابه .

وكان جميع ماملكت الأحابش [اليمن]^(١) اثنتين وسبعين سنة ، وكان
ملك مسروق بن أبرهة إلى أن قتله وهرزُ ثلاث سنين ، وذلك لخمس وأربعين
خلت من ملك أنوشروان .

[وَأَتَتْ]^(٢) معدى كرب الوفود من العرب تهنئه بالملك ، فأتاه عبدالمطلب
وجده أمية بن أبي الصلت ، وقد ذكرنا خبر عبد المطلب ووفادته على ابن ذى
يزن في هذا الكتاب فيما بعد ، وما قيل من الشعر]^(٣) وفي مسير الفرس إلى
اليمن ونصرتهم على الحبشة يقول بعض أولاد فارس :

نَحْنُ خُضْنَا الْبَحَارَ حَتَّى فَكَّكْنَا حَمِيرًا مِنْ بَلِيَّةِ السُّودَانِ
بَلِيُوثٍ مِنْ آلِ سَاسَانَ شُوسٍ يَمْنَعُونَ الْحَرِيمَ بِالْمَرَّانِ
وَبِيضٍ بَوَاتِرٍ تَتَلَّالًا كَسْنَا الْبَرْقِ فِي ذَرَى الْأَبْدَانِ
فَقَتَلْنَا مَسْرُوقَ إِذْ تَاهَ لَمَّا أَنْ تَدَاعَتْ قِبَائِلُ الْخَبْشَانِ
وَقَلَقْنَا يَاقُوتَةَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بِنَشَابَةِ الْفَتَى السَّاسَانِي

(٢) زيادة عن ب .

(١) زيادة عن ا .

(٣) في ب « وقفازات من الفضة » .

[وَهَرِزُ الدَيْلِيُّ لَمَّا رَأَهُ رَابِطَ الْجَاشِ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ]^(١)
 وَحَوَيْنَا بِلَادَ قَحْطَانَ قَسْرًا ثُمَّ سَرْنَا إِلَى ذِي نُعْمَدَانَ
 فَنَعَمْنَا فِيهِ بِكُلِّ سُرُورٍ وَمَنَّانًا عَلَى بَنِي قَحْطَانَ
 وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْبَحْتَرِيُّ يَمْدَحُ أَبْنَاءَ الْعَجَمِ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ الْمَرْسِ عَلَى
 أَسْلَافِهِ لِأَنَّهُ مِنْ قَحْطَانَ :

فَكَمْ لَكُمْ مِنْ يَدٍ يَزْكُو الثَّنَاءَ بِهَا وَنِعْمَةٌ ذَكَرُهَا بَاقٍ عَلَى الزَّمَنِ
 إِنْ تَفْعَلُوهَا فَلَيْسَتْ بِكِرٍّ أَنْعَمَكُمْ وَلَا يَدٌ كَأَيْدِيكُمْ عَلَى الْيَمَنِ
 أَيَّامَ جَلِيٍّ أَنْوَ شُرَوَانَ جِدْكُمْ غِيَابَةَ الذَّلِّ عَنْ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ^(٢)
 إِذْ لَا تَزَالُ خِيُولُ الْفَرَسِ دَافِعَةٌ

بِالضَّرْبِ وَالطَّعْنِ عَنْ صَنْعَاءَ وَعَنْ عَدْنَ^(٣)

أَتَمُّ بَنُو الْمَنْعَمِ الْمَجْدِيِّ وَنَحْنُ بَنُو

مَنْ فَازَ مِنْكُمْ بِفَضْلِ الطَّوْلِ وَالْمَنْنِ

قال المسعودي : وأتت معديكرب الوفود من العرب تهنيه بعود الملك إليه
 وأشرف العرب وزعمائها ، وفيهم عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف [وأمية
 ابن عبد شمس بن عبد مناف] ، وخويلد بن أسد بن عبدالعزي [بن قصي]
 و [أبو زمعة] جد أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وقيل : بل أبو الصلت أبوه ،
 فدخلوا إليه وهو في أعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بنُعْمَدَانَ وهو مُضْمَخٌ
 بالعنبر ، وسواد المسك يلوح على مفرقه ، وسيفه بين يديه ، وعلى يمينه ويساره
 الملوك [وأبناء الملوك] وأبناء المقاول .

عبد المطلب
 يعني الملك

فتكلمت الخطباء ، ونطقت الزعماء ، وقد تقدمهم عبد المطلب بن هاشم
 فقال عبد المطلب : إن الله جل جلاله قد أحلك - أيها الملك - محلاً رفيعا ، صعبا

(٢) في ا « عيابة الذل »

(١) هذا البيت لا يوجد في ا .

(٣) في ا « صنعاء أو عدن » .

منيعا، شامخا، باذخا ، وأنبتك مَنبِتًا طابت أرومته، وعزرت جُرثُومته، وثبت أصله
وَبَسَقَ فرعه ، في أكرم معدن، وأطيب [موضع و] موطن، فأنت -أبيت اللعن-
رأس العرب ورَبِيعُها الذي تُنْخِصُ به^(١)، وأنت -أيها الملك- ذروة العرب الذي
له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العباد ، ومَعْقِها الذي تلتجى ، إليه العباد ، سَلَفُكَ
خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن نخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن
يهلك من أنت خلفه، أيها الملك ، نحن أهل (حرم) الله، وسَدَنَةُ بيته، أشْخَصْنَا إليك
الذي أبهجننا من كشف الكرب الذي^(٢) فَدَحْنَا، ونحن وفداً تهنئة، لا وفداً المرزئة^(٣)
فقال له الملك : وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ،
فقال الملك معدي كرب بن سيف : ابنُ أختنا؟ قال : نعم ، قال : أدنوه مني ،
فأدنى ، ثم أقبل عليه وعلى الوفد ، فقال لهم : مرحباً وأهلاً ، وناقاة وِرْحَلًا ،
ومستناخا سهلاً ، وملكاً رِيحَلًا^(٤) ، يعطى عطاء جزلاً ، قد سمع الملك مقاتلكم ،
وعرف قرابتكم ، وقبل وسياتكم ، فأتم أهل الليل والنهار ، لكم الكرامة ما
أقتم ، والحباء إذا ظعنتم .

أبو زمعة يهته

ثم قام أبو زمعة جد أمية بن أبي الصلت الثقي ، فأنشأ يقول^(٥) :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن في لجة البحر أحوالا وأحوالا
حتى أتى بيني الأحرار يحملهم تحالمهم في سواد الليل أجيالا
لله درهم من عصبه خرجوا ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا

(١) في ب « وتبعها الذي يخطب له » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما في

(٢) في ب « من كشف الكرب فرحا » وفي ا ، « من كشف الكرب

الذي فرجنا » وكلاهما تحريف .

(٣) الذي في ب « الرزية » وما أثبتناه موافق لما في ا ، وهو المحفوظ المعروف

(٤) في ب « وملكاً مرتجلاً » وهو تحريف .

(٥) في بعض هذه الآيات اختلاف في الرواية ، ولم نشأ أن نغيره ، فانظر

(سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٩ و ٧٠) فهي موجودة فيها مع زيادة .

أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد أمسى شريدهم في الأرض فلآلاً
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس نمدان داراً منك محلاً
ثم اطل بالمسك إذ شالت نعماتهم وأشبلي اليوم في برذيك إسبالاً
تلك للكارم لاقعبان من لبن شيباً بماء فعادا بعد أبوالا
ولعد يكرب بن سيف بن ذى يزن كلام كثير مع عبد المطلب
وكوائن أخبره بها في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره ، بشر به
عبد المطلب وأخبره عن أحواله ، وما يكون من أمره ، وحباً جميع الوفد ،
وانصرفوا ، وقد أتينا على ما كان من أخبارهم في كتابنا « أخبار الزمان »
فأغنى عن إعادته ووصفه .

مقتل
معد يكرب

قال المسعودي : وأقام معد يكرب بن سيف بن ذى يزن ملكاً على اليمن ،
واصطنع عبيداً من الحبشة حراة يمشون بين يديه بالحراة ، فركب في بعض
الأيام من باب قصره المعروف بنمدان بمدينة صنعاء ، فلما صار إلى رحبها عطفت
عليه الحراة من الحبشة ، فقتلوه بحراهم ، وكان ملكه أربع سنين ، وهو آخر
ملوك اليمن^(١) من قحطان ، فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكاً [و] ملكوا
ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة .

رواية عبيد
ابن شريفة

قال المسعودي : وأما عبيد بن شريفة الجرهمي حين وفد على معاوية ، وسأله
عن أخبار اليمن [وملوكها] وتواريخ سنيها ، فإنه ذكر أن أول ملوك اليمن على
حسب ما قدمنا في هذا الباب سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ملك
مائة سنة وأربعاً وثمانين سنة .

ثم ملك بعده الحارث بن شداد بن ملظاط^(٢) بن عمرو ، مائة وخمسة
وعشرين سنة .

(١) في ١ « وهو آخر من ملك اليمن من قحطان » .

(٢) في ١ « بن شداد بن ملظاط » .

ثم ملك بعده أبرهة بن الرأش ، وهو [أبرهة] ذو المنار ، مائة وثلاثا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده إفريقس بن أبرهة ، مائة وأربعا وستين سنة .

(۱) [ثم ملك بعده أخوه العبد بن أبرهة ، خمسا وأربعين سنة] (۱) .

ثم ملك بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو ، وهو ذو الصرح ، سنة .

ثم ملكت [بعده] بلقيس بنت الهدهاد ، سبع سنين .

ثم ملك سليمان بن داود عليهما السلام ، ثلاثا وعشرين سنة ، على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس .

ثم ملك بعده رحبعم (۲) بن سليمان ، سنة .

ثم رجع الملك إلى حمير ، فملك من بعد رحبعم بن سليمان (۲) ناشر النعم بن

يعفر (۳) بن عمرو ذي الأذعار ، خمسا وثلاثين سنة ، وقد قيل في تسميته ذا الأذعار

خبر تآباه العقول ، وتنكر النفوس كون مثله في العالم ، ويجوز كون ذلك في المقدور

وأنه إنما سمن الأذعار لأنه وصل إلى قوم في أقصى مفاوز اليمن و [أرض] حضر موت

مشوهي الخلقة عجيبي الصورة وجوههم في صدورهم ، فلما رأى أهل اليمن ذلك

أذعرهم ما شاهدوا من ذلك ، وجزعت منه نفوسهم ، فسمى ذا الأذعار ، وقيل

غير ذلك ، والله أعلم بكيفيته .

ثم ملك بعده عمرو بن شمر بن إفريقس ، ثلاثا وخمسين سنة .

(۱) [ثم ملك بعده تبع الأقرن بن عمرو ، وهو تبع الأكبر ، مائة سنة

وثلاثا وخمسين سنة] (۱) .

ثم ملك بعده ابنه ملكيكر بن تبع (۱) [خمسا وثلاثين سنة] (۱) .

ثم ملك بعده تبع بن ملكيكر بن تبع (۱) وهو تبع أبو كرب أسعد

ابن ملكيكر بن أربعين سنة .

(۱) لا يوجد ما بين المعقوفين في ب (۲) في «أرخبعم بن سليمان» .

(۳) في «ياسر بن نعم بن يعفر» .

ثم ملك بعده كلال بن مثوب^(٢) ، أربعاً وسبعين سنة .
ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع^(٣) [ثلاثمائة سنة وستا وعشرين سنة]^(٤) .
ثم ملك بعده مرثد ، سبعاً وثلاثين سنة .
ثم ملك بعده أبرهة بن الصباح ، ثلاثاً وسبعين سنة .
ثم ملك بعد ذوشناتر^(٥) بن زرعة ، ويقال يوسف ، ويقال : بل اسمه^(٦)
عريب بن قطن ، تسعاً وثمانين سنة .
ثم ملك بعده خلنعة^(٧) ، ويعرف بذي الشنار ، أربعاً وثمانين سنة .
فذلك ألف [وتسعمائة سنة]^(٨) وسبع وعشرون سنة ، وإنما ذكرنا ما حكيناه
عن عبيد بن شريفة في ترتيب ملوكهم ، وتباين تواريخ سنيهم ، لنأتي على جميع
ما قبل في ذلك من التنازع ، والله ولي التوفيق .
ولما قتلت الحبشة معديكرب بن سيف بن ذي يزن - على حسب ما قدمنا -
في الرحبة بحرابهم كان بصنعاء خليفة لوهريز في جماعة من العجم ، ممن كان ضمهم
وهريز إلى معديكرب (فركبو) أتى على من كان هنالك من الحبشة ، وضبط
البلد ، وكتب بذلك إلى وهريز وهو يباب أنوشروان الملك ، وذلك بالمدائن من
أرض العراق^(٩) ، فأعلم وهريز بذلك الملك ، فسيره في البر في أربعة آلاف من
الأساورة ، وأمره بإصلاح اليمن ، وأن لا يبقى على أحد من بقايا الحبشة ، ولا على
جعد قطط قد شرك السودان في نسبه ، فأتى وهريز اليمن ، ونزل صنعاء ، فلم يترك
بها أحداً من السودان ولا من أنسابهم ، ومَلَكَ أنوشروان وهريز على اليمن إلى
أن هلك بصنعاء [ثم ملك بعده النوشجان بن وهريز إلى أن هلك بها] ثم ملك
بعده رجل من فارس يقال له سبجان ، ثم ملك بعده خرزاد ستة أشهر ، ثم ملك
بعده ابن سبجان ، ثم ملك بعده المرزبان وكان من أهل بيت مملكة فارس ، ثم
ملك بعده خر خسرو^(١٠) ، وكان مولده باليمن ، ثم ملك بعده باذان بن ساسان .

ملك فارس
باليمن

(١) في ب « كلال بن سويب » (٢) لا يوجد ما بين المعقوفين في ب .

(٣) في ا « ذو نواس زرعة » (٤) في ا « عريب بن قطن » .

(٥) في ب « حنيفة » . (٦) في ب « من أرض فارس » . (٧) في ب « حرحس » .

قال المسعودی : فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس ،
 وقد ملك اليمن رجل من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهو يعدُّ من
 ملوك اليمن واسمه هُنَيْبَةُ^(۱) بن أميم بن بدل بن مدين^(۲) بن إبراهيم الخليل
 عليه السلام ، وكان له شأن عظيم في (ملك) اليمن ، وطالت أيامه ، وذكره
 امرؤ القيس في شعره (فقال :

ملك اليمن
 في أبناء إبراهيم

وهينية الذي زادت قواه على زيدان إذ حان الزوال
 تمكن قائماً وبني طريقاً إلى زيدان أعيط لا ينال ()
 (ويقال : إنه منتبه بن أميم بن بدل بن لسان بن إبراهيم الخليل)
 وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظَفَّارٍ ، مثل آل ذي سحر وآل
 ذي الكلاع وآل ذي أصبح وآل ذي يزن ، إلا اليسير منهم فإنهم نزلوا غيرها
 وكان على باب ظَفَّارٍ مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود^(۳) :

عاصمة اليمن

يوم شيدت ظفار قيل : لمن أن ت ؟ فقالت : لحمير الأخيار
 ثم سئلت : من بعد ذلك ؟ فقالت : إن ملكي للأحباش الأشرار
 ثم سئلت : من بعد ذلك ؟ فقالت : إن ملكي لفارس الأحرار
 (ثم سئلت : ما بعد ذلك ؟ فقالت : إن ملكي إلى قريش التجار)
 (ثم سئلت : ما بعد ذلك ؟ فقالت : إن ملكي لحمير وصحار)
 وقليلاً ما يلبث القوم فيها منذ شيدت مَشِيدُهَا للبوار
 من أسودٍ يلقىهم البحر فيها تشعل النار في أعلى الديار
 وهذا خبر عن ملوك تداولوها ، أخبروا عن ملكهم قبل كونه ، فتداولتها
 (هذه) الملوك على حسب ما وصفناه ، وينتظر في المستقبل من الزمان ما ذكرنا من
 وقود النيران في أعلى الديار ، وعند أهل اليمن أن ديارهم سيغلب عليها الأحباش

(۱) في ب «هينية» وكذلك هو في الشعر المنسوب لامرئ القيس .

(۲) في ۱ « بن مدين » (۳) في ۱ « بالحجر الأسود ماصورته » .

في آخر الزمان بعد هنات وكواثن وأحداث ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى اليمن عمال كسرى ، ثم غلب الإسلام فظفر بحمد الله .
وقد أتينا على أخبار من ذكرناه من الملوك ، وسيرهم ، ومطافاتهم في البلاد
وحروبهم ، وأبنيتهم في سائر مطافاتهم ، في الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك
عن إعادته في هذا الباب .

وبلد اليمن طويل عريض : حده مما يلي مكة إلى الموضع المعروف بطلحة
الملك^(١) سبع مراحل ، ومن صنعاء إلى عدن - وهو آخر عمل اليمن - تسع^(٢)
مراحل ، والمرحلة من خمسة فراسخ إلى ستة ، والحد الثاني من وادي وحا إلى
ما بين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ، ويلى الوجه الثالث بحر اليمن
على ما ذكرنا أنه بحر القلزم والصين والهند ، فجميع ذلك عشرون مرحلة
في ست عشرة مرحلة .

وأسماء ملوك اليمن كذى يزن وذى نواس وذى منار وغير ذلك مضافة
إلى مواضع وإلى أفعال لهم وسير وحروب وغير ذلك ، وهى سمات لهم تميزهم عن
غيرهم ، وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم .

وإذ قد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة
من بنى نصر وغيرهم ، للحديث بهم باليمن ، ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم^(٣)
من الملوك ، إن شاء الله تعالى .

(١) فى ب «بلجة الملك» وهو تعريف ، وطلحة الملك : اسم واد باليمن

(٢) فى ا «سبع مراحل» .

(٣) فى ا «بملوك الشام من اليمن وغيرهم ، إن شاء الله» .

ذكر ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم

جذيمة الوضاح
ومقتله

ولما هلك جذيمة الوضاح وأتت عليه الزبّاء بنت عمرو بن ظرب بن حسان ابن أذينة بن السميدع بن هوبر ، وقد كان ملكاً من مشارق الشام^(١) إلى الفرات من قبل الروم ، وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيق^(٢) ، بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا ، وقد كانت الزبّاء تملك بعد أبيها ، وأطمعت جذيمة في نفسها إلى أن قتله ، وأقام جذيمة ملكاً في زمن ملوك الطوائف خمساً وتسعين سنة ، وفي ملكه أردشير بن بابك وسابور الجنود بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة ؛ فكان ملكه مائة وثمان عشرة سنة ، وكان يكنى بأبي مالك ، وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو سرّيد بن أبي كاهل اليشكري :

إن أذق حَتْفِي قَبْلِي ذاقَهُ طسم عاد وجديس ذو الشنع^(٣)
وأبو مالكِ القَيْلُ الذي قتله بنت عمرو بالخدع^(٤)

مالك بن فهم

وكان الملك قبل جذيمة أباه ، وهو أول من ملك الحيرة ، والله أعلم ، وكان يقال له مالك بن فهم بن دؤس بن الأزد بن الغوث [بن نبت^(٥)] بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزقيقياء ، فسار بنو جفنة نحو الشام ، وانفصل مالك نحو العراق فملك على مضر بن نزار اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك بعده ابنه جذيمة على ما ذكرنا .

عمرو بن عدى

ثم ملك بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث ابن مالك بن غنم بن نمارة بن نلّم ، وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها

(١) لعله « مشارف الشام » .

(٢) في ب « بالمضيق » .

(٣) في ب « ذو السبع » .

(٤) في ا « وأبو مالك الكهل » .

(٥) في ب « بن العوف بن مالك » ولم يذكر نبت .

منزلاً ودار ملكٍ ، وإليه تنسب الملوك النصرانية ، وهم ملوك الحيرة ؛ فكان ملك عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة مائة سنة .

قال السعدي : وقد ذكر غير واحد ممن عني بأخبار العرب وأيامها أن جَذِيْمَةَ أول من ملك من قُضَاعَةَ ، وهو جذيمة بن مالك بن فَهْمِ التَّنُوخِي ، وأنه قال ذات يوم لندمائه : لقد ذكر لي عن غلام من [لحم ، في أخواله من] إياد ، له ظَرْفٌ وأدب ، فلو بعثت إليه فوليته كأسى والقيام على رأسي لكان الرأي ، قالوا : الرأي ما رأى الملك ، فليبعث إليه ، ففعل ، فلما قدم عليه قال : من أنت؟ قال : أنا عدى بن نصر بن ربيعة ، فولاه مجلسه ، فعشقتة رَقَاشُ ابنة مالك أخت الملك ، فقالت : يا عدى ، إذا سقيت القوم فامزج لهم ، وَغَدَّقْ لِلْمَلِكِ ، فَإِذَا أَخَذَتْ الخمر منه فاخطبني منه فإنه يزوجك ، فأشهد القوم إن فعل ، ففعل الغلام ذلك [وخطبها] وزوجها به ، فأشهد عليه ، وانصرف الغلام إليها فأنبأها ، فقالت : عَرَّسَ بَاهْلِكَ ، ففعل ، فلما أصبح غدا متضرجاً بالخلوق ، فقال له جَذِيْمَةُ : ما هذه الآثار يا عدى؟ قال : آثار العرس ، وقال : وأي عرس؟ قال : عرس رقاش فنخَرَ وأكب على الأرض ، ورفع عدى جراميزه ، [وهرب] وأسرع جذيمة في طلبه ، فلم يجده ، وقال بعضهم : بل قتله ، وبعث إليها يقول :

حَدَّثْنِي رَقَاشٌ لَا تَكْذِبْنِي أَمْجَرٌ زَيْتٌ أَمْ بَهْجِينُ ؟

أَمْ بَعْدِي فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ أَمْ بَدُونٌ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِدُونِ ؟

فأجابته رقاش تقول :

أَنْتِ زَوْجَتِي وَمَا كُنْتُ أُدْرِي وَأَتَانِي النَّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ

ذَآكُ مِنْ شُرْبِكَ الْمَدَامَةَ صِرْفَاً وَتَمَادِيكَ فِي الصَّبَا وَالْمُجُونِ (١)

فنقلها جَذِيْمَةُ إليه ، وحصَّنها في قصره ، فاشتملت على حمل ، وولدت غلاماً فسمته عمراً ، ووشحته ، حتى إذا ترعرع حلَّته وعطرته وألبسته كسوة فاخرة ،

(١) في ب و الصبا والجنون .

ثم أزارته خاله ، فأعجب به ، وألقت عليه منه محبة [ومودة] حتى إذا خرج الملك في سنة مكلثة قد أكمأت ، فبسط له في روضة ، وخرج عمرو في غلعة يجتنون الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة طيبة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها ، ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يتقدمهم ، ويقول :

هذا جنای وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

فالتزمه جذيمة وحباه ، ثم إن الجن استطارته ، فضرب له جذيمة في الآفاق زمانا ، فلم يسمع له بخبر [فكف عنه] إذ أقبل رجلان يقال لأحدهما : مالك ، وللآخر : عقيل ، ابنا فالج ، وهما يريدان الملك بهدية ، فنزلا على ماء ، ومعهما قينة يقال لها أم عمرو ، فنصبت [لها] قدراً ، وأصلحت لها طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل رجل أشعث أغبر الرأس^(۱) قد طالت أظفاره وساءت حاله ، حتى جلس مزجراً الكلب ، ومد يده ، فناولته القينة طعاماً ، فأكل ، فلم يفت عنه شيئاً ، فمد يده ، فقالت القينة : إن تعط العبد كراعاً طلب ذراعاً ، فأرسلتها مثلاً ، ثم ناولت صاحبها من شرابها ، وأوكت زقها^(۲) ، فقال عمرو ابن عدى :

قصة
نديمي جذيمة

عدلت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمين

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا^(۳)

فقال له الرجلان : من أنت ؟ فقال : إن تنكراني فلن تنكرا حسبي^(۴) ، أنا عمرو بن عدى ، فقاما إليه فلتماه ، وغسلا رأسه ، وقاما أظفاره ، وقصرا من لته ، وألبساه من طرائف ثيابها ، وقالوا : ما كنا لنهدى إلى الملك هدية هي

(۱) في ۱ « رجل شعث الرأس وقد طالت أظفاره » .

(۲) في ۱ « وأوكت سقاءها » .

(۳) والبيتان ينسبان لعمرو بن معد يكرب وهما في طويلته .

(۴) في ۱ « فلن تنكرا نسي » .

أنفس عنده ولا هو عليها أحرص^(١) من ابن أخته ، قدرده الله إليه ، فخر جابه ، حتى إذا وقفا على باب الملك بشراه به [فسر به] و صرفه إلى أمه ، وقال لها : حُكْمًا ، فقالا : حكما منادمتك ما بقيت وبقينا ، قال : ذلك لكما ، فهما ندما نا جذيمة المعروفان ، وإياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعي في مرثيته لأخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد [بن المغيرة] يوم البطاح :

وكنا كندمانى جذيمة حقةً من الدهر حتى قيل : لن يتصدعاً
فلسا تفرقنا كائى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
وقال أبو خراش الهذلى :

ألم تعلمى أن قد تفرقَ قبلنا خيلا صفاء مالك وعقيل
وإن أم عمرو عمدت إليه ، فبعثت معه حفدة يقومون عليه فى الحمام ، حتى إذا خرج ألبسته من طرائف ثياب الملوك ، وجعلت فى عنقه ، وأقامن ذهب لنذر كان عليها ، ثم أمرته بزيارة خاله ، فلما رأى خاله لحيته والطوق فى عنقه قال : شب عمرو عن الطوق ، وأقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة أمره .

بين الزباء
وجذيمة

وإن الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان [بن أذينة بن السميدع بن هوبر] ملكة الشام والجزيرة من أهل بيت عاملة من العماليق كانوا فى سليح ، وقال بعضهم : بل كانت رومية ، وكانت تتكلم بالعربية ، مدائها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقى والغربى ، وهى اليوم خراب ، وكانت فى ما ذكر - قد سقت الفرات^(٢) [وجعلت من فوقه أبنية رومية] وجعلته أنقبا^(٣) بين مدائها ، وكانت تغزو بالجنود [قبائل] فخطبها جذيمة الأبرش ، فكتبت إليه : إنى فاعلة ، ومثلك من يرغب فيه ، فإذا شئت فاشخص إلى ، وكانت بكرا ، فجمع عند ذلك جذيمة أصحابه ، فاستشارهم ،

(١) فى ا ه ولا هو عليها أحسن صفدا من ابن أخته ه والصفد : العطاء .

(٢) فى ا ه قد شقت الفرات ه .

(٣) فى ا ه وجعلته أنقبا ه .

فأشاروا عليه بالمضي ، وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لخم ، فأمره أن لا يفعل ، ويكتب إليها ، فإن كانت صادقة أقبلت إليك ^(١) ، وإلا لم تقع في حبالها ، فعصاه وأطاعهم [وسار] حتى إذا كان ببقعة من دون هيت إلى الأنبار جمعهم وشاورهم فأمروه بالشخص إليها لئلا يروا من رأيه في ذلك ، وقال قصير : تنصرف ودمك في وجهك ، فقال جذيمة : ببقعة قضى الأمر ، فأرسلها مثلاً ، وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم ^(٢) : لا يطاع لقصير أمر ، فأرسلها مثلاً ، وظعن جذيمة ، حتى إذا عين مدينتها — وهي بمكان دون الخانوقة — ونظر إلى الكتاب [من] دونها ، فهاله ما رأى ، فقال : أي قصير ، ما الرأي ؟ فقال قصير : إني تركت الرأي ببقعة ، فقال عند ذلك : أشير علي ، فقال : إن لقيت الكتاب فحيتك بتحية الملك وانصرفوا أمامك فالمرأة صادقة ، وإن هم أخذوا بجنبك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم ، فأركب العصا فإنها لا تدرك ولا تسبق ، يعني فرساً كانت جنبت معه ^(٣) ، فاستقبله القوم وأحاطوا به ، فلم يركب العصا ، فعمد إليها قصير فركبها وحمل وانطلق ^(٤) ، فالتفت جذيمة فإذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به ، فقال جذيمة : ماضل من تجرى به العصا ، فأدخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كبعثاتها (أي عفلها) وتنظفت باستها ، وقالت : يا جذيمة ، أي متاع عروس ترى ؟ قال : أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر ، فقالت : أما والله ما ذاك من عدم مواس ، ولا قلة أواس ، ولكن شيمة ما أناس ، ثم أجاسته على نطع ، ودعت له بطست من عسجد ، فقطعت روائه وشه واستنزفته ، حتى إذا ضعفت قواه ضرب بيده فقطرت قطرة [من دمه] على دعامة من رخام ، وقد قيل لها : إنه إن وقع من دمه قطرة في غير طست طلب بدمه ،

(١) في « فإن كانت صادقة أقبلت إليه » .

(٢) في « حين رأى ما قد عزم عليه » .

(٣) في « يعني فرساً كانت تجنب معه » .

(٤) في « وختل الخيل وانطلق » .

فقلت : أي جذيمة ، لاتضعين من دمك شيئاً ، فإنني إنما بعثت إليك لأنه بلغني أن دمك شفاء من الخبل ، فقال جذيمة : وما يحزنك^(١) من دم أضاءه أهله !!؟ وفي ذلك يقول البعيث :

من الدارمين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخبل^(٢)

واستصفت دمه ، وجعلته في برنية ، وقال بعضهم : دخل عليها جذيمة في قصر لها ليس فيه إلا الجوارى ، وهي على سريرها ، فقالت للإماء : خذن بيدي سيدكن ، ثم دعت بنطع فأجلسته عليه [فعراف الشر] وكشفت عن عورتها فإذا هي قد عقدت شعر استها من وراء ، فقالت : أشوار عروس ترى ؟ فقال : بل شوار أمة بظراء ، فقالت : أما والله ما ذاك من عدم مَوَّاس ، ولا قلة أواس ، ولكنها شيمة ما أناس ، ثم أمرت برِواهشة فقطعت ، فجعل دمه يشخب في النطع كراهة أن يفسد مقعدها ، فقال جذيمة : لا يحزنك دم أراقه أهله .

عمرو بن
عدى يأخذ
بئار خاله

ونجا قصير ، فأورد الخبر على عمرو بن عبد الجن^(٣) التنوخي بالحيرة ، فأشفق لذلك ، فقال له قصير : اطلب بئار ابن عمك ، وإلا سببتك العرب ، فلم يحفل بذلك ، فخرج قصير إلى عمرو بن عدى ، فقال له : هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بئار خالك ؟ فضمن له ذلك ، فصرف وجوه الجنود إليه ، ومنامهم بالمال والحال ، فانصرف إليه منهم بشرٌ كثير ، فالتقى هو والتنوخي ، فلما خافوا الفناء تابعة التنوخي ، وتم الأمر لعمرو بن عدى ، فقال له قصير : انظر ما وعدتني به في الزباء ، فقال عمرو : وكيف لنا بها وهي أمنع من عقاب الجو ؟ فقال : أما إذ آبيت فإنني جادع أنتي وأذني ومحتال لقتلها جهدي ، فأعني وخلاك دم ، فقال له عمرو : أنت أبصر ، وعلى معونتك ، فجدع أنفه ، فقيل : لأمر ما جدع قصير أنفه ، ثم انطلق حتى دخل على الزباء ، فقالت : من أنت ؟ فقال :

(١) في ب « وما يغنيك من دم - إلخ » .

(٢) في ب « الهبة والخبل »

(٣) ف ب « بن عبد الحمى » .

أنا قصير ، لا ورب المشارق ما كان على وجه الأرض بشر كان أنصح
لجذيمة ولا أغش لك مني ، حتى جدد عمرو بن عدى أنقى وأذنى ، فعرفتُ
أنى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه مني معك ، فقالت : أى قصير ، تقبل
منزلتك ونصرفك فى بضائعنا ، فأعطته مالا للتجارة ، فأتى بيت مال الخيرة ،
فاستخف ما فيه بأمر عمرو بن عدى ، وانصرف به إليها ، فلما رأت ما جاءها
به فرحت بذلك ، وزادته مالا إلى ما جاء به ، وقال : إنه ليس من ملك إلا
وهم يتخذون فى مدائنهم أنقاباً^(١) تكون لهم عدداً ، فقالت له : أما إنى قد
فعلت ذلك ، قد نقت سرباً وبنيت من تحت سريرى هذا حتى أخرج من
تحت الفرث إلى سرير أختى رحيلة^(٢) ففرح بذلك قصير^(٣) ، ثم ظعن حتى
أتى عمرا ، فركب عمرو فى ألنى رجل على ألف بعير فى الصناديق^(٤) ، حتى صار
إليها ، فتقدم قصير وسبق الأبعرة ، فقال لها : اصعدى حائط مدينتك .
وانظرى إلى مالك ، وتقدمى إلى بوابك فلا يتعرض لشيء من أموالنا^(٥) ،
فإنى قد جئت بمال صامت^(٦) . وكانت قد أمنتته ، فلم تكن تخافه ، وصعدت
وفعلت ما أمرها ، فلما نظرت إلى ثقل مشى الجمال قالت :

مال للجمال مشيها وثيدا أجنذلا يحملن أم حديدا

أم صرفاناً باردا شديدا أم الرجال جثماً قعودا ؟

ودخلت الإبل المدينة ، حتى إذا بقى آخرها جملاً عيل صبر البواب ، فظعن
بمنخسة كانت فى يده خاصة رجل فضرط ، فقال البواب : بشتابشتا^(٧) ، وهى بالنبطية
أى : فى الجوالق شر ، وثار الرجال من الجوالق ضرباً بأسيا فهم ، فخرجت الزباء
هاربة إلى سربها ، فأبصرت قصيراً عند نهبها مُصلاً سينه ، فانصرفت راجعة ،

(١) فى اء أنفاقا .

(٢) كذا فى ا ، وفى بء دخلة . وذكر فى هامشها أن فى نسخة « زبيبة » .

(٣) فى اء فخرنها قصير .

(٤) فى اء فى الجوالق .

(٥) فى اء من أعكنا .

(٦) فى اء بشتا لشقا .

(٧) حفظى « بما صأى وصمت » .

وتلقاها عمرو بن عدى ، فضربها . وقال بعضهم : مصت خاتمها ، وكان فيه
سم ساعة ، وقالت : بيدي لا بيد عمرو ، وخربت المدينة ، وسببت الدراري ،
فقلت الشعراء في أمرها وأمر قصير فأكثر ؛ فمن ذلك قول المتلمس :
ومن طلب الأوتار ما حرز أنفه قصير ، ورام الموت بالسيف يمهس^(١)
[نعاماً لما سرع القوم رهطه تبين في أثوابه كيف يلبس]^(٢)
^(٣) [ومن ذلك قول عدى بن زيد التيمي يصف ذلك من أمرهم :
ألا يا أيها الملك المرجى ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقة الأمراء يوماً جذيمة عام ينجوهم ثبيناً^(٤)
وطاوع أمرهم ، وعصا قصيرا وكان يقول - لو وقع - اليقينا
لخطبته التي غدرت وخانت وهن ذوات غائلة ، لحيناً]^(٥)
مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك .

وكانت الزباء لا تأتي حصناً إلا ضفرت شعر أستها من خلفه^(٥) ، ثم تقاعست
فتقلعه ، حتى فعلت ذلك بمارد - حصن دومة الجندل - وبالأبلق - حصن
تباء - حصنين منيعين ، فقالت : تمرد مارد وعز الأبلق [فذهبت مثلاً] ، وهما
الحصنان اللذان تذكرهما العرب في أشعارها [كثيراً] ، قال الأعشى في ذلك :
بالأبلق الفرد من تباء منزلة حصن حصين وجار غير غدار
[وجذيمة الواضح الذي يقول فيه :

ماست مودعة الحديد فمجد منهم وغائر

(١) في ا « ما جذ أنفه » . (٢) هذا البيت لا يوجد في ا .

(٣) هذه الزيادة لا توجد في ا

(٤) في ب « دعا بالبقة » وهو تحريف . وانظر يا قوت « بقة » ووقع عجز
هذا البيت في ب « جذيمة عصره ينجو معينا » والكلام غير مستقيم .

(٥) في ا « قلما تأتي حصناً إلا صفرت باستها من خلفها وتقاعست به فتقلعه »

(٧ - مروج الذهب ٢)

أن تاه أخوَرُ ذو رعين لنا وأحوى ذو أباعر
والملك كان لدى نوا س حوله من ذى بحائر
بالسيفات وبالقنا والبيض تبرق ولفافر^(١)
أزمان عملاق وفيهم منهم بادٍ وحاضر [
وإنما سمي جذيمة الأبرش الوضاح لأنه كان به برصٌ، فكنى عنه إعظاماً له^(٢)]
قال المسعودي : هذا بدء خبر بني عدى^(٣) ، وقد قدمنا أن مدة ملكه
كانت [مائة سنة^(٤)] .

بقية
ملوك الحيرة

وملك بعده ولده امرؤ القيس بن عمرو بن عدى سنين سنة .
وملك بعده عمرو بن امرئ القيس ، وهو مُحَرَّقُ العرب^(٥) خمسا وعشرين
سنة ، وكانت أمه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان .
وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس^(٦) خمسا وستين سنة ، وكانت
أمه الهيجانة بنت سلول من مراد ، ويقال : من إياد .
وملك المنذر بن النعمان [ابن امرئ القيس خمسا وعشرين سنة ، وكانت
أمه الفراسية بنت مالك بن المنذر ، من آل نصر .
وملك النعمان بن المنذر] فارس حليلة ، وهو الذي بنى الخوزنق وكردس
الكراديس [خمسا وثلاثين سنة ، وكانت أمه هند] بنت زيد مائة من آل غسان
وملك الأسود بن النعمان ؛ عشرين سنة ، وكانت أمه هند [بنت الهيجانة ،
من آل نصر .

وملك المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر أربعاً وثلاثين سنة ، وكانت
أمه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن هيثم بن أفضى بن دعى بن جديلة
ابن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ وإنما سميت ماء السماء لحسنها وجمالها .

(١) في نسخة « السابقات وبالقنا » (٢) في ب « فكنى به إعظاماً له » .

(٣) في ا « بدء خبر عمرو بن عدى » (٤) في ب « مدة ملكه سنة » .

(٥) في ا « محرق الحرب » (٦) في ا « قائد الفرس » .

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر ، أربعاً وعشرين سنة ، وكانت أمه حليلة بنت الحارث من آل معد يكرب .

وملك المنذر بن عمرو بن المنذر ، ستين سنة ، وكانت أمه أخت عمرو بن قابوس من آل نصر .

ثم ملك قابوس بن المنذر ثلاثين سنة ، وكانت أمه هند بنت الحارث ، من آل معاوية بن معديكرب .

وملك النعمان بن المنذر ، وهو الذي يقال له : « أبيت العين ! » اثنتين وعشرين سنة ، وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كلب .

بين النابغة
والنعمان

وذكر عدة من الأخباريين أن النابغة استأذن على النعمان يوماً ، فقال له الحاجب : إن الملك على شرابه ، قال [النابغة] : فهو وقت الملقى ، تقبله الأفئدة ، وهو جذل للرحيق [والسماع] ، فإن تاج تلق المجد عن غرر مواهبه^(١) ، فأنت قسيم ما أفدت ؛ قال له الحاجب : ما تنى عنايتي بدون شكرك ، فكيف أرغب فيما وصفت ودون ماطلبت رهبة التعدي ؟ [فهل من سبب ؟] قال النابغة : ومن عنده ؟ قال الحاجب : خالد بن جعفر الكلابي نديمه ، فقال النابغة : هل لك إلى أن تؤدي إلى خالد عنى ما أقول لك ؟ قال : وما هو ؟ قال : تقول إن من قدرك وفاء الدرك بك وناحيتي من الشكر ما قد علمت ، فلما صار خالد إلى بعض ماتبعته موارد الشراب عليه نهض ، فاعترضه الحاجب ، فقال : ليهنك [أبا البسام] حادث النعيم^(٢) ، قال : وما ذلك ؟ فأخبره الخبر ، وكان خالد رفيقاً ، يأتي الأشياء^(٣) بلطف وحسن بصيرة ، فدخل مبتسماً ، وهو يقول :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
واللات لكأني أنظر إلى [أملاك] ذير عين ، وقدمت لهم قضبان المجد^(٤) إلى

(١) في ا « فإن ملق فلق المجد عن مواهبه » والعبارةتان قلفتان .

(٢) في ب « ليهنك الشام حادث النعيم » .

(٣) في ا « يأتي الأشياء » (٤) في ا « قصبات المجد » .

[معالم أحسابكم] ، ومناقب أنسابكم ، في حلبة أنت - أبيت اللعن ! - غرّتها
فجئت سابقاً متمهلاً ، وجاؤا لم يلم لهم سعى ، قال النعمان : لأنت في وصفك
أبلغ إحساناً من النابغة في نظام قافيته ، فقال خالد : ما أبلغ فيك حسناً ،
إلا وهو دون قدرك استحقاقاً للشرف الباهر ، ولو كان النابغة حاضراً
لقال وقلنا ، فأمر النعمان بإدخاله ، فخرج [إليه]^(١) الحاجب ، [فقال
النابغة : ما وراءك]^(١) فقال : قد أذن بفتح الباب ، ورفع الحجاب ، ادخل ،
فدخل ثم انتصب بين يديه ، وحياه بتحية الملك ، وقال : أبيت اللعن !
أتفاخرُ وأنت سائس^(٢) العرب ، وغرة الحسب ، واللاتِ لأمسك أيمنُ
من يومه ، ولقفاك أحسن من وجهه ، وليسارك أسمح من يمينه ، ولو عدك
أصلح من رِفده ، ولعبيدك أكثر من قومه ، ولائمك أشهر من قدره ،
ولنفسك أكبر من جده^(٣) ، وليومك أشرف من دهره ، ثم قال :

أخلاق مجدك جلت ما لها خطر في الجود والبأس بين العلم والخبر
مُتَوَجِّجٌ بالمعالي فوق مَفْرِقِهِ وفي الوَغَى ضَيْغَمٌ في صورة القمر
فتهلل وجه النعمان بالسرور ، ثم أمر فحشى فوهُ جوهراً ، ثم قال : بمثل
هذا فلتمدح الملوك .

وقد كان النعمان قتلَ عدى بن زيد العبادي ، وكان يكتب لكسرى
أبرويز بالعربية ، ويترجم له إذا وفد عليه زعماء العرب ؛ لموجدة وجدها عليه
النعمان ، في خبر طويل الشرح ، فلما قتل صار زيد بن عدى ابنه مكان أبيه ،
فذكر لأبرويز جمال نساء آل المنذر ، ووصفهن له ، فكتب إلى النعمان يأمره أن
يبعث إليه بأخته ، فلما قرأ النعمان كتابه ، قال للرسول - وهو زيد بن عدى - :
يازيد ، أما لكسرى في مَهَا السواد كفاية حتى يتخطى إلى العربيات ؟ ! فقال
زيد : إنما أراد الملك إكرامك - أبيت اللعن ! - بصهرك ، ولو علم أن ذلك يشق
عليك لما فعله ، وسأحسن ذلك عنده ، وأعدرك بما يقبله ، فقال له النعمان : فافعل ،

بين النعمان
وزيد بن عدى
وكسرى

(١) زيادة في (٢) في ب «سائد العرب» (٣) في ١ «أكرم من جده»

فقد تعرف ما على العرب في تزويج العجم من الغضاضة والشناعة^(١) ، [فلما انصرف إلى كسرى أخبره أنه رغب عنه] فأدى إليه قوله في مَهَا السواد على أقبح الوجوه ، وَأَوْجَدَهُ عَلَيْهِ ، وقال : ما لها ؟ فقال : البقر ، [فأخذ عليه] وقال : رَبَّ عَبْدٍ قَد صَارَ فِي الطغْيَانِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا ، فلما باغت كلمته [إلى] النعمان تخوّفه ، فخرج هارباً حتى صار إلى طيء ، لصهر كان له فيهم ، ثم خرج من عندهم حتى أتى بني رَوَاحَةَ بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس ، فقالوا له : أقم معنا فإننا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا ، فجزّاهم الخير ، ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه ، وذلك قول زهير بن أبي سلمى :

ألم ترَ للنعمانَ كَانَ بِنَجْوَةٍ	من الدهر لو أن امرأَ كَانَ نَاجِيَاً
فغيرَ عنه ملكَ عشرينَ حجة	من الدهرِ يَوْمٌ واحدٌ كَانَ غَاوِيَاً
فلم أرَ مسلوباً له مثلَ ملكه	أَقَلَّ صَدِيقًا مَعْطِيَاً أَوْ مَوَاسِيَاً
خَلَا أَن حَيًّا مِنْ رَوَاحَةَ حَافِظُوا	وَكَانُوا أَنَاسًا يَتَّقُونَ المَخَازِيَاً
يسرون حتى جِيشُوا عند ثَأْرِهِ	هِجَانَ المطايا والعقاق المَذَاكِيَاً ^(٢)
فَجَازَاهُمْ خَيْرًا وَأَثْنَى عَلَيْهِمُ	وودَّعهم توديع أن لا تَلَاقِيَاً ^(٣)

وأقبل النعمان حتى أتى المدائن ، فصَفَّ له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصبغات صفين ، فلما صار النعمان بينهن قلن له : أما فينا للملك غنى عن بقر السواد !؟ فلم النعمان أنه غير ناج منه ، ولقيه زيد بن عدى ، فقال له النعمان : أنت فعلت هذا بي ، لئن تخلصت لأسقينك بكأس أيبك ، فقال له زيد : امض نعيمٌ ، فقد أخيت لك أخية لا يقطعها المهر الأرن ، وأمر كسرى بالنعمان ، فحبس بساباط المدائن ، ثم أمر به فرمى تحت أرجل الفيلة ، رمل

(١) في ١ « من الغضاضة والبشاعة » .

(٢) في ١ « يسرون حتى خيموا عند بابه » .

(٣) في ١ « فقال لهم خيراً » وفيها « وودعهم حياً وداع التلاقيا » .

بعضهم : بل مات في محبسه بساباط ، وقد ذكرت ذلك الشعراء فأكثر ؛
فمن ذلك قول الأعشى وأجاد :

ولا الملك النعمان يومَ لقيته بغبطته يعطى الصكاك ويرفق
[ويحبي إليه المسلمون ، وعنده صريعون في أنهارها وأنخوزنق]^(١)
ويقسم أمر الناس يوماً وليلة وهم ساكتون والمنية تنطق
فذاك ، وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محزرق^(٢)
وقال هانيء بن مسعود الشيباني :

إن ذا التاج ، لا أبالك ، أضحي في الوري رأسه تخوت الفيول
إن كسرى عدًا على الملك النعمان حتى سقاءه مر البليل
[ومما رثي به النعمان :

لم تبكه هنـد ولا أختها خرقاء ، واستعجم ناعيه
بين فيول الهنـد تخبطنه محتبباً تدمي نواحيه]

وقد كان النعمان حين أراد المضي إلى كسرى [مستسلماً] مر على بني شيبان فأودعهم سلاحه وعباله عند هانيء بن مسعود (بن هانيء) الشيباني ، فلما أتى كسرى على النعمان بعث إلى هانيء بن مسعود ، وطالبه بتركته ، فامتنع ، وأبى أن يخفر الدمة ، فكان ذلك السبب الذي أهاج حرب ذي قار ، وقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط فأغنى عن إعادته هنا .

وقد كانت حرقه بنت النعمان بن المنذر إذا خرجت إلى بيعة يفرش لها
طريقها بالحريز والديباج ، مغطى بالخز والوشى ، ثم تقبل في جواربها حتى تصل
إلى بيعتها ، ورجع إلى منزلها ، فلما هلك النعمان نكبها الزمان ، فأنزها من الرفعة
إلى الذلة ، ولما وفد سعد بن أبي وقاص القادسية أميراً عليها لما هزم الله الفرس
وقتل رستم ، فأتت حرقه بنت النعمان في حفدة من قومها وجواربها وهن في زيها
عليهن السوح والمقطعات السود ، مترهبات تطلب صلته ، فلما وقفن بين يديه

بنت النعمان
عند سعد
ابن أبي وقاص

(١) هذا البيت لا يوجد في (٢) في نفسه ... مات وهو محزرق .

أنكرهن سعد ، فقال : أفيكن حرقة ؟ قالت : ها أنا ذم ، قال : أنت حرقة ؟ قالت : نعم ، فما تكرارك في استفهامي ؟ ثم قالت : إن الدنيا دار زوال ، ولا تدوم على حال ، تنتقل بأهلها انتقالاً ، وتُعقبهم بعد حال حالاً ، كنا ملوك هذا المصر يُجبي لنا خراجاً ، ويطيعنا أهل مدى المدة وزمان الدولة ، فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر ، فصدع عصانا وشتت شملنا^(١) ، وكذلك الدهر ياسعد ، إنه ليس يأتي قوماً بمسرة إلا ويعقبهم بحسرة ، ثم أنشأت تقول :

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف^(٢)
فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

[فقال سعد : قاتل الله عدى بن زيد ، كأنه ينظر إليها حيث يقول :

إن للدهر صولة فأحذرنا لا تبيننّ قد أمنت الدهورا
قد بيت الفتى معاني فيردى ولقد كان آمناً مسرورا]^(٣)

قال : فبينما هي واقفة بين يدي سعد إذ دخل عمرو بن معديكرب ، وكان زوّاراً لأبيها في الجاهلية ، فلما نظر إليها قال : أنت حرقة ؟ قالت : نعم ، قال : فما دهمك فأذهب محمودات شيمك ، وأين تتابع نعمتك وسطوات نفمتك ؟ فقالت : يا عمرو ، إن للدهر [لسطوات و] عثرات وعبرات ، تعثر بالملوك وأبنائهم ، فتخفضهم بعد رفعة ، وتفردهم بعد منعة ، وتذلهم بعد عزة ، إن هذا لأمر كنا نتنظره ، فلما حل بنا لم ننكره ، قال : فأكرمها سعد ، وأحسن جائزتها ، فلما أرادت فراقه قالت : حتى أحييك بتحية^(٤) ملوكنا بعضهم لبعض ، لا نزع الله من عبد صالح نعمة إلا جعلك سبباً لردّها عليه !

(١) في ١٥ وشتت ملأنا .

(٢) كذا في ب ، وحفظي « إذا نحن فيهم سوقة نتنصف » ، وكذلك هو في ا .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ا . (٤) في ب « حتى أحتك بتحية » محرفاً .

ثم خرجت من عنده فلقبها نساء المدينة ، فقلن لها : ما فعل بك الأمير ؟ قالت :
[حاط لي ذمتي ، و] أكرم وجهي ، إنما بكرم الكريم الكريم .

[وسند ذكر خبر هند بنت النعمان مع المغيرة بن شعبه أيام إمرته على الكوفة ،
فيما يرد من هذا الكتاب ، عند ذكرنا لأخبار معاوية بن أبي سفيان] .

قال أبو الحسن علي بن الحسين السعدي : فهؤلاء ملوك الحيرة إلى أن ظهر
الإسلام ، فأظهره الله ، وأذل الكافرين ، فجميع من سَمَّينا من هؤلاء الملوك من
ولد عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرش ، على حسب ما قدمنا آنفاً في صدر
هذا الباب ، ثم جاء الإسلام وملك الفرس كسرى أبرويز بن هرمز ، فملك على
العرب بالحيرة إياس بن قبيصة الطائي ، فكان ملكه تسع سنين ، ولثمانية
أشهر^(١) ، مَضَتْ من ملك إياس ، كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس ، وقد كان قبل عمرو بن عدى ملوك على الحيرة
على حسب ما ذكرنا ، وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكاً من
بني نصر وغيرهم من العرب والفرس ، وكان مدة ملكهم ستاً وستة وستين
وعشرين سنة وثمانية أشهر ، وقد قيل : إن عُمران الحيرة وبدوه إلى أن خربت
في وقت بناء الكوفة ، كان خمسمائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة^(٢) .

خراب الحيرة قال السعدي : ولم يزل عُمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا إلى صدر
من أيام المعتضد ، فإنه استولى عليها الخراب ، وقد كان جماعة من خلفاء
بني العباس - كالسفاح ، والمنصور ، والرشد ، وغيرهم - ينزلونها وَيَصِلُونَ^(٣)
المقام بها لطيب هوائها ، وصفاء جوهرها ، وصحة تربتها ، وصلابتها ، وقرب
الخورتق ، والنجف^(٤) منها ، وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان ،

(١) في ا ، ولست سنين وثمانية أشهر . (٢) في ا ، كان خمسمائة سنة ونيفاً .

(٣) في ا ، ويطلبون المقام بها ، وفي ب « ويطلبون المقام بها » .

(٤) كذا في ا ، وفي ب « التحف » .

فلحقوا بغيرها من البلاد ، لتداعى الخراب إليها ، وأقفرت [من كل أنيس]
في هذا الوقت [ليس بها] إلا الصّدَى والبُومُ ، وعند كثير من أهل الدراية
[التامة] بما يحدث في المستقبل من الزمان : أن سَعدها سيعود بالعمران ،
وأن هذا النحاس عنها سيزول ؛ وكذلك الكوفة .

قال المسعودى : ولبن سميّنا من ملوك الحيرة أخبار وسير وحروب
قد أتينا على ذكرها وَالغُرَرِ من مبسوطها في كتابنا « أخبار الزمان » ،
[وفيما بعد من هذا الكتاب] فأغنى ذلك عن إعادته [في هذا الباب] .

ذكر ملوك الشام من اليمن ، من غسان وغيرهم [من الملوك]

أول ملوك الشام كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن بغور^(١) .
ثم ملك بعده يوتاب^(٢) ، وهو أيوب بن رزاح^(٣) ، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه ، وما اقتص من أمره ، ثم غلبت الروم^(٤) على ديارها ، ففرقوا في البلاد ، وكانت قضاة بن مالك بن حمير أول من نزل الشام ، وانضافوا إلى ملوك الروم ، فلكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب .

تنوخ ونسبها وكان أول من ملك من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ، ثم ملك بعده الحواري بن النعمان ، ولم يملك من تنوخ إلا من ذكرنا ، وهو تنوخ بن مالك بن قهم بن تيم اللات بن الأزد بن وبرة بن ثعابة بن حلوان [بن عمران] بن إلخاف بن قضاة بن مالك بن حمير .

وقد تنوزع في قضاة : أمن معد كان أم من قحطان ؟ فقضاة تأتي أن تكون من معد ، وتزعم أنها من قحطان ، على ما ذكرنا .

وقد قيل في نسب قضاة واتصالها بحمير غير ما ذكرنا من النسب .

سليح ونسبها ثم وردت سليح الشام فغابت على تنوخ ، وتنصرت فملكها الروم على العرب الذين بالشام ، [وهم ولد سايخ بن حلوان بن عمران بن إلخاف بن قضاة ، فاستقام ملك سليح بالشام] وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة عمرو بن عامر مزقياء ؛ فسارت غسان إلى الشام وهم من ولد مازن ، وذلك أن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن

يشجب بن يعرب بن قحطان ولد مازن ، وإليه ترجع جميع قبائل غسان ، وإنما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك [وهو ما بين زبيد ورمع ، وادي الأشعريين بأرض اليمن] وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري :

(١) في ب « فالغ بن هور » (٢) في ب « سومات »

(٣) في ا « بن رزاح » (٤) في ا « ثم غلبت اليمن على ديارها »

إِمَّا سَأَلْتِ فَإِنَّا مَعَشْرُ نَجْبٍ الْأَزْدِ نَسَبْتُنَا ، وَالْمَاءُ غَسَّانُ
وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقياء ، وخبر سيل
العرم ، وتفرقهم في البلاد ، وخبر الماء المعروف بغسان ، وقد ذكر أن
عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقبلاً على هذا الماء إلى أن أدركه
الموت ، وكان عمره ثمانمائة سنة : أربعمائة سوقة ، وأربعمائة ملكاً .

وغابت غسان على من بالشام من العرب ، فللكها الروم على العرب ، ملك غسان
فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام : الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة
ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن^(١) ، وهو غسان بن الأزد بن الغوث .
ثم ملك بعده الحارث بن ثعلبة [بن جفنة]^(٢) بن عمرو [بن عامر بن حارثة]
وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ، وذكر أنها
مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور وهو كندة ، وهي التي
ذكرتها الشعراء في أشعارها ، وتنسب جماعة من ملوك غسان إليها .
وملك بعده النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو .
[ثم ملك بعده المنذر أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو .
ثم ملك بعده عوف بن أبي شمر .
ثم ملك بعده الحارث بن أبي شمر] فكان ملكه حين بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وذكر عدة من الأخباريين أن حسان بن ثابت الأنصاري زار الحارث بن
أبي شمر الغساني بالشام - وكان النعمان بن المنذر اللخمي [ملك الحيرة]
يساميه - فقال له وهو عنده : يا ابن الفريعة ، لقد نبئت أنك تفضل النعمان
على ، فقال : وكيف أفضله عليك ! فوالله لقفاك أحسن من وجهه^(٤) ،

(١) في ب « ماس بن غسان » محرفاً (٢) مقط ما بين المعقوقين من ا

(٣) في ب « نور بن كندة » (٤) انظر ص ١٠٠ السابقة

ولأهلك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود
من يمينه ، ولحرمانك أنفع من نداءه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولثمادك
أمرع من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجداؤك أغور من
بحره^(١) ، وليومك أطول من شهره ، ولشهرك أمد من حوله ، ولحولك
خير من حقه ، ولزندك أوري من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، وإنك
من غسان وإنه من لحم ، فكيف أفضله عليك أو أعدله بك ؟؟ فقال :
يا بن الفريرة ، هذا لا يسمع إلا في شعر ، فقال :

ونبت أن أبا منذر يساميك للحارث الأصغر
قفاؤك أحسن من وجهه وأمك خير من المنذر^(٢)
ويشري بديك على عشرها كيمنى يديه على المعسر

جبله بن الأيهم ثم ملك بعده جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن
عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن [مازن، وهو غسان بن]
الأزد بن الفوث ، وهو الملك الذي امتدحه حسان بن ثابت الأنصاري ،
حيث يقول في شعر طويل :

أشهرتها فإن ملكك بالشا م إلى الروم فخر كل يماني
وفيه يقول أيضاً :

لمن الدار أقفرت بمعان بين أعلى اليرموك والصمان
من قريات من ثلاثين عدت ناسكا منه بالقصور الدواني
قد دنا الفصح والولائد بنظام سراعاً أكلة المرجان
ذاك معنى لآل جفنة في الدهر ، وحقاً تصرف الأزمان
صلوات المسيح في ذلك الدهر دعاء القيس والرهبان

(١) في ١٥ أغزر من بحوره ،

(٢) في ب «قفاك» ووزن البيت عليه لا يستقيم ، ومد القصور يقع في الشعر

وهذه مواضع وقرى من غوطة دمشق وأعمالها بين الجولان واليرموك .
وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان وغيرها ، من غوطة دمشق منازل غسان
وأعمالها ، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام .

وَجَبَلَةَ [بن الأيهم] هو الذي أسلم وارتدَّ عن دينه خوف العار وَالْقَوَدِ من
اللَّطْمَةِ ، وخبره واضح مشهور ، قد أتينا على ذكره فيما ساف من كتبنا ،
وسأثر أخبار ملوك تنوخ وسليح [وغسان] وغيرهم ممن ملك الشام ، ودعاء
النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن أبي شمر الغساني إلى الإسلام
وترغيبه في الإيمان ، وقد أتينا على خبره وما كان من أمر إسلامه
وأخباره مع النبي صلى الله عليه وسلم في كتابنا « أخبار الزمان » ، وفي
أبيه يقول النابغة :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث الأصغر ، والحارث خير الأنام
ثم لهند ولهند ، وقد أسرع في الخيرات منه أمام
وخمسة آباؤهم ما هم أكرم من يشرب صوب الغمام

فجميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد شر ملكا ، وقد كان بالشام
ملوك ببلاد مادب^(١) من أرض البقاء من بلاد دمشق ، وكذلك مدائن
قوم لوط من أرض الأردن وبلاد فلسطين ، وكانت خمس مدن ، وكانت
دار المملكة منها ، والمدينة العظمى مدينة سدوم ، وكانت سمة كل ملك
يملكها بارعا^(٢) ، وكذلك ذكر في التوراة ، وذكرت أسماء هذه المدن ،
أعرضنا عنه ؛ إذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار .

(١) في ب « مأرب » وليس بذلك

(٢) في ب « قارعا »

وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان وَمَعْدَةَ ملوك كثيرة لم تتعرض لذكرها ؛ إذ كان لا أسماء لهم تعميم وتشهرهم ، كقولنا الخليفة وقيصر وكسرى والنجاشي ، ولثلا يطول الكتاب بذكرهم .

وقد أتينا على سائر ملوك العرب من معد وقحطان وغيرهم ممن وسم بالملك في بعض الممالك في سائر الأمم الخالية ، والممالك الباقية ، من البيضان والسودان ، ممن أمكن ذكره وتأتى لنا الإخبار عنه ، وإنما ذكرنا في هذا الكتاب من الملوك من اشتهر ملكه ، وعرفت مملكته ميلا إلى الاختصار ، وطلباً للإيجاز ، وتنبهت على ما سلف من أخبارهم في كتبنا المتقدم ذكرها من تصنيفنا ، والله الموفق .

ذكر البوادي من العرب ، وغيرها من الأمم

وعلة سكنها أبدؤ ، وجمل من أخبار العرب

وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

قد تقدم ذكرنا لولد قحطان ، وأن من عداهم من العرب العاربة دثرت من عاد وطسم وجديس وعملاق وجرم وثمود وعبيل ووبار ، وسائر من سمينا ، وأن من بقي ممن ذكرنا دخلوا في العرب الباقية إلى هذا الوقت ، وهم قحطان ، ومعد ، ولا نعلم أن قبيلة بقي يشار إليه في الأرض من العرب الأولى غير معد وقحطان ، وذكرنا من طاف البلاد من [ملوكهم ، مثل] التبابعة والأذواء ، ومن شيد البنيان في الشرق والغرب ، ومصر الأمصار ، وبنى المدن الكبار ، كإفريقس بن أبرهة ، وما بنى بالمغرب من المدن كمدينة إفريقية وصقلية ، وما كور من الكور هنالك ، وما اتخذ من العمار ، وكشير شمر إلى أرض المشرق ، وبنياه سمرقند ، ومن خلف هنالك من حمير بها ، وبلاد التبت والصين ، وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ممن سلف وخلف .

وقد افتخر دعبيل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يرد فيها على الكميت ،
 وفخر دعبيل بمن سلف من ملوكهم ومسيرهم في الأرض^(١) ، [وأن لهم من
 الفضل ما ليس لمعد بن عدنان ، فقال في شعره :

هُمُ كَتَبُوا الْكِتَابَ بِبَابِ مَرَوْ وَبَابِ الصِّينِ كَانُوا الْكَاتِبِينَ
 وَهُمْ جَمَعُوا الْجَمْعَ بِسَمَرْقَنْدٍ وَهُمْ غَرَسُوا هُنَاكَ التَّبْتِينَ^(٢)

(١) في باب « وسير في الأرض »

(٢) زيادة عن باب وحدها . ووقع في مكانه « وقد ذكرنا طرفاً من قوله ذلك

فما تقدم من هذا الكتاب »

وقد كان لليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ، ممن تقدم وتأخر منهم ، حتى ينقاد إلى ملكه أهل الشجر وحضرموت ، فحينئذ يستحق أن يسمى تبعا ، ومن تخلف عن ملكه من ذكرنا سمي ملكا ، ولم يطلق عليه اسم تبع ، وقد قال الله عز وجل في قصة قريش وتفاخرها بقوتها وعددها : (أم قوم تبع - الآية) حين دخل الحرم فبعث الله عليه الظلة ، وإنما سمي تبعا بمن تبعه ، وكذلك حكى عن عبد الله بن العباس .

بين تبع وقباد
ملك الطوائف

وقد كان تبع أبو كرب سار في الأرض ، ووطىء الممالك وذلها ، ووطىء أرض العراق في ملك الطوائف ، وعميد الطوائف حينئذ جوذر بن سابور ، فلقى أبو كرب ملكا من الطوائف يقال له قباد ، وليس بقباد بن فيروز من الساسانية ، فانهزم قباد ، وأتى تبع أبو كرب على ملكه ، وملك العراق والشام والحجاز وكثيراً من الشرق .

وفي ذلك يقول تبع ويذكر ما صنع :

[وَرَدَ الْمَلِكُ تَبَعَ وَبَنُوهُ وَرَثُوهُمْ جَدُودُهُمْ وَالْجُدُودُ]^(۱)
 إِذْ جَنَّبْنَا جِيادَنَا مِنْ ظَفَارٍ ثُمَّ سَرْنَا بِهَا مَسِيرًا بَعِيدًا^(۲)
 فَاسْتَبَحْنَا بِالنَّخِيلِ مَلِكَ قَبَادٍ وَابْنَ أَفْلُوذٍ قَائِمًا مَضْفُودًا^(۳)
 فَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مُلَاءً مُقَصَّبًا وَبُرُودًا
 وَأَقْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا^(۴)
 [ثُمَّ طَفْنَا بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَسَبْعًا وَسَجَدْنَا عِنْدَ الْمَقَامِ سَجُودًا]^(۱)
 وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

لَسْتُ بِالتَّبَعِ الْبِمَانِيِّ إِنَّمَا لَمْ تَرَكْضِ الْخَيْلِ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ
 وَتَوَدَّى رِبْعَةَ الْخَرْجِ قَسْرًا أَوْ تَعْقَى عَوَاتِقَ الْعَوَاقِ
 وقد كانت لنزار بن معد معه وقائع وحروب كثيرة، واجتمعت عليه معد بن

(۱) هذا البيت ساقط من ۱ (۲) في ب • إذ جينا جيانا من ظفار •

(۳) في ۱ • وابن أفلوذ جاءني مضفوداً • (۴) في ب • وجعلنا لبابه إقليداً •

ربيعه ومضر وإياد وأنمار ، وتداعت بجدها نزار ، وتواهبت ما كان بينها من الدماء والنار^(١) ، فكانت لهم عليه ؛ ففي ذلك يقول أبو ذؤاد الإيادي :
ضربنا على تَبَعِ جِزِيَةِ جِيَادِ الْبُرُودِ وَخَرَجَ الْذَهَبُ^(٢)
وولي أبو كرب هاربا وكان جباناً كثير الرّهب^(٣)
[وأتبعه فهوى للجبين وكان العزيز بهامن غلب]^(٤)

وقد ذكرنا في الكتاب الأوسط^(٥) بدء النسب من إبراهيم عليه الصلاة والسلام وولد إسماعيل وتفرق النسب^(٦) إلى نزار بن معد [وتشعب الناس من نزار بن معد] بن عدنان ، فلنذكر الآن في هذا الموضع خبر ولد نزار الأربعة مع الأفعى بن الأفعى الجرهمي ، ثم نعقب ذلك بما إليه قصدنا في هذا الباب من هذا الكتاب ، من علة مكنى البوادي من العرب البدو وغيرهم ممن سكن الجبال والأودية [وسائر البراري] والقفار .

ذكر عدة من [رواة] أخبار العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد: إيادا، وبه
أولاد نزار
ابن معد
كان يكنى، وأنمارا - وبجيلة وخثعم من ولده على ما قيل، إذ كان فيما ذكرنا تنازع
لأن من الناس من أحقهم باليمن ، ومن الناس من ذكر فيهم ما وصفنا أنهم من
ولد أنمار بن نزار - وربيعه، ومُضَرّ، فلما حضرت نزاراً الوفاة دعا بنيهِ ودعا بجارية
له شَمَطَاء ، فقال لإياد : هذه الجارية وما أشبهها من مالي فلك ، ثم أخذ بيد
مُضَرّ^(٧) فأدخله قبة له حمراء من آدم ، ثم قال : هذه القبة وما أشبهها من مالي
فلك ، ثم أخذ بيد ربيعة وقال له : هذا الفرس الأدهم والخبأ الأسود وما أشبههما
من مالي فلك ، ثم أخذ بيد أنمار وقال له : هذه البدرّة والمجلس وما أشبههما من
مالي فلك ، فإن أشكلت عليكم هذه القسمة فأتوا الأفعى بن الأفعى الجرهمي

(١) في ١ «من الدماء والطوائل» (٢) في ب «على تبع حربه جبال البرود»
(٣) في ١ «كثير الكذب» (٤) لا يوجد هذا البيت في أ
(٥) في ب «وقد ذكرنا فيما بعد» (٦) في أ «وتفرع النسب»
(٧) تنقدم بعض هذه العبارات وتتأخر في بعض النسخ .

قصتهم مع
الأفعى الجرهمي

وكان ملك نجران - حتى يقسم بينكم وتراضوا بقسمته، فلم يلبث نزار إلا قليلا حتى هلك، وأشكلت القسمة على ولده، فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الأفعى، حتى إذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران، وهم في مفازة، إذ احم بأثر بغير فقال إياد: إن هذا البعير الذي ترَوْن أثره أعور، فقال أنمار: وإنه لأبتر، قال ربيعة: وإنه لأزور، قال مضر: وإنه لشرود، فلم يلبثوا أن رفع إليهم راكب توضعُ بهراحته، فلما غشيهم قال لهم: هل رأيتم من بغير ضال في وجوهكم^(١)؟ قال إياد [كان] بعيرك أعور؟ قال: فإنه لأعور، قال أنمار: [أ كان] بعيرك أبتر؟ قال: فإنه لأبتر، قال ربيعة: [أ كان] بعيرك أزور؟ قال: فإنه لأزور، قال مضر: أ كان بعيرك شروداً، قال: إنه لشرود، ثم قال لهم: فأين بعيري؟ دُلُونِي عليه، قالوا: والله ما أحسننا لك ببعير ولا رأينا، قال: أتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيئا، قالوا: مارأينا [لك] بعيرا، فتبعهم حتى قدموا نجران، فلما أناخوا باب الأفعى استأذنوا عليه، فأذن لهم، فدخلوا، وصاح الرجل من وراء الباب: أيها الملك، هؤلاء أخذوا بعيري ثم حلفوا أنهم مارأوه، فدعابه الأفعى فقال: ماتقول؟ فقال: أيها الملك، هؤلاء ذهبوا ببعيري وهم أصحابه، فقال لهم الأفعى: ماتقولون؟ قالوا: رأينا في سفرنا هذا إليك أثر بغير، فقال إياد: إنه لأعور، قال: وما يدريك أنه أعور؟ قال: رأيته مجتهداً في رعي الكلا من شق قد لحسه والشق الآخر وافي كثير الالتفاف لم يمسه فقلت: إنه أعور^(٢)، وقال أنمار: رأيته يرمي ببعره مجتمعاً ولو كان أهلب لمصع به فعلت أنه أبتر، وقال ربيعة: رأيته أثر إحدى يديه ثابتاً والآخر فاسداً فعلت أنه أزور، وقال مضر: رأيته يرمي الشقة من الأرض ثم يتعداها فيمر بالكلا الملتف الفض فلا ينهش منه^(٣) حتى يأتي ما هو أرق منه، فيرمي فيه، فعلت أنه شرود، فقال الأفعى: صدقوا^(٤)، قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه، التمس بعيرك

(١) في « في وجوهكم هذا »

(٢) في « فعلت أنه أعور »

(٣) في ب « فلا ينهش منه »

(٤) في ب « صدقتم »

ثم قال الأفعى للقوم: من أتم؟ فأخبروه بمحلم، وانسبوا [إليه] فرحبَ بهم وحيام
 ثم قال: ما خطبكم؟ فقصوا عليه قصة أبيهم، قال الأفعى: وكيف تحتاجون إلى
 وأتم على ما أرى؟ قالوا: أمرنا بذلك أبونا، ثم أمرهم بأنزلوا، وأمر خادماً له
 على دار الضيافة أن يحسن إليهم ويكرم مثوَاهم وإطافهم^(١) بأفضل ما يقدر عليه
 ثم أمر وصيفاله من بعض خدمه ظريفاً أديباً، فقال [له]: انظر كل كلمة تخرج من
 أفواههم فأتني بها، فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهر مانُ بقرص من شهد فأكلوا
 وقالوا: مارأينا شهداً أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه، فقال إِياد: صدقتم
 لولا أن نحله [القاء] في هامة جبار، فوعاها الغلام، فلما حضر غداؤهم ووجى بالشواء
 فإذا بشاة مشوية فأكلوها وقالوا: مارأينا شواء أجود [شيئاً] ولا أرخص لمحاول
 أسمن منه، فقال أنمار: صدقتم لولا أنه غذى بلبن كلبة. ثم جاءهم بالشراب
 فلما شربوا قالوا: مارأينا خراً أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه،
 فقال ربيعة: صدقتم لولا أن كرمها نبت على قبر. ثم قالوا: مارأينا منزلاً أكرم
 قرى ولا أخصب رجلاً^(٢) من هذا الملك. قال مضر: صدقتم لولا أنه لغير أبيه.
 فذهب الغلام إلى الأفعى فأخبره بما كان منهم، فدخل الأفعى على أمه، فقال:
 أقسمت عليك إلا [ما] أخبرتني من أنا ومن أبي، فقالت: يا بني، وما دعاك إلى
 هذا؟ أنت ابن الأفعى الملك الأكبر، قال: حقا لتصدقني، فلما ألح عليها قالت:
 يا بني إن أباك الأفعى الذي تدعى له كان شيخاً قد أثقل، فخشيت أن يخرج
 هذا الملك عنا أهل البيت، وقد كان قدم إلينا شاب من أبناء الملوك، فدعوته
 إلى نفسي، فعلق بك منه، ثم بعث إلى القهرمان، فقال: أخبرني عن الشهد
 الذي بعثت به إلى هؤلاء النفر^(٣) ما خطبه؟ قال: إنا أخبرنا بدير في طف^(٤).

(١) في ١ « ويلطفهم بأكثر ما يقدر عليه » .

(٢) في ب « أخصب رجلاً » (٣) في ١ « قدمته إلى هؤلاء النفر » .

(٤) الدير - بفتح فسكون - جماعة النحل .

فبعثت إليه من يَشُورُهُ ، فأخبروني أنهم هجموا على عظام نخرة منكراً^(۱) في ذلك الطف ، فإذا النحل قد عسلت في جمجمة من تلك العظام ، فاتوا بعسل لم أر مثله فقدمته إلى القوم لجودته ، ثم بعث إلى صاحب مائدته فقال : ماهذه الشاة التي شَوَّيْتَهَا لهؤلاء القوم ؟ قال : إني بعثت إلى الراعي أن ابعث إلى بأحسن شاة عندك ، فبعث بها إلى ، وما سألته عنها ، فبعث إلى الراعي أن أعلمني خبر هذه الشاة ، قال : إنها أول ما ولدت من غنمي عام أول ، فماتت أمها ، فبقيت ، وكانت كلبة لي قد وضعت فأنتت السخلة بجِراء الكلبة ، فكانت ترضع من الكلبة مع جِراءها ، فلم أجد في غنمي مثلاً ، فبعثت بها إليك ، ثم بعث إلى صاحب الشراب ، فقال : ما هذا الخمر الذي سقيت لهؤلاء القوم ؟ قال : من حبة كرم [نبتت] غرستها^(۲) على قبر أبيك ، فليس في العرب مثل شرابها ، فقال الأفي : ما هؤلاء القوم ؟ إن هم إلا شياطين ، ثم أحضرهم فقال : ما خطبكم ؟ قُصُّوا على قصتكم ، فقال إياد : إن أبي جعل لي خادماً شمطاء وما أشبهها من ماله ، فقال : إن أباك ترك غنماً برشاء^(۳) فهي لك ورعاؤها مع الخادم ، قال أنمار : إن أبي جعل لي بدرة ومجلسه وما أشبههما من ماله ، قال : فلك ماترك أبوك من الرقة^(۴) والحرث والأرض ، فقال ربيعة : إن أبي جعل لي فرساً أدهم وبيتاً أسود وما أشبههما من ماله ، قال : فإن أباك ترك خيلاً دهماً وسلاحاً فهي لك وما فيها من عبيد ، فسمي ربيعة الفرس ، فقال مضر : إن أبي جعل لي قبة حمراء من آدم وما أشبهها من

(۱) في ا « مكثرة في ذلك الطف » (۲) في ب « من جنة كرم » .
 (۳) في ب « نقدا » والنقد - بالتحريك - جنس من النعم ، وكان قد قضى لإياد بالخادم والماشية البلق فسمى إياد الشمطاء ، وانظر (مجمع الأمثال : ۱/ ۱۴ بولاق)
 (المثل ۳۲ في ۱/ ۱۵ بتحقيقنا) وكان في ب « إن أباك ترك برسا فهي لك ورعاؤها مع الخادم » وهو كلام كاتري ... ليس له محمول من المعنى .
 (۴) الرقة : الفضة .

ماله ، فقال : إن أباك ترك إبلا حمراء فهي لك وما أشبهها من ماله ، فصارت لمضر الإبل والقبة الحمراء ، والذهب ، فسمى مضر الحمراء ، وكانوا على ذلك مع أخوانهم جرم بمكة فأصابتهم سنة أهلكت الشاء وعامة الإبل ، وبقيت الخيل ، وكان ربيعة يفزو عليها ويصل إخوته^(١) ، وذهب ما كان لأنمار من شاء في تلك السنين ، ثم عاود الناس الخصب والغيث ، فرجعت الإبل وثابت إليها أنفسها ومشت^(٢) ، فتناسلت وكثرت وقام مضر بأمر إخوته ، فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بإبلهم فتعشوا ليلا وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصي الرعاء وفي بدأ نمار عظم بتعرقه فرمى به في ظلمة الليل وهو لا يبصر فأوتد في عين مضر وفاقها [فتأوه مضر] وصاح : عيني ، عيني ، وتشاغل به إخوته ، فركب أنمار بعيراً من كرائم إبله ، فلحق بديار اليمن ، وكان بين إخوته ما ذكرنا من التنازع .

فهؤلاء ولد نزار الأربعة : إليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قد منا أن مضر الحمراء لما ذكرنا من أمر القبة ، وبذلك تفتخر مضر في كلامها من المنثور والمنظوم ، وربيعه الفرس وربيعه القشعم من الفروسية والشجاعة والنجدة والعز^(٣) وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس ، وإياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه ، وأنمار وقد بينا الخلاف في تفرع نسله وما قاله النسابون في عقبه .

ولكل واحد من هؤلاء ومن أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ، ويتسع شرحها : من ذكر ما حلوا به من الديار ، وتشعب أنسابهم وتسلسلها ، قد أتى الناس على ذكرها ، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا اليسير من مبسوطها ؛ فمنعنا ذلك من إعادته في هذا الكتاب .

فلنذكر الآن الغرض من هذا الباب الذي به ترجم ، وإليه نسب ، من

(١) في ١٥ « ويعيل إخوته » (٢) في ١ « وثارت إليها أنفسها وسمنت » .

(٣) في ١٥ « والغزو وشن الغارات » .

سكنى مَنْ حَلَّ البَدْوَ من العرب وغيرها من الأمم المتوحشة كالترك والكرد
والبيجة والبربر ، ومن تقطن بالبرارى^(١) وقطنَ الجبال ، والعله الموجبة
لذلك من فعلهم .

علة سكنى البدو تبين الناس في السبب الموجب لما وصفنا ، فذهب كثير من الناس إلى
أن الجيل الأول ممن سكن الأرض مكثوا حيناً من الزمان لم يبنوا بناء ،
ولا شيدوا مدناً ، وكان سكنهم في شبه الأكواخ والمظال ، ثم إن نفرأ منها
أخذوا في ابتناء المساكن ، وَخَلَفَ من بعدهم [خلف] فابتنوا الأبنية ، وثبتت
فرقة منهم على سجيته الأولى في البيوت والأظلال ينتجعون الأماكن
الرفهة الخصبية ، وينتقلون عنها إذا أجذبت ، فمضت هذه الطائفة على
نهج الأقدمين .

وذكرت طائفة أن أول ذلك أن الناس لما نَصَبَ عنهم الطوفان الذي أهلك
الله به الأرض في زمن نوح على نبينا وعليه السلام تفرق من مجافى طلب البقاع
الخصبة المتخيرة ، وانفرد من انفرد بانتجاع الأرضين وحلول البيداء ، و[استوطن]
آخرون بقاعاً تخيروها ، كمن ابتنى إقليم بابل من القبط ، ومن حله^(٢) من ولد حام بن
نوح عليه السلام مع نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود الأول بن كوش بن حام
ابن نوح ، وذلك حين تملك على إقليم بابل من قبل الضحاك ، وهو بيوراسف^(٣)
وكن حَلَّ بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا في باب مصر وأخبارها
[في هذا الكتاب] وكن عمر الشام من الكنعانيين ، وكن حَلَّ بوادي البربر
وهم هواره وزناة وضريسة ومغيلة وورفجومة ونفزة^(٤) وكتامة ولواتة

(١) في ا « ومن تقطن البرارى » .

(٢) في ب « ومن سلم من ولد حام » .

(٣) في ب « وهو بيوراست » .

(٤) في هذه الأسماء اختلاف كثير ، واخترنا ما في ا .

ومزانة ونفوسة ولفظه وصدينة ومصودةوز نارة وغمارة وقالمة ووارقة وأتينة وبابه
وبنو سبخون وأركنة وهي من زناتة وبنو كلان وبنو مصدران وبنو أقباس وزبحن
وبنو منهوسا وضحاجة ، ومن سكن من أنواع الأحابيش وغيرهم الغابة المعروفة
بغابة العافر يم سون ورعوين والعورفة ويكسوم ، ومنهم من سكن غير الغابة
واتسع في هذه البلاد من المغرب .

وقد ذكرنا أن أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشام ،
وأن ملكهم كان جالوت ، وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم ، إلى أن قتل داود عليه
الصلاة والسلام ملكهم جالوت ، فلم يملك عليهم بعده ملك ، وأنهم اتهموا إلى
ديار المغرب إلى موضع يعرف بلوبية [ومرافية] ، فانتشروا هنالك ، فنزل منهم زناتة
ومغيلة وضريسة الجبال من تلك الديار وتبطنوا الأودية ، ونزلوا أرض برقة ، ونزلت
هوارة بلاد إياس وهي بلاد طرابلس المغرب أي الثلاث المدن ، وقد كانت هذه الديار
للافرنجية والروم ، فأنجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم إلى جزائر البحر الرومي
فسكن الأكثر منهم جزيرة صقلية ، وتفرقت البربر ببلاد إفريقية وأقصى بلاد
المغرب من نحو من مسافة ألفي ميل ، [واتهموا إلى موضع يعرف بقبوسة ، على
أكثر من ألفي ميل] من بلاد القيروان ، وتراجعت الروم والإفرنجية إلى مدنهم
[وعماثرهم] وذلك على موادعة وصلاح من البربر ، واختارت البربر سكنى الجبال
والأودية والرمال والدّهاس وأطراف البراري والقفار .

ومن بحر إفريقية وصقلية يخرج المرجان ، وهو المتصل ببحر الظلمات
المعروف ببحر أقيانس ، وغير هؤلاء ممن ذكرنا (من الأمم) ممن سكن قطع
الأرض وابتنى المدائن شرقا وغربا .

ورأت العرب أن جولان الأرض وتخير بقاعها على الأيام أشبه بأولى العز
وأليق بذوى الأنفة ، وقالوا : لنكون^(١) محكمين في الأرض [و] نسكن حيث
نشاء أصلح من غير ذلك ، فاختاروا سكنى البدو ، من أجل ذلك .

(١) كذا ، ولعل الأصل « لأن نكون » .

وذكر آخرون أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار^(١)، ونبل الهمم والأقدار، وشدة الأنفة، والحمية من المعرة، والهرب من العار، بدأت بالتفكير في المنازل، والتقدير للمواطن، فتأملوا شأن المدن والأبنية، فوجدوا فيها معرفة ونقضا، وقال ذو المعرفة والتمييز [منهم]: إن الأرضين تمرض كما تمرض الأجسام، وتلحقها الآفات. والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح. إذ الهواء ربما قوى فأضر بأجسام سكانه، وأحال أمرجة قطانه، وقال ذوو الآراء منهم: إن الأبنية والتحويط حصر عن التصرف في الأرض، ومقطعة عن الجولان، وتقييد للهمم، وحبس لساقى الفرائز من المسابقة إلى الشرف، ولا خير في اللبث على هذه الحالة. وزعموا أيضاً أن الأبنية والأطلال^(٢) تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء^(٣)، وتسدر وجهه عن المرور وقذاه عن السلوك، فسكنوا البر الأقيح الذي لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضر، هذا مع ارتفاع الأقداء، وسماحة الأهواء، واعتزال الوباء^(٤)، ومع تهذيب الأحلام في هذه المواطن، ونقاء القرائح في التنقل في المساكن، مع صحة الأمرجة، وقوة الفطنة، وصفاء الألوان وصيانة الأجسام^(٥). فإن العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء، [وطبع الهواء النضاء] وفي هذا الأمن من العاهات والأسقام والعلل والآلام، فأثرت العرب سكنى البوادي والخلول في البيداء، فهم أقوى الناس هما، وأشدهم أحلاماً، وأصحهم أجساماً، وأعزهم جارات، وأحماهم ذماراً، وأفضلهم جواراً^(٦)، وأجودهم فطناً؛ لما أكسبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء؛ لأن الأبدان تحتوى أجزاءها على متكاثف الأكدار [وعناء الأقدار] مما يرتفع إليه، ويتلاطم في عرصاته وأفقته من جميع المستحيالات، والمستنقعات من المياه، ففي أكنافه

(١) في « على سمو الأخطار » (٢) في « الأطلال والأبنية » .

(٣) في « اتساع الهواء » (٤) في « وعدم الوباء » .

(٥) في « وصفاء الهواء ومثانة الأجسام » .

(٦) في « وأفضلهم جوداً » .

جميع ما يتصعد إليه ، ولذلك تراكبت الأقداء والأدواء والعاهات في أهل المدن ، وتركبت في أجسامهم ، وتضاعفت في أشعارهم وأبصارهم ، ففضلت العرب على سائر من عداها من بوادي الأمم المتفرقة لما ذكرنا من تخيرها الأماكن وارتياها المواطنين .

قال المسعودي : ولذلك جانبوا فظاظة الأكراد وسكان الجبال من الأجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم حُزُونُ الأرض ودِهَاسُهَا ، وذلك أن هذه الأمم الساكنة هذه الجبال والأودية تناسب أخلاقها مساكنها في انخفاضها وارتفاعها ؛ لعدم استقامة الاعتدال في أرضها ، فلذلك أخلاقُ قُطَانِهَا على ما هي عليه من [الجفاء و] الغلظ .

وذكر الهيثم بن عدى والشَّرَقِيُّ بن القطامي وغيرها من الأخباريين أنه خطيب العرب وقد على كسرى أنوشروان بعض خطباء العرب ، فسأله كسرى عن شأن العرب وسكنائها [البر] واختيارها البدو ، فقال : أيها الملك ، ملكوا الأرض ولم تملكهم ، وأمنوا عن التحصن بالأسوار ، واعتمدوا على المرفقات الباترة ، والرماح الشارعة جُنَنًا وحصونًا^(١) ، فمن ملك قطعة من الأرض فكأنها كلها له ، يَرِدُونَ منها خيارها ، ويقصدون ألطافها ، قال : فأين حظوظهم من الفلك ؟ قال : من تحت الفرقدين ورأس الحجر وسعد الجدى مشرقين في البر^(٢) بحسب ذلك ، قال : فما رياحها ؟ قال : أكثرها النَّكْبَاءُ بالليل والصبأ عند انقلاب الشمس ، قال : فكم الرياح ؟ قال : أربع ، فإذا انحرفت واحدة منهن قيل : نَكْبَاءُ ، وما بين سُهَيْلٍ إلى طرف بياض الفجر جَنُوبٌ ، وما بإزائهما مما يستقبلهما من المغرب شمال ، وما جاء من وراء الكعبة فهي دَبُورٌ ، وما جاء من قبل ذلك فهي صَبَأٌ ، قال : فما أكثر

(١) في ب « والرماح السامرة حسا وحصناً » .

(٢) في ب « مشرفين على الأرض بحسب ذلك » .

غذائهم ؟ قال : اللحم واللبن والنبيد والتمر ، قال : فما خلائقهم ؟ قال : العز ، والشرف ، والمكارم ، وقرى الضيف ، وإذمام الجار^(١) ، وإجارة الخائف ، وأداء الحملات ، وبذل المهج في المكرمات ، وهم سُرّاة الليل ، وليوث الغيل ، وعمار البر ، وأنس القفر ، ألقوا القناعة ، وَشَنَفُوا الضراعة^(٢) ، لهم الأخذ بالثار ، والأنفة من العار ، والحماية للدمار ، قال كسرى : لقد وصفت [عن] هذا الجيل كرما ونبلا ؛ وما أولانا بإنجاح وفادتك فيهم .

فتخبرت العرب في البر أنزالا منها مَشَاتٍ ومنها مصابف ؛ فمنهم المنجد والمُتَمِّم [فالمنجد منهم هم الذين سكنوا أرض نجد والمتهم هم الذين سكنوا أرض تهامة ، ومنهم من] سكن أغوار الأرض كغور بيسان وغور غزوة من أرض الشام من بلاد فلسطين والأردن ومن سكنه من لحم وجُدَام ، ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وملكية يعرجون إليها ، كالدهناء^(٣) والسماوة والتهائم وأنجاد الأرض والبقاع والقيعان والوهاد ، ولست تكاد ترى قبلا من العرب توغل من الأماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم ، كماء ضارج وماء العقيق والهباة^(٤) وما أشبه ذلك من المياه .

وأما أجناس الأكراد وأنواعهم فقد تنازع الناس في بدئهم ؛ فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، انفردوا في قديم الزمان ، وانضافوا إلى الجبال والأودية ، دعيتهم إلى ذلك الأنفة ، وجاوروا من هنالك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس ، فخالوا عن لسانهم ، وصارت لغتهم أعجمية ؛ ولكل نوع من الأكراد لغة لهم بالكردية ، ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار ، وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن ، وأنهم انفردوا

الأكراد
ونسبهم
ومساكنهم

(١) في ب « وإذمار الجار » (٢) شنفوا : كرهوا وأبضوا ، وفي ب

(٣) في ب « كالرها » « وسبقوا الضراعة »

(٤) في ب « والسباط » وفي « والهباة » .

في قديم الزمان لوقائع [ودماء] كانت بينهم وبين غسان ، ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومصر ، وقد اعتصموا في الجبال طلباً للمياه والمراعى فخالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم .

ومن الناس من ألحقهم بإمام سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على إمامته المناقعات الشيطان المعروف بالجسد، وعصم الله منه المؤمنين أن يقع عليهن ، فعلق منه المناقعات ، فلما ردَّ الله على سليمان ملكه ووضع تلك الإمام الحوامل من الشيطان قال : أكردهن إلى الجبال والأودية ، فربتتهن أمهاتهن ، وتناكحوا ، وتناسلوا ، فذلك بدء نسب الأكراد .

ومن الناس من رأى أن الضحاك ذا الأفواه المقدم ذكره في هذا الكتاب الذي تنازعت فيه الفرس والعرب من أى الفريقين هو ، أنه خرج بكتفيه حيتان فكاتبنا لا تغذيان إلا بأدمغة الناس ، فأفنى خلقاً كثيراً من فارس ، واجتمعت إلى حربه جماعة كثيرة وافاه أفريدون بهم^(١) وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كاوان^(٢) ، فأخذ أفريدون الضحاك وقيده في جبل دناوند^(٣) على ما ذكرنا ، وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشاً ورجلاً ويخلط أدمغتهما ، ويطعم تينك الحيتين اللتين كانتا في كتفي الضحاك ، ويطرد من تخلص إلى الجبال ، فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدء الأكراد ، وهؤلاء من نسلهم ، وتشعبوا أنخاذاً ، وما ذكرنا من خبر الضحاك فالفرس لا يتناكرونه ، ولا أصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة .

والفرس في أخبار الضحاك مع إبليس أخبار عجيبة ، وهي موجودة في كتبهم ، وتزعم الفرس أن طهور مرث^(٤) المقدم ذكره في ملوك الفرس الأولى هو نوح النبي عليه السلام ، وتفسير درفش بالفارسية الفهلوية وهي الأولى - الراية والمطرود والعلم . وأما الترك وأجناسها فقد قدمنا كثيراً من أخبارها ، وقد غلط قوم فزعموا

(١) في ا و آناه أفريدون » (٢) في ب « درفش كاسان » .

(٣) في ب « دناوند » (٤) في ب « وتزعم أن ظهور المقدم ذكره »

أن الترك من ولد طوح^(١) بن أفریدون، وهذا غلط [بين؛ لأن طوح ولآه أفریدون] على الترك وسلم على الروم، وكيف توليه عليهم وهم ولده؟ وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد طوح بن أفریدون، بل لطوح في الترك عقب مشهور، والمعظم في أجناس الترك هم التبت، وهم من حمير على حسب ما ذكرنا أن بعض التبايعه رتبهم هناك^(٢) وما قلنا من الأكراد فالأشهر عند الناس؛ والأصح من أنسابهم؛ أنهم من ولد ربيعة بن زار؛ فأما نوع من الأكراد - وهم الشوهجان ببلاد ما بين^(٣) الكوفة والبصرة، وهي أرض الدينور وهمدان - فلا تناكر بينهم أنهم من ولد ربيعة بن زار بن معد، والماجردان - وهم من الكنكور ببلاد أذربيجان والهابانية والسراة وما حوى بلاد الجبال من الشادنجان واللزبة والمادنجان والمزدنجان والبارسان والخالية والجابارقية والجاوانية والمستكان ومن حل بلاد الشام من الدبابلة وغيرهم - فالشهور فيهم أنهم من مضر بن زار، ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى، وديارهم مما يلي بلاد الموصل وجبل الجودي.

وفي الأكراد من رأيهم رأي الخوارج والبراءة من عثمان وعلى رضى الله عنهما فهذه جمل من أخبار بوادي العالم، وقد أعرضنا عن ذكر الغوز والخرج وهم أنواع من الترك نحو بلاد غرش وبسطام وبُست مما يلي بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض القفص والبلوج والجت.

قال المسعودی: فأما أيام العرب ووقائمه وأحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا، وما كان منها في الجاهلية والإسلام، كيوم الهبأة، وأحروب ذبيان وعطفان، [وما كان بين عبس وسائر العرب من زار واليمن] وأحرب داحس والغبراء، وأحرب بكر بن وائل وتغلب، وهي حرب البسوس، ويوم الكلاب، ويوم خزاز، ومقتل شاس بن زهير، ويوم ذي قار،

بعض
أيام العرب

(١) في ب « طوح » . (٢) في ا « رتبهم هناك »

(٣) في ا « بلاد ما بين الكوفة والبصرة » .

ويوم شِيبِ جَبَلَةَ ، وما كان من بني عامر وغيرهم ، وحرب الأوس والخزرج ،
وما كان بين غَسَّان وَعَكَّةَ .

وسنورد بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب الدائرة وغيرها وتفرقتها
في البلاد ، ونذكر جملا من آرائها ودياناتها في الجاهلية ، وما ذهبت إليه
في الغيلان وَالهُوَاتِف وَالْقِيَّافَةَ وَالسَّكَّانَةَ والتفرس^(١) وَالصَّدَى والهلم ،
وغير ذلك من شيمها ، وبالله التوفيق .

(١) في ب د والتفرس ولعله أصح .

ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية

وتفرقها في البلاد ، وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

[قال المسعودی] :

ديانات العرب
في الجاهلية :

كانت العرب في جاهليتها فرقا : منهم الموحّد المقرّ بخالقه ، المصدق بالبعث والنشور ، موقفاً بأن الله يثيب المطيع ، ويعاقب العاصي ، وقد تقدم ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا مَنْ دعا إلى الله عز وجل ونبّه [أقوامه] على آياته في الفترة ، كقسّ بن ساعدة [الإيادي] ورثاب الشّنيّ ، وبجيرا الراهب ، وكانا من عبد القيس .

وكان من العرب من أقر بالخالق ، وأثبت حدوث العالم [وأقر] بالبعث والإعادة ، وأنكر الرسل ، وعكف على عبادة الأصنام ، وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى - الآية) وهذا الصنف [هم] الذين حجوا إلى الأصنام وقصدوها ، ونحروا [لها] البُدن ، ونسكوا لها النسائك ، وأحلوا لها وحرّموا .

ومنهم من أقر بالخالق ، وكذّب بالرسول والبعث ، ومال إلى قول أهل الدهر ، وهؤلاء الذين حكى الله تعالى إلحادهم ، وخبر عن كفرهم ، بقوله تعالى ؛ (وَقَالُوا: مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) [فردّ الله عليهم بقوله] : (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) .

ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية .

ومنهم المارء على عنجهيته ، الرّاكب لهجته (۱) .

وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ، ويزعمون أنها بنات الله ؛

(۱) ربما كانت لهجته .

فكانوا يعبدونها لتشفع لهم إلى الله^(١) ، وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى : (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) وقوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ؟ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ؟ تَلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى) .

عبد المطلب
ابن هاشم

فمن كان مقراً بالتوحيد، مثبتاً للوعد، تاركاً للتقليد : عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ، وقد كان حفر بئر زمزم ، وكانت مطوية ، وذلك في ملك كسرى^(٢) قباد ، فاستخرج منها غزالي ذهب عليهما الدر والجوهر ، وغير ذلك من الحلبي ، وسبعة أسياق قلعية ، وسبعة أدرع سوابغ^(٣) ؛ فضرب من الأسياق باباً للكعبة ، وجعل إحدى الغزالتين صفائح [ذهب في الباب] ، وجعل الأخرى في الكعبة ، وكان عبد المطلب أول من أقام الرقادة والسقاية للحجاج ، وكان أول من سقى الماء [بمكة عذبا] ، وجعل باب الكعبة مذهباً ، وفي ذلك يقول عبد المطلب :

أعطى بلا شحٍ ولا مشاحٍ سقياً على رغم العدو الكاشح
بعد كنوز الحلبي والصفائح حلياً لبيت الله ذي المسارح^(٤)

وكان قد نذر إن رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله تعالى [فكان أمره — حين رزقه الله إياهم — أن يقرب] أحبهم إليه وهو عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ، فضرب عليه بالقداح حتى افتداه بمائة من الإبل ، في خبر طويل .

وقد كان أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب الحرم ، فنزل بالموضع المعروف أصحاب الفيل بحب المحصب^(٥) ، فأتى بعبد المطلب بن هاشم فأخبر أنه سيئد مكة ، فعظمه وهابه لاستدارة نور النبي صلى الله عليه وسلم في جبينه ، فقال له : سَدْنِي يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ

(١) في ١ « لتشفع بهم إلى الله »
(٢) في ١ « كسرى بن قباد » .
(٣) في ١ « وخمسة أدرع سوابغ » .
(٤) هذان البيتان لا يوجدان في ١
(٥) في ١ « يحب المحصب » .

فأبى أن يسأله إلا إبلا له ، فأمر بردها [عليه] وقال له : ألا تسألني الرجوع ؟
فقال : أنا رب هذه الإبل ، وللبيت رب سيمنعه [منك] وانصرف عبد المطلب
إلى مكة وهو يقول :

يا أهل مكة قد وافاكم ملك مع الفيول على أنيابها الزرد^(١)
[هذا النجاشي قد سارت كتابه مع الليوث عليها البيض تتقد^(٢)
[يريد كعبتكم ، والله مانعه كمنع تبع لما جاءها حرد]

وأمر قريشاً أن تلحق ببطون الأودية ورءوس الجبال من مَعْرَةَ الحبشة ،
وقلَّدَ الإبل النعال وخلاها في الحرم [ووقف بباب الكعبة] وهو يقول :
[يارب لا أرجو لهم سواك يارب فامنع منهم حماك]^(٣)
[إن عدو البيت من عاداك فامنعم أن يخربوا قراك]^(٤)
[ويقول] :

يارب إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يفلن صليبهم ومحالمهم أبداً محالك

فأرسل الله عليهم الطير الأبايل ، أشباه العاسيب ، ترميهم بحجارة من
سجيل ، وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر ، مع كل طير ثلاثة أحجار
فأهلكهم الله عز وجل^(٥) .

وقد ذكرنا خبر أبي رغال فيما سلف من هذا الكتاب حين دهم [على
الطريق] ، وهلاكه في الطريق ، وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن نفيل بن
حبيب الخثعمي بدلها على الطريق^(٦) ، ونفيل يسمع كلام الحبشة وسؤالها عنه
وقد ربيع لما عمهم من البلاء ، وانفرد من جلتهم يؤمل الخلاص ، وقد تاهوا ،
فأنشأ يقول :

(١) في « على أنيابها الزبد » (٢) هذه الزيادة لا توجد في ١ .

(٣) في « فأتلفهم الله عز وجل » (٤) في « دليلها على الرجوع » .

أَلَا رُدِّي جِأَلَكِ يَارُدِينَا نعمناكم مع الإصباح عينا^(١)
 فإنك لو رأيت ولن تريبه لدى جنب الحصب ما رأينا
 حمدت الله إذ عاينت طيراً وَحَصْبَ حَجَارَةٍ تُتَلَقَى عَلَيْنَا
 وكل القوم يسأل عن نفيل كأن عليَّ للحبشان ديناً

وقد ذكرنا ما كان منهم في هلك عميدهم فيما سلف من هذا الكتاب ،
 فلما صدَّهم الله عز وجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب يقول :

أيها الداعي لقد أسمعني ثم ما بي عن نداءكم من صمم^(٢)
 إن للبيت ربًّا مانعاً مَنْ يُرِدُّهُ بِأَثَامٍ يُصْطَلَمُ
 رامة تبع فيمن جنَّدت^(٣) خَيْرٍ وَالْحَى مِنْ آلِ قَدَمِ
 فأنشئ عنه وفي أوداجه جَارِحٌ أَمْسَكَ مِنْهُ بِالْكَظْمِ
 قلت والأشرم تردى خيله : إن ذا الأشرم غير بالحرم^(٣)
 نحن آل الله فيما قد مضى لم يزل ذلك على عهد أبرهم^(٣)
 نحن دمرنا ثموداً عنوة ثم عاداً قبلها ذات الإرم
 [نعبد الله وفيها سنة صِلَةَ الْقُرْبَى وَإِيفَاءَ الدِّمِّ]
 لم تزل لله فينا حاجة يدفع الله بها عنا النقم^(٣)

قال المسعودي : وقد استدل قوم ممن ذهب إلى الغلو في بعض المذاهب القول بتناسخ
 الأرواح والخروج عما أوجبه قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب
 فيما كان منهم في قديم الزمان ، وأيدوا ذلك [الشعر] بشعر العباس [بن
 عبد المطلب] في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم [وهو ما ذكره قريم بن أوس بن
 حارثة بن أم الطائي أنه هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] فقدم عليه
 مُنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ فَأَسْلَمَ ، قال : سمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول

(١) في ب ه الأردى حمى لك ه (٢) في ب ه من آل قرم ه

(٣) في ب ه والأشرم يرمى حيلة ه

الله ، إني أريد أن أمتدحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لا يَفْضُضُ اللهُ فاك [ياعمى] ، فأنشأ يقول :

من قبلها طُبَّتَ في الظلال وفي مستودع حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هبطت البلاد ، لا بشر أنت ، ولا مضغة ، ولا علق
بل حجة تركب السفين ، وقد أجم تَسْرًا وأهله الغرق^(۱)
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طَبَقُ
وأنت لما وُلِدْتَ أشرقت الـ أرض ، وضاءت بنورك الأفق^(۲)
[حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف عليها تحتها النطق]
فنحن في ذلك الضياء وفي الـ ور وسبل، الرشاد نَحْتَرِقُ
قالوا : وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والأخبار والمغازي، ونقلوا هذا
المدح من قول العباس ، وما كان من سرور النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
واستبشاره [به] فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشعرين - شعر
عبدالمطلب ، وشعر العباس - دلالة لهم على مواطن ادعواها ، وتغلغلوا إلى شبه
بعيدة استخرجوها ، يمنع منها ما تقدم من أوائل العقول ، وموجبات الفحص ،
ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ، ومن حذاق مبرزينهم ، من فرق الحمديّة
والعلبانية ، وغيرهم [من فرق الغلاة] : منهم إسحاق بن محمد النخعي المعروف
بالأحمر في كتابه المعروف بكتاب الصراط ، وقد ذكر ذلك الفياض بن علي
[ابن محمد بن الفياض في كتابه المعروف بالقسطاس] في نقضه لكتاب الصراط
وذكره المعروف بالنهكيني^(۳) في نقضه هذا الكتاب المترجم بالصراط ، وهو لاء
محمديّة نقضوا هذا الكتاب ، وهو على مذهب العلبانية ، وقد أتينا على ذكر

(۱) يروى « بل نطفة تركب السفين - إلخ »

(۲) هكذا في ۱ ، وهو الموافق لما في كتب السيرة وأدب الكاتب لابن قتيبة

(۳۳۳ بتحقيقنا) ، ووقع محرفاً في ب هكذا :

أنت لها وارث وأشرقت الـ أرض وأورى بنورك الأفق

(۳) في ب « بالهنكى »

هؤلاء الحمديّة [والعلبانية] والمغيرية والقدرية وسائر فرق الفلّاة وأصحاب التفويض والوسائط، واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب إلى القول بتناسخ الأرواح في أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الإسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى، وذكرنا قول أحمد ابن حائط وابن يافوس^(١) وجعفر القاضي^(٢)، إلى من نجم في وقتنا من تقدم وتأخر إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - ممن أحدث [قولاً] تفریباً على مسلف من أصولهم، وأبدى شياً أيد بها ما تقدم من مذاهبهم، مثل الحسين ابن منصور المعروف بالحلاج، وأصحاب أبي يعقوب الزابلي^(٣)، ثم أصحاب السوق^(٤) ومن تأخر عنهم وفارقهم في أصولهم، مثل أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني^(٥) المعروف بابن أبي الفرائ^(٦) وغيرهم ممن أمم نهجهم، وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدور في هذا الوقت ممن يراعى وقت الظهور، وأصحاب حجج الليل والنهار؛ إذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول بالتناسخ^(٧)، وأن الأرواح تنتقل في شيء من الأجسام الحيوانية، وأحالوا على القديم عزوجل أن يجوز عليه شيء مما تقدم، فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه آنفاً، وما تغافل بنا الكلام عنه من ذكر عبد المطلب.

الاختلاف
في إيمان
عبد المطلب

تنازع الناس في عبد المطلب : فمنهم من رأى أنه كان مؤمناً موحداً، وأنه لم يشرك بالله عزوجل، ولا أحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نقل في الأصلاب الطاهرة، وأنه أخبر أنه ولد من نكاح لامن سفاح، ومنهم من رأى أن عبد المطلب كان مشركاً، وغيره من آباء النبي صلى الله عليه وسلم إلا من صح إيمانه، وهذا موضع فيه تنازع بين الإمامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة

(١) في ب « وابن يافوس » (٢) في ا « وجعفر القاضي »
(٣) في ب « المرابلي » (٤) في ا « ثم أصحاب السرييين »
(٥) في ب « اللقاني » (٦) في ب « أبي القراقرة » وفي نسخة « العزافر »
(٧) في ا « قد أبوا القول بالتناسخ »

وغيرهم من الفرق في النص والاختيار ، وليس كتابنا هذا موسوماً للحجاج
فذكر حجاج كل فريق منهم .

وقد أتينا على قول كل فريق منهم وما أيد به قوله في كتابنا « المقالات
في أصول الديانات » وفي كتاب « الاستبصار » ووصف أقاويل الناس في
الإمامة وفي كتاب « الصفة » أيضاً .

وكان عبد المطلب يوصى ولده بصلة الأرحام ، وإطعام الطعام ، ويرغبهم
[ويرهبهم] فعل من يراعى في المتعقب معاداً وبعثاً ونشوراً ، وجعل السقاية
والرفادة إلى ابنه عبدمناف - وهو أبو طالب - وأوصاه بالنبي صلى الله عليه وسلم .

أبو طالب وقد تنوزع في اسم أبي طالب : فمنهم من رأى أن اسمه عبدمناف ، على

ما وصفنا ، ومنهم من رأى أن كنيته اسمه ، وأن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه كتب في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر بإملاء النبي صلى الله
عليه وسلم « وكتب علي بن أبي طالب » [بإسقاط الألف] وقد ذكر
عبد المطلب في شعره وصية أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :
أوصيت مَنْ كنيته بطالب بابن الذي قد غاب ليس بآب

وقد كان أكثر العرب ممن بقى ودَّ ثَرَّ يقرء بالصانع ، ويستدل على الخلق .

اختلاط
الألسنة وقد كان في ملك [النمرود بن] كوش^(١) بن حام بن نوح هيجانُ الريح التي

نسفت صرح النمرود ببابل من أرض العراق ، فبات الناس ولسانهم سرياني ،

وأصبحوا [و] قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لساناً ، فسمى الموضع من ذلك

الوقت بابل ، فصار من ذلك في ولد سام بن نوح تسعة عشر لساناً [وفي ولد حام

ابن نوح ستة عشر لساناً] وفي ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لساناً على حسب

ما ذكرنا في صدر هذا الكتاب ، وكان مَنْ تكلم بالعربية يعرب وجرهم وعاد

مسير يعرب
وسكناه اليمن وعبيل وجديس وثمود وعملاق وطسم ، ووبار وعبد ضخم^(٢) ، فسار يعرب

(١) في ١ « في زمان كوش بن حام بن نوح »

(٢) في ١ « وعبد بن صخم » وانظر ص ١٤٣ الآتية

ابن قحطان بن عابر بن صالح^(١) بن إرنخشذ بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول^(٢) :

أنا ابن قحطان الهمام الأفضل [الأيمن المعرب ذى المهليل]
يا قوم سيروا في الرعيل الأول أنا البديُّ باللسان المسهل
الأبين المنطق غير المشكل [حثوت والأمة في تبليل]
[يا قوم سيروا في الرعيل الأول] نحو يمين الشمس في تمهل
فحل باليمين على ما وصفنا آتفاً من هذا الكتاب .

وسار بعده عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده [ومن تبعه
وهو يقول :

إني أنا عاد الطويل البادي وسام جدى ابن نوح الهادى
فقد رأيتم يعرب الزيادى وسوقه الطارف والتلاد]
فحل بالأحقاف [وأداني الرمل] بين عمان وحضرموت واليمن، وتفرق هؤلاء
في الأرض، فانتشر منهم ناس كثير : منهم جيرون بن سعد بن عاد حلَّ بدمشق
فمصر مصرها، وجمع عمد الرخام والمرمر إليها، وشيد بنيانها، وسمها إرم ذات
العماد، وقد روى عن كعب الأخبار^(٣) في إرم ذات العماد غير هذا، وهذا الموضع
بدمشق في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - سوق من أسواقها
عند باب المسجد الجامع، يعرف بجيرون، وجيرون : هو ببيان عظيم، كان قصر
هذا الملك، عايه أبواب من نحاس عجيبة : بعضها على ما كانت عايه، والبعض
من مسجد الجامع، وقد ذكرنا فيما مر خبر نبي الله هود^(٤) .

وسار بعد عاد بن عوص ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن
تبعه [وهو يقول :

(١) في ا « بن صالح بن سالم »

(٢) ما بين العقوقين من هذا الرجز لا يوجد في ا

(٣) في ا ه وقد روى عن كتب الأخبار ه

(٤) في ب « خير بنى أسهود »

أنا الفتى الذى دعا ثمودا يا قوم سيروا ودعوا التريدا
لعلنا أن ندرک الوفودا فلحق البادى لنا العديدا
إنا أبينا اليعرب الحميدا وعاد ما عاد الفتى الجليدا]

فنزل هؤلاء الحجرَ إلى فرع^(١) ، وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا
الكتاب ، وخبر نبيهم صالح عليه السلام ، وأنهم نحو وادى القرى ، بين
الشام والحجاز .

وسار بعد ثمود جدیس بن عابر بن إرم^(٢) بن سام بن نوح بولده ، ومن
تبعه [وهو يقول :

مسیر جدیس
إلى الیمامة

أنا جدیس والمسیر السلکا فدتك نفسى يا ثمود المهلكا
دعوتنى فقد قصدت نحوکا إذسارت العيس وأبدت شخصکا]
وقد قلنا فيما سلف : إن هؤلاء الذين نزلوا الیمامة .

وسار بعد جدیس عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام^(٢) بن نوح [بولده] ومن
تبعه : وهو يقول :

مسیر عملاق
إلى مواضع
مختلفة

لما رأيت الناس ذا تبلبل وسار منا ذو اللسان الأول
[وحدثنا فى اللحاق الأول] فسرت حقا بالسوام المهمل
فنزل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ، ومنهم من سار إلى بلاد مصر
والغرب ، وقيل : إن هؤلاء بعض فراعنة مصر ، وقد ذكرنا قول من ألق
العاليق وغيرهم ممن ذكرنا بعيص^(٣) بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، وزعم
أنهم من ولد العيص على حسب ما ذكرنا فيما تقدم .

وقد كانت للعاليق ملوك كثيرة سلفت فى مواضع من الأرض بالشام

(١) فى ا « إلى قزح »

(٢) فى ا « جدیس بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام »

(٣) فى ب « بقطور بن إسحاق بن إبراهيم الخليل »

وغيره ، وقد أتينا على أخبارهم وذكر ممالكهم وحروبهم في كتابنا « أخبار الزمان » ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع بن نون مع ملك العماليق [بيلاذ أيلة ، وهو السמידع بن هوير ، وقد كان من بقى من العماليق] انضافوا إلى ملوك الروم ؛ فملكهم الروم على مشارق الشام^(١) والغرب والجزيرة من ثغور الشام فيما بينهم وبين فارس .

أذينة بن
السמידع
العملاقي

فمن ملك الروم من العماليق : أذينة بن السמידع ، الذي ذكره الأعشى في قوله :

أزال أذينة عن ملكه وأخرج عن ملكه ذا يزن

وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن أذينة بن طرب [بن حسان] ويقال : هو الذي يعرف بأمه [زباء] .

ثم ملك عمرو بن طرب ، ويقال : هو الذي كان يعرف بأمه [زباء] ، وقد كان بينه وبين جذيمة الأبرش الأزدي أبي مالك^(٢) حروب كثيرة ، فقتله جذيمة على ما ذكرنا ، وما كان من قتل الزباء لجذيمة [وقول الشاعر :

كأن عمرو بن زبباً لم يعيش ملكاً ولم يكن حوله الرايات تختفق
لاءم جذيمة من ضرساء مشعلة فيها خراشف بالنيران ترشق]

مسير طسم
إلى البحرين

ثم سار طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ؛ ومن تبعه [وهو يقول :

إني أنا طسم وجدّي سام سام بن نوح وهو الإمام

لما رأيت الأخ والأعلاما قلت لنفسى : الحقي السواما

أخاك عملاقا وذا الإقدام يافث لا كان وليي حام]

فتزل هؤلاء البحرين .

(١) ربما كان أصل العبارة « مشارف الشام » وانظر ص ٩ السابقة من

هذا الجزء (٢) في ب « بن مالك »

وقد كان جميع من ذكرنا [بدواً ، و] انتشروا في الأرض ، على حسب ما ذكرنا من مساكنهم ، وكثرت جدیس ، فملكها عليها الأسود بن غفار ، وكثرت طسم ، فملكها عليها عملوق^(۱) بن جدیس ، وقد ذكر عبيد بن شريفة الجرهمي حين وفد على معاوية [وأخبره] أن طسم بن لاوذ [بن إرم بن سام بن نوح ، و جدیس بن عابر بن]^(۲) سام بن نوح ، هم العرب العاربة ، وقد كان منزلهم جميعاً باليمامة ، واسمها إذ ذاك جَوَّ .

عملوق الظالم
ملك طسم

وكان لطمس ملك يقال له عملوق ، وكان ظلوماً غشوماً ، لا ينهائشئ ، عن هواه ، مع إصراره وإقدامه على جدیس ، وتعدّيه عليهم ، وقهره إياهم ، فلبثوا في ذلك دهوراً ، وهم أهل مظالم^(۳) ، قد غمطوا النعمة ، واتهكوا الحرمه ، وببلادهم أفضل البلاد ، وأكثرها خيراً ، فيها صنوف الشجر والأعشاب ، وهي حدائق ملتفة ، وقصور مصطفة ، فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جدیس ، يقال لها هزيلة بنت مازن ، وزوج لها قد فارقها ، يقال له ماشق ، فأراد قبض ولده منها^(۴) ، فأبت عليه ، فارتفعوا إلى الملك عملوق ليحكم بينهما ، فقالت المرأة : أيها الملك ، هذا الذي حملته تسعا ، ووضعته دفعا ، وأرضعته شفعا ، ولم أنل منه نفعا ، حتى إذا تمت أوصاله ، واستوفت خصاله ، أراد أن يأخذه قسراً ، ويسلبني قهراً ، ويتركني منه صيفراً ، قال زوجها : قد أخذت المهر كاملاً ، ولم أنل منه نائلاً ، إلا ولداً خاملاً^(۵) ، فافعل ما كنت فاعلاً . فأمر الملك أن يؤخذ الولد منهما ويجعل في غلمانة ، فقالت هزيلة في ذلك :

أئينا أخوا طسم ليحكم بيننا فأبرم حكماً في هزيلة ظالماً
لعمرى لقد حكمت لامتورعاً ولا فيها عند الحكومة عالماً

(۱) في ب « عمليق » (۲) ما بين المعقوقين ساقط من ب

(۳) في ا « وهم أهل بطالة قد غمطوا النعمة »

(۴) في ا « قبض ولدها منها »

(۵) في ا « ولم أنل منه طائلاً ، إلا ولداً جاهلاً »

ندمتُ فلم أقدر على متزحزح وأصبح زوجي حائر الرأي نادما
 فيبلغ الملك قول هزيلة ، ففضب ، وأمر أن لا تزوج امرأة من جديس
 فنزف إلى زوجها حتى تحمل إليه ، فيفترعها قبل زوجها ، فلقوا من ذلك ذلا
 طويلا ، ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت عنيرة ، وقيل : الشموس ، بنت
 غفار الجديسي^(١) أخت الأسود بن غفار^(٢) ، فلما كانت ليلة هديها إلى زوجها
 انطلق بها إلى عملاق الملك ليطأها على عادته ، ومعها القينات يغنين ويقلن
 في غنائهن :

إبدي بعملاق وقوي فاركي وبادري الصبح بأمر معجب

* فَمَا لِبِكْرِ بَعْدِكُمْ مِنْ مَذْهَبٍ *

فلما دخلت عنيرة على عملاق افترعها وخلي سبيلها ، فخرجت عنيرة على
 قومها في دماها شاقة جيبها عن قلبها ودبرها ، وهي تقول :

لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس ؟

وقالت أيضاً تخرض [قومها] جديس على طسم ، وأبت أن تمضي إلى
 زوجها من كلمة :

أبضلح ما يؤتى إلى فتياتكم وأتم رجال فيكم عدد الرمل^(٣)

أبضلح تمشى في الدما فتياتكم صبيحة زفت في النساء إلى البعل^(٤)

فإن أتم لا تفضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تفروا من الكحل^(٥)

ودونكم طيب العروس ؛ فإنما خلقت لأثواب العروس وللغسل

قبحاً وشيكاً للذي ليس دافعا ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

(١) في ب « الطسمى »

(٢) هكذا ورد في تاريخ الطبري (٣٨:٢) ووقع في ب « الشموس بنت

عمار أخت الأسود بن غفار » بالخطأ في الموضعين ، وعدم الاتفاق حتى على الخطأ

(٣) في ا « عدد النمل » (٤) حفظى « وتصبح تمشى في الدماء عنيرة »

(٥) في ا « عند هذه » وفيها « لا تفيضوا من الكحل » وأحفظ « لم تفضبوا »

فلو أننا كنا الرجال وكنتم نساء لكنا لا نقر على الذل
فوتوا كراماً ، واصبروا لعدوكم بحرب تَلْظَى في القرام من الجزل^(١)
ولا تجزعوا للحرب يا قوم ، إنما تقوم بأقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكسٍ مواكل ويسلم فيها ذو النجاة والفضل
[وفي ذلك يقول أخوها :

جَاءَتْ تَمْشَى طَسْمٌ فِي خَمِيسٍ كَالرَّيْحِ فِي هَشْهَشَةِ الْبَيْسِ
يَا طَسْمُ مَا لَقِيتَ مِنْ جَدِيسٍ حَقًّا لَكَ الْوَيْلُ فَهَيْسِي هَيْسِي]

قال : فلما سمعت جديس بذلك وغيره من قولها اجتمعت غضباً لذلك ، فقال لهم الأسود بن غفار - وكان فيهم سيداً مطاعاً - يا جديس ، أطيعوني فيما أمركم به ، وأدعوكم إليه ، ففي ذلك عز الدهر ، وذهاب الذل ، قالوا : وما ذلك ؟ قال : قد علمتم أن هؤلاء - يعني طسماً - ليسوا بأعز منكم ، ولكن ملك صاحبهم عليكم وعليهم هو الذي يُدْعِنَا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ^(٢) ، ولو لا ذلك ما كان له علينا من فضل ، ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف^(٣) ، فقالوا : قد قبلنا قولك ، ولكن القوم أقراننا ، وأكثر عدداً وَعُدَدًا مِثًّا ، فنخاف إن ظفروا بنا أن لا يقيلونا ، فقال : والله يا جديس لتطيعنني فيما أمركم به وأدعوكم إليه أو لا تكونن علي سيفي فأقتل [به] نفسي ، قالوا : فإننا نطيعك فيما قد عزمنا عليه ، قال : إني صانع لعملوق وقومه من طسم طعاماً وداعيتهم إليه ، فإذا جاءوا إليه متفضلين في الحلل والنعال^(٤) نهضنا إليهم بأسيافنا ، فانفردت أنا بالملك ، وانفرد كل رجل منكم برجل منهم ، قالوا له : فافعل ما بدالك ، واجتمع رأيهم عليه ، فقالت عفيفة

التفكير
في الانتقام

(١) في ا « واضرموا لعدوكم » وفيها « تلظى بالضرام »

(٢) في ا « هو الذي ودعنا له بالطاعة »

(٣) في ا « ولو امتنعنا منهم لكان لكم النصف »

(٤) في ب « منفصلين من الخيل والبغال » محرفاً

لأخيها الأسود : لا تفعل هذا ؛ فإن الغدر فيه ذلة وعار ، ولكن كابدوا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراماً ، قال : لا ، ولكن نمكر بهم ، فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم ، وأبلغ في الانتقام منهم ، فقالت عفيرة في ذلك أشعاراً قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا .

ثم إن الأسود صنع طعاماً كثيراً ، وأمر قومه فاخترطوا سيوفهم ودفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام ، ثم قال لهم : إذا أتاكم القوم يرفلون في حلبيهم^(١) فخذوا أسيافكم ثم شدوا^(٢) عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم ، وابدؤا بالرؤساء ؛ فإنكم إذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ، ولم تكن بعد ذلك منهم حال تكرر هونها ، قالوا : نفعل ما قلت .

ثم دعا الأسود بعملق الطسمى ومن معه من رؤساء طسم باليمامة ، فأسرعوا إجابة دعوة الأسود ، فلما توافوا إلى المدعاة وثبت جديس ، فاستشاروا سيوفهم من الرمل ، وشدوا على عملاق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم عن آخرهم ، ومضوا إلى ديارهم فاتهبوها ، وقال الأسود بن غفار في ذلك أشعاراً يرثى بها علسا ، ويذكر بغيرها^(٣) وفعل عملاق بأخته ، يطول بذكرها الكتاب ، وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا .

قال : وهرب رجل من طسم ، وكان اسمه رباح بن مرة الطسمى ، فأتى رباح الطسمى إلى حسان بن تبع [الحميري] ملك اليمن يومئذ فاستغاث به ، وقد كان عمداً إلى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طيناً رطباً ، وحملها معه وأخرج معه كلبة ، فلما ورد على حسان كسر يده كلبته ، ونزع الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل إلى حسان واستعاذ به ، وأخبره بالذي صنعت جديس بقومه ، فقال له الملك : لله أبوك ، فمن أين مبداك ؟ قال : جئتك ، أبيت اللعن من أرض

(١) في « يرفلون في حلبيهم » .

(٢) في « ثم تقدموا عليهم » .

(٣) في ب « ويذكر نعيمها » .

قريبة وقوم انتهك منهم ما لم ينتهك من أحد، أنا رباح بن مرة الطّسّمي، دعتنا جديس إلى مدّعاة لهم فأجبناهم متفضلين في الحلال وقد أعدوا لنا السلاح عند جفّانهم، فما ذُقنا الطعام حتى صرنا حطّاماً، بلا طلب دم ولا ترّةٍ سلفت، فدونك - أبيت اللعن! - قوماً قطعوا أرحامنا، وسفكوا دماءنا، قال الملك حسان: أمعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة؟ قال: نعم، فقال الملك: إن كنت صادقاً لقد خرجت من أرض قريبة، ووعدّه^(١) بالنصرة، ثم نادى في حير بالسير، وأعلمهم بما فعل بطسم، قالوا: من فعل هذا أبيت اللعن؟ قال: عبيدهم، قالوا: ما لنا في هذا من أرب، هم إخواننا فلانعين بعضنا على بعض، وهم عبيدك أيها الملك فدعهم، فقال حسان: ما هذا بحسن، رأيتم لو كان هذا فيكم أكان حسناً لملككم^(٢) أن يهدر دماءكم؟ وما علينا في الحكم إلا أننا ننصف بعضنا من بعض، فقام فرسانهم فقالوا: أبيت اللعن الأمر أمرك، فرنا بما أحبيت، فأمرهم بالسير، فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى إذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان: أبيت اللعن، إن لي أختاً متزوجة في جديس ليس في الأرض أبصر منها، إنها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال، وأنا أخاف أن تنذر القوم بك، فتأمر كل واحد من أصحابك أن يقطع شجرة من الأرض فيجعلها أمامه ثم يسير، زرقاء اليمامة فأمرهم [هم] حسان بذلك، ففعلوا ثم ساروا، وكان اسم أخت رباح «يمامة» [بنت مرة] فأشرفت من منظرها فقالت: يا جديس، لقد سارت إليكم الشجر، قالوا لها: وما ذاك؟ قالت: أرى أشجاراً تسير [و] وراءها شيء، وإني لأرى رجلاً من وراء شجرة ينهش كتفاً أو يخفض نعلاً، فكذبوها، وكان ذلك كما ذكرت ففعلوا عن أخذ أهبة الحرب، ففي ذلك تقول اليمامة لجديس [تحذرهم]:

إني أرى شجراً من خلفها بشر فكيف تجتمع الأشجار والبشر؟
ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم فإن ذلك منكم فاعلموا ظفر

(٢) لعلها «للكهم»

(١) في «ووعده النصر»

وأقبل الملك حسان بحمير، حتى إذا كان من جوة على مسيرة ليلة عبأ جيشه ثم صبَّحهم فاستباح أهلها من جديس قتلا، فأفنا [هم وسبي] نساءهم وصبيانهم، وهرب الأسود بن غفار ملكها حتى نزل بدارطبيء فأجاروه من الملك وغيره، من غير أن يعرفوه؛ فيذكر أن نسله اليوم في طبيء مذكور.

فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة، وكانت امرأة زرقاء، فأمر فنزعت عينها فإذا في داخلها عروق سود، فسألها عن ذلك، فقالت: حجر أسود يقال له الإمد كنت أكتحل به [فتشب إلى بصرى] وكانت [هي] أول من اكتحل به، فاتخذوه بعد ذلك كحلا، وأمر الملك باليمامة، فصلبت على باب جو، وقال: سموا جوا باليمامة؛ فسميت بها إلى اليوم.

مسير وبار
ابن أميم

قال المسعودي: ثم سار — بعد طسم بن لاوذ — وبار بن أميم بن لاوذ ابن إرم بن سأم بن نوح بولده ومن تبعه من قومه، فنزل بأرض وبار بالأرض المعروفة برمل عاج، فأصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم في الأرض، وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الأخباريون من العرب، وخروجهم بذلك عن حد العقول والمعتاد^(١) من الأمر المفهوم، بزعمهم أن الله عز وجل حين أهلك هذه الأمة العظيمة، المعروفة بوبار^(٢)، كما أهلك طسما وجديسا وداسما، وكانت ديار داسم بأرض السماوة فأهلكوا بالريح السوداء الحارة، وداسم كانت ديارهم بالجولان وجازر^(٣) من أرض نوى من بلاد حوران والبتنية، وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام،

(١) في ب « عن حد العقول والعناد »

(٢) في مهلك « وبار » يقول الراجز:

ألم تروا إرما وعادا أودى بها الليل والنهار

ومر دهر على وبار فهلكت جهرة وبار

(٣) في ب « بالجولان والجيدور من أرض بوا وبلاد حوران والتبت »

وعملاق وعاد وشمود ، وأن الجن كانت تسكن في ديار وبار ، وحتها من كل من أرادها وقصد إليها من الإنس ، وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجراً وأطيبها ثمراً وعنباً ونخلاً وموزاً ، وإن دنا أحد من الناس إلى تلك البلاد غالطاً أو متعمداً حثت الجن في وجهه التراب ، وسفت عليه سواقي الرمل ، وأثارت عليه الزوابع ، فإن أراد الرجوع [عنها] خيلوه وتيهوه ، وربما قتلوه ، وهذا الموضع عند كثير من ذوى الحجج باطل ، فإذا قيل لهم: دلونا على جهته ، وقفوناً على حده ، زعموا أنها من أرادها ألقى على قلبه الصرفة ، حتى كأنهم بنو إسرائيل الذين كانوا مع موسى في التيه فصداهم الله تعالى عن الخروج ، ولم يجعل لهم سبيلاً إلى أن تم فيهم مراده ، وانتهى فيهم حكمه ، وقد قال في ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم في هذه الأرض المجهولة^(١).

دعا جحفا لا يهتدى لمقبله من اللؤم حتى يهتدى لوبار^(٢)
[وداع دعا والليل مرخ سدوله رجاء القرى يا مسلم بن جبار]^(٣)
وأقوالهم في مثل هذا كثيرة .

والعرب ممن سلف وخلف في الجاهلية والإسلام يخبرون عن هذه الأرض كماخبارهم عن وادي القرى والصمان والدّهناء والرمل الذي بيبرين وغيرها من الأرضين التي نزلوا فيها ، ويخيمون عليها طلباً للماء والكلاء ، وزعموا أنه ليس بهذه الأرض اليوم أحد إلا الجن والإبل الوحشية ، وهي عندهم من الإبل التي قد ضربت فيها فحول الجن ، فالوحشية من نسل إبل الجن ، والعبدية والمسجدية والمانية قد ضربت فيها الوحشية ، وفي ذلك يقول أبو هرير^(٤) :
كأني على وحشية أو نعامة لها نسب في الطير وهو ظليم^(٥)

(١) أعتقد أن ترتيب البيتين أن يتقدم ثانيهما

(٢) في ب « دعا جحفا لا يهتدى لمقبله » (٣) هذا البيت ساقط من ا

(٤) في ب « زهير بن أبي سلمى الزني » (٥) في ا « وهي ظليم »

والأشعار في ذلك كثيرة .

وفي بسطنا لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها - مما أمكن كونه
وخرج عن حد الوجوب والجواز - خروج عن حد الإيجاز والاختصار ، وقد
أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا .

وسار بعد وبار بن أميم عبدٌ ضخم^(١) بن إرم بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا
الطائف، فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر، فدثروا وذكرتهم الشعراء، [وفيهم
يقول الأزدي :

وعبد ضخم إذا نسبهم ابيض أهل الحبي بالنسب

ابتدعوا منطقاً يجمعهم فين الخط قحة العرب]

وذكروا أن هؤلاء أول من كتب بالعربية ، ووضع حروف المعجم وهي
حروف ا ب ت ث ، وهي التسعة والعشرون حرفاً^(٢) ، وقد قيل غير ذلك ،
على حسب تنازع [الناس في] بدء الكتابة .

وسار بعد عبد ضخم بن إرم جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه ، وطاقوا
البلاد ، حتى أتوا مكة فنزلوها [وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمي :

هذا سبيل كسبيل يعرب الباديء القول المبين للمعرب

يا قوم سيروا عن فعال الأجنب جرهم جدى وقحطان أبى]^(٤)

وسار أميم بن لاوذ بن إرم بعد جرهم بن قحطان فحلَّ بأرض فارس ؛ فالفرس
— على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، في باب تنازع الناس في
أنساب فارس — من ولد كيومرث بن أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ،
وفي ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس في الإسلام^(٣) :

(١) في « عبد بن ضخم » وانظر ص ١٣٢ من هذا الجزء .

(٢) في « الثمانية والعشرون » (٣) في « بعد ظهور الإسلام »

(٤) جميع ما بين المعقوفين ساقط من أوحدها والشعر المروي هنا كله

غير مستقيم

أبو نأ أميم الخير من قبل فارس وفارس أرباب الملوك؛ بهم فخرى
[وما عد قوم من حديث وحادث من المجد إلا ذكرنا أفضل الذكر] (١)

أول امرئ^٢ وقد ذكر جماعة من أهل السير والأخبار أن جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا أهل خيم وبدوا مجتمعين في مساكنهم من الأرض، وأن أميا أول من ابنتى البنيان، ورفع الحيطان، وقطع الأشجار، وسقف السقوف، واتخذ السطوح، وأن ولد حام [بن نوح حلوا ببلاد الجنوب، وأن ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة، على حسب ما قدمنا آنفاً في باب السودان من هذا الكتاب، وأن فخذاً من ولد كنعان بن حام] (٢) ساروا نحو بلاد إفريقيا ووطنجة من أرض المغرب، فنزلوها، وزعم هذا القائل أن البربر من ولد كنعان بن حام.

أنساب البربر وقد تنازع الناس في بدء أنساب البربر؛ فمنهم من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن، وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان من سيل العرم، ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان، ومنهم من رأى غير ذلك، وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا.

الشام
بلاد كنعان ونزل ولد كنعان بن حام - وهم الأغلب من ولد كنعان - بلاد الشام، فهم الكنعانيون، وبهم تعرف تلك الديار، فقيل: بلاد كنعان.

مسير نوفير وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مصر بن حام وبيصر إلى الهند والأنباط.

وسار نوفير [بن فوط] (٣) بن حام بولده ومن تبعه إلى أرض الهند والسند، وبالسند

(١) كذا في ب، ولعله « من قديم وحادث » والبيت برمه ساقط من

(٢) هذه الزيادة لا توجد في ا

(٣) هكذا في ا، وفي ب « بوقر بن لوط » وسقط الأب فيما يلي

أم لهم أجسام طوال ، وهم على بلاد المنصورة من أرض السند ؛ فعلى هذا القول أن الهند والسند من ولد نوفير [بن فوط] بن حام بن نوح ، فولد حام في الجنوب من الأرض الأكثر منهم ، وولديا في الشمال فيما بين الشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من الأمم وتفرقتها في الشرق وغيره مما يلي جبل القمخ والباب والأبواب .

وَبَعَثَ عَادِي الْأَرْضِ وَمَلِكُهَا الْجَلْجَانُ بْنُ الْوَهْمِ^(١) ؛ فَكَانُوا يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةَ
عِبَادَةَ عَادٍ ،
وَبَعْضِهِمْ
أَصْنَامٌ ، وَهِيَ : صَمُودٌ ، وَصَدَاءٌ ، وَالْهَبَاءُ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ هُودًا عَلَى حَسَبِ
مَا قَدَّمْنَا ، فَكَذَّبُوهُ ، وَهُوَ هُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْخُلُودِ بْنِ عَادٍ^(٢)
ابْنِ عَوْصِ بْنِ إِرْمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ قَوْمَ عَادٍ كَانُوا عَشْرَةَ قَبَائِلَ ،
وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَسْمَائِهِمْ ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ هُودٌ ؛ فَمَنَعُوا الْمَطَرَ ثَلَاثَ سِنِينَ ، وَأَجْدَبَتِ
الْأَرْضُ فَلَمْ يَدِرَّ عَلَيْهِمْ ضَرْعٌ^(٣) .

وقد كان من ذكرنا من الأمم لا يمجّد الصانع جل وعز ، ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبياً ، وأنه وفي لقومه بما وعدهم من العذاب ، إلا أن القوم دخات عليهم شبه بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ، ومالت نفوسهم إلى الدّعة ، وماتدعو إليه الطباع من الملائذ والتقليد ، وكان في نفوسهم هيبه الصانع ، والتقرب إليه بالتمائيل وعبادتها ، لظنهم أنها مقربة لهم إليه ، وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة ، وكان موضعها على ما ذكرنا ربوة حمراء ، فوفدت عاد إلى مكة يستسقون لهم ، وكان بمكة بومئذ العاليق ، فأتى الوفد مكة ، فأقبلوا على

وفود عاد
على مكة

(١) في ب « الجلجان بن الوهم » .

(٢) كذا في ا وتاريخ الطبري (١ : ١١١) وفي ب « بن الخلود بن عياد »
وسقط من الطبري ذكر خالد ، وفيه أن الذين نزلوا الهند بنونوقين بن يقين
(١٠٥ : ١) .

(٣) في ا « فلم يدر لهم ضرع » .

الشرب واللغو ، حتى غنّتهم^(۱) الجرادتان قینتا معاویة بن بکر بشعر فيه
حَثَّ لَمْ^(۲) على ما وردوا من أجله ، وهو :

ألا يا قَیْلَ وَیْمَحْکَ قَمِ فَهَیْنِمِ لَعَلَّ اللهُ یَمْطِرنا غماما
فیسقی أرض عادٍ ، إنَّ عاداً قَدَ امْسَوْا لا یبینون الکلاما
من العطش الشدید فایس نرجو به الشیخ الکبیر ولا الفلاما^(۳)
وإن الوحش تأتي أرض عاد فلا تخشى لرامیهم سهامها
وأتم ههنا فیما اشتہتم نهارکم ولیلکم التماما
فَقَبَّحَ وَفَدَّکُمْ مِنْ وَفَدَّ قَوْمِ وَلَا لُقُوا التَّحِیةَ وَالسَّلَاما

^(۴) [ثم إن معاویة بن بکر دعا إحدى الجرادتین ففنت :

ألا يا قَیْلُ مِنْ عَوْصِ وَمِنْ عاد بن سام
وعاد كالشمارِخِ مِنْ الطول الکرام
سقى الله بنی عاد مَعاً صَوَّبَ الغمام ^(۴)

فاستيقظ القوم من غفلتهم ، وبادروا إلى الاستسقاء لقومهم ؛ فكان من
أمرهم في مجيء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ما قد اتضح ، وفيهم يقول
مرثد بن سعد من كلمة :

عَصَتْ عاد رسولهم فأمسوا عِطَاشًا لا تَبْلُهُم السماء
ألا قَبِحَ الإلهُ حُلُومَ عاد فَإِنَّ قلوبهم قَفَرٌ هواء
^(۱) [لهم صنم يقال له صمود يقابله صداء والهباء]^(۲)
^(۳) [فبصّرنا النبي سبيلَ رشد فأبصرنا الهدى ونأى العماء]^(۴)
^(۴) [وإني موقن فاستيقنوه بأن إله هود هو العلاء]^(۴)

(۱) في ب « جاءتهم الجردانان » (۲) في ب « يشرحن لهم ماوردوا »

(۳) وقع في ا « فليس يرجي » حياة الشیخ الکبیر « وليس بشيء وورد

فيها هذا البيت متأخرا عما بعده هنا .

(۴) ما بين العنقوين ساقط من ا .

[وأن إله هود هو إلهي هلى الله التوكل والرجاء]

[وأنى لاحق بالأمس هوداً وإخوته إذا حق المساء]

فأرسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم، [نخرجت الريح عليهم] من وادٍ مهلك عاد لهم، فلما رأوا ذلك قالوا: (هذا عارضٌ ممطرنا) وتباشروا بذلك، فلما سمع هود ذلك من قولهم قال: (بل هو ما استعجلتم به، ريح فيها عذاب أليم — الآية) فأتتهم الريح يوم الأربعاء، فلم تأت الأربعاء الثانية ومنهم حتى، فمن أجل ذلك كره الناس يوم الأربعاء^(١)

وقد بينا فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك، وكيف وقوعه من أيام الشهر في باب [ذكر] الشهور، فلما شاهد هود النبي صلى الله عليه وسلم ما نال قومه انفراد هو ومن معه من المؤمنين، وفي ذلك يقول الهيل بن الخليل^(٢):

لو أن عاداً سمعت من هود واتبعت طريقة الرشيد

وقد أتى بالوعد والوعيد عاداً وبالتقريب والتبعيد

ما أصبحت عائرة الجدود صرعى على الآناف والحدود

ساقطة الأجساد بالوصيد ماذا جنى الوفد من الوفود؟

أحدوثه في الأبد الأبد

^(٣) [وقال مهدي بن سعد في شعر له :

دعاهم خيفة لله هود فما نفع النذير ولا أجابوا

فلسا أن أبوا إلا اعتوا أصابهمُ بغيهم العذاب^(٤)

وقد كان الآخر من ملوكهم الخلجان^(٥)، وقد تقدم ذكرنا في هذا الباب

للك عادوثمود وغيرهم، وقيل: إن أول من ملك عاداً من الملوك عاد بن عوص

(١) في ١ « فمن أجل ذلك كره أربعاء لا تدور » .

(٢) في ١ « النهيل بن الخليل » .

(٣) ما بين المعقوقين ساقط من ١ - (٤) في ب « الآخر من الملوك الخلجان »

[ثلثمائة سنة ، ثم ملك ابن عاد بن عوص ^(١)]

قال : ولما دثرت هذه الأمم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها
غيرهم من الناس ، فنزل قوم من بني حنيفة اليمامة واستوطنوها ، وقد كانوا
نزلوا بلاد الجحفة بين مكة والمدينة ^(١) [وقطنوها ؛ فقال شاعرهم يرثي من كان
في تلك الديار :

الحففة

إِنْ طَسَمًا وَجُرْهُمَا وَجَدِيَا وَالْعَالِيقُ فِي السَّنِينِ الْخَوَالِي
صَمَرُوا الْبَيْتَ حِقْبَةَ ثُمَّ وَلَّوْا وَاسْتَمَرَّتْ بِهِمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي
وَأَرَاكَ الزَّمَانَ مِنْهُمْ ، وَأَضْحَى غَيْرُهُمْ سَاكِنًا بِتِلْكَ الْخَوَالِي
وَرَمَاهُمْ رَبِيبُ الزَّمَانِ فَأَمْسَوْا دَوْزَمٌ بَلْقَعٌ لِمَرِّ الشَّمَالِ ^(١)

وقد كان نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عيبيل ^(٢) بن عوص بن إرم بن
سام بن نوح هو وولده [ومن تبعه] ، فهلكوا بالسيل ، فسمى ذلك الموضع
بالجحفة لإجفافها عليهم .

وكان يرثب بن قاتية ^(٣) بن مهليل بن إرم بن عيبيل نزل بالمدينة هو وولده
ومن تبعه فسميت به يرثب ، فهلك هؤلاء أيضاً ببعض غوائل الدهر وآفاته ،
فقال شاعرهم :

يرثب

عَيْنُ جُودِي عَلَى عَيْبِيلٍ ، وَهَلْ يَرِ جَعَّ مَا فَاتَ قَيْضُهَا بِالْجَمَامِ ؟
عَمَّرُوا يَثْرَبًا وَوَلِيَسَ بِهَا سَفَرٌ وَلَا صَارِخٌ وَلَا ذُو سَنَامِ
غَرَسُوا لِيْنَهَا بِمَجْرَى مَعِينٍ ثُمَّ حَفُّوا السَّيْلَ بِالْأَجَامِ ^(٤)
وقد أخبر الله جلت قدرته عنهم ، فقال : (كذبت ثمود وعاد بالقارعة ،
فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) .

وقد تنازع أهل الشرائع في قوم شعيب بن نويل بن رعويل ^(٥) بن مر بن عنقاء

قوم شعيب

(١) هذه الريادة لا توجد في ا (٢) في ب « عيبيل بن عوص »

(٣) في ب « يرثب بن قاتية » (٤) في ب « ثم حفوا السيل بالأرحام »

(٥) في ب و شعيب بن نوقل بن رعويل بن مر بن عنقاء — إلخ .

ابن مدين بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العربية: فمنهم من رأى أنهم من العرب الدائرة، والأمم البائدة، وبعض من ذكرنا من الأجيال الخالية، ومنهم من رأى أنهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب بن مدين بن إبراهيم، وأن شعيباً أخوهم في النسب، وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة [ومنفصلة] فمنهم المسمى بأبي جاد^(١) وهوز وحطى وكلن وسعفص وقرشت، وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل، وأحرف الجمل على أسماء هؤلاء الملوك، حروف الجمل وهي التسعة والعشرون^(٢) حرفاً التي [يدور] عليها حساب الجمل، وقد قيل في هذه الأحرف غير ما ذكرنا من الوجوه، على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب، وليس كتابنا هذا موضعاً لما قاله الناس فيها، وتنازعوا في تأويلها والمراد بها، وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز، وكان هوز وحطى ملكين ببلاد ورج، وهي أرض^(٣) الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد، وكلن وسعفص وقرشت ملوكاً بمدين، وقيل: ببلاد مصر، وكان كلن على ملك [مدين، ومن الناس من رأى أنه كان ملكاً على] جميع من سمينا مشاعاً متصلاً على ما ذكرنا، وأن عذاب يوم الظلة كان في ملك كلن منهم، وأن شعيباً دعاهم فكذبوه، فوعدهم بعذاب يوم الظلة، ففتح عليهم باب من السماء من نار، وانحاز^(٤) شعيب بمن آمن معه إلى الموضع المعروف بالأينكة، وهي غيضة نحو مدين، فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عايبهم الحروا يقتلوا بالهلاك طابوا شعيباً ومن آمن معه وقد أظلمت سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيها ألم العذاب، فأخرجوا شعيباً ومن آمن معه من موضعهم [وأزالوهم عن أماكنهم] وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم، فجعلها الله عليهم ناراً، فأتت عايبهم [فرثت حارثة بنت كلن أباهما فقالت وكانت بالحجاز:

عذاب
يوم الظلة

(١) في «أبجد» (٢) في «أ» وهي الأربعة والعشرون حرفاً «

(٣) في «أ» وعلى أرض الطائف - إلخ» (٤) في ب «ونجا شعيب»

كَلَنْ هَدَمَ رَكْنِي هُلْكُهُ وَسَطَ الْحَلَّةِ
سِيدَ الْقَوْمِ أَتَاهُ السَّحْتَفُ نَارًا تَحْتَ ظِلِّهِ
كَوْنَتْ نَارًا، وَأَضَحَتْ دَارَ قَوْمِي مُضْمَلَةً^(١)

وفي ذلك يقول المنتصرين المنذر المدني^(٢) :

أَلَا يَا شَعِيبَ قَدْ نَطَقْتَ مَقَالَةَ أَتَيْتَ بِهَا عَمْرًا وَحَىٰ بَنِي عَمْرٍو
وَهُمْ مَلَكَوْا أَرْضَ الْحِجَازِ وَأَوْجَهًا كَمَثَلِ شِعَاعِ الشَّمْسِ فِي صُورَةِ الْبَدْرِ
مَلُوكَ بَنِي حُطَيٍّ وَسَعْفَصَ ذِي النَّدَىٰ وَهَوَّزَ أَرْبَابَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
وَهُمْ قَطَنُوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَرَتَبُوا خَطُورًا وَسَامُوا فِي الْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ^(٣)

ولهؤلاء الملوك أخبار عجيبة من حروب وسير ، وكيفية تغلبهم على هذه
الممالك وتملكهم عليها ، وإبادتهم من كان فيها وعليها [قبلهم] من الأمم ،
قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتبنا في هذا المعنى مما كتابنا هذا منه عليها
وباعث على درسها .

وأما بنو حضورا وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة ، فغلبت على كثير من
الأرض والممالك ، وقد تنازع الناس فيهم : فمنهم من ألحقهم بمن ذكرنا من
العرب البائدة ممن سمينا ، ومنهم من رأى أنهم من ولد يافث بن نوح ، وقيل
في أنسابهم غير ما ذكرنا من الوجوه ، وقد كان الله عز وجل بعث إليهم شعيب
ابن مهدم بن حضورا بن عدى نبيا ناهيا عما كانوا عليه ، وهذا غير شعيب
ابن نويل بن رعويل بن مر بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم الخليل صاحب مدين
المتزوج ابنته موسى بن عمران المقدم ذكره ، وبينهما مثنون من السنين ، وقد

حضورا
تنازع الناس
في أنسابهم

(١) لا توجد هذه الزيادة في أ

(٢) اختلف ترتيب هذه الأبيات في النسخ ، ولا يوجد أولها في أ

(٣) في أ ه وزينوا * مطورا وسادوا بالمكارم والفخر * ه .

كان بين موسى بن عمران وبين المسيح ألف نبي^(١)، ولما بعث إلى حضورا، واشتد كفرهم جدّ نبيهم شعيب بن مهدم^(٢) في دعائهم وخوفهم وتوعدهم، فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل أظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبت حجته على قومه، فلم يضيع الله دمه، ولم يكذب وعيده، فأوحى الله تعالى إلى نبي كان في عصره وهو برخيا بن أخيب بن رزناثيل بن شالتان^(٣) وكان من سبط يهوذا بن إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عايه السلام - أن يأتي بمختصر وكان بالشام وقيل : غيره من الملوك، فيأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم، فلما أتى برخيا ذلك الملك قال له الملك : صدقت، لي سبع ليال أو مر في نومي بما ذكرت، وأنا نأدي بمجيئك إلى، وأبشر بخطابك، ويقال لي ما أمرتني به، وأن أنتصر للنبي المقتول الفريد [المظلوم] فسار إليهم في جنوده وغشي دارهم في عساكره، وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لحربه من حيث عمّ الصوت جميعهم، وهو يقول :

سَيُغْلَبُ قَوْمٌ غَالَبُوا اللَّهَ جَهْرَةً وَإِنْ كَايَدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدَا
كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ مَرِيضًا وَمَنْ وَآلَى النِّفَاقِ وَالْحَدَا
فلما سمعوا ذلك علموا أن الأمر قد نزل بهم، فانفضت جنودهم، وتفرقت جموعهم، وولت كتابهم [يترا كضون]، وأخذهم السيف، فحصدوا أجمعين. وقد ذكر أن في قصة هلكهم قال الله عز وجل من قائل : (فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) .

وقد تنوزع في ديارهم والموضع الذي كانوا فيه : فمن الناس من رأى أنهم كانوا بأرض السماوة، وأنها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة، منازل حضروا

(١) في ب « ألف سنة »

(٢) في ب « شعيب بن ذى مهدم »

(٣) في ب « برخيا بن أخيب بن روبايل بن شاليل » .

وذلك بين العراق والشام إلى حد الحجاز ، وهي الآن ديار خراب برارى وقفار ،
ومنهم من رأى أن ديارهم كانت [بلاد جند قنسرين إلى تل ماسح إلى
خناصره]^(١) إلى بلاد سورية ، وهذه المدن في هذا الوقت مضافة إلى أعمال
حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام .

قال المسعودي : وقد أتينا على جمل من أخبار العرب الماضية والباقية ،
وقد كان قبل ظهور الإسلام للباقي منهم مذاهب وآراء في النفوس وتفول
الغيلان والهواتف والجن ، وسنورد جملا منها منفردة على حسب ما يقتضيه
شرط الاختصار في هذا الكتاب ، وعلى حسب ما نرى إلينا من أخبارهم ،
واتصل بنا من آثارهم ، وذكره الناس من آرائهم ، عن الفاني والباقي
[منهم] ، إن شاء الله تعالى .

(١) زيادة في اوحدها .

ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس والهام والصفير

وغير ذلك [من مذاهب الجاهلية في النفوس والمرىء]

[كانت للعرب مذاهب في الجاهلية في النفوس ، وآراء ينازعون في
الاختلاف
في النفس
كيفيةاتها] : فمنهم من زعم أن النفس هي الدم [لا غير] وأن الروح الهواء
الذي في باطن جسم المرء منه نفسه ، ولذلك سموا المرأة منه نَفْسَاء ، لما يخرج منها
من الدم ، ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الأمصار فيما له نَفْسٌ سائلة إذ اسقط في الماء :
هل ينجسه أم لا ؟ وقال تأبط شرا خاله الشنفرى الأكبر [وقد سأله عن قتيل
قتله — كيف] كانت قصته ؟ فقال : أجمته عضبا فسالت نفسه سكبا ، وقالوا :
إن الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ، بدأ في حال الحياة ، وطبيعته [طبيعة
الحياة و] النماء مع الحرارة والرطوبة ؛ لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة ، فإذا
مات بقي اليبس والبرد ، ونفيت الحرارة ، وقال ابن براق من كلمة :

وكم لاقيت ذا نجب شديد تسيل به النفوس على الصدور
[إذا الحرب العوان به استهامت وحال ، فذاك يوم قطير]^(١)
وطائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينسط في جسم الإنسان ، فإذا مات أو قتل
لم يزل مطيفا به متصوراً إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً ، وفي
ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل :

سلط الطير والمنون عليهم فلهم في صدَى المقابر هَامُ
لأن هذا الطائر يسمونه الهام ، والواحدة هامة ، وجاء الإسلام وهم على
الهام ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا هَامَ ولا صَفَرَ » .
ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ، ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم

(١) هذا البيت لا يوجد في ١ ، وفيه مع ما قبله الإقواء .

وهي أبداً تتوحش وتصدح ، وتوجد أبداً في الديار المعطلة والنواويس ،
وحيث مصارع [القتلى وأجداث] الموتى .

ويزعمون أن الهامة لاتزال [على ذلك] عند ولد الميت في محله بفنائهم؛
لتعلم ما يكون بعده فتخبره به ، حتى قال الصلت بن أمية لبنيه :

ها مي تخبرني بما تستشعروا فتجنبوا الشعاء والمكروها^(١)

وفي ذلك يقول في الإسلام توبة في ليلي الأخيلية :

ولو أن ليلي الأخيلية سلمت عليّ ودوني جنديل وصفائح^(٢)

لسلمت تسليم البشاشة ، أو زقا إليها صدّي من جانب القبر صائح^(٣)

وهذا من قولهم يدل على أن الصّدّي [قد] ينزل إلى قبورهم ويصعد [ومن

ذلك ماروي عن حاتم طي^٤ مما سنورد خبره في هذا الكتاب .

أتيت لصحبك تبغي القرى لدى حفر صدحت هامها^(٤)

وسنذكر هذا الشعر في أخبار الحجاج بن يوسف مع ليلي الأخيلية من

هذا الكتاب ، وقد قيل : إن هذه الأبيات لغير توبة [في غير ليلي] ،

وهذا كثير في أشعارهم ومنثور كلامهم وسجعهم وخطبهم ، وغير ذلك من

مخاوراتهم .

تنقل الأرواح وللعرب وغيرهم من أهل الملل من سلف وخلف كلام كثير في تنقل الأرواح

وقد أتينا على [مبسوط] ذلك في كتابنا المترجم بـ « سر الحياة » وكتاب

« الدعوى » وبالله التوفيق .

(١) في ١ ، ب « هامتي تخبرني » ولا يستقيم معه وزن البيت ، وفي ١ « وتجنبوا

الشعاء والمكروها » وليس بشيء .

(٢) في ١ « وفوق تربة وصفائح » .

(٣) في ١ « أورقي إليها » وليس بذلك .

(٤) ما بين المعقوقين ساقط من ١ ، والكلام الذي بعده مرتبط بيبني توبة قبل

المعقوقين .

ذكر أقاويل العرب في الغيلان والتغول

وما لحق بهذا الباب

للرب في الغيلان وتقولها أخبار طريفة .

رأيهم
في الغول

العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات ، ويظهر لخواصهم في أنواع من الصور ، فيخاطبونها ، وربما ضيفوها^(١) ، وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم :
فمنها قول تأبط شراً :

وأدم قد جُبت جبابه كما أجتابت الكاعب الخيعلا
[على إثر نارٍ ينور بها فبت لها مديراً مقبلاً]^(٢)
فأصبحتُ والغول لي جارة فياجارتني أنت ما أهولاً
وطالبتها بضمها فالتوت بوجه تغول فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتني فإن لها باللوى منزلاً
وبزعمون أن رجليها رجلا عنز^(٣) ، وكانوا إذا اعترضتهم الغول في الفيافي
يرتجزون ويقولون :

يا رجل عنز أنتهي نهيقا لن نترك السبب والطريقا^(٤)

الغول تلون
وتضلل

وذلك أنها كانت تترأى لهم في الليالي وأوقات الخلوات ، فيتوهمون أنها إنسان فيتبعونها ، فتزيلهم عن الطريق التي هم عليها ، وتتيهم . وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه ، فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد فإذا صبح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية ورءس الجبال .

وقد ذكر جماعة من الصحابة [ذلك] : منهم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ! أنه

(١) في ا « وربما باضموها »

(٢) هذا البيت لا يوجد في ب

(٣) في ا « رجلا غير » .

(٤) في ب « لن تنزلي السبيل والطريقا » وفي ا « يارجل غير » .

شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام ، وأن الغول كانت تتفول له ، وأنه ضربها بسيفه ، وذلك قبل ظهور الإسلام ، وهذا مشهور عندهم في أخبارهم

رأى الفلاسفة وقد حكى عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان [مُشَوَّه] لم تحكمه الطبيعة ، وأنه لما خرج منفرداً في نفسه وهيئته توحش من مكنته ، فطلب القفار ، وهو يناسب الإنسان والحيوان البهيمي في الشكل ، وقد ذهبت طائفة من الهند إلى أن ذلك إنما يظهر من فعل ما كان غائباً من الكواكب عند طلوعها ، مثل الكوكب المعروف بكلب الجبار^(١) ، وهي : الشَّعْرَى العُبُور ، وأن ذلك يحدث داء في الكلاب ، وسهيل في الحمل والذئب في الدب^(٢) وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر في الصحارى ، وغيرها من العاصم والخرائب ، فتسميه عوام الناس غولا ، وهي ثمانية وأربعون كوكبا ، وقد ذكرها بطليموس وغيره ممن تقدم وتأخر ، وقد وصف ذلك أبو معشر في كتابه المعروف بـ « المدخل الكبير إلى علم النجوم » وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره في أنواع مختلفة .

^(٣) [وزعمت طائفة من الناس أن الغول أسم لكل [شئ] يعرض للسُّفَّار ، ويتمثل في ضروب من الصور ، ذكراً كان أو أنثى ، إلا أن أكثرهم كلامهم على أنه أنثى ، وقد قال أبو المطراب [عبيد بن أيوب العنبري] :

[وحالفني الوحوش على الوفاء وتحت عهدهن وبأ البعاد]
 وغولا قفزة ذكراً وأنثى كأن عليهما قطع النجاد
 وقال آخر [وهو كعب بن زهير الصحابي] :

[فما تدومُ على حال تكون بها كما تلونُ في أثوابها الغولُ]^(٣)

(١) في بـ « بقلب الجبار » .

(٢) في « وسهيل في الجمال والذئب في الذئبة » ولا يتجه لي معنى ما في اول ما في بـ

(٣) ما بين هذين المعقوفين متأخر في ا عن الذي بعده .

وقد قدمنا [ذكر ذلك] فيما سلف من كتبنا في هذا المعنى ، وأن كل كوكب [من هذه] يظهر في صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث في هذا العالم نوعاً من الأفعال [لم ينفرد بفعله غيره من الكواكب] .

(١) [وكانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توحد بالليل النيران للعبث والتحيل ، واختلال السابلة ، قال أبو المطراب :

فله در الغول ، أي رفيق لصاحب قفر حالف وهو معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالى نيرانا تلوح وتزهر (١)

وقد فرقوا بين السَّعَلَاة والغول ، قال عبيد [بن أيوب] :

وساخرة منى ، ولو أن عينها رأت ما رأت عيني من الهول جنت
أبيت بسعلاة وغول بقفرة إذا الليل وارى الجن فيه أرنت

وقد وصفها بعضهم ، فقال :

وَحَافِرُ العنزِ فِي سَاقٍ مُدْمَلِجَةٌ (١)

وَجفن عين خِلافِ الإنسِ بِالطولِ

والناس كلام كثير في الغيلان ، والشياطين ، والمردة ، والجن ، والقطرب ، والغدار (٢) ، وهو نوع من الأنواع المتشيطنة ، يعرف بهذا الاسم ، يظهر في أكناف اليمن والتهام ، وأعلى صعيد مصر ، وأنه ربما يلحق الإنسان فينكحه فيتدود دبره فيموت ، وربما يتوارى للإنسان فيذعره ، فإذا أصاب الإنسان

قولهم
في الشياطين
ونحوهم

(١) لا يوجد ما بين المعقوفين في (٢) في ١ « وحافر العير في ساق مدلجة »

(٣) في ب « والقرب والقدار » .

ذلك منه يقول له أهل تلك النواحي التي سمينا : أمنكوح هو أم مذعور ؟
 فإن قالوا منكوح يُنس منه ، وإن كان مذعوراً أسكن روعه ، وشجع مما
 ناله ، وذلك أن الإنسان إذا عاين ذلك سقط مغشياً عليه ، ومنهم من يظهر له
 ذلك فلا يكثر [به] لشهامة قلبه ، وشجاعه نفسه ، وما ذكرنا مشهور في
 البلاد التي سمينا ، ويمكن جميع ما قلنا مما حكيناها عما ذكرنا من أهل هذه
 البقاع أن يكون ضرباً من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة ، أو غير ذلك
 من الآفات والأدواء المعترضة لجنس الحيوان من الناطقين [وغيرهم] ، والله
 أعلم بكيفية ذلك .

ولم نذكر في هذا الكتاب ما ذكره أهل الشرائع ، وما ذكره أهل
 التواريخ والمصنفون لكتب البدو ، كوهب بن منبه ، وابن إسحاق ، وغيرها
 أن الله تعالى خلق الجن من نار السموم ، وخلق منه زوجته ، كما خلق حواء
 من آدم ، وأن الجن غشياً ، فحملت منه ، وأنها باضت إحدى وثلاثين
 بيضة ، وأن بيضة من تلك البيض تفلقت عن قطربة ، وهي : أم القطارب ،
 وأن القطربة على صورة الهرة ، وأن الأبالس من بيضة أخرى منهم الحارث
 أبو مرة ، وأن مسكنهم [البحور ، وأن التردّة من بيضة أخرى مسكنهم]
 الجزائر ، وأن الفيلان من بيضة أخرى ، مسكنهم الخلوات والفلوات ، وأن
 السعالى من بيضة أخرى ، سكنوا الحمامات والمزابيل^(١) ، وأن الهوام من بيضة
 أخرى ، سكنوا الهوام في صورة الحيات ذوات أجنحة يطرون هنالك ، وأن من
 بيضة أخرى [الدواسق ، وأن من بيضة أخرى] الحماميص — لأننا قد ذكرنا ذلك
 فيما سلف من كتبنا ، وتقدم من تصنيفنا ، وأتينا على ذكر [ما تشعب] من أنسابهم
 والمشهور من أسمائهم ومساكنهم من الأرض والبحار ، وإن كان ما ذكره أهل

(١) في ١ « ومسكنها الجبال ، وأن الوهاويس » .

الشرع مما وصفنا ممكناً غير ممتنع ولا واجب ، وإن كان أهل النظر والبحث
والمستعملون تمضية العقل والفحص يمتنعون مما ذكرناه ، ويأبون ما وصفنا ،
والمصنف حاطبٌ ليلٍ ، فأوردنا ما قاله الناس من أهل الشرائع وغيرهم ؛ إذ كان
الواجب على كل ذي تصنيف أن يورد جميع ما قاله أهل الفرق في معنى
ما ذكرناه ، وأتينا أيضاً على سائر ما خبرنا من الأشخاص التي هي غير مرئية
من الجن والشياطين وما قالوه في سلوك الجن [في الناس] في كتابنا المترجم
بكتاب « المقالات ، في أصول الديانات » وبالله التوفيق .

ذكر قول العرب في الهواتف والجان

[قال المعدي] :

فأما الهواتف فقد [كانت] كثرت في العرب ، واتصلت بديارهم ، وكان
أكثرها أيام مولد النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم ، وفي أولية مبعثه ، ومن حكم
الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي .

قولهم في
الهواتف
والجان

قال المعدي : وقد تنازع الناس في الهواتف والجان : فذكر فريق منهم
أن ما تذكره العرب وتُنبيء به من ذلك إنما يعرض لها من قبل التوحد في
القفار ، والتفرد في الأودية ، والسلوك في المهامة والمرور ^(٢) الموحشة ؛
لأن الإنسان إذا صار في مثل هذه الأماكن وتوحد تفكر ، وإذا هو تفكر
وجل وجبن ، وإذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة ، والأوهام المؤذية ،
والسوداوية [الفاسدة] ، فصورت له الأصوات ، ومثلت له الأشخاص ،
وأوهمته الحمال ، بنحو ما يعرض لذوى الوسواس ، وقطب ذلك وأشده سوء
التفكير ، وخروجه على غير نظام قوى ، أو طريق [مستقيم] سليم ؛ لأن
التفرد في القفار والتوحد في المرور ^(٣) مستشعر للمخاوف ، متوهم للمتالف ،
قع للحتوف ؛ لقوة الظنون الفاسدة على فكره ، وانفراسها في نفسه ، فيتوهم
ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له .

وقد كانت العرب قبل ظهور الإسلام تقول : إن من الجن من هو على

(١) في « أمم مولد النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٢) المروراة - بفتح الميم والراء وسكون الواو - الأرض لا شئ بها ، وجمعها

مرورى ومروريات .

(٣) وقع في أ في هذا الموضع والذي قبله « المروت » وهو جمع مرت ، والمرت

- بفتح الميم وسكون الراء - المفازة لا نبات فيها .

صورة نصف الإنسان ، وأنه كان يظهر لها في أسفارها وحين خلواتها وتسميه شقاً .
وذكر [وا] عن علقمة بن صفوان بن أمية بن محرب الكنانى جد مروان بن الحكم
لأنه أنه خرج في بعض الليالى يريد مالا له بمكة ، فانتهى إلى الموضع المعروف إلى
هذا الوقت بمحاطة حرمان ؛ فإذا هو بشق قد ظهر له في أوصاف ذكرها فقال [شق] :

بين شق
وعلقمة
ابن صفوان

علقم إني مقتول وإن لمحي ما كول
أضربهم بالسلول ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة :

شق ، مالى ولك اغمد عنى منصلك
تقتل من لا يقتلك ؟

فقال شق :

علقم ، غنيت لك كما أبيع معقلك
فاصبر لما قد حم لك

فضرب كل منهما صاحبه ، فخراميتين ، وهذا مشهور عندهم ، وأن علقمة
ابن صفوان قتله الجن .

وذكروا عن الجن يتين من الشعر قالتها في حرب بن أمية حين قتله
[الجن] وهما :

الجن تقتل
حرب بن أمية

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على أن هذا [الشعر] من قول الجن بأن أحداً من الناس
لا يتأذى له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتبع^(١) في
إنشادهما ؛ لأن الإنسان قد ينشد^(٢) العشرين بيتاً والأكثر والأقل أشد من
هذا الشعر وأثقل منه ولا يتتبع فيه .

(١) في ١٥ إلا ويتتبع في إنشادهما (٢) في ب لأن الناس قد ينشدون

(١١ - مروج الذهب ٢)

من قتله الجن ومن قتله الجن مرداس [بن أبي عامر] السلمي ، وهو أبو عباس [بن مرداس] السلمي ، ومنهم الفريض^(١) المغني ، بعد أن ظهر غناؤه [وحمل عنه] ، وقد كانت الجن نهته أن يغني بأبيات من الشعر ، فغناها^(٢) فقتلته .

قبر حاتم طيء ، يقرى الضيف
وحدث يحيى بن عقاب^(٣) ، عن علي بن حرب ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن يزيد الطائي [ثم الصامتي]^(٤) قال : رأيت قبر حاتم طيء ، بيعة^(٥) ، وهو [أعلى] جبل له واد يقال له الخابل^(٦) ، وإذا قَدِرُ عظمة من بقايا قدور [حجر] مكفأة في ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها الناس ، وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة ، وعلى يساره أربع جوار من حجارة ، كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنأحات عليه ، لم ير مثل بياض أجسامهن وجمال وجوههن ، مثلهن الجن على قبره ، ولم يكن قبل ذلك ، والجوارى بالنهار كما وصفنا ، فإذا هذأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ، ونحن في منازلنا نسمع ذلك ، إلى أن يطالع الفجر [فإذا طلع الفجر]^(٧) سكتن وهدأن ، وربما مر المار فيراهن فيفتن بهن فيميل إليهن عجباً بهن ؛ فإذا دنا منهن وجدهن حجارة .

وحدث يحيى بن عقاب^(٣) الجوهري [قال : حدثنا علي]^(٨) قال : أنبأني عبد الرحمن بن يحيى المنذري ، عن أبي المنذر هشام الكلبي ، قال : حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد ، عن أبيه ، وكان مولى لأبي هريرة [قال : سمعت محمد بن أبي هريرة]^(٨) يحدث قال : كان رجل يكنى أبا البختری^(٩) مر في نفر من قومه بقبر حاتم طيء ، فنزلوا قريباً منه ، فبات أبو البختری

(١) في « المريض » بالعين المهملة (٢) في « فغني بها »

(٣) في ب « يحيى بن عقاب » . (٤) في ب « منصور بن زيد الطائي »

(٥) في ب « بيعة » وما أثبتناه موافق لما في أ

(٦) في ب « الخامل » (٧) زيادة عن أ ، ولا بد منها

(٨) زيادة في ب وحدها . (٩) في أ « أبا البخيري »

يناديه : يا أبا الجعد ، أقرنا ، فقال قومه له : مهلا ما تكلم رمةً بالية ؟ قال :
 إن طيئاً تزعم أنه لم ينزل به أحد قط إلا قرأه ، وناموا ، [فلما أن كان في آخر
 الليل قام أبو البختری مذعوراً فرعاً ينادى] : وارا حلتاه ، فقال له أصحابه :
 ما بدالك ؟ قال : خرج حاتم من قبره بالسيف ، وأنا أنظر ، حتى عقر ناقتي ،
 قالوا له : كذبت ، ثم نظروا إلى ناقته بين نوقهم مجدلة لا تنبعث ، فقالوا له :
 [قد] والله قرأك ، فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخاً حتى أصبحوا ،
 ثم أردفوه ، وانطلقوا سائرين ، فإذا راكبٌ بعيرٍ يقود آخر قد لحقهم فقال :
 أيكم أبو البختری ؟ فقال أبو البختری : أنا ذلك ، قال : أنا عدى بن حاتم ، وإن
 حاتما جاءني الليلة في النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل ، فذكر شتمك إياه ،
 وأنه قرى أصحابك براحتك ، وأنشد [نى يقول في شعره] :

أبا البختری ، لأنت امرؤ ظومُ العشيِّرة شتأمها
 أتيت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة صدحت هامها
 أتبغى لى الدم عند البيت وحوالك طى وأنعامها ؟
 فإننا منشعب أضياقنا ونأتى المطى فنعتنا ما

وقد أمرنى أن أحملك على بعير مكان راحتك ، فدونكه .

وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفانى في مدحه عدى بن حاتم حيث يقول :
 أبوك أبو سفانة الخير لم يزل لدن شبَّ حتى مات في الخير راغباً^(١)
 [به تضرب الأمثال في الشعر ميتا وكان له إذ ذاك حيا مصاحباً]^(٢)
 قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

وحدث أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم السجستاني ، عن
 أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : سمعت شيخاً من العرب قد أناف على المائة

(١) في ١ ، ب «أبوك أبو سفانة الخير» والذي نعرفه من كنية حاتم «أبوسفانة»

(٢) هذا البيت لا يوجد في ١ .

يقول: إنه خرج وافداً على بعض ملوك بني أمية ، قال : فسرت في ليلة صُها كية
 حالكة كأن السماء قد برقت نجومها بطرائق السحاب ، وضلت الطريق ،
 فتولجت وادياً لا أعرفه، فأهمتني نفسي [بطرحتها حتى الصباح] ^(١) فلم آمن عريف
 الجن ، فقلت : أعوذ برب هذا الوادي من شره ، وأستجيره في طريقى هذا ،
 وأسترشده ، فسمعت قائلاً يقول من بطن الوادي :

تيا من تجاهك تلق الكلا ت سير وتامن في المسلك ^(٢)

قال : فتوجهت حيث أشار إلى وقد أمنت بعض الأمن فإذا أنا بأقباس نار
 تلمع أمامي في ظلها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة ، فسرت وأصبحت
 بأوشال — وهو ماء لكلب — بقرب بيرة دمشق .

وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم [في كتابه] فقال : (وَأَنَّهُ كَانَ
 رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ، فزادهم رَهَقًا)

(١) هذه الجملة لا توجد في ١ ، وغناؤها قليل .

(٢) في ١ و ٢ تلقي الضياء منرا .

ذكر ما ذهبت إليه العرب

من القيافة، والزجر [والعيافة] والسامح، والبارح، وغير ذلك

الخلاف في
القيافة
وجوازها

تنازع الناس في العيافة والقيافة وغيرها مما ذكر: فذهبت طائفة إلى تحقيق القيافة والأخذ بها؛ لأن الأشباه تنزع، وغير جائز أن يكون الولد غير مشبه لأبيه، أو أحد من أهله من جهة من الجهات، ومنهم من ذهب إلى أن في الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الأعضاء مما لم يحلها الشبه^(١)، ولا توافق بينهما بحد مشترك، وأبي آخرون ما وصفنا؛ إذ كان الناس قديتشافهون في حد الإنسانية [وغير ذلك] من الحدود، ويفترقون في غيرها من الصور، وليس وجود الأغلب من الأشباه مما يوجب إلحاق الشبه بشبهه، دون أن يخالف من حيث أوجبت قضية [العقل] الاختلاف بالتباين.

اختصاص
العرب بذلك

وهذه المعاني من خواص ما للعرب، وما تفردت به، دون سائر الأمم في الأغلب منها، وإن كانت الكهانة قد وجدت في غيرها، فإن القيافة^(٢) والزجر والتفاوت والتطير ليس لغيرها في الأغلب من الأمور، وليس هو موجوداً في سائر العرب، وإنما هو للخاص منها الفطن والمتدرب البظن^(٣)، وإن وجد ذلك في بعض الأمم، كوجود ذلك في الإفرنجية، وما جانسها ممن هنالك من الأمم، فيمكن أن يكون ذلك موروثاً عن العرب، وما أخذاً منها في سالف الدهر، لأن العرب قد تنقلت في البلاد، وتغيرت لغاتها^(٤)، فنسب ذلك إلى الجنس الذي قطنت بينهم العرب، ويمكن أن تكون الإفرنجية، ومن وجد فيها

(١) في أ « مما لم يلحقها الشبه ولا واقف بينهما حد مشترك » .

(٢) في أ « فإن العيافة » . (٣) في ب « والمتدرب النظر »

(٤) في أ « وتفرقت لغاتها » .

ذلك من الأمم ، وأخذوه بعد ظهور الإسلام عن جاورهم من أمم العرب ، ممن سكن بلاد الأندلس من الأرض الكبيرة ، وإن كان ذلك قبل ظهور الإسلام فهو ما ذكرنا آنفاً ، ويمكن أن يكون الله عز وجل خص بذلك أمم غير العرب كما خص العرب به ؛ إذ كان ذلك داخلًا في الإمكان ، خارجًا من باب الممتنع [والواجب] ، فيكون الزجر والقال شاملًا لبعض العرب وغيرها من خواص الأمم كوجود النقط للبربر^(١) . والنظر في الكتف ، وغير ذلك مما خص به كل جنس من الناس .

منشأ القيافة

وقد ذهبت طائفة ممن سلف ، من أهل البحث [والتنقيب] إلى أن القيافة : اسم مشتق من القفوة ، وهو معنى استدلال^(٢) ، وأصل ذلك : أن الأشكال انفصلت في صورة أنسابها بأشياء تخص الأنواع بالتشكيل وخواص وجدت لما^(٣) به ضربت الفواصل أضرابها في وحيدات الأشخاص ، وكان التناسل على وساعه وقدر^(٤) من الغير لما توجهه الطبيعة من اتفاق كل شيء^(٥) في حوزته ، وصرفه إلى وجهه ، كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل أباتيه من أغياره ، وفرقت بينه وبين أشكاله ، فكذلك أيضاً خصت أوحاد الأشخاص المنفصلة في الهيئة ، بتغير الغير من أغياره . وكذلك لا تكاد^(٥) فنون الصور تنزاي في المرأى لغير من أغياره ؛ وكذلك لا تكاد وإن ضمها النوع وشملتها المادة^(٥) فالقائف يقارب بين الهيآت ، فيحكم للأقرب صورة ؛ لأن تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع . وكذلك تشبيه الشخص إلى النوع أقرب منه إلى الجنس ؛

(١) في ب « كوجود النقط للبربر » .

(٢) في ا « انفصلت في صور أنسابها بأشياء تختص الأنواع بالشكل بخواص وحيدة لها به ضربت الفواصل أجزاءها في وحيدات الأشخاص » والكلام كله قلق مضطرب

(٣) في ا « على تشابه وفرز » (٤) في ا « من اتفاق كل شكل في حوزته »

(٥) في ا « وكذلك لا يكاد يرى فنون الصور تتوازي في أحد وإن ضمها النوع

وشملها النسل » وهذه العبارات كلها قلقه غير واضحة .

لأن النوع والشخص ضمهما حدان مشتركان ، وإنما ضم [الجنس واحد فهو أصل القيافة عند هذه الطائفة ، وهو] ضرب من ضروب البحث ، وإلحاق النظر في الأغلب بنظيره ، ومن حيث تساويهما من حيث ذكرنا في قضية العقل ، وهو القياس بعينه ، وليس هذا الاستدلال من كلام أجد من فقهاء القائلين ولا غيرهم من المسلمين ، وإنما هذا [الكلام] انتزعه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين ؛ فيجب أن يكون نظر القائل على قول هذه الطائفة إلى القَدَم ؛ لأنها نهاية الشكل وغاية الهيئة ، والولد لو خالف صورة أبيه في كنه أفعاله ، وبإينه في سائر شكله في الأغلب يوافقه في القَدَم ؛ لأن النسل لا بدله من تخصيص قوته بشئ ، يميزه من غيره ويُبينه من سواه ، ولذلك وجدوا الطول في أزدشنوأة ، ولذلك صار الجفاء والغلف في الروم ، وأصحاب الأجيال ، والأكثر من أهل الشام^(١) وأوباش مصر ، واللؤم في الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر^(٢) ، والشح بفارس ، واللؤم على الطعام بأصفهان ، وصارت فرطح الرجاين وفتس الأنوف في السودان ، والطارب في الرنج خاصة .

وهذا الذي وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة ، وخواص تأثير الأشخاص العلوية ، والأجسام السماوية ، وقد تفصينا هذا الشأن على كماله [في كتابنا في الأسرار الطبيعية وخواص تأثير الأشخاص العلوية والفرائب الفلسفية في كتابنا في الرءوس السبعية] في أنواع السياسات المدنية [وملكها الطبيعية وفي كتاب الاسترجاع في الكلام] على من زعم أن العالم متغير جوهره إلى الظلمة ، وأن النور فيه غريب مختار ، وأن ستة أنفس كانوا نوراً بلا أجساد : شيث بن آدم ، وزرادشت ، والمسيح ، ويونس ، واثنان لا يمكن ذكرهما ، وأن النور والظلمة قديمان ، وأنهما لا يُرَيَانِ إلا غير متمزجين^(٣) وأن الأشياء لا تعمل إلا في جوهرها ثم امتزجا من تلقاء أنفسهما ، من غير داخل عليهما ولا مكره أكرهما ، وهذا الخلف من الكلام والفساد

(١) في ا « من أغتام الشام »

(٢) في ا « من بلاد ديار مضر »

(٣) في ا « وأنهما لم يزالا متمزجين » .

من المقال،^(١) [وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبي المجوس : إن القديم تعالى ذكره طالت وخذته فطالت فكرته ، فلما أن طالت فكرته ، واشتدت وحثته ، توالت الهم منه ، وهو الشيطان ، من تلك الوحشة التي ولدتها تلك الفكرة ، ونتجتها الوحدة ، وأن الله عز وجل لو كان قادراً على إفناء الهم منه لما ضرب له أجلا ، ولا أجل له أمرا يفوى عباده ، ويفسد بلاده . وهذا هو المحال بعينه ، والتناقض بنفسه ، وعجب آخر من الآراء من قول بولص : إن المسيح عليه السلام هو الذي أرسله ، وإن المسيح إنسان وإله ؛ لأنه إله صار إنسانا ، وإنسان صار إلهما ، وقد أتينا على جل من متناقضات أهل الآراء ، في أثناء ما تقدم من كتبنا ، وإنما تشعب بنا الكلام إلى هذا النوع ، وتغلغل بنا القول إلى هذا المعنى ، لأنه من جنس ما كنا فيه ، لكن عند ذكرنا لما أودعناه كتاب الاسترجاع والإبانة عن غرض فيه^(١) .

فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه من هذا الكتاب :

الزجر

وحدث المنقري عن العتبي ، قال : وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب بفيفاء قفر^(٢) ، وكانوا يريدون استقصاد رجل من تميم ؛ إذ سئحت ظباء سود منكرة ، ثم اعترضت الركب مقصرة في حصرها^(٣) ، واقفة على شأنها ، فأنكر ذلك عبيد الراعي ، ولم ينتبه له أصحابه ، فقال عبيد :

ألم تدر ما قال الظباء السوانح ؟ أظن أمام الركب والركب راوح ؟
فكرة الذي لم يعرف الزجر منهم وأيقن قلبي أنهم نواوح

ثم شارفوا مقصدهم ، فألقوا الرئيس قد نهشته أفي ، فأتت عليه .

(١) هذا الكلام الفاسد المحال لا يوجد في ا. واتصاله بالموضوع الأصلي بعيد

(٢) في ب « ركب من ثقيف على نفر » .

(٣) في ا « محصرة في حصرها واقفة على شأوها » .

قال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى : وهذا من غريب الزجر ، وذلك أن السامح مَرَجُوتٌ عند العرب ، والبارح : هو المخوف ، وأظن عُبَيْدًا إِنْما زجر الظباء في حالة رجوعها ، ووصف الحال الأول في شعره ، كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بهوادي الأسباب^(١) فيوضح عنها ، فهذا وجه زجر عبيد الراعى في شعره .

اختصاص
بعض العرب
ببعض هذه
الأمور

ويقال : إن الكهانة لليمن^(٢) ، والزجر لبني أسد ، والقيافة لبني مُدْجِج وأحياء مضر بن نزار بن مَعَدَّة ، لما كان من فعل بني نزار الأربعة في مسيرهم نحو الأقمى الجرهمي ، ووصفهم الجمل الشارد ، على ما ذكرنا ، وذلك منهم قيافة ؛ فمن هنالك تفرقت القيافة من أحياء مضر على حسب ما تغفل في العروق ونزع ، وأهل المياه أَكْهَنُ ، وأهل البر الفائح أَقْوَفُ^(٣) ، وبأرض الجفار^(٤) — وهي بلاد الرمل بين بلاد مصر وأرض الشام — أناسٌ من العرب في تلك الجفار يتناول الإنسان من تمر نخلمهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه ، فإن رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ، ولا يكادون يخطئون وهذا من فعلهم مشهور ، ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أى الناس هم .

ورأيت بهذه الأرض أناساً قدرتهم وُلَاةَ المنازل يطوفون في هذا الرمل ، يُعرفون بالقُصَّاصِ ، يقصون آثار الناس وغيرهم ، فيخبرون وُلَاةَ المنازل أى الناس هم ممن طرق [تلك] البلاد ، وهم لم يروه ، بل رأوا آثار أقدامهم ، وهذا معنى لطيف وحس دقيق .

وقد قَفَّتْ القَافَةُ بقرش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الفار ، حتى أتت باب الفار على حجر صلد وصخر صم وجبال لارمل عليها ولا

(١) في ١ هـ يهودى الأسباب « (٢) في ١ « إن الكهانة لقيس » .

(٣) في ب « وأهل العروق أكهن ، وأهل الجبال أقوف » .

(٤) في ب « وبأرض الحفاء » .

طين ولا تراب تتبين عليه الأقدام ، فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت ، وما سقت عليه الرياح ، وما لحق القائف من الخيرة ، وقوله : إلى هنا انتهت الأقدام ، ومعه الجماعة من قریش ، لا يرون على الصلدا ما يرى [ولا] على الصّفوان ما يشاهد ، وأبصارهم سليمة ، والآفات عنها مرتفعة ، والموانع زائلة ، ولولا أن هنالك لطيفة لا يتساوى الناس في عليها ، ولا يتفقون بالأبصار إحصاء إدراكها ، كما استأثر بذلك طائفة دون أخرى ، وأهل الجبال والقفار والدّهاس^(۱) أزجر وأعرف .

القافة عند
أهل الشرع

وقد ذهب قوم من أهل الشريعة ، من فقهاء الأمصار وغيرهم من سلف ، إلى الحكم بالقيافة ؛ استدلالاً على شرف القيافة ، وعظم خطرها ، وكبر محلها ، وتحقيق فضلها ؛ لتعجب النبي صلى الله عليه وسلم منها ، وتصديقه مُحَرِّز المدلجى . وقد أنكر جماعة من فقهاء الأمصار ، ممن سلف وخلف ، الحكم بالقيافة ، والدليل على فساد الحكم بها إلحاق^(۲) النبي صلى الله عليه وسلم الولد بأبيه حين شك فيه لعدم التشابه ، فقال : يا رسول الله ، إن امرأتى وضعت غلاماً وإنه لأسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقرباً إلى فهمه وقصد آمنه لفساد علته التي قصدتها وشك [من أجلها في ولده] « فهل لك من إبل » ؟ قال : نعم ، قال : « فما ألوانها » ؟ قال : حُرّ ، قال « فهل فيها من أوزق » ؟ قال : نعم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فمن أين ذلك ؟ لعل عرقاً نزع^(۳) » وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة شريك بن سخفاء^(۴) « إن جاءت به على النعت المسكروه ، فهو للذي رميت به » فلما جاءت به على النعت المسكروه وَجَدَ التشابه بينه وبين من رميت به ، فقال النبي صلى الله عليه

(۱) في ب ه والرهاش « محرفاً .

(۲) في ا « للدلائل الدالة على فساد الحكم فيها ، وإلحاق النبي صلى الله عليه وسلم

(۳) في ا لا فمن أين ذلك ؟ قال : لعل عرقاً نزع ، فقال النبي صلى الله عليه

وسلم : فلعن عرقاً نزع « وهو كذلك في كتب الحديث .

(۴) في ب « شريك بن أسحمة » وفي ا « شريك بن سنعمة » وكلاهما تحريف

ما أثبتناه ، وسحماء : أم شريك ، وأبوه عبدة بن مغيث .

وسلم : « لولا حكم الله لكان لي ولك شأن » فألحق الولد مع عدم الشبه هنالك ، ولم يلحق بالشبه ههنا ، ولم يجعله حكماً ، وقضى بوجود الفراش وثبوت النص على فساد الحكم بالتشابه .

وهذا باب قصدنا فيه هذا الكلام ، وإنما ذكرنا هذا الفصل لندكر الحكم بضده من القيافة ، وهذا باب يطول فيه الخطب ، ويكثر في معانيه الشرح ؛ لغموضه ولطفه^(١) ، وقد ذكرنا وجه الكلام في ذلك وما ذهبت إليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف في كتابنا المترجم بـ « كتاب الرؤوس السبعة في الإحاطة بسياسة العالم وأسراره » [وهو كتاب مشهور مستوعب]^(٢) .

(١) في ا « لغموضه ولطف الكلام فيه » .

(٢) لا توجد هذه العبارة في ا .

ذكر الكهانة ، وما قيل في ذلك

وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس^(١)

وحدّ النفس الناطقة

تنازع الناس في الكهانة : فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم إلى التكهّن، وكانوا يدعون العلوم من الغيوب ، فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت في مطلعة على أسرار الطبيعة ، وعلى ما تريد أن يكون منها ؛ لأن صور الأشياء عندهم في النفس الكلية ، وصنف منهم ادعى أن الأرواح المنفردة — وهي الجن — تخبرهم بالأشياء قبل كونها ، وأن أرواحهم كانت قد صفت ، حتى صارت لتلك الأرواح من الجن متفقة^(٢).

أصل ادعاء
علم الغيب

وذهب قوم من النصارى أن السيد المسيح إنما كان يعلم الغائبات من الأمور ، ويخبر عن الأشياء قبل كونها ؛ لأنه كانت فيه نفس عالمة بالغيب ، ولو كانت تلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ، ولأمة خلت إلا [وقد] كان فيها كهانة ، ولم يكن الأوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات ، وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحي ؛ لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم^(٣) ، والصابئة تذهب إلى أن أوريبس الأول وأوريبس^(٤) الثاني — وهما هُرمُس ، وأغاثيمون — كانوا يعلمون

(١) في ا « مما يراه الناس » .

(٢) في ا « موافقة » .

(٣) في ا « من أدران هذا العالم » .

(٤) في ب « أوريبس وأوريبس وأوريبس الثاني » .

الغيب؛ ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ، ومنعوا أن تكون الجن أخبرت مَنْ ذكرنا بشيء من ضروب الغيب، لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم .

وطائفة ذهبت إلى أن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع ، وقوة النفس ، ولطافة الحس .

وذكر كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه ، وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتاقبه على السنة الكهان فيؤدون إلى الناس الأخبار ، بحسب ما يرد إليهم، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً) إلى آخر القصة، وقوله تعالى : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) وقوله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم - الآية) والشياطين والجن لاتعلم الغيب ، وإنما ذلك لاستراقها السمع مما تسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل : (فلما خرت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)

وطائفة ذهبت إلى أن وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي^(١)، وأن ذلك [يكون] في المولد عند ثبوت عطار د على شرفه، وأما ما عدها من الكواكب المدبررات من النيرين والخمسة إذا كانت في عقد متساوية^(٢) وأربع متكافئة ومناظر متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والإخبار بالكائنات قبل حدوثها؛ لإشراق هذه الأشراق الكوكبية ، ومن هؤلاء من أوجب كون ذلك في القرائن الكبار . وذهب كثير ممن تقدم [وتأخر] أن علة ذلك علل نفسانية ، وأن النفس إذا قويت وزادت قهرت الطبيعة، وأبانت للانسان كل سر لطيف^(٣)، وخبرته بكل

(١) في ١ « من الوجه الفلكي » . (٢) في ١ « في عقود متساوية »

(٣) في ١ « وأباحت للانسان كل سر الطبيعة » .

معنى شريف ، وغاصت بلطافتها في انتخاب المعاني اللطيفة البديعة^(١) فاقنصتها وأبرزتها على الكمال، وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا؛ فإنهم قالوا: رأينا الإنسان ينسب إلى قسمين، وهما النفس والجسد، ووجدنا الجسد مواتا لا حركة له ولا حس إلا بالنفس، وكان الميت لا يعلم شيئا ولا يؤدبه^(٢)؛ فوجب أن يكون العلم للنفس، والنفوس طبقات: منها الصافي وهي النفس الناطقة، ومنها الكدر، وهي النفس الحسية والنفس النزاعية والنفس المتخيلة^(٣)، ومنها ما قوته في الإنسان أزيد [من قوة الجسم، ومنها ما قوة الجسم أزيد] منه، فلما كانت النسبة النورية للإنسان إلى النفس كانت تهدي الإنسان إلى استخراج الغيب وعلم الآتي، وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم؛ فإذا كانت النفس في غاية البرور ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجها في دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة، وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الأجسام وتشويه الخلق، كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسملقة وزوبعة وسديف بن هوماس^(٤) وطريفة الكاهنة وعمران أخى مزريقيا وحارثة وجهينة^(٥) وكاهنة باهلة وأشباههم من الكهان.

العرافة وبعض العرافين وأما العراف — وهو دون الكاهن — فمثل الأبلق الأزدي، والأجلح^(٦) الدهري، وعمروة بن زيد الأزدي، ورباح بن عجلة^(٧) عراف اليمامة الذي قال فيه عروة:

جعلت لِعَرَّافِ اليمامة حكمة وعَرَافِ نجد إن ما شَفِيَانِي

وكهند صاحب السنبر، وكان في نهاية التقدم في العرافة.

(١) في «و غاصت بلطافتها في كائنات المعاني البعيدة فاتصتها وأبرزتها على الكمال»

(٢) في «ولا يوربه». (٣) في ب «البراعية والنفس المجلية»

(٤) في ب «وسديف بن هوماس». (٥) في ب «وحارثة بنت جهينة».

(٦) في «والأجلح». (٧) في ب «ورباح بن كحلة».

والكهانة أصلها نفس^(١)؛ لأنها الطيفة باقية ومقارنة لأعجاز باهرة، وهي تكون في العرب على الأكثر وفي غيرهم على وجه الندرة؛ لأنه شيء يتولد على صفاء المزاج الطبيعي، وقوة مادة نور النفس، وإذا أنت اعتبرت أوطانها^(٢) رأيتها متعلقة بعفة النفس وقمع شرها بكثرة الوحدة وإدمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الأنس بهم، وذلك أن النفس إذا هي تفردت فكرت، وإذا هي فكرت تعدت^(٣) [وإذا تعدت] هطلَ عليها سحُبُ العلم النفسى، فنظرت بالعين النورية، ولحظت بالنور الثاقب، ومضت على الشريعة المستوية، فأخبرت عن الأشياء على ما هي به [وعليه] ور بما قويت النفس في الإنسان فأشرفت به على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعنون هذه الطائفة بالروحانية، ويقولون: إن النفس إذا هي زادت^(٤) وكانت أكبر جزء في الإنسان تهذت^(٥) إلى استخراج البدائع والأخبار المستترات، واستدلوا على ذلك أن الإنسان إذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر في الطارىء قبل وروده فعلم صورته فيكون وروده إلى حال على ما تصوره وهكذا النفس أيضاً إذا تهذبت كانت الرؤيا في النوم صادقة وفي الزمان موجودة وقد تنازع الناس في الرؤيا، والسبب الموقع لها [وما هيتهها] وكيفية وقوعها، فقال الرؤيا وأسبابها فريق: إن النوم هو اشتغال النفس عن الأمور الظاهرة بملاقاة حوادث باطنة فيها، وذلك على وجهين: أحدهما معروف [بالعين] قائم بالصفة [في خواطر] تحدث في النفس معاني تعبرها وتفرق بينها، فتشغل به عن استعمال الظاهر، والباطن فيه يؤدي إليه الخواس الخمس فتبطل الخواس عن الإدراك إلى الحاس أعنى الروح لا اشتغال الروح عن استعمالها، وإذا وجب بطلانها سمى نوماً عرضياً، لأنه ليس النوم الكلى الذى يعم الأطفال والمجانز والشيوخ الذين خرجوا من موقع السرور أو مخافة الشر. وكذلك نوم الليل على ما وصفنا، والوجه الآخر وهو النوم الكلى الذى يعم الأطفال والمجانز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها - وهي طبيعة توجبها الخلق في

(١) في «أقطابها» . (٢) في ب « بعدت » وسقط منها ما بين المعقوفين
(٣) في ب « إذ هي أدت » . (٤) في ب « تهذبت » وهو تحريف.

وقته ضرورة كما يوجب الجوع في وقته ضرورة ؛ لأن الجوع عند أهل صناعة الطب علة ، وهي الموجبة لتحديد^(١) الكبد من الفراغ من الأغذية .

ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الأشياء على ضربين : أحدهما حس والآخرفكر ؛ فالصورة المحسوسة^(٢) لا تدركها إلا في هيئتها ؛ فإذا تخلص علمها عندها كان إدراكها مفرداً من طبيعتها ؛ فيكون فكر الإنسان ما لم يتم تابعا^(٣) للحس ، حتى إذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التي أخذتها من أعيان الأشياء فيها قائمة كأنها محسوسة ؛ لأن الحس بها في أعيانها كان قبل استيلائها بالفكر ضعيفاً ، فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يُصور الأشياء كأنها محسوسة يخطر على بال النائم منها كما يخطر على باله إذا كان يقظان الشيء الذي قد كان أنيسه ، وليس لذلك نظام ، وإنما هو ما اتفق ؛ فلذلك يرى الإنسان كأنه يطير وليس بطائر ، وإنما [يرى] صورة الطير ان مفردة كما يعلمها إذ غابت ؛ ولكن فكرته فيها تقوى حتى كأنها معاينة له ، فأما ما يراه النائم من الأشياء التي تدل على ما يريد فإنما ذلك لأن النفس عالمة بالصور ، فإذا خلصت في المنام من شوائب الأجسام أشرفت على ما [تريد أن] يتألفها ، وهي عالمة أنها في حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل خيالات تدل بها على تلك الأشياء التي تريد أن تكون ، حتى إذا [انتهت] تذكرت تلك الخيالات وتلك الأشياء ؛ فمن كانت نفسه صافية لم تكدر رؤياها تكذب [ومن كانت نفسه كدرة كانت تكذب] كثيراً ، ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدرة يكون صدق ما تخيلته وكذبه .

وقال فريق آخر : إذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهراً لم يبطل استعمالها في نفسها ، ولم يبطل استعمال قواها ؛ فتنقل في الأماكن ، وتشاهد الأشخاص

(١) في « لتحذير » .

(٢) في ب « المحبوسة » .

(٣) في ب « مانعا للحس » .

بالقوة الروحانية التي ليست بجسم ، لا بالقوة الجسمانية الغليظة ، وذلك أن القوة الجسدانية لا تدرك إلا بمشاركه وملابسة الأشياء^(١) : إما باتصال كاتصال اللون [من الملون] وإما بانفصال كاتفصال الجسم من الأماكن ، والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعاً ، لا بمشاركة الجسد الذي يوجب الحاجة إلى قرب المدرك .

ومنهم من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه إلى الكبد .

ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح

ومنهم من زعم أن ما يجده الإنسان في نومه من الخواطر إنما هو [من] عمل الأغذية والأطعمة والطبائع .

ومنهم من رأى أن بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان ، واعتل هؤلاء بقوله تعالى : (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا)

ومنهم من رأى أنها جزء من إحدى وستين جزءاً من النبوة ، وتنازع هؤلاء في كيفية [ذلك] الجزء وماهيته .

ومنهم من ذهب إلى أن الإنسان الحساس هو غير هذا الجسم [المرئي] وأنه يخرج عن البدن في حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت ، على حسب صفاته ، واعتل هؤلاء وغيرهم — ممن ذهب إلى نحو هذا المعنى — بقوله عز وجل : (الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها) إلى قوله (إلى أجل مسمى) .

وذهب الجمهور من المتطبيين في ذلك [إلى] أن الأحلام من الأخلاط ، وترى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته ، وذلك أن الذين تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يرَوْنَ في منامهم النيران [والنراويس ودخاناً ومصاييح وبيوتاً تحترق ومدائن تلتهب بالنار] ونحو ذلك وما أشبهه ، والغالب على من كان مزاجه البلقم أن يرى بحوراً وأنهاراً وغيوناً وأحواضاً وغدراناً ومياهاً كثيرة وأمواجاً ، ويرى

(١) في ب « وملابسة الأشياء » .

كأنه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قاربه ، والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى في منامه أجدائاً وقبوراً وأمواتاً [مكفنين بسواد] وبكاء ونوحاً وريناً وصراخاً وأشياء مفرجة وأموراً منقطعة وفيلة وأسوداً ، والغالب على من كان مزاجه الدم أن يرى خمرأً أو نبيذاً ورياحين ولعباً وقصفاً وعزفاً وأنواع الملاحى والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور .

ولا خلاف بين المتطبيين في أن الضحك واللعب — على ما ذكرناه — من أنواع السرور من الدم ، وأن كل حزن وخوف وإن اختلفت معانيه فإن ذلك من المرة السوداء ، واحتجوا بضروب من الاحتجاجات ؛ فهذه جملتها ، وقد أوضحنا هذا في كتابنا «الرؤيا والكمال»^(١) وفي كتاب «طب النفوس» فلا وجه لإطنا بنا في هذا الموضوع من كتابنا هذا ؛ إذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحثٍ ونظر . وإنما تغفل بنا الكلام لما تشعب من مذاهبهم في إخبارنا عنهم ، ولم نعرض في هذا الكتاب لما ذهبت إليه الناس في تحديد النفس ، وما قاله أفلاطون في تحديده للنفس إن النفس جوهر محرك^(٢) للبدن ، وما حدده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعي ، وحدها من وجه آخر أنه حى بالقوة ، ولا للفرق بين النفس والروح ؛ لأن الفرق بينهما أن الروح جسم [والنفس لا جسم ، وأن الروح يحويه البدن ، وأن النفس لا يحويها البدن ، وأن الروح إذا فارق البدن بطل] والنفس تبطل أفعالها في البدن ، ولا تبطل هي في ذاتها ، والنفس تحرك البدن وتنيله الحس ، وقد ذكر أفلاطون في كتاب السياسة المدنية [نهر البستان و] ما يلحق الإنسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة ، وذكر أفلاطون في كتابه إلى طيماوس^(٣) ، وفي كتاب فاردون^(٤) ، وكيفية مقتل سُقراط

(١) في ١ « في كتاب النهى والكمال » .

(٢) في ب « جوهر ليس بمحرك للبدن »

(٣) « طيماويس »

(٤) في ب « قارون » .

الحكيم وما تكلم في ذلك في النفس والصورة .
وقد تكلم الناس في طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الاثنين^(١) وغيرهم
من الفلاسفة ، ثم تنازع أهل الإسلام في ماهية^(٢) الإنسان الحساس الدرّ الكالمأمور
المنهى ، وما قالته المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى في طبقات النفوس من النفس
المطمئنة ، والنفس اللوامة ، والنفس الأمارة بالسوء ، وغير ذلك مما ذهب إليه
اليهود [والنصارى] والمجوس والصابئة ، وغير ذلك مما قد أتينا على إيضاحه
في كتاب « سر الحياة » وغيره من كتبنا .

وقد كان سَطِيحُ الكاهن — وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن
ذئب^(٣) بن عدى بن مازن بن غسان — يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب ،
لا عظم فيه إلا جمجمة الرأس ، وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها ، وكان
شق بن [مصعب بن شكران بن أترك بين قيس بن] عنقر بن أنمار بن ربيعة
ابن نزار معه^(٤) في عصر واحد ، وكان فيهما جمره^(٥) الكهانة ، وكذلك
سملقة^(٦) وزوبعة كانا في عصر واحد ، والله أعلم .

سطيح وشق
الكاهنات

(١) في ب « من أصحاب الألسن وغيرهم » .

(٢) في ب ه في هيئة الإنسان الحساس .

(٣) في ا « دفير » مكان « ذئب » .

(٤) هكذا ورد في أصول الكتاب نسب سطيح وشق الكاهنين مع سقوط
ما بين المعقوفين في نسب شق من ا ، وفيها « عقبر » مكان « عنقر » والذي في
سيرة ابن هشام (ج ١ ص ١١) أن اسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن
مازن بن ذئب بن عدى بن مازن ، وأن شقا ابن صعب بن يشكر بن أفرك بن قسر
ابن عبقر بن أنمار بن إراش ، بغير خلاف في نسب سطيح ، ومع خلاف كثير
في أسماء آباء شق ، ولم نشأ أن نغير في حروف الأصل بما يتوافق مع رواية
السيرة لأننا نعلم أن العلماء لا يتفقون على ضبط هذه الأسماء وترتيبها .

(٥) في ا ه وكانت معها جمر الكاهنة .

(٦) في ب « سملقه »

ذكر جل من أخبار الكهان ، وسيل العزم

وتفرق الأزدي في البلدان

قال المسعودي : قد ذكرنا جملنا من الكهانة والقيافة والزجر والبارح والسامح
فلنذكر الآن لعا من أحبار الكهان ، وتفرق ولد سبأ في البلدان .

ولم يزل ولد قحطان في أطيب عيش إلى أن هلك سبأ ، وكان القوم بعد
مضى سبأ تداوتهم الأعصار قرناً بعد قرن إلى أن أرسل الله عليهم سيل العرم
وذلك أن الرياسة انتهت فيهم إلى عمرو بن [عمرو^(١) مزقياء—وهو عمرو بن]
عامر بن ماء السماء بن حارثة الفطريف بن ثعلبة بن أمريء القيس بن مازن بن
الأزد بن الفوث بن كهلان بن سبأ—وذلك ببلاد مازن من أرض اليمن^(٢) ، وهي
بلاد سبأ التي ذكر الله في القرآن أنه أرسل على أهلها سيل العرم ، وهو السد ،
وكان فرسخاً في فرسخ ، بناه لقمان الأكبر العادي—وهو لقمان بن عاد بن عاد^(٣)—
وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النصور ، وهذا السد هو الذي
كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر إذا حان أن يفشى أموالهم ، فزقهم الله
كل ممزق ، وباعد بين أسفارهم ، والناس في قصة هلكهم يختلفون ، وفي سياقة
أخبارهم يتباينون .

السد وبانيه
ومكانه

وصف بلاد سبأ وذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن ،
وأثر آهائها، وأغدقها، وأكثرها جناها وغيطانا^(٤)، وأفسحها مروجا، مع بنيان حسن

(١) ما بين العقوقين ساقط من ا ، ويؤيد أنه زيادة لامعنى لها ما سيأتي أن
آخرهم هو عمرو بن عامر . وانظر أيضاً ص ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٠
(٢) في ا « وذلك ببلاد مأرب من أرض اليمن » .
(٣) في ب « لقمان بن عاد بن عاديا » .
(٤) في ب « وأكثرها جناها وغيطانا » .

وشجر مصفوف^(١) ، ومساكب للماء متكاثفة ، وأنهار [وأزهار] متفرقة ، وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجدد على هذه الحالة ، وفي العرض مثل ذلك ، وأن الراكب والماركان يسير في تلك الجنان^(٢) من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها لأنواجه الشمس ولا تعارضه ؛ لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية ، واستيلائها عايتها ، وإحاطتها بها ، وكان أهلها في أطيب عيش وأرْفَهٍ ، وأهنأ حال ، وأرغد قرى ، وفي نهاية الخصب ، وطيب الهواء ، وصفاء الفضاء ، وتدفق الماء ، وقوة الشوكة ، واجتماع الكلمة ، ونهاية المملكة وكانت بلادهم في الأرض مثلاً ، وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شريف الأخلاق ، وطلاب الأفضال على القاصد والسفر^(٣) بحسب الإمكان وماتوجه القدرة من الحال ؛ فكثروا على ذلك ما شاء الله من الأعصار ، لا يعاندهم ملك إلا قصموه ، ولا يوافقهم جبار في جيش إلا كسروه ، فذلت لهم البلاد . وأذعن لطاعتهم العباد ، فصاروا تاج الأرض ، وكانت المياه التي هي أكثر ما يرد إلى أرض سبأ تظهر من مخراق من الحجر الصلد والحديد من [ذلك] السد والجبال ، طول المخراق فيما وصفنا فرسخ ، وكان وراء السد والجبال أنهار عظام ، وكان [في] هذا المخراق الآخذ من تلك الأنهار ثلاثون نقباً مستديرة في استدارة الذراع طولاً وعرضاً مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير ، وكانت المياه تخرج من تلك الأنقَاب في مجاريها حتى تأتي الجنان فترويها سقياً ، وتعم شرب القوم ، وقد كانت أرض سبأ قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه ، وكان ملك القوم في ذلك الزمان يقرب الحكماء ، ويدنيهم ، ويؤثرهم ، ويحسن إليهم ، فجمعهم من أقطار الأرض للالتجاء إلى رأيهم ، والآخذ من محض عقولهم ، فشاورهم في دفع ذلك السيل

(١) في ١ « بين بنيان وجسر مقيم وشجر موصوف » .

(٢) في ب « في تلك الجبال » . (٣) في ١ « على القاعد والسافر »

وحصره، وذلك أنه كان ينحدر من أعالي الجبل هابطاً على رأسه [حتى] يهلك الزرع ويسوق من حملته البناء^(١)، فأجمع القوم رأيهم على عمل مصارف [له] إلى براري تقذف به إلى البحر، وأخبروا الملك أن الماء إذا حفرّت المصارف الهابطة طلبها، وانحدر فيها، ولم يترأكم حتى يعلو الجبال؛ لأن في طباع الماء طلب الخفض^(٢) فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدفق إلى تلك الجهة واتخذوا السد^(٣) في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل إلى الجبل، وجعلوا فيه الخراق على ما وصفنا آنفاً، ثم اجتذبوا من تلك المياه نهراً مرسلاً [و] مقداراً معلوماً ينتهي في جريانه إلى الخراق، ثم ينبعث الماء منه إلى تلك الأنقاب، وهي الثلاثون مخرقا الصغار التي قدمنا ذكرها، وكانت البلاد عامرة على ما وصفنا [آنفاً].

• بدأ التهدم

ثم إن تلك الأمم بادت وصرت عابها السنون، وضربها الدهر بضرباته وطحنها بكلكله، وعمل الماء في أصول ذلك الخراق، وأضعفه تمرّ السنين عليه وتدفق الماء حوله، وقد قيل في المثل: إذا أثر تواتر الماء على الحجر الصاد فما ظنك بسيل يتدفق على حديد وحجر مصنوع؟

فلما سكنت أبناء قحطان ما وصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيها من القحطان لم تعلم الآفة من انحطام السد والخراق [وضعه، فغلب الماء عند تنهاى السد والبنيان في الضعف عنه على السد والخراق] والبنيان، فقذف به في جريه ورمى به في تياره، وذلك إبان زيادة الماء، واستولى الماء على تلك الديار والجنان والعمائر والبنيان، حتى انقرض سكان تلك الأرض، وزالوا عن تلك المواطن، فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبأ.

العرم

ولا خلاف بين ذوي الدراية^(٤) منهم أن العرم هو المسناة التي قد أحكموا عملها لتكون حاجزاً بين ضياعهم وبين السيل، ففجرت فارة، ليكون ذلك أظهر في

(١) في ١ « ويسوق في جفائه البناء » .

(٢) في ١ « طلب الخفض »

(٣) في ب « وانحدر السيل » .

(٤) في ١ « الرواية » .

الأعجوبة ، كما أفا الله تعالى [ماء] الطوفان من جوف تنور ليكون أثبت في العبرة وأو كد في الحجة، ولا يتناكر أحلاف قحطان من أهل تلك الديار إلى هذا الوقت ما كان من العرم ؛ لاستفاضة فيهم ، وشهرته عندهم.

مفاخرة
عند السفاح
بين قحطاني
وعدناني

وقد نخر بعض أولاد قحطان في مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار، وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد منصتون هيبة^(١) للسفاح ؛ لأن أخواله من قحطان ، فقال السفاح لخالد بن صفوان : ألا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم^(٢) بقديم مناقبها ؟ فقال خالد : ماذا أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغ جلد ، أو ناسج برد ، أو سائس قرد ، أو راكب عرد ، أغرقهم فارة ، وملكهم امرأة ، ودل عليهم هدهد ، ثم مر في ذمهم إلى أن انتهى إلى ما كان من قصتهم وتملك الحبشة^(٣) وما كان من استنقاذ^(٤) الفرس إياهم على حسب ما قدمنا آنفا .

العرم في شعر
العرب

وقد ذكروا في أشعارهم العرم ، وما كان لسبأ وأرض مأرب ، وأن مأرب سمة^٥ للملك الذي [كان] يملك على هذه البلدة ، وأن هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له ، وقال الشاعر :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يننون من دون سبيله العرما
وقد قيل : إن مأرب سمة^٥ لقصر هذا الملك في صدر الزمن ، قال أبو الطمجان
في ذلك :

ألم تروا مأربا ما كان أحصنه^٥ وما حو اليه من سور وبنيان ؟
[ظل العبادى يسقى فوق قلته ولم يهب ريب دهر جدخوان]
[حتى تناوله من بعدما جمعوا يرقى إليه على أسباب كتان]

(١) في ب « يسطون بأبهة السفاح » .

(٢) في ا « وغلبت عليكم » .

(٣) في ب « في ملك الحبشة »

(٤) في ا « واستعباد الفرس إياهم » .

وقد ذكر الأعتشى [في شعره] ما وصفنا [ه] حيث يقول في كلمته :
 ففي ذلك للموتى أسوةٌ بمأرب عنيّ عليها العرمُ
 رخام بناه لهم حمير إذا جاء مأوهم لم يرمُ
 فأغنى الحروث وأغنامها على ساعة مأوهم قد قسم
 [فطار الفيولُ وفيآلها بها في فياني سَرابٌ يطم]
 وكانوا بذلك حقةً فما لهم جارف منهم
 فطاروا سراعا وما يقدمو ن منه لشرب صبي فطم

وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » الملك الذي طال عمره وحسنت
 سيرته، وأنه بنى هذا السد الذي هو المسناة، وأن عمره انتهى على عمر النسور، عند
 طول العمر
 وعمر النسور
 ذكرنا لطول الأعمار، وقد أكرت العرب في صفة طول عمر النسر، وضربت
 به الأمثال، وبلبد، وبصحة بدن الغراب؛ فمن ذلك ما ذكره الخرجي (١)
 في شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن حكيم (٢)
 من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه، وهو:

إنَّ معاذ بن مسلم رجل قد ضجَّ من طول عمره الأبد (٣)
 [قد شاب رأس الزمان واختضب السدر وأثوابُ عمره جُدُّ] (٤)
 يا نسر لقمان كم تعيش؟ وم تلبس ثوب الحياة يا لبد؟
 قد أصبحت دار حمير خربت وأنت فيها كأنك الوتدُ
 تسأل غربانها إذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد

(١) في ب « الخارجي » .

(٢) في ا « القعقاع بن حكيم » .

(٣) في الأصول « قد صح في طول عمره الأبد » وهو كما ترى

من التحريف .

(٤) سقط هذا البيت من ا .

علة طول
الأعمار
وتقصها

وقد قدمنا فيما سلف في مواضع من هذا الكتاب ما قالت الأوائل في علة طول الأعمار وقصرها ، وعظم الأجسام في بدء الأمر^(١) ، وتناقصها على مرور [الأعمار ومضى] الدهور ، وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلة للأجسام^(٢) في تمام الكثرة ونهاية القوة والسكال ، والطبيعة إذا كانت تامة القوة كانت الأعمار أطول ، والأجسام أقوى ؛ لأن طرق الموت الطاريء يكون بانحلال قوى^(٣) الطبيعة ، فلما كانت القوة أتم كانت الأعمار أزيد ، وكان العالم في أولية شأنه تام العمر ، ثم لم يزل ينقص أولا فاولا لنقصان المادة [فتنقص الأجسام والأعمار مع نقصان المادة] حتى يكون آخر مائة الطبيعة في تناهي النقص في الأجسام والأعمار .

وقد أبي^(٤) ما ذكرنا من عظم أجسام الناطقين في صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخر ، وزعموا أن تأثيرهم في بنيانهم وما ظهر في الأرض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم ، وأنها كانت كأجسامنا ، لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وممراتهم فيما أحدثوه من البنيان والهياكل والديار والمسكن في سائر الأرض ، كديار ثمود وتحتها المساكن في الجبال وحفرها في الصخر الصلد بيوت أصغار أو أبوابا لطافا ، وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الأرض في الشرق والغرب ، وهذا [باب] إن أكثرنا القول فيه طال ، وإن أطنبنا في صفته كثر ، فلنرجع الآن إلى ما عنه عدلنا ومن صفته خر جنا من ذكر سبأ ومأرب ، وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر .

وكان للملك عمرو بن عامر المقدم ذكره في هذا الباب أخ كاهن عقيم ، يقال له عمران ، وكان لعمرو كاهنة من أهله من حمير^(٥) يقال لها [ظريفة الخبير]^(٦)

(١) في ٥ بدء الدهر . (٢) في ب «للاسلام» محرفا .

(٣) في ب «بإعلال قوى الطبيعة» . (٤) في ١ «وقد آتى على ما ذكرنا»

(٥) في ١ «وكان لعمرو زوجة كاهنة من أهل ردمان من حمير» .

(٦) كذا في معجم البلدان (١: ٢٥٥) ووقع في الأصول «ظريفة الخبير» وهو تحريف

فكان أول شيء وقع بمأرب وعرف من سيل العرم أن عمران الكاهن أخا عمرو رأى في كهانته أن قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفارهم ، فذكر ذلك لأخيه عمرو ، وهو الملك مزيقياء الذي كانت محنة القوم في أيام ملكه ، والله أعلم بكيفية ذلك .

طريفة الكاهنة

وبينا طريفة الكاهنة ذات يوم نائمة إذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضهم وأرعدت وأبرقت ثم صعقت فأحرقت ما وقعت عليه ، ووقعت إلى الأرض ، فلم تقع على شيء إلا أحرقته ، ففرغت طريفة لذلك ، وذعرت ذعراً شديداً ، وانتهبت^(١) وهي تقول : ما رأيت مثل اليوم ، قد أذهب عنى النوم ، رأيت غيماً برق ، وأرعد طويلاً ثم أصعق ، فما وقع على شيء إلا أحرق ، فما بعد هذا إلا العرق ، فلما رأوا ما داخلها من الرعب خفضوها^(٢) وسكنوا من جأشها حتى سكنت ، ثم إن عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة ، فأسرعت نحوه ، وأمرت وصيفاً لها يقال له سنان أن يتبعها ، فلما برزت من [باب] بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ، وهي دواب تشبه اليرابيع يكنن بأرض اليمن ، فلما رأتهم طريفة وضعت يدها على عينها وقعدت ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه المناجدة عنا فأعلمني ، فلما ذهبت أعدها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبتت من الماء سلحفاة ، فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع ، فتستعين بذنبها وتحشو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول ، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء مضت [طريفة] إلى أن دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فنفذت^(٣) حتى دخلت على عمرو

(١) في ا « وأتت الملك عمرا وهي تقول » .

(٢) في ا « حفظوها » وليس بذلك .

(٣) في ب « فعدت حتى دخلت على عمرو »

ومعه جاريتان [له] على الفراش ، فلما رآها استحيا منها ، وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ، ثم قال لها : هلمى يا طريفة إلى الفراش ، فتكهننت ، وقالت : والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لتالف ^(١) ، وسيعود ^(٢) الماء كما كان في الدهر السالف ، قال عمرو : مَنْ خَبَّرَكَ بِهَذَا ؟ قالت : أخبرني المنأجد ، بسنين شداثد ، يقطع فيها الولد والوالد ^(٣) ، قال : ماتقولين ؟ قالت : أقول : قول الندمان لهفنا ، قد رأيت سُدْحَفًا ، تجرف التراب جرفًا ، وتقذف بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة فإذا الشجر يتكفأ ، قال عمرو : وما ترين ذلك ؟ قالت : هي داهية ركيمة ^(٤) ، ومصائب عظيمة ، لأمر جسيمة ^(٥) ، قال : وما هي ؟ وبلك ! قالت : أجل إن لي الويل ، ومالك فيها من نيل ، فلي ولك الويل ، مما يجي به السيل ، فألقى عمرو نفسه على الفراش وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : هو خطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف قليل ، والقليل خير من تركه ، قال عمرو : وما علامة ذلك ؟ قالت : تذهب إلى السد فإذا رأيت جُرْدًا يكثر [بيديه] في السد الحفر ، ويقلب برجليه من الجبل الصخر ؛ فاعلم أن النقر عقر ^(٦) ، وأنه وقع الأمر ، قال : وما هذا الأمر الذي يقع ؟ قالت : وعد من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نزل ، فيغيرك يا عمرو فليكن الشكل ، فانطلق عمرو إلى السد يحرسه ، فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول :

أبصرت أمراً عادني منه ألم	وهاج لي من هوله برح السقم
من جرد كفحل خنزير الأجم	أو تيس مرم من أفريق الغنم
يسحب صخرًا من جلاميد العرم	له مخالب وأنياب قضم
ما فاته سحلا من الصخر قضم	كأنما يرعى حظيراً من سلم

(١) في ب « لهالك » ولا يتفق مع سبع الكهانة .

(٢) في ا « وليعودن الماء كما كان » .

(٣) في ب « الوالد الواحد » .

(٤) في ب « داهية كبيرة » .

(٥) في ا « بأمور جسيمة » .

(٦) في ا « أن العفر حقر » .

فقال له طريفة : إن من علامة ما ذكرت لك أن تجلس في مجاسك بين
الجنيتين ، ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك ، فإنها استمتلىء بين يديك من تراب
البطحاء من سهلة الوادى ورملة ، وقد علمت أن الجنان مظلة ما يدخلها شمس ولا
ريح ، فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه ، فلم يمكث إلا قليلا حتى امتلأت
من تراب البطحاء ، فذهب عمرو إلى طريفة فأخبرها بذلك ، وقال : متى ترى
هلاك السد ؟ قالت : فيما بينك وبين السبع السنين^(١) ، قال : ففي أيها يكون ؟
قالت : لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، ولو علمه أحد لعلمته ، ولا يأتى عليك ليلة فيما
بينك وبين السبع السنين^(١) إلا ظننت هلاكه في غدها أو في تلك الليلة .

عمرو بن عامر
يتحيل للخروج
من بلاده

ورأى عمرو في النوم سيل العرم ، وقيل له : إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد
ظهرت في سَعَفِ النخل ، فذهب إلى^(٢) كَرَبِ النخل وسعفه فوجد الحصباء قد
ظهرت فيها ، فعلم أن ذلك واقع بهم ، وأن بلادهم ستخرب ، فكم ذلك وأخفاه ،
وأجمع أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ ، ويخرج منها هو وولده ، ثم خشى أن
يستنكر [الناس] ذلك ، فصنع طعاماً وأمر بإبل فتحرت ، وبغنم فذبحت ، وصنع طعاماً
واسعاً ، ثم بعث إلى أهل مأرب أن عمراً صنع يوم مجدوذ كُرٍ فاحضروا طعامه ،
ثم دعا ابناً له يقال له مالك ، ويقال : بل كان يتما في حجره ، فقال : إذا جلستُ
أطعم الطعام الناس فاجلس عندي ونازعنى الحديث ، وردد [ه] على ، وافعل بى مثل
ما أفعله بك ، وجاء أهل مأرب ، فلما جلسوا أطعم الناس وجلس عنده الذى
أمره [بما أمره] به ، فجعل ينازعه الحديث ، ويرد عليه ، فضرب عمرو وجهه وشتمه ،
فصنع الصبي بعمرو ومثل ما صنع [به] فقام عمرو وصاح : واذا لاه !! يوم نخر عمرو ومجده
بضرب وجهه صبي^(٣) ، وحلف ليقتلنه ، فلم يزالوا بعمرو حتى تركه [ففى ذلك قال
حاجر الأزدي :

(١) فى ب « السبعين سنة » (٢) فى ب « سرب النخل » .

(٣) فى ا « شتمه صبي وضرب وجهه » .

يارب لطفة غدَّرٍ قد سخنت بها بكف عمرو التي بالغدر قد غرقت^(١)

ثم قال : والله لا أقيم ببلد صنع هذا بي فيه ، ولأبيعن عقارى فيه وأموالى ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتتموا غنضة عمرو ، واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى ، فابتاع الناس منه جميع ماله بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم ، فخرج ناس من الأزد وباعوا أموالهم ، فلما أكثروا البيع ستفكر ذلك الناس ، فأمسكوا بأيديهم [عن الشراء] ، فلما اجتمعت إلى عمرو بن عامر أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، فقال أخوه عمران الكاهن : قدر أيت أنكم ستمزقون كل ممزق ، ويباعدون أسفاركم ، وإني أصف لكم البلدان فاختراروا أيها شتم ، فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر إليها^(٢) ، من كان منكم ذاهم^(٣) بعيد وجمل شديد^(٤) [ومزاد جديد] فليلق بقصر عمان المشيد ، [فكان الذين نزلوه أزد عمان] قال : ومن كان منكم ذاهم غير بعيد ، وجمل غير شديد [ومزاد غير جديد] فليلق بالشعب من كرود^(٥) ، قال : وهى أرض همدان ، فلقق به وادعة^(٥) بن عمرو ، فانتسبوا فيهم ، وقال الكاهن ، ومن كان منكم ذاهم ووطر [وسياسة] ونظر ، وصبر على أزمت الدهر ، فليلق ببطن مرّ ، وكان الذين سكنوه خزاعة [سميت بذلك] لأنخزاعها فى ذلك الموضع عن كان معها من الناس ، وهم بنو عمرو بن لحي ، فتخزعت هنالك إلى هذه الغاية ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :
ولما هبطنا بطن مرّ تخزعت^(٦) خزاعة منا فى ملوك كراكر^(٦)
[فى شعر له طويل] ومالك وأسلم وملكان بنوقصى بن حارثة بن عمرو مزيقيا^(٧) ،

(١) لا يوجد هذا البيت فى ١ . (٢) فى ١ « فليصر إليه » .

(٣) سقط ما بين المعرفين من ب ، وفيها « وحمل شديد » .

(٤) فى ١ « من كرد » . (٥) فى نسخة « وادعة » .

(٦) فى ١ « فى بطون كراكر » .

(٧) فى ب « بن عمرو بن مزيقيا » وليس بشيء .

وقال الكاهن: ومن كان يريد الراسيات في الرحل^(١)، المطعمات في المَحَل، فليلحق بيثرب ذات النخل، وهي المدينة، وكان الذين سكنوها الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزريقيا^(٢)، قال الكاهن: ومن كان يريد منكم الخمر والخمير، والديباج والحريز، والأمر والتدبير، فليلحق ببصرى وحفير، وهي أرض الشام [فكان الذين سكنوها غسان] قال الكاهن: ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق [والخيول العتاق، والكنوز والأرزاق، فليلحق بالعراق، وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الأزدي وولده، ومن كان بالحيرة من غسان، على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب.

وقال هشام بن الكلبي: وأما أبي فكان يقول: إنما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد هذا بزمان.

ثم خرج عمرو بن عامر مزريقيا^(٣) وولده، من مأرب، وخرج من كان بمأرب من الأزدي يردون أرضاً تجمعهم بقيمون بها، ففارقهم وادعة بن عمرو بن عامر مزريقيا فسكنوا همدان، وتخلف مالك بن اليمان بن فهم^(٤) بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزدي، وكان بعدهم بمأرب ملكاً إلى أن كان من أمرهم ما كان في الهلاك، ثم ساروا حتى إذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة بن عمرو بن عامر مزريقيا ودعبل^(٥) ابن كعب بن أبي حارثة فانتسبوا في مذحج، قال أبو المنذر: ويقال: إن أبا حارثة هو جد الحارث بن كعب بن أبي حذيفة الذي بنجران، والله أعلم.

ثم سار عمرو بن عامر حتى إذا كان بين السراة^(٥) ومكة أقام هنالك أناس من بني نصر من الأزدي، وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزريقيا، وعدى بن حارثة بن عمرو مزريقيا، وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الأشعرين وعكاً على ماء يقال له

(١) في الراسيات في الوحل وهذا أثبت، وهو الموافق لما في كثير من الأمهات

(٢) في بعض أصول الكتاب «بن عمرو بن مزريقيا» هنا أيضاً، وليس بشيء

(٣) في ب «مالك بن اليمان بن فهم» . (٤) في ب «ورعيل»

(٥) في ب «حتى إذا كان بأذن المسناة ومكة» .

غسان بين واديين ، يقال لها زبيد ورمع ، وهما مما يلي صدورهما بين صعيد
يقال له : صعيد الحسك^(١) ، وبين الجبال التي تدفع به في زبيد ورمع ، فأقاموا
على غسان ، وشربوا منه ، فسموا غسان ، وغلب على أسمائهم ، فلا يعرفون
إلا به ، قال شاعرهم :

إما سألت فإنا معشر نجبُ الأزدُ نسبتنا والماء غسان
والذين سموا غسان من بني مازن الأوسُ والخزرج ، ابنا^(٢) [حارثة بن
ثعلبة بن عمرو مزقياء ، وجفنة بن عمرو مزقياء ، والحارث وعوف وكعب
ومالك بنو عمرو مزقيا ، والنوم وعدى ابنا حارثة بن]^(٢) ثعلبة بن امرئ
القيس بن مازن بن الأزد .

وللقوم أخبار في تفرقهم ، ومن دخل منهم في معد بن عدنان وما كان بينهم
من الحروب إلى أن ظفرت بهم بنو معد ، فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة —
والسراة جبل الأزد الذي هم به يقال له السراة ، ويقال له : الحجاز ، وإنما سمي
السراة من هذا الجبل ظهره ، فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة ،
فأقاموا به وكانوا في سهله وجبله وماقاربه ، وهو جبل على تخوم الشام ، وفرزيبته
وبين الحجاز مما يلي أعمال دمشق والأردن وبلا دلفلسطين ويلاقي جبل موسى .

وقد كان أهل مأرب يعبدون الشمس ، فبعث الله إليهم رُسُلًا يدعوهم إلى
عبادة
أهل مأرب
وصنعهم مع
رسولهم
الله ، ويزجرونهم عما هم عليه ، ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم ، فجدوا
قولهم ، وردوا كلامهم ، وأنكروا أن [يكون] لله عليهم نعمة ، وقالوا لهم : إن
كنتم رُسُلًا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ، ويذهب عنا ما أعطانا ، وفي
ذلك تقول امرأة منهم [كافرة] :

إن كان ما نصَّبِحُ في ظلاله من ربكم فلينطلق بماله
* إليه عنا وإلى عياله *

(١) في ا ه صعيد الحيك . (٢) ما بين المقوفين ساقط من ب

[فأجابتها امرأة مؤمنة ، فقالت ^(١) :

لولا الإله لم يكن عيالنا ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذى يجيبنا سؤالنَا ويكشف الغم إذا ما هالنا ^(١)]

[فدعت عليهم الرسل] فأرسل الله عليهم سيل العرم ، فهدم سدوم و غشى
الماء أرضهم ، فأهلك شجرهم وأباد خضرأهم ، وأزال أموالهم وأنعامهم ،
فأتوا رسالهم فقالوا : ادعوا الله أن يخاف علينا نعمتنا ، وَيُخَصِّب بلادنا ،
ويرد علينا ما شرد من أنعامنا ، ونعطيكم مَوْتَقًا أن لا نشرك بالله شيئًا ،
فسألت الرسل ربها ، فأجابهم إلى ذلك ، وأعطاهم ما سألوا ، فأخصبت
بلادهم ، واتسعت عمائرهم إلى أرض فلسطين والشام : قرى ومنازل
وأسواقًا ، فأتتهم رسالهم ، فقالوا : موعدكم أن تؤمنوا بالله ، فأبوا إلا طغيانا
وكفرًا ، فمزقهم الله كل ممزق ، وباعد بين أسفارهم .

قال المسعودى : وإذ قد ذكرنا جملاً من أخبار السد وبلاد مأرب ، وعمرو
ابن عامر ، وغير ذلك مما تقدم ذكره فى هذا الباب ، فلنرجع الآن إلى
أخبار الكهان .

أول كهانة
سطيح الفسافى
وكان أول ماتكهن به سطيح الفسافى أنه كان نائمًا فى ليلة صُها كية مظلمة
مع إخوته فى لحاف ، والحى خلوف ، إذ زعق من بينهم ورنَّ وتأوه ، وقال :
والضياء والشفق ، والظلام والنسق ، ليطرقنكم ما طرق ، قالوا : ما طرق يا سطيح ؟
قال : ما طرق إلا الأجلحُ ، حين سرى الليل البهيم الأفلح ، وولاهم بسردح ،
قالوا : وما علامة ذلك يا سطيح ؟ قال : أمر يسد النقرة ، ذو حبسة فى الوجرة ،
وحررة بعد حررة ، فى ليلة قررة ، فانصرفوا عن قوله ، واستهانوا بأمره ، وتعاصفت
مدود من أودية هناك ، ففاجأتهم فى ليلة باردة قررة كما ذكر ، فسافت الأنعام
والمواشى ، وكادت أن تذهب بعامتهم .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ب .

(١) ما بين المعقوفين لا يوجد فى ا .

ولسطيح الكاهن ولشق بن صعيب^(١) أخبار كثيرة [عجيبة] : منها رؤيا
تُبَعّ الجبّري في أن جَمْرَةَ^(٢) خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تَهْمَةَ ، أكلت
منها كل ذات جمجمة ، وما فسّرَاه له في ذلك ، وكذلك خبر سطيح ،
[وعبد المسيح] في رؤيا الموبدان ، وارتجاج الإيوان ، وخبر سملقة وزوبعة ،
وما كان من أمرهما ، وخبر شأن الظالم والشجرة ، وما كان بين عك وغانان
من الحرب في رقة اللبن وحلاوته وثخنه^(٣) ، ونزول غسان أعلى الوادي ، وعك
في أسفله ، وما كان في ذلك من القيافة بينهم في طلوع الشمس وغروبها على
إبلهم ، وخبر السموأل بن حسان^(٤) بن عادياء ، وما كان من أمره ، وأمر
خازن الكاهن^(٥) ، وما قاله حين طرّقه ليلا ، وانقياده إلى ذمته ، وما كان
من العير الأقر^(٦) ، والظالم الأحمر ، والفرس الأشقر ، والجل الأزور^(٧) ، والشيخ
الأحقر^(٨) ، وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من كتبنا ، في « أخبار الزمان »
والكتاب الأوسط ، والله أعلم .

(١) في ب « بن صعيب » وقد ذكرنا سابقا أنه « شق بن صعيب » .

(٢) في ب « في أن جمجمة » (٣) في ا « وخلاوته وثخنه » تحريف

(٤) في ا « السموأل بن حنا » (٥) في ا « مازن الكاهن »

(٦) في ا « العنز الأقر » (٧) في ب « الجل الأورق »

(٨) في ب « والشيخ الأسدي »

ذكر سنى العرب والعجم وشهورها

وما اتفق^(١) منها ، وما اختلف

قال السعودى : عدة الشهور^(٢) عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهراً .
فانذكر الآن سنى وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الأمم ، وهم العرب
والفرس والروم والسريانيون والقبط ؛ إذ كان قول اليونانيين في ذلك^(٣) [هو
ما ذهبت إليه الروم ، ولم نعرض لوصف قول الهند في السنين والشهور والأيام
وما ذهبوا إليه في ذلك]^(٣) من حسابهم ، ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين
وكثير من الممالك والأمم ؛ إذ كان في ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود
بين الناس ، ونجعل المبتدأ بذكر سنى وشهور القبط ؛ لموافقها السريانيين
[ثم نعقب بعد ذلك بذكر شهور السريانيين] وموافقها لشهور الروم . ثم تتبع
ذلك بذكر سنى العرب وشهورها وأيامها ، [ثم نعقب بعد ذلك بذكر سنى
الفرس وشهورها وأيامها]^(٣) ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها ،
وكل يوم ، وما قالته العرب في تسمية الليالى ، وجل من ذكر أفعال الشمس
والقمر وتأثيرهما في هذا العالم في الجماد والنبات والحيوان ، وغير ذلك مما يقف
عليه المتأمل عند قراءته — إن شاء الله تعالى — على ما يريد ، والله تعالى
ولى التوفيق .

(١) فى ا « وما اتفق بها »

(٢) فى ا « عدد الشهور »

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ب

ذكر شهور القبط والسريانيين

والخلاف في أسمائها [وجمل] من التاريخ

أول شهور القبط : توت، وهو أيلول، وبابه، وهو تشرين الأول، وهاتور
شهور القبط
ومقابلها من
شهور السرياني
وهو تشرين الثاني، وكيهك، وهو كانون الأول، وطوبه، وهو كانون الثاني،
وأمشير، وهو شباط، وبرمها، وهو آذار، وبرموده، وهو نيسان، وبشنس
وهو أيار، وبثوونه، وهو حزيران، وأيبب، وهو تموز، ومسرى، وهو آب.
وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق، تدعى العمياء^(١)، تزيد على ما
سمينا من شهورها، وهي ثلاثمائة يوم وستون يوماً؛ فتصير السنة ثلاثمائة وخمسة
وستين يوماً.

وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من شهر آب، وعدة
سنة القبط
كل شهر منها ثلاثون يوماً، وكانت أيام السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً
كعدة^(٢) أيام سنة الفرس [وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائها شهور
الفرس]^(٣) فكان أول توت أول آذرماء، ثم كل شهر كذلك على هذا
الوصف إلى آخر سنة القبط آخر آذرماء، وهذا الحساب بعينه موجود في كتب
الزيجات في النجوم، وأهل مصر وسطر القبط في هذا الوقت—وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلاثمائة— يستعملون في حسابهم في الشهور غير ما قدمنا، وذلك أنهم
زادوا في أيام السنة ربع يوم على مذهب السريانيين^(٤) والروم [فصارت شهورهم
مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم] في عدد أيام السنة،
[وتاريخ القبط في كتاب المخطى من أول السنة] التي ملك فيها البخت نصر
وكان أولها يوم الأربعاء.

(١) في ب « تدعى العمائر » (٢) في ب « بعد أيام سنة الفرس »

(٣) لا توجد هذه العبارة في ا

(٤) في ب « على مذهب اليونانيين والروم »

مبدأ التواريخ وأما تاريخ القبط في كتاب زيح بطليموس، فمن أول سنة ملك فيلقوس^(١) وكان أولها يوم الأحد، و[التباين] الذي بين تاريخ البخت نصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون^(٢) سنة فارسية وثلثائة أشهر، والذي بين تاريخ فيلقوس^(١) وتاريخ يزدجرد [تسعمائة وخمس وخمسون سنة وثلثائة أشهر، وبين تاريخ الإسكندر وتاريخ يزدجرد] تسعمائة واثنان وأربعون سنة من سني الروم ومائتان وتسعة وخمسون يوماً، وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الأيام ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وعشرون يوماً، فأول هذه التواريخ تاريخ البخت نصر، ثم تاريخ فيلقوس^(١)، [ثم تاريخ ابنه الإسكندر، ثم تاريخ الهجرة]، ثم تاريخ يزدجرد.

أوائل كل تاريخ وتاريخ العرب من أول السنة التي هاجر فيها النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وكان أولها يوم الخميس .
وتاريخ الفرس من أول السنة التي ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز، وكان أولها يوم الثلاثاء .
وتاريخ الروم والسريانيين من أول السنة [من] ملك الإسكندر، وكان أولها يوم الاثنين، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك .

(٢) في ١ «وتسع وسبعون سنة»

(١) في ب «فيلفوس»

ذكر شهور السريانيين

ووصف موافقتها لشهور العرب
وعدة أيام السنة ومعرفة الأنواء

فأول ذلك أن أيام السنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم ، وهي
مختلفة في العدد : فثلاثون يوماً ، وأياماً واحد وثلاثون يوماً ، وحزيران
ثلاثون يوماً ، ولثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من الشمال^(١) [على
ما أوجبه حساب الهند] وهو أطول يوم في السنة [وليلته] أقصر ليلة ، وتموز
أحد وثلاثون يوماً ، وآب أحد وثلاثون يوماً ، فإذا انساخ [آب] ذهب
الحر ، قال محمد بن عبد الملك الزيات :

بَرَدَ الْمَاءَ وَطَلَبَ الْإَيْلَ وَالتَّدَّ الشَّرَابَ
وَمَصَى عَنْكَ حَزِيرًا نَ وَتَمُوزُ وَآبُ

وأيلول ثلاثون يوماً ، ولخمس منه عيد زكريا ، ولعشر منه تطلع الصرفة
فينصرف الحر ، ولثلاث عشرة منه عيد الصليب ، وهو اليوم الرابع عشر منه ،
وفي هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا
الكتاب ، ولتمام عشرين^(٢) منه ، يستوى الليل والنهار ، وقال أبو نؤاس :
مضى أيلول وارتفع الحرُّورُ وأخبت نارها الشعرى العبور^(٣)

وتشرين الأول أحد وثلاثون يوماً ، وفيه يكون المهرجان ، وبين النيروز
والمهرجان مائة وتسعة وستون يوماً ، وعند الفرس في معنى المهرجان أنه كان لهم
ملك في قديم الزمان من ملوك الفرس قد عمَّ ظلمه خواصَّ الناس وعوامهم ،
وكان يسمى مهر ، وكانت الشهور تسمى بأسماء الملوك ، فقيل مهر ماه ، ومعنى ماه :

(١) في ب « من السماء » (٢) في ا « ولثمانى عشرة منه »

(٣) في ب « وأذكت نارها الشعرى العبور »

هو الشهر، وأن ذلك الملك طال عمره واشتدت وطأته؛ فمات في النصف من هذا الشهر، وهو مهرماه، فسمى ذلك اليوم الذي مات فيه «مهرجان» وتفسيره نفس مهر ذهبية؛ لأن الفرس تقدم في لغتها ما تؤخره العرب في كلامها، وهذه اللغة الفهلوية، وهي النارسية الأولى، وأهل المروآت بالعراق وغيرهما من مدن^(١) العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء؛ فتغير فيه الفرش والآلات وكثيراً من الملابس، وتلخص منه—وهو تشرين الأول—عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس، وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الأرض، وتنزل عليهم نار من السماء، فيسرج هناك الشمع، ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر إلى العيد، ويقتلع فيه ورق الزيتون، ويكون للنصارى فيه أقاصيص، ولهذه النار حيلة لطيفة وسرّ عظيم، وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم «كتاب القضايا والتجارب» وتشرين الثاني ثلاثون يوماً، وكانون الأول^(٢) ثلاثون يوماً، وتسع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات [ونصفاً] وربعاً، وهو منتهى قصره، والليل أربع عشرة ساعة وربعاً، وهو منتهى طوله، وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام، وكانون الثاني أحد وثلاثون يوماً، وأول يوم منه القانديس^(٣)، فيكون فيه بالشام لأهله عيد يوقدون في ليلته النيران، ويظهرون الأفراح، لاسيما بمدينة أنطاكية، وما يكون في كنيسة القسيان بهامن القديس عندهم، وكذلك بسائر الشام وبيت المقدس ومصر وأرض النصرانية كلها، وما يظهر أهل دين النصرانية بأنطاكية من الفرح والسرور وإيقاد النيران والمآكل والمشارب، ويساعدون على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم، وذلك أن مدينة أنطاكية بها كرسي البطريرك المعظم عندهم في ديارهم، وأن النصرانية تسمى أنطاكية

(١) في ا هـ من مدن الشام

(٢) في ب هـ وكانون الأول أحد وثلاثون يوماً، ولسبع عشرة منه—إلخ

(٣) في ب هـ القانديس

مدينة الله ، ويسمونها أيضاً مدينة الملك ، وأم المدن ، لأن بُدُوَ ظهور النصرانية كان فيها .

بطارقة
النصارى

والبطارقة عند النصرانية أربعة : أولهم صاحب مدينة رومية ، ثم الثانى وهو صاحب مدينة قسطنطينية ، وهى أقس^(١) ، واسمها القديم بوزنطيا ، ثم الثالث وهو صاحب الإسكندرية من أرض مصر ، ثم الرابع وهو صاحب أنطاكية ، ورومية أنطاكية لبطرس ، فبدؤا برومية لأنها لبطرس ، ثم ختموا بأنطاكية لأنها له ، نمظيا [لبولس] ، وقد أحدثوا كرسيًا بيت المقدس ، ولم يكن هذا متقدما ؛ وإنما هو محدث ، وكان لإيليا وهو بيت المقدس أسقف [ولكورة لد من أرض فلسطين] .

مشهور
كنائسهم

وبأنطاكية أيضاً كنيسة [بولس] ، وتعرف بأنطاكية بدير البراغيث وهى مما بلى باب فارس ، وبها أيضاً كنيسة أخرى تدعى أشمونيت [، وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك بها كنيسة [بربارا] ، وكنيسة مريم] وهى كنيسة مدورة ، وبنائها من إحدى عجائب العالم فى التشديد والرفعة ، وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمداً عجيبه من المرمر والرخام لمسجد دمشق [حملت فى البحر إلى ساحل دمشق] ، وبقي الأكثر من هذه الكنيسة إلى هذا الوقت . وقد كان ملك من ملوك الروم [مع اليهود] بأنطاكية خبر عجيب فى كنيسة أشمونيت^(٢) وكانت خارج السور من أنطاكية ، وهى فى أيدي اليهود ، فعوضت اليهود دار الملك بأنطاكية [بدلا من كنيسة أشمونيت ، وهذه الدار التى كانت دار الملك] تعرف فى هذا الوقت بدار اليهود ، ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقاً عظيماً من نسر خشب فيها وغير ذلك . وقد منأ أخبار بطرس وبولس وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم فى البلاد ، وذكرنا قصة الملك الذى بنى مدينة أنطاكية ، وهو المعروف بأنطيوخس^(٣) ، وتفسير ذلك محوط الحوائط ، وكان اسم أنطاكية

(٢) فى ب « استوست » فى المرتين

(١) فى ا « وهى أحسن »

(٣) فى ب « بأنطوخس »

بالرومية على اسمه أنطيوخس ، فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الأحرف إلا الألف والنون والطاء .

وفي تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح إلى وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — تسعمائة سنة وأربعون سنة ، وتكون سنو الإسكندر ألفاً ومائتين وخمساً وثمانين^(١) ، ويكون من الإسكندر إلى المسيح ثلاثمائة سنة وتسع وستون^(٢) .

هذا ما وجد [ت] في تاريخ الملكية في كنيسة القسيان بمدينة أنطاكية ، وسنذكر بعد هذا الموضوع جملاً من التاريخ في باب نفرده لذلك ، إن شاء الله تعالى .

عود إلى
الشهور وأيامها

فلنرجع الآن إلى وصف حساب الشهور : شباط ثمانية وعشرون يوماً وربع
ثلاث سنين متوالية ، والرابعة كبيسة فيكون تسعاً وعشرين يوماً ، وتكون
السنة ثلاثمائة وستة وستين يوماً ، ولسبعة منه تسقط الجرة الأولى ، وهي الجبهة
ولأربع عشرة منه تسقط الجرة الثانية ، وهي [الزبرة] ، ولإحدى وعشرين منه
تسقط الجرة الثالثة ، وهي [الصفرة] ، وينصرف البرد ، وثلاثة أيام من آخره
أيام العجوز ، وآذار أحد وثلاثون يوماً ، ولأربعة من أوله تم أيام العجوز ،
والعرب تسمى هذه السبعة الأيام : صِنًا ، وصِنْبَرًا ، ووَبْرًا ، وآمرا ، ومؤتمرا ،
أيام العجوز ومعللا ، ومطفىء الجمر ، قال بعض العرب في أسماء أيام العجوز :

كسع الشتاء يسبعة غُبْرِ صِنِّ وصِنْبِرٍ وبالوبر

[وبآمر وأخيه مؤتمر ومعلل ، ومطفىء الجمر]

فإذا انقضت أيام شتوتنا أيام صادرة عن القر

كسع الشتاء مُولِيًا هربا وأنتك واقدة من الحر

ولخمس عشرة من آذار يستوى الليل والنهار ، وتحل الشمس الحمل ، وهذا

اليوم تحوّل سنة العالم ، قال أبو نُوَاس^(٣) :

(١) في « وخمسا وخمسين »

(٢) في « وتسع سنين »

(٣) في ب « أبو فراس »

أما ترى الشمس حلتِ الحملًا وطاب وزنُ الزمان واعتدلاً
وغنتِ الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كمالاً
واكنت الأرض من زخارفها وشئ نباتٍ نخالها حلالاً
فأشرب على جدّة الزمان فقد أصبح وجه الزمان مقتبلاً
وليس بحلول الشمس الحمل تستوفي الخمر سنة ، وإنما أراد بحلولها قربها
من الحول والقوة .

قال المسعودي : وأما شهور الروم فهي موافقة لشهور السريانيين في العدد
وذلك أن أول شهور الروم يوار يوس^(١) ، وهو كانون الثاني ، وقد قدمنا أن
في أول يوم منه يكون القانديس^(٢) ، وشباط فبراير يوس^(٣) ، وآذار مارت يوس ،
ونيسان إبريليس^(٤) ، وأيار مايوس ، وحزيران يونيوس ، وتموز يوليوس ،
وآب أغسطس ، وأيلول^(٥) سبتمبر ، وتشرين الأول أكتوبر^(٦) ، وتشرين
الثاني نوفمبر^(٧) ، وكانون الأول ديسمبر^(٨) .

(٢) في ب « الغطاس »
(٤) في ا « إبريلوس »
(٦) في ا « أفريطيوس »
(٨) في ا « دجونوس »

(١) في ا « بنوار خوس »
(٣) في ا « فراخاويس »
(٥) في ا « سطريوس »
(٧) في ا « نوبوطس »

ذكر شهور الفرس

أسماء الشهور
وعدة أيامها

[شهور الفرس] كلها ثلاثون يوماً ، فأولها فروردينماه^(١) ، وأول يوم منه النيروز ، وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوماً^(٢) ، والثاني أردببهشتماه ، وخردادماه ، وتيرماه ، وتيمروز عيد المهرجان ، ومردادماه ، وشهريرماه ، ومهرماه ، ويوم السادس عشر منه المهرجان ، وأبانماه فيه أبان روز عيد أبان كاه ، وفي آخره خمسة أيام : الفروودجان ، وآذرماه ، وأول يوم منه يخرج الكوسج فيه راكباً بغاله بالعراق وأرض فارس ، ولا يعرف ما وصفنا إلا بالعراق وأرض العجم ، وأهل الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ، ويطعم مدة من الأيام الجوز والثوم واللحم السمين ، وما عدا ذلك من الأطعمة الحارة والأشربة المسخنة الدافعة للبرد ، فيظهر طارداً للبرد ، فيصب عليه الماء البارد ؛ فلا يجد لذلك شيئاً من ألمه ، ويصبح بالفارسية كرما كرما ، [يعني الحر الحر] ، وهذا وقت عيد الأعاجم : يطربون فيه ، ويظهرون السرور ، وكذلك في أوقات كثيرة من فصول السنة ودوران الأذرخش ، ودينماه ، وبهمنماه ، وإسفندارمزماه ؛ فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوماً ، والله أعلم .

(١) في ب « فرودري »

(٢) في ا « مائة وأربعة وتسعون يوماً » وفي ب « مائة وأربعة وسبعون يوماً »

وقد سبق أن بينهما « مائة وتسعة وستين يوماً »

ذكر أيام الفرس

وهي ^(١) هرمز وبهمان وأردببشت وشهرير وإسفنذارمز وخرداد ومرداذ
وديباذر وآذر وأبان وخوروماه وتيروجوش ودبر ومهر ودمل وأسروش
وفروردين وبهرام ، وفيه يقول الشاعر :

باكر بنا لذة المدام في يوم سبتٍ ويوم رام
شربطتي فيه أن تراني وقت الضحى فاطر الكلام
وباد وديبادين وآذر وأشتاد وأسمان ودامادومار وسفند وأنيران .
^(١) فأما أيامهم المعروفة بالفروودجان فهي أهندكاه أسميهاه مشركاه
مشروكاه كاساه .

وكانت العرب تسمى ^(٢) هذه الأيام الخمسة : الهرير ، والهبير ، وقالب
القهر ^(٣) ، وحافل الضرع ، ومدحرج البعر ^(٤) .

وكانت الفرس تكبس في كل مائة وعشرين سنة شهراً ، وإنما أخروا كبس الفرس
ذلك إلى مائة وعشرين سنة ، لأن أيامهم كانت سُعوداً ونحوساً—فكرهوا
أن يكبسوا في كل أربع سنين يوماً ، فتنقل بذلك أيام السعود إلى أيام
النحوس ، ولا يكون النيروز ^(٤) أول يوم من الشهر ، والله تعالى أعلم .

(١) في أسماء هذه الأيام اختلاف ليس باليسير ، وقد اخترنا ما في ١ ، ولم ننبه
كعادتنا على الاختلاف الواقع في كل اسم اكتفاء بهذه الإشارة إذ كنا نعتقد أن
بعضها محرف عن بعض

(٢) في ١ « وقالب القهر »

(٣) في ١ « وجافل الطعن ومزحزج البعير »

(٤) في ١ « ولا يكون السرور أول يوم الشهر »

ذكر منى العرب وشهورها

وتسمية أيامها ولياليها

شهور الأهلة : أولها الحرم ، وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوماً ، تنقص
 عن السرياني أحد عشر يوماً وربيع يوم ، فتفرق في كل ثلاث وثلاثين سنة
 سنة ؛ فتتسلخ تلك السنة العربية ، ولا يكون فيها نيروز ، وقد كانت العرب في
 الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهراً وتسميه النسيء [وهو التأخير]
 وقد ذم الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله : (إنما النسيء زيادة في الكفر) ورسمت
 العرب الشهور فبدأت بالحرم ؛ لأنه أول السنة ، وإنما سمته الحرم لتحریمها
 الحرب والغارات فيه ، وصفر بالأسواق التي كانت باليمن تسمى الصفرية ،
 وكانوا يمتارون منها ، ومن تخلف عنها هلك جوعاً ، وقال نابغة ذبيان :
 إني نهيت بني ذبيان عن أفق وعن ترفههم في كل أصفار^(١)

اسماء الشهور

إيماء إلى
النسيء

وقيل : إنما سمي الصفر لأن المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم إلى
 الحرب ، وهو مأخوذ من قولهم : صَفِرَتِ الدار منهم ، إذا خلت ، وربيع ،
 وربيع ؛ لارتباع الناس والدواب فيهما ، فإن قيل : قد توجد الدواب ترتبع^(٢)
 في غير هذا الوقت ، قيل : قد يمكن أن يكون هذا الأسم لزمها في ذلك
 الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه ، وجمادى ؛
 وجمادى ؛ لجود الماء فيهما في الزمان الذي سميت به هذه الشهور ؛ لأنهم لم
 يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنقل أوقات ذلك ، ورجب ؛ لخوفهم إياه ،
 يقال : رَجَبْتُ الشيء ، إذا خفته ، وأنشد :

(١) في « عن أقر » وفيها « وعن ترجمهم »

(٢) في « ترتبع في غير هذا »

* فلا تَهَيَّبَهَا ولا تَرْجِبَهَا *

وشعبان ؛ لتشعبهم إلى مياهم وطلب الغارات ، ورمضان ؛ لشدة حر الرَّمْضَاءِ فيه ذلك الوقت ، والوجه الآخر أنه اسم من أسماء الله تعالى ذكره ، ولا يجوز أن يقال رمضان ، وإنما يقال : شهر رمضان ، وشوال ؛ لأن الإبل كانت تَشُولُ في ذلك الوقت بأذنانها [من شَهْوَةِ الضَّرَابِ] ، تشاءمت به العرب ، ولذلك كرهت النزويج فيه ، وذو القعدة ؛ لعودهم فيه عن الحرب والغارات ، وذو الحجة ؛ لأن الحج فيه .

والأشهر الحرم هي : الحرم ، ورجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة . الأشهر الحرم

وأشهر الحج : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة ، والأيام المعلومات العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق ، والتعجيلُ باتفاقٍ غيرُ جائزٍ إلا في اليوم الثالث من يوم النحر ، فدل ذلك على أن أولها ثاني يوم النحر ، ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل في ثلاثة أيام ، وهذا خلاف القرآن ؛ لإخبار الله تعالى أن التعجيل في يومين من المعدودات وإذا كانت المعدودات ما وصفتنا صح أن المعلومات منها ، والذبح في يوم النحر ذبح في المعلومات لكونه منها .

ولا تمنع بين العرب أن يقول القائل « أتيتك في الشهر » ، والإتيان إنما كان في بعضه . و « جئتك في اليوم » والحجى في بعض أوقاته ، ولا يُصَامُ يوم النحر ، ولا يوم الفطر ، ولا أيام منى ، لفرضٍ ولا تطوعٍ ؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ؛ ولم يخص فرضاً من تطوع بالنهي ، فالواجب الامتناع على وصفنا .

وقد ذكر عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم « نهى عن صيام ثلاثة أيام التشريق » وفي جميع ما ذكرنا من المعلومات والمعدودات والصيام في

أيام التشريق خلاف بين الناس ، وأيام التشريق أولها ثاني النحر ، وآخرها اليوم الثالث عشر من ذي الحجة [إلى العصر] .

تسمية أيام
التشريق

قال المسعودي : وقد اختلفت الناس في علة [تسميتها] أيام التشريق ، وهي أيام منى ولياليها ، فقالت طائفة : إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يذبحون الذبائح [بمنى] ويُشَرِّقون اللحم في الشمس ، وقال آخرون : إنما سميت أيام التشريق ^(١) [لأن أهل مكة وغيرهم يتشرقون منصرفين إلى أوطانهم ، وفيه قول آخر ، وهو أنها إنما سميت أيام التشريق] ^(١) لأنهم كانوا يخرجون بمنى وغيرها كالمزدلفة إلى مصليات لهم في فضاء من الأرض فيسمونها المشارق ، واحدها مشراق ، يسبحون ويدعون ، فسميت بذلك أيام التشريق ، وفيه قول آخر ، وهو أن طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم ، وهو التشريق ^(٢) ، وقالوا : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الضحية بالمشرفة ، يعني المشقوقة الأذنين بالطول ، فهي أيام التشريق ، ولأناس في التشريق من أهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وإنما ذكرنا ما أوردناه لتغلغل الكلام بنا إليه وانصالة بما قدمناه ، وإن كان كلاماً يلحق بالفقه .

الأيام النحسات : كل أربعا يوافق أربعا من الشهر ، مثل أربع خلون [وأربع عشرة خلت ، وأربع عشرة بقيت] وأربع وعشرين ، وأربع بقين .
أسماء الأيام عند العرب قديما
وَأما أسماء الأيام فأولها الأحد ، وإنما سمي بذلك لأنه أول يوم خلقه الله من الزمان ، وبذلك نطقت التوراة ، وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب ما في الأيام من بدء الخلق ، والاثنين ، وسمى لأنه ثان ، والثلاثاء ، وسمى لأنه ثالث ، والأربعاء لأنه رابع ، والخميس لأنه خامس ، والجمعة لأن الخلق اجتمعوا فيه ، والسبت لأن الخلق انقطع فيه [وخلق في آخره آدم] : وهو

(١) .ابن العقوقين ساقط من ا

(٢) في الا وهو الشرق ه

مأخوذ من قولهم : نعل سَبْتِيَّة ، إذا كانت مقطوعة الشعر ، ويقال : سَبَتَ شعره ، إذا قطعه ، وكانت العرب تسميها في الجاهلية : الأحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار [قال شاعرهم :

أؤمل أن أعيش وأن يومي بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار ، فإن أفته فؤنس أو عروبة أو شيار]

وكانوا يسمون الشهور : المحرم ناتق ، وصفر ثقيل ، ثم طليق ، ناجر ، أسلمخ^(١) أميح^(٢) ، أحلك ، كسع ، زاهر ، برك^(٣) ، حرف ، نعس ، وهو ذو الحجة .

وقد اختلف العرب في أسماء الأزمنة [الأربعة] : فرجمت طائفة منها أن الأزمنة الأربعة أولها الوسمى ، وهو الخريف ، ثم الشتاء ، ثم الصيف ، ثم القيظ ، ومنهم [من] يعدُّ الأول من فصول السنة الربيع ، وهو الأشهر والأعم ، والعرب تقول : خَرَفْنَا في بلد كذا ، وشتونا في بلد كذا ، وتربعنا في بلد كذا ، وصِفْنَا في بلد كذا .

وشهور العرب ليست مرتبة على فصول السنة [ولا على حساب سنة الشمس] بل المحرم وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة في الربيع وتارة في غيره من فصول السنة .

وشهور الروم مرسومة على ما يوافق فصول السنة التي تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن آخرها ، ومقادير أيام كل شهر منها ولياليه في الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للأبصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين وهي اثنا عشر شهراً على حسب ما ذكرنا أن أولها تشرين إلى أيلول ؛ فكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة^(٤) من هذه الأثني عشر شهراً غير حائلة ولا منتقلة

(٢) في ب « أمنح »

(٤) كذا ، ولعله « ثلاثة شهور »

(١) في ب « سماح »

(٣) في ب « برط »

انتقال الشهور العربية ، ولكل برج منها شهر ، فأيلول وتشرين وتشرين
لسلطان السوداء ، وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم ، وأذار ونيسان وأيار
لسلطان الدم ، وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء ، فأيلول لبرج السنبلة
وتشرين الأول لبرج الميزان ، وتشرين الآخر لبرج العقرب ، وكانون الأول
برج القوس ، وكانون الآخر برج الجدى ، وشباط برج الدأو ، وأذار برج
الحوت ، ونيسان برج الحمل ، وأيار برج الثور ، وحزيران برج الجوزاء ،
وتموز برج السرطان ، وآب برج الأسد .

قال المسعودي : وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الكلام
في الطبائع وفصول السنة ، وما يلائم ذلك من المآكل والمشرب وغير ذلك
مما لحق بهذا الباب ، إن شاء الله تعالى ، والله ولي التوفيق .

ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية وغيرها

كانت العرب تُخبر عن القمر في كل ليلة [من الشهور] على حسب ما هو به من الضياء وغيره على طريق المسألة والجواب ؛ فتقول : قيل للتمر : ما أنت ابن ليلة؟ قال : رضاع سخيلة ، حل أهلها برميعة ، قيل : فما أنت الليلتين ؟ قال : حديث أمتين ، ذَوَاتِي إِفْكٌ وَمَيْنٌ^(١) ، قيل : فما أنت لثلاث؟ قال : حديث فتيات ، يجتمعن من شتات وقيل : قليل اللبات^(٢) ، قيل فما أنت لأربع؟ قال : غنمة رتع ، غير جائع ولا مريض^(٣) ، قيل : فما أنت لخمس ؟ قال : حديث وأنس ، قيل : فما أنت است ؟ قال : سِرْوَبٌ ، قيل : فما أنت لسبع ؟ قال : تصفر في الشفع ، وقيل : دلجة^(٤) الضبع قبي : فما أنت لثمان ؟ قال : قمر أصبحان ، وقيل : رغيف اقتسمه أخوان ، قيل فما أنت لتسع ؟ قال : تلتقط في الجرع ، قيل : فما أنت لعشر ؟ قال : محق للفجر ، قيل : فما أنت لإحدى عشرة ؟ قال : أرى مساءً وأرى بكرة ، قيل : فما أنت لاثنتي عشرة؟ قال : موقف للسير في البدو والحضر ، قيل : فما أنت لثلاث عشرة؟ قال : قمر باهر ، يُعْشَى عَيْنَ النَّاطِرِ ، قيل : فما أنت لأربع عشرة ؟ قال : مقتبل الشباب ، أضيء بين السحاب^(٥) ، قيل : فما أنت لخمس عشرة ؟ قال : تم التمام ونفدت الأيام ، قيل : فما أنت لست عشرة ؟ قال : ناقص الخلق ، في الغرب والشرق ، قيل : فما أنت لسبع عشرة ؟ قال : ركب الفقير الفقير ، قيل : فما أنت لثمان عشرة ؟ قال : قليل البقاء ، سريع الفناء ، قيل : فما أنت لتسع عشرة ؟ قال : بطيء الطلوع ، من الخشوع ، قيل : فما أنت لعشرين ؟ قال : أطلع سحرة ، وأرى بكرة ، قيل : فما أنت لإحدى وعشرين ؟ قال : لأطيل السرى ، إلا ريثما

(١) في ب « حديث مشيق ، ذو أفل ونيق » .

(٢) في ا « وقيل : قليل اللبات » (٣) في ا « عتمة ربيع غير رابع ولا مرتع » (٤) في ب « قال : نصف في السبع ، وقيل : حلجة للضبع »

(٥) في ا « أضيء مثل السحاب »

أرى ، قيل : فما أنت لاثنتين وعشرين ؟ قال : مسفع خطب ، وليث حرب ،
 قيل : فما أنت لثلاث وعشرين ؟ قال : كالقبس ، أطلع في الغلس ، قيل :
 فما أنت لأربع وعشرين ؟ قال : أطلع في قسمة ، ولا أجلى ظلمة ، قيل :
 فما أنت لخمس وعشرين ؟ قال : أنا في تلك الليال ، لا قمر ولا هلال ، قيل :
 فما أنت لست وعشرين ؟ قال : دنا الأجل ، وانقطع الأمل ، قيل : فما أنت
 لسبع وعشرين ؟ قال : دنا مادنا ، فليس في من سنا ، قيل : فما أنت لثمان
 وعشرين ؟ قال : أطلع بكرة ، ولا أرى ظهراً ، قيل : فما أنت لتسع وعشرين ؟
 قال : أسبق شعاع الشمس ، ولا أطيل المجلس ، قيل : فما أنت لثلاثين ؟
 قال : [هلال] مستقبل سريع الأفل .

وكانت العرب تسمى الثلاث الأولى من ليالي الشهر ، فتقول : ثلاث غرر ،
 والثلاث التي تليها ثلاث سمر ، والثلاث التي تليها ثلاث زهر ، والثلاث التي
 تليها ثلاث درر ، والثلاث التي تليها ثلاث قمر ، وثلاث بيض ، وتقول في النصف
 الثاني من الشهر في الثلاث الأول : ثلاث درع ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث ظلم ،
 وفي الثلاث التي تليها ثلاث حناديس ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث دوارى ،
 وفي الثلاث التي تليها ثلاث محاق ، وقيل في وجه آخر من الروايات : إنه
 يقال لليالي الشهر : ثلاث هلال ، وثلاث قمر ، وست نقل [وثلاث بيض] ،
 وثلاث درع ، وثلاث بهم^(١) ، وست حناديس ، وليلتان داريتان^(٢) ،
 وليلة محاق .

تقسم الليالي
 ثلاثاً وثلاثاً
 واسم كل ثلاث

قال المسعودی : فأما ما ذهب إليه العرب في تسمية القمر فإنها تسميه في
 ليلة طلوعه هلالاً ، وما لم يستدر فهو هلال ، ثم تسميه قرناً إذا ما استدار ،
 وإذا ما حجر وأضاء فهو قمر ، قال شاعرهم^(٣) :

أسماء الهلال
 والليالي

(١) في ا هنا «وثلاث ظلم» (٢) وفي ا «وليلتان دآديتان»
 (٣) في ا «قال عمرو بن أبي ربيعة» وصوابه عمر بن أبي ربيعة .

وقمير بدأ ابن خمس وعشري ن له قالت الفتاتان قوما
 ثم يستوى لثلاث عشرة منه ، وهي ليلة السواء ، ثم ليلة البدر لأربع
 عشرة ، ويقال : غلامٌ بدر ، إذا امتلأ شباباً قبل أن يحتلم ، ويقال : عين
 حذرة بدرة^(١) ، إذا كانت حديدة كعين الفرس ، والليالي البيض ليلة ثلاث
 عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ، والليالي الدرع هي التي تسودُ صدورها
 وتبيض سائرها ، والمحاق إذا ما طلعت عاياه الشمس ، والسواد حين يستتر
 فيكون خلف الشمس ، ويقال : قد حجر القمر ، إذا استدار بخط رقيق من
 غير أن يفظ ، ويقال : أفتق [القمر] إذا أصابته فرجة من السحاب فخرج
 [وأفتق علينا فأبصرنا الطريق]^(٢) ، وكل سواد من الليل حنْدِس ، والليالي
 الزُّهر الليالي البيض [والزهرة : البياض] والله الموفق للصواب .

(١) في ب « عين حذرة قمرية »

(٢) زيادة في ب وحدها .

ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم

وَجُمِّلَ نَمَا قِيلَ فِي ذَلِكَ

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

[قال المسعودی] :

ذهب الحكماء جميعاً من اليونانيين وغيرهم إلى أن أفعال القمر في الجواهر التي قلنا^(۱) عظيمة، إلا أنها أقصر من أفعال الشمس، وهو الثاني بعدها، وذلك أن الشهور به تكون، وعلى حسب حركته يجرى أمرها، وأفعاله ترى أعظم وأبين في حيوان البحر خاصة، وهو ينمي النبات وغيره، ويعظم البحار^(۲)، ويسمن الحيوان، ويلزم النساء الطمث أزماناً محدودة .

قال المسعودی رحمه الله : وقد تنازع الناس في كيفية تصور الجنين في الرحم . فذهب قوم من أهل القدم إلى أن في المنى قوة تصور الجنين إما منه ، وإما من دم الطمث .

تصور الجنين
في الرحم

وذهب قوم إلى أن في الرحم قالباً يتصور فيه الجنين ، وقد ذكر جالينوس في كتابه عن بقراط أن مقام المنى مقام الفاعل والمفعول في تصور الجنين . وقال صاحب المنطق : إن ذلك بمنزلة الفاعل ، وإن الجنين يتصور في دم الطمث من المنى ، قال : والمنى يعطى الدم مثل الحركة ، ثم يستحيل ريحاً فيخرج من الرحم ، وزعم جالينوس أن الجنين يكون من المنى ، وقد يجذب^(۳) إليه الدم الذي هو الطمث ، والروح من العروق والشريانات فيكون من المنى ، ومن ذلك الدم الذي يجذبه ، ومن الريح الذي تصير إليه من الشريانات . قال : وكون الجنين بمنزلة كون النبات ، والطبيعة تصوره من المنى والدم ، وتفعل الطبيعة في الجنين ما تفعله في النبات .

(۱) في « التي قلنا »

(۲) في « ويعظم الثمار »

(۳) في « وقد يحدث »

لأن بزر النبات يحتاج إلى أرض لينال منها ما يفتدى به ، فالجنين إلى الرحم ، والنبات يرسل عروقه من الأصول ليجذب بها [من الأرض غذاءه ، وللجنين في المشيمة شريانات ، والعروق نظير لذلك]^(١) وهي أصول الجنين ، وبزر النبات ينبت منه سوق ، ومن السوق أغصان كبار ، ثم من هذه الأغصان أغصان أخرى تتفرع أولا حتى تنتهي إلى الأفاصي ، ونظير ذلك يوجد في الجنين ؛ فتجد السوق^(٢) في بدئه ثلاثة من كل واحد من الأغصان الأصول وهي : الشريان الأعظم ، والعرق الأجوف ، والنخاع ، ثم تجد كل واحد من هذه تتشعب منه شعب كالأغصان المنقسمة إلى أغصان آخر حتى ينتهي إلى الأطراف ، ثم قال بعد ذلك : إن المنى هو المحرك لنفسه ، وإن الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث .

وحكى جالينوس عن أنبذقلس^(٣) أن أجزاء الولد منقسمة في منى الذكر والأنثى وأن شهوة الجماع تسوق هذه الأجزاء إلى الالتئام^(٤) ، وهذا موجود في كتاب أنبذقلس^(٣) الكبير وفيما ذكره من مذهبه في كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك .

وقد ذهب قوم من أهل القدم إلى أن ذلك هو أجزاء تخرج من أعضاء الإنسان لطيفة من جنس سائر أعضاء الإنسان ، فتصب في الرحم ، فيفتدى منه وينمو ، فيكون من ذلك الجنين .

ومنهم من رأى أن هذه الأجزاء الواردة من سائر أعضاء الذكر تقاربها مواد من الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعهما فيكون الجنين من ذلك ؛ فمن ذلك صار الولد يشبه أباه في الأغلب من سائر الأعضاء ويشاكله وأهل بيت أبيه ، ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء في الأغلب من تشابه الأعضاء ، ومن ههنا أدركت القافة إلحاق النسب عند الشبه والشك في النسب ، وذلك على قول من رأى

(١) زيادة في ب (٢) في ب « فتجد العرق »

(٣) في ب « عن أبيه بليس »

(٤) في ب « تسبق هذه الأجزاء إلى أن لا ينم »

إلحاق النسب بالقيافة من الفقهاء^(١)، وقد تقدم الكلام في هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب في باب القيافة .

وللناس في كيفية تصور الجنين في الرحم وما بدؤه وما عنصره وكيفية تقلبه من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة إلى استكمال شكله كلام كثير: منهم أصحاب الاثنين^(٢) وغيرهم ممن تقدم وتأخر، أعرضنا عن ذكر ذلك؛ إذ كان فيه خروج عما إليه قصدنا في هذا الباب .

قال المسعودي رحمه الله : والذي يقضى على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده ، وهو ما أخبر به الباري عز وجل في كتابه بقوله : (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ولم يخبر عن كيفية [وقوع] ذلك وما سبب مواده ، بل استأثر [بعلمه ، وأبدى] الدلالة بظهور حكمته [دالة على توحيده وإتقانه لما أظهر لعباده من حكمته] ثم أخبر عن المبدأ الذي خلقهم منه فقال : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من أتني) وقال عز وجل : (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من عاقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ؛ لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر — الآية) .

قال المسعودي : وللناس ممن سلف من الأوائل وخلف من الشرعيين كلام الاختلاف في تأثير النيرين كثير في كيفية أفعال النيرين وتأثيرهما في هذا العالم ، وما قالوه في ذلك ، وما خصوا به كل واحد منهما وأفراده ، وما ذهبوا إليه من فعل الثاني منهما وهو القمر وما يظهر من تأثيره في الجزر والمد في بحر الصين [والهند] والحبس واليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب ، وكذلك فعله في المعادن وأدمغة الحيوان [والبيض] وسائر

(٢) في ب «منهم أصحاب الأنيق»

(١) في ب «من القافة»

النبات ، وما يظهر من الزيادات فيه عند امتلائه ، والنقص عند نقصانه ، وما يكون من بحرانات المرضى في اليوم السابع من العلة ، والرابع عشر والحادي والعشرين [والثامن والعشرين]^(١) لأن للقمر أربعة أشكال هي أثبت صورته ، فيه شكل التنصيف ، وشكل التمام ، وشكل التنصيف عن^(٢) التمام ، وشكل الحاق ، ولكل شكل من هذه سبعة أيام ؛ لأنه في سبع ليالي يتنصف ، وفي الرابعة عشرة يتم ، وفي الحادية والعشرين يتنصف ، وفي الثامنة والعشرين يتمحق ، فكذلك البحرانات ، وعند هذه الطائفة يصبح في السابع والرابع عشر والحادي والعشرين [والثامن والعشرين] ويصبح أيضاً في تنصيفات هذه ؛ إذ كانت هذه الأشكال أثبت أشكال الشيء المنقسم ، وقد خالف هؤلاء خاق [كثير] ممن ذهب إلى غير هذا القول ، وأن ذلك من قبل الأخطا ، وغير ذلك من الطبائع الأربع ، وغيرها مما قد أتينا على إيضاحه في كتابنا المترجم بكتاب « الزلف » وفي كتاب « المبادئ والتراكيب » وغير ذلك في كيفية تأثير الشمس والقمر .

وأما الدلائل على أن السماء على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من كروية السماء الكواكب كدورة الكرة ، وأن الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر والأرض على مثال الكرة ، وأن كرة الأرض مثبتة في وسط السماء كالمرکز^(٣) ، وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة في الدائرة صفراً ، ووصف الربع المسكون من الأرض ، وما يعرض فيه من دور الفلك ، واختلاف الليل والنهار [ووصف خواص هذا الربع المسكون من الأرض] ووصف المواضع التي تطلع الشمس فيها شهوراً لا تغرب ، وتغرب شهوراً لا تطلع ، فقد أتينا على وصف جميع ذلك ، وما اتضح عليه وانتصب من البراهين ، وما قاله الناس في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب « أخبار الزمان » وما أوضحنا فيه من هيئة الأفلاك

(٢) في ب « عند التمام »

(١) زيادة في ب وحدها

(٣) في ب « كالكرة »

والكواكب ، وأن الأرض مع ما وصفنا تدويرها موضوعة في جوف الفلك كالمحّة في البيضة ، والنسيم جاذب أيضاً لما في أبدان الخلق من الخفة ، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل ؛ إذ كانت الأرض بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب بطبعه الحديد ، وأن الأرض مقسومة نصفين ، وبينهما خط الاستواء ، وهو [بين] المشرق إلى المغرب [وهذا عندهم هو طول الأرض ؛ لأنه أكبر حط في كرة الأرض] كما أن منطقة البروج أكبر حط في الفلك ، وعرض الأرض من القطب الجنوبي [إلى القطب الشمالي] الذي تدور حوله بنات نعش ، وأن استدارة الأرض في خط الاستواء ست وثلاثون درجة ، والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً ، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع ، والذراع اثنان وأربعون أصبغاً ، والأصبع ست حبات [وتسعان]^(١) مصفوفة بعضها إلى بعض ، يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الأرض والبحار ومبادئ الأنهار مقدار الميل والذراع الأسود ، وإنما نذكر في كل موضع من هذا الكتاب ما يفتح لنا ونجده في كتب الناس ؛ فننقل ذلك عنهم على ما وجدناه في كتبهم ، لا أنا نقطع على صحته ؛ إذ كان ما يذهب إليه في مقدار الميل من الأذرع ، والذراع من الأصابع ، هو ما بيناه آتفاً في باب ذكر الأرض والبحار .

وبين خط الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة ، واستدارتها عرضاً مثل ذلك ، وزعم هؤلاء أن العارة في الأرض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة ، وأن الباقي قد عمه البحر^(٢) الكبير ، وأن الخلق على [الربع] الشمالي من الأرض ، والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه ، والنصف الباقي من الأرض لا ساكن فيه ، وكل ربع من الشمال والجنوب سبعة أقاليم ، وقد ذكرناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الأرض والأقاليم السبعة ، وأن عدد

(١) لا توجد هذه الكلمة في (٢) في « قد عمه البحر الكبير »

المدن عند صاحب^(١) كتاب الجغرافيا أربعة آلاف مدينة ومائتا مدينة ،
فأما قبلة [أهل] المشرق والمغرب واليمن والجنوبي^(٢) ، فقد ذكرنا جملاً
من ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » .
وقد حرر^(٣) ذلك في كتابه أبو حنيفة الدينوري ، وقد سلب ذلك
ابن قتيبة ونقله إلى كتبه نقلاً ، وجعله عن نفسه ، وقد فعل ذلك في كثير
من كتب أبي حنيفة الدينوري . هذا ، وكان أبو حنيفة هذا ذا محل من
العلم كبير ، ولبطليموس في كتاب المجسطي ، وغيره ممن تقدم ، ثم لمن طرأ
بعد ظهور الإسلام — مثل الكندي ، وابن المنجم^(٤) ، وأحمد بن الطيب ،
وما شاء الله ، وأبي معشر ، والخوازمي^(٥) ، ومحمد بن كثير الفرغاني ،
فما ذكره في كتابه الفصول^(٦) الثلاثين ، وثابت بن قرّة ، والتبريزي^(٧) ،
ومحمد بن جابر البتاني ، وغير هؤلاء ممن قد عني بعلوم الهيئة — علوم كثيرة
في هذا المعنى ، وإنما نقل من ذلك إلى هذا الكتاب لمعاً ؛ طلباً للاختصار
والإيجاز ، وبالله التوفيق .

(١) في « على عهد صاحب كتاب جغرافيا »

(٢) في « والجدي » (٣) في « وقد جرد ذلك » محرفاً

(٤) في « وبني المنجم » (٥) في « وأبي معشر الخوازمي »

(٦) في ب « في كتابه في الأصول الثلاثين »

(٧) في ب « والسديدي »

ذكر أرباع العالم ، والطبائع

وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب واليمين والجنوبي^(١)
والأهوية ، وغير ذلك من سلطان الكواكب

وما لحق بهذا الباب [واتصل بهذا المعنى]

[قال المسعودي] فأما الطبائع الأربعة: الأرض، فالنار حارة يابسة [وهي

الطبيعة الأولى] والطبيعة الثانية: باردة رطبة، وهي الماء، والطبيعة الثالثة: الهواء،

وهو حار رطب ، والطبيعة الرابعة : وهي باردة يابسة ؛ فائنتان [منها] تذهبان

الصُّعْدَاء ، وهما : النار ، والهواء ، واثنان ترسخان سُفْلًا ، وهما : الأرض ، والماء

والعالم أربعة أجزاء ؛ فالشرق الربع الأول ، وجميع ما فيه حار رطب [مثل] الهواء

والدم ، وهذا الربع^(٢) ريح الجنوب ، وله من الساعات الأولى والثانية والثالثة ،

وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة^(٣) ، ومن المذاقات حظه الحلاوة ،

وله من الكواكب : القمر ، والزهرة ، وله من البروج : الحمل ، والثور ،

والجوزاء . وللحكماء [في هذا] خطب طويل في وصف هذه الأرباع منها

بُجَل^(٤) فيما مضى وما يأتي . والمغرب : وهو الربع الثاني ، وجميع ما فيه بارد

رطب [مثل] الماء والباغم^(٥) ، والشتاء ، ورياحه : الدَّبُورُ ، وله من الساعات

العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة ، وله من المذاقات : المالح ، وما شابه

ذلك ، وله من القوى : القوة الدافعة ، وله من الكواكب : المشتري ،

وعُطَّارِد ، ومن البروج : الجدى ، والدلو ، والحوت . والجزء الثالث^(٦) : اليمين ،

وجميع ما فيه حار يابس [مثل] المِرَّة الصفراء . والصيف ، وريحه : الصَّبَا ،

وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار . وله من قوى البدن

(١) في ا « والجدى » (٢) في ا « والربيع ريح الجنوب »

(٣) في ا « وله من قوى البدن القوة الهاضمة »

(٤) في ب « هذه جعل منها ما مضى وما يأتي »

(٥) في ب « رطب الماء واللبن في الشتاء » (٦) في ا « وهو الربع الثالث »

القوة النفسانية والحيوانية ، وله من المذاقات : المرارة، وله من الكواكب : المريخ ،
والشمس ، ومن البروج : السرطان، والسنبلة ، والميزان^(١) ، والجزء الرابع هو
الجنوبي، وجميع ما فيه بارد يابس ، مثل الأرض [والمرّة السوداء ، والخريف]
[وريحه الشمال] وله من الساعات : السابعة والثامنة والتاسعة ، وله من قوى
البدن القوة الماسكة ، ومن [الطعوم و] المذاقات : العفص ، وله من
الكواكب : زُحل ، وله من البروج : الميزان ، والعقرب ، والقوس ، والأرض
بعد ما وصفناه [تهاياً] في الهيئة ، وتختلف في التأثير على مقادير الخطوط ،
فإذا بعد الخط كان التأثير بخلاف ما هو إذا قرب ؛ لموجبات متنافية متغايرة ،
وأفضل المواضع من المسكون ما طرح الشمس ضوء شعاعها إليه ، وإلى الإقليم
الرابع ينتهي عند هذه الطائفة شعاعها في صفوه وارتفاع كدره ؛ لأن شعاع
الشمس يهبط متساوياً إلى هذا الموضع وهو العراق .

قال المسعودي : والمواضع التي لا تسكن عند هذه الطائفة عدت السكنى
لعلتين : إحداهما إفراط الحر وإحراق الشمس وكثرة تواتر شعاعها على تلك
الأرضين [حتى قد] جعلتها كلسية^(٢) وأغاضت مياهها لكثرة التنشيف ،
والعلة الأخرى بُعد الشمس عن الإقليم ، وارتفاعها عن حوزته ، فاكتنف
تلك الأرضين البرد ، واستولى عليها القرب والجمد^(٣) ، فزاد إفراط البرد في
الجو حتى أزال حسن الاعتدال ورفع فضيلة النشف ، فلم تلبث الحرارة في
الأجسام ، ولم تظهر الرطوبة في إنماء الحيوان هنالك ؛ فصارت تلك البلاد
قاعاً تصفصفاً من الحيوان والنبات ، وهذه البلدان التي تراها مفرطة الحرارة
والبرودة هي تناسب ما ذكرنا من هذه الديار البلاقع .

ولهذه الطائفة كلام كثير في فناء العالم ونقصه^(٤) وعوده جديداً، وذكروا
أن السلطان في هذا الوقت السنبلة [وهو سبعة آلاف سنة ، وذلك عمر هذا
العالم البشري ، وقد ساعد السنبلة] المشتري في التدبير ، وأن نهاية العالم في كثرة

(١) في « السرطان والأسد والسنبلة والجدي »

(٢) في ب « جعلتها يابسة »

(٣) في ب « والجمد »

(٤) في ا « ونقصه »

قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى ، فإذا استكمل قطع^(١) المسافة التي ذكروها [في الفلك] فهناك يقع النفاذ ويكون الدُّثُورُ بالعالم، والكواكب إذا كملت ما لها من كَرٍّ ودَوَّرَ عاد التدبير إلى الأول منها، وعادت أشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التي كانت له في حال^(٢) حركة تأثير الكوكب الذي كان التدبير إليه ، وهكذا عند هؤلاء يجري شأن العالم سرمداً .

عدة سلطان
الكوكب

وزعموا أن سلطان الحمل اثنا عشر ألف سنة [وسلطان الثور إحدى عشرة ألف سنة ، وسلطان الجوزاء عشرة آلاف سنة ، وسلطان السرطان تسعة آلاف سنة ، وسلطان الأسد ثمانية آلاف سنة ، وسلطان السنبلة سبعة آلاف سنة ، وسلطان الميزان ستة آلاف سنة] وسلطان العقرب خمسة آلاف سنة [وسلطان القوس أربعة آلاف سنة] وسلطان الجدى ثلاثة آلاف سنة ، وسلطان الدلو ألفا سنة [وسلطان الحوت ألف سنة ، فجميع ذلك ثمانية وسبعون ألف سنة] وعند ذلك هو انقضاء العالم ونقض ما فيه ورجوعه إلى كونه .

وتكلم هؤلاء في الجن الذين كانوا في الأرض قبل خاق [الله] آدم واستخلافه في الأرض ، وأن المتولى لهم كوكب من الكواكب النارية . وتكلم كلا الفريقين في أوج الشمس عند انفصالها إلى البروج الجنوبية وما يحدث في العالم في كون الشمال جنوباً والجنوب شمالاً ، وتحول العامر غامراً والعامر عامراً ، على حسب ما ذكرنا في كتابنا المترجم بكتاب «الزلف» .

وقد ذهب [غير] هؤلاء ممن تقدم من الأوائل [إلى] أن التي وجد بها سائر الموجودات كالأول والثواني والثالث على قدر مراتبها [في العقل] النفس والصورة والهيولى ، وأنها المبادئ على حسب ما رتبناه وقدمناه في كتاب «الزلف» فما عدا ما وصفنا فهي الأجسام ، وأجناسها ستة : الجسم السماوي [والجسم الأرضي] والحيوان الناطق ، والحيوان غير الناطق ، والنبات ، والأجسام الحجرية وهي المعدنية ، والأستقصات الأربعة وهي النار والهواء والماء والأرض .

أجناس
الاجسام

(١) في ب واستكمل وبلغ المسافة» (٢) في ب في حد حركة تأثير الكوكب»

وتكلم هؤلاء فيما يخص كل واحد مما ذكرنا مما لا يحتمله كتابنا هذا ؛ إذ كان فيه خروج عن الغرض الميّم فيه ، وقد أتينا على بسط ذلك في كتاب « الرؤس السبعية » ، في باب السياسة المدنية ، وعدد أجزائها وعللها الطبيعية ^(١) « وهل ملك تلك المدينة جزء من أجزائها أو من غيرها ؟ وإليه نهاية أجزائها على حسب ما ذكره فرفوروس ^(٢) في كتابه في وصف منازعة أفلاطون وأرسطاطاليس في ذلك .

فأما علة كون الشتاء بأرض الهند في الحالة التي يكون الصيف بها عندنا ، و [الحالة التي يكون فيها عندنا] الشتاء يكون الصيف عندهم ^(٣) فقد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه ، وأن ذلك للشمس في قربها وبعدها ، وكذلك علة تكون السودان في بعض البقاع من الأرض دون بعض [وتقل شعورهم ، وغير ذلك من مشهور أوصافهم ، وعلة تكون البيضان في بعض البقاع دون بعض] وتفطر ألوان الصقالبة وشقرتهم وصهوية شعورهم ، وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعوج أسواقهم ^(٤) ولين عظامهم حتى إن أحدهم ليرمي بالثياب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ؛ ومطاوعة فقارات الظهر لهم على ذلك ، وكون الحمرة في وجوههم عند تكامل الحرارة في الوجه على الأغلب من كونها وارتفاعها ؛ لغلبة البرد على أجسامهم ، وقد أتينا بحمد الله على [شرح ذلك ؛ وما انتظم من الدلائل الدالة على مصداق] ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا في هذه المعاني المقدم ذكرها . ولم نتعرض لذكر ما لم يصح عندنا في العالم وجوده حساً ولا خبراً قاطعاً للعدرو ولا دافعاً للرّيب ومزيلاً للشك كأخبار العامة في كون النسناس ، وأن وجوههم على نصف وجوه الناس ، وأنهم ذوو أنياب ^(٥) ، وقولهم في عنقاً مغرب . وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة أجناس : ناس ، ونسناس ، ونسانس وهذا محال من القول ؛ لأن النسناس إنما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والرثال

(١) في ب « وملتها الطبيعية » محرفاً (٢) في ب « فرفوروس »

(٣) وقع في ب « وقد ذكرنا » والوجه في العربية أن يقول « قد ذكرنا » وكذلك

وقع في أ (٤) في ب « سيقانهم » (٥) في ب « ذوو ألباب »

وقد قال الحسن : ذهب الناس وبقى النسناس ، وقال الشاعر :

ذهب الناس فاستقلوا ، وصرنا خلفاً في أراذل النسناس

أراد به ما وصفنا : أي ذهب الناس وبقى من لا خير فيه .

وقد ذهب كثير من الناس إلى أن الجن نوعان : أعلاهم وأشدهم الجن ،

الجن
وأنواعها

[وأخفهم] وأضعفهم الجن ، وأنشد الراجز :

* مختلف نجرهم جن وحن * (١)

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ، ولا صح به أثر ،

وإنما ذلك من توهم الأعراب على [حسب] ما بيناه آنفاً .

وقد غلب على كثير من العوام الأخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده

النسناس

في العالم كالأخبار عن وجود [ه في] الصين وغيرها من الممالك النائية

والأمصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق ، وبعضهم في المغرب ،

فأهل المشرق يذكرون كونها بالمغرب ، وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق ،

وكذلك كل صقع من البلاد يُشير سكانه (٢) إلى أن النسناس فيما بعد عنهم

من البلاد ونأى من الديار .

وقدروا في ذلك خبراً أخرجه من طريق الأحاد أن ذلك في بلاد حضرموت من

[أرض] الشَّحْر ، وهو ما ذكره (٣) عبدالله بن [سعيد بن] كثير بن عفير المصري ،

عن أبيه عن يعقوب بن الحارث بن نجيم (٤) ، عن شبيب بن شيبه بن الحارث

التميمي ، قال : قدمت الشَّحْر فنزلت على رأسها (٥) ، فتذاكرنا النسناس ، فقال :

صيدوا لنا منها ، فلما أن رجعت إليه [مع بعض أعوانه المتهربين] إذ أنا بنسناس

منها ، فقال لي النسناس : أنا بالله وبك ، فقلت لهم : خلوه ، نخلوه ، فلما حضر

الغداء قال : هل اصطدتم منها شيئاً ؟ قالوا : نعم ، ولكن خلاه ضيفك ، قال :

(١) في ب « مختلف محرهم جن وحن » وليس بشيء أصلاً ، والنجر -

ومثله النجار : الأصل .

(٢) في ب « يسير سلطانه » (٣) في ب « ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير »

(٤) في ب « يعقوب بن محرت بن لحيم » (٥) في أ « على رئيسها »

استعدوا فإننا خارجون في قنصه ، فلما خرجنا إلى ذلك في السَّحَرِ (١) خرج
منها واحد يعدو وله وجه كوجه الإنسان وشعرات في ذقنه ، ومثل الثدي في
صدره ، ومثل رجلي الإنسان رجلاه ، وقد أَلَّظَّ به كلبان ، وهو يقول :

الويل لي مما به دهاني دهرى من الهموم والأحزان
قفا قليلا أيها الكلبان واستمعوا قولي وصدقاني (٢)
إنكما حين تجاربانى ألفتيماني حضرا عني (٣)
لولا سُبَاتِي ما ملكتماني حتى تموتا أو تفارقاني (٤)
لست بنحوار ولا جبان ولا بنكس رَعشِ الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن يُنْذِلُ ذا القوة والسلطان (٥)

قال : فالتقيا به فأخذه ، ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناساً ، فقال [قائل
منها : سبحان الله ، ما أشد حمرة دمه ! فذبحوه أيضاً ، فقال نسناس آخر من
شجرة : كان يأكل السماق ، قال : فقالوا نسناس آخر خذوه ، فأخذوه
وذبحوه ، فقالوا : لو سكت هذا لم يعلم بمكانه ، فقال نسناس من شجرة
أخرى : أنا صميت (٦) [قالوا : نسناس ، خذوه] فأخذوه [فذبحوه]
فقال نسناس من شجرة أخرى : يا لسان احفظ رأسك ، فقالوا : نسناس
خذوه ، فأخذوه ، وزعم من روى هذا الخبر أن المهرة تصطادها [في بلادها]
وتأكلها .

قال المسعودي : ووجدت أهل الشَّحْر من بلاد حضرموت وساحلها—وهي
الأحساء مدينة على الشاطئ من أرض الأحقاف ، وهي أرض الرمل وغيرها مما
اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة—يستطرفون

(١) في ب « فلما خرجنا إلى ذلك السرح » (٢) في ب « أيها الركبان »

(٣) في ا « حين تجاربانى » وفي ب « حضرا يمانى » .

(٤) في ا « لو في شباني ما ملكتماني »

(٥) في ا « القدرة والسلطان » (٦) في ا « أنا صميت » .

أخبار النسناس إذا ما حدثوها ، ويتعجبون من وصفه ، ويتوهمون أنه ببعض بقاع الأرض مما قد نأى عنهم وبعد ، كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم ، وهذا يدل على عدم كونه في العالم ، وإنما ذلك من هوس العامة واختلاطها^(١) ، كما وقع لهم في خبر عنقاء مغرب [وهذا يدل على عدم كونه في العالم] ورووا فيه حديثاً عزوه إلى ابن عباس ، ونحن لم نحمل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل به بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر في العالم من طريق العقل : فإن ذلك غير ممتنع في القدرة ، ولكن أحتملنا ذلك لأن الخبر القاطع للعدر لم يرد بصحة وجود ذلك في العالم ، وهذا باب داخل في حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ، ويحتمل هذه الأنواع من الحيوان النادر ذكرها كالنسناس والعنقاء والعرابد وما اتصل بهذا المعنى أن تكون أنواعا من الحيوان أخرجتها الطبيعة من القوة إلى الفعل^(٢) ولم تحكمه ولم يأت فيه الصنع^(٣) كتأنيه في غيره من الحيوان ، فبقي شاذاً فريداً متوحشاً نادراً في العالم طالباً للبقاع النائية من البرمباينا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم ؛ للضدية التي فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة ، وعدم المشاكلة والمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه ، على حسب ما قدمنا في باب الفيلان فيما سلف من هذا الكتاب ، وفي الإكثار من هذا خروج عن الغرض الذي إليه قصدنا في هذا الكتاب . وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من الأخبار عن زعم أن المتوكل أمر حنين بن إسحاق^(٤) — أو غيره من أهل عصره ممن عنى بهذا الشأن من الحكماء — أن يتأني له ويحتال في حمل النسناس والعربد من أرض اليمامة ، وأن حنيناً^(٥) حمل له شيئاً من ذلك ، وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن أرسل إلى اليمامة في حمل العربد وإلى بلاد الشحر في حمل النسناس في كتابنا « أخبار الزمان » والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر ،

(٢) في ب « من القدرة إلى العمل »

(٣) في ب « ولم يأت فيه الصنع »

(٤) في ب « حنين بن إسحاق » عرفاً

(٥) في ب « حنين بن إسحاق » عرفاً

وليس لنا في ذلك إلا النقل ، وأن نعزوه إلى راويه ، وهو المقلد بعلم ذلك فيما حكاه ورواه ؛ فننظمه على حسب ما يتأتى لنا نظمه في الموضع المستحق له ، والله ولي التوفيق برحمته .

وأما ما ذكره عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العيسى ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العيسى ، وأنه ذكر أنه كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وذكرنا خبره مع النار وإطفائه لها .

العنقاء

فلنذكر الآن خبر العنقاء على حسب ما رووه ، فلا بد من إعادة خبر خالد لذكر [نا] العنقاء واتصال^(١) الخبرين ، ومخرج هذه الأخبار كلها عن ابن عفير .

حدث الحسن بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن عبد الله المروزي ، قال : حدثنا أسد بن سعيد بن كثير بن عفير [عن أبيه عن جده كثير ، عن جد أبيه عفير^(٢) عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خاتى طائرأ في الزمان الأول من أحسن الطير ، وجعل فيه من كل حسن^(٣) قسطا ، وخلق وجهه على مثال وجوه الناس ، وكان في أجنحته كل لون حسن من الريش ، وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه ، وخلق له يدين فيهما مخالب ، وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الأصل ، وجعل له أنثى^(٤) على مثاله ، وسماها بالعنقاء ، وأوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران : إني خلقت طائراً عجيباً خلقته ذكراً وأنثى ، وجعلت رزقه في وحش بيت المقدس ، وآنتك بهما ؛ ليكونا مما فضلت به بني إسرائيل ، فلم يزالا يتناسلان حتى كثر نسلهما ، وأدخل الله موسى وبني إسرائيل في التيه فكثروا فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون في التيه وجميع من كان مع موسى من

(١) في ب « واتساع الخبرين » .

(٢) في ب « أسد بن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة » ووقع الإسناد فيها فيما يأتي كما ذكرناه هنا موافقاً لما في أ .

(٣) في ب « من كل جنس » . (٤) في ب « أبناء على مثاله ، وسماها »

(١٥١ - مروج الذهب ٢)

بنی اسرائیل ، وكانوا ستائة ألف ، وَخَلَفَهُمْ نَسْلُهُمْ فِي التِّيهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التِّيهِ مَعَ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ تَلْمِذَ مُوسَى وَوَصِيهِ ، فَانْتَقَلَ ذَلِكَ الطَّائِرُ فَوْقَ بَنَجْدٍ وَالْحِجَازِ فِي بِلَادِ قَيْسِ عَيْلَانَ ، وَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ يَأْكُلُ مِنَ الْوَحُوشِ وَيَأْكُلُ الصَّبِيَانَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْبَهَائِمِ إِلَى أَنْ ظَهَرَ نَبِيُّ مِنْ بَنِي عَبَسَ بَيْنَ عَيْسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ سَنَانَ ، فَشَكَا إِلَيْهِ النَّاسُ مَا كَانَتْ الْعَنْقَاءُ تَفْعَلُ بِالصَّبِيَانَ ، فَدَعَا اللَّهَ عَلَيْهَا [أَنْ يَقْطَعَ نَسْلَهَا فَقَطَعَ اللَّهُ نَسْلَهَا]^(١) فَبَقِيَتْ صُورَتُهَا تَحْكِي فِي الْبُسْطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وقد ذهب جماعة من ذوى الروايات^(٢) إلى أن قول الناس في أمثالهم « عنقاء مُغْرِب » إنما هو للأمر العجيب النادر وقوعه ، وفولهم « جاء فلان بعنقاء مُغْرِب » يريدون أنه جاء بأمر عجيب ، قال شاعرهم :

* وَصَبَّحَهُمْ بِالْجَيْشِ عَنْقَاءُ مُغْرِبِ *
وَالْعَنْقُ : السَّرْعَةُ .

خالد بن سنان العيسى قال ابن عباس : وكان خالد بن سنان نبي بني عبس بَشَّرَ^(٣) برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حضرته الوفاة قال لقومه : إذا أنا مت فادفنوني في حِقْفٍ من هذه الأحقاف ، وهى تلؤل عظام من الرمل ، واحرسوا قبرى أياماً ، فإذا رأيتم حجاراً أشهب أتر يدور حول الحِقْفِ الذى فيه قبرى أياماً فاجتمعوا ثم انبشوا قبرى وأخرجونى إلى شفير القبر ، وأحضروا لى كاتباً ومعه ما يكتب فيه حتى أملئ عليكم ما يكون وما يحدث إلى يوم القيامة ، قال : فرصدوا قبره [بعد وفاته ثلاثاً ثم ثلاثاً ثم ثلاثاً ، فإذا الحمار يرعى حول الحِقْفِ قريباً من قبره]^(١) واجتمعوا عليه لينبشوه كما أمرهم ، فحضر ولده وشهروا سيوفهم ، وقالوا : والله لا تركنا أحداً ينبشه ، أتريدون أن نُعير بذلك غداً وتقول لنا العرب : هؤلاء ولد المنبوش ؟ فانصرفوا عنه وتركوه ، قال ابن عباس : ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت ، وقال لها :

(١) ما بين العقوقين لا يوجد فى ب .

(٢) فى ب « من ذى الدراية »

« مرحباً بابنة نبي ضيعه » قال شاعر بني عبس :
 بني خالد لو أنكم إذ حضرتمُ نبثتم عن الميت المغيب في القبر
 لأبقى عليكم آل عبسٍ ذخيرةً من العلم لاتبلى على سالف الدهر
 وقد رويت عن ابن عفير أخبار كثيرة في هذا المعنى وأشباهه من فنون
 الأخبار من أخبار بني إسرائيل وغيرها .

منها خبر خلق الخيل ، وهو ما حدث به الحسن بن إبراهيم الشعبي القاضي ، الخيل
 قال : حدثنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الروزي قال : حدثنا أبو الحارث أسد
 ابن سعيد بن كثير بن عفير ، عن أبيه ، عن جده كثير ، عن [جد] أبيه عفير
 قال : قال عكرمة : أخبرني [مولاي] ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « إن الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى إلى الريح الجنوبي^(١) : إني
 خالق منك خلقاً [فاجتمع] فاجتمعت ، فأمر جبريل فأخذ منها [قبضة] ثم قال الله :
 هذه قبضتي ، قال : ثم خلق الله منها فرساً كميئاً ، ثم قال الله : خلقتك فرساً ،
 وجعلتك عربياً ، وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق ، والغنائم
 تقاد على ظهرك ، والخير معقود بناصيتك ، ثم أرسله ، فصهل ، فقال الله :
 باركت فيك ، بصهيلك أربع المشركين ، وأملاً مسامعهم ، وأزلزل أقدامهم ،
 ثم وسمه بغرة وتحجيل ، فلما خلق الله آدم قال : يا آدم ، أخبرني أي الدابتين أحب
 إليك الفرس أو البراق ؟ قال : وصورة البراق على صورة البغل ، لا ذكر
 ولا أنثى ، فقال آدم : يارب ، اخترت أحسنهما وجهاً ، فاختر الفرس ، فقال الله :
 يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقياً ما بقوا وخلصوا » قال ابن عباس : فذلك
 الوسم فيه وفي ولده إلى يوم القيامة ، يعني الغرة والتحجيل .

قال المسعودي رحمه الله : وقد ذكر عيسى بن طهية المصري في كتابه
 المترجم بكتاب « الخلائب والجلائب » وذكره لكل حلبة أجريت فيها الخيل

(١) في « ربيع الجنوب » .

في الجاهلية والإسلام : أن سليمان بن داود زوّدَ أناساً من الأزدي فرساً يصيدون عليه ، فسعى زاد الراكب ، وكذلك ذكر ابن دريد في كتاب الخيل وغيره .

وللناس في الخيل أخبار [عظيمة] كثيرة قد أتينا على ذكرها في السالف من كتبنا .

[ولولا أن المصنف حاطبٌ ليلٍ لذكره في تصنيفه من كل نوع لما ذكرنا هذه الأخبار ؛ إذ الناس من أهل العلم والدراية في قبول الأخبار على وجوه ^(١) .]
[وقد] ذهبت طائفة إلى أن الأخبار التي تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هي أخبار الاستفاضة : مارواه الكفاة عن الكفاة ، وأن ما عدا ذلك فقير واجب قبوله .

الكلام
على الأخبار

وذهب الجمهور من فقهاء الأمصار إلى قبول خبر الاستفاضة ، وهو خبر التواتر ، وأنه يوجب العلم والعمل ، وأوجبوا العمل بخبر الواحد ، وزعموا أنه موجب للعمل دون العلم بأوصاف ذكرها .
ومن الناس من ذهب إلى غير هذه الوجوه في قبول الأخبار من الضرورية وغيرها ^(٢) .

وما ذكرناه من حديث النسب والعنقاء وخلق الخيل فقير داخل في أخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ، ولا بالأخبار المضطربة لسامعها إلى قبولها عند ورودها واعتقاد صحتها عن مخبرها ، وهذا النوع من الأخبار قد قدمنا [أنها] في حيز الجائز الممكن الذي ليس بواجب ولا ممتنع ، وهي لاحقة بالإسرائيليات من الأخبار والأخبار عن عجائب البحار . ولولا ما قدمنا آنفاً من اشتراطنا على أنفسنا الاختصار والإيجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الأخبار

(١) وقعت هذه العبارة مختصرة في ب قبل خبر عيسى بن لميعة .

(٢) في ب « في فنون الأخبار من الضرورية وغيرها » .

مما رواه أصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم حملة السنن ونقله الآثار ، مما لا يتناكرونه ، ويعرفونه ولا يدفعونه .

أمثلة
من الأخبار

مثل حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني إسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لأهل السفينة ويَشُوبُ الخمر بالماء ، وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة ، وأن القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه الدراهم وصعد على الدقل ، وهو صاري المَرَّاب ويُدْعَى بالعراق الدقل ، فحل الكيس ولم يزل يرمي درهماً إلى الماء ودرهماً إلى السفينة ، حتى قسم ذلك نصفين .

ومثل ما روى الشَّيْبِيُّ عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة ، وهو خبر تميم الداري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في جماعة من بني عمه في سفينة ، فأضَلَّ بهم البحر^(١) وألْقاهم إلى جزيرة [نُجْرَجُوا] من السفينة إلى الجزيرة [فنظروا إلى دابة عظيمة قد نشرت شعرها ، فقالوا لها : أيتها الدابة ، ما أنت ؟ فقالت : أنا الجَسَّاسة التي أخرج آخر الزمان ، وذكروا عنها كلاماً غير هذا ، وأنها قالت : عليكم بصاحب القصر ، فنظروا فإذا هم [بقصر من حاله ووصفه كذا ، وإذا هم]^(٢) برجل بالحديد والقيود مُسَلَّس إلى عمود من حديد وصفة وجهه كذا ، وأنه خاطبهم وساء لهم ، وأنه الدجال ، وأنه أخبرهم بجمل من الملاحم ، وأنه لا يدخل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما ذكر في هذا الحديث وغيره مما ورد من الأخبار في معناه ، وهذا باب كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه .

عود إلى ذكر
أرباع العالم
والطبائع

ثم رجع بنا القول إلى ما كنا فيه آنفاً من ذكر أرباع العالم والطبائع ، وما اتصل بهذا المعنى ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام في الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الباب ومبسوطه ، وقد زعم جماعة

(١) في « فاعتل بهم البحر » .

(٢) ما بين هذين المعقوفين ساقط من أ .

من تقدم وتأخر من الأطباء ومصنفي الكتب في الطبيعيات وغيرها أن للطعام ثلاثة انهضامات : أما الأول فهي المعدة [فإن المعدة] تهضم الطعام فتأخذ قوته فيصير مثل ماء الكشك ، ثم تدفعه إلى الكبد [ثم يدفعه الكبد] في العروق إلى جميع الجسد كاندفاع الماء من النهر إلى السواقي والمشارب ، فتهمضمه أعضاء الجسد التالية ، فتصيره إلى شبيهها اللحم لحما والشحم شحما ، وكذلك العروق والعصب وما سوى ذلك [وأن أفتارها إذا استوت استوت أقدار القوى] وإذا استوت القوى استوى الجسد واعدل ويصح بإذن الله تعالى .

للطعام
انهضامات
ثلاثة

وأن الزمان أربعة فصول : الصيف ، والخريف ، والشتاء ، والربيع ؛ فالصيف يقوى المرة الصفراء ، ويكثر احتياجها ، والخريف يقوى السوداء ، والشتاء يقوى الباغم ، والربيع يقوى الدم .

فصول السنة
وأثر كل منها

ثم ينقسم عمر الإنسان أربعة أقسام : الصبا وفيه يقوى الدم ، والشباب وفيه تقوى المرة الصفراء ، والكهولة وفيها تقوى السوداء ، والشيوخوخة وفيها يقوى البلغم .

وأن البلدان أيضاً تنقسم على أربعة^(١) أقسام : المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة ، وفيه يقوى الدم ، والجنوب^(٢) وطبيعته البرودة واليبس ، وفيه تقوى المرة [السوداء] ، والغرب وطبيعته البرودة والرطوبة وفيه يقوى البلغم ، واليمن وطبيعته الحرارة واليبس ، وفيه تقوى المرة [الصفراء] ، وأن بنية الأصول من الجسد ربما كانت مستوية معتدلة الأخلاط ، وربما كان أحد الأخلاط أغلب في البنية فتظهر قوته بأعلامه حتى يكون مقوياً لذلك الخلط إذا حاج .

(١) ترك في ب ذكر المغرب فلم يعرض له ، وترك ذكر الشمال أيضاً . ثم ذكر تأثير ربح الجنوب والشمال مقعماً في تضاعيف الكلام ، مما يدعو إلى توهم أنه المتروك ، ويسمى المؤلف الشمال باليمن ، وقد أثبتنا ما في ا وهو تام .

(٢) في ا « والجدى » .

وقد قال أبقراط : ينبغي أن يكون كل شيء في هذا العالم مقدرًا على سبعة أجزاء ، فالنجوم سبعة ، والأقاليم سبعة [والأيام سبعة] وأسنان الناس سبعة : أولها طفل ، ثم صبي إلى أربع عشرة سنة ، ثم غلام إلى إحدى وعشرين سنة ، ثم شاب ما دام يشب ويقبل الزيادة إلى خمس وثلاثين سنة ، ثم كهل إلى الأربعين^(١) ، ثم شيخ إلى سبع وأربعين سنة ، ثم هرم إلى آخر العمر .
وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم فمن الهواء يكون ذلك .
وقد قال الحكيم أبقراط : إن تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس : مرة إلى الغضب ، ومرة إلى السكون ، وإلى الهم والسرور وغير ذلك ، وإذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم .

الهواء وأثره
في الإنسان
والحيوان

وقال : إن قوى النفس تابعة لمزاجات الأبدان ، ومزاجات الأبدان تابعة لتصرف الهواء : إذا برد مرة وسخن^(٢) أخرى خرج الزرع نضيجاً ومرة غير نضيج ، ومرة قليلاً ومرة كثيراً ، ومرة حاراً ومرة بارداً ، فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم ، وإذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلاً ، فاعتدل بذلك الصور والمزاجات .

الاستدلال
بالأقاليم على
تأثير الهواء

فأما علة تشابه صور الترك فإنه لما استوى هواء بلدانهم في البرد استوت صورهم وتشابهت ، وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ، ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ، ولانت أبدانهم ، وتشبهوا بالنساء في كثير من أخلاقهم ، فضعفت شهوة الجماع فيهم ، وقلَّ ولدهم ؛ لبرد مزاجهم ، وللرطوبة الغالبة عليهم ، وقد يكون ضعف الشهوة أيضاً لكثرة ركوب الخيل ، وكذلك نساؤهم : لما سمنت أبدانهم ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب الزرع إليها .

(١) في « ثم كهل إلى تسع وأربعين سنة ، ثم شيخ ، ثم هرم » .

(٢) في ب « إذا برد مرة وسكن أخرى » وأثبتنا ما في أ .

وأما حمرة ألوانهم فللبرد كما ذكرنا ؛ لأن البياض إذا ألت عليه البرودة صار إلى الحمرة ، وبيان ذلك أن أطراف الأصابع والشفة والأنف إذا أصابها برد شديد احمرت .

وذكر الحكيم أبقرط أن في بعض البلدان من الجنوب بلدة كثيرة الأمطار كثيرة النبات والعشب ، وأن أشجارها ذاهبة في الهواء ، ومياهها عذبة ودوابها عظيمة ، وهي مخصبة ؛ لأن تلك البلاد لم يلحقها حر الشمس ، ولم يلحقها بيس البرد ، فأجسام أهاها عظيمة ، وصورهم جميلة ، وأخلاقهم كريمة ؛ فهم — في صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم — يشبهون باعتدال زمان الربيع ، غير أنهم أصحاب دعة لا يحملون الشدائد والكد .

وقال أبقرط في معنى ما وصفنا وما إليه قصدنا ، من بيان الأهوية وتأثيرها في الحيوان والنبات : إن الروح المطبوعة فيها هي التي تجذب الهواء إلينا ، وإن الرياح تقلب الحيوان من حال إلى حال ، وتصرفه من حر إلى برد ، ومن بيس إلى رطوبة ، ومن سرور إلى حزن ، وكما تغير ما في البيوت من بزر أو غسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى [وترطبها مرة وتيبسها أخرى] ^(١) ، وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها ، وإذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شيء ، فمن تقدم وعرف أحوال الأزمنة وتغيرها والدلائل التي فيها عرف السبب الأعظم من أسباب العلم وتقدم في حفظ ^(٢) صحة الأبدان .

وقال أيضاً : إن الجنوب إذا هبت أذابت الهواء وبردته ، وسخنت البحار والأنهار ، وكل شيء فيه رطوبة ، وتغير لون كل شيء ، وحالاته ، وهي ترخي الأبدان والعصب ، وتورث الكسل ، وتحدث ثقلا في السماع ، وعشاوة في البصر ؛ لأنها تحلل المرة ، وتنزل الرطوبة إلى أصل العصب الذي يكون فيه الحس .

(١) زيادة عن ا .

(٢) في ب « من أسباب العلم وتقدم في صحة الأبدان » .

وأما الشمال فإنها تصاب^(١) الأبدان، وتصح الأدمغة، وتحسن اللون، وتصفى
 الحواس، وتقوى الشهوة والحركة، غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر.
 وقد زعم بعض من تأخر في الإسلام من الحكماء أن الجنوب إذا هب بأرض
 العراق تغير الورد، وتناثر الورق [وتشقق القنبيط] وسخن الماء، واسترخت
 الأبدان، وتكدر الهواء، قال: وذلك شبه ما قاله أبقراط: إن الصيف أو بآ
 من الشتاء؛ لأنه يسخن الأبدان فيرخيها ويضعف قواها، وإن أهل العراق
 يكون الرجل منهم نائمًا في فراشه فيحسُّ بهبوبها، وإنه إذا هبت الشمال برَدَّ
 الخاتم في إصبعه واتسع لانضمام البدن^(٢) بها، وإذا هبت الجنوب سخن الخاتم
 وضاق، واسترخى البدن، وحدث فيه الكسل، وهذا يجده سائر من بالعراق
 ممن له حس، إذا صرف همته إلى تأمل ذلك، وكذلك يجده من تأمل
 ما وصفناه في سائر الأمصار في بقاع الأرض والبلدان، وإن كان ذلك بالعراق
 أظهر لعموم الاعتدال.

ثم قال الحكيم أبقراط في معنى ما ذكرناه: إن الرياح العامة أربعة: إحداها الرياح الأربعة
 تهب من جهة المشرق، وهي القبول، والثانية تهب من المغرب، وهي الدبور،
 والثالثة من التيمن، وهي الجنوب، والرابعة من التيسر^(٣)، وهي الشمال.
 [فأما الريح التي تهب في بلد دون بلد فإنها تسمى الريح البلدية]^(٤).

قال المسعودي: وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الأخبار
 [عن الأرض والبحار، وكثير من الممالك والبلدان، وذكرنا في هذا الباب
 جوامع من الأخبار] عن الطبائع والأهوية والبلدان وأرباع الأرض من العامر
 والفامر، وغير ذلك مما تقدم ذكره وانتظام تصنيفه واتسق بحمد الله إirاده؛ فرأينا
 أن نحتم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك، وما بينهما من البعد والقرب، على
 حسب ما حكاه الفزاري صاحب كتاب الزيج والقصيدة في هيئة النجوم والفلك:

(١) في ١ « فإنها تطب الأبدان ». (٢) في ١ « لأنه يضم البدن بها »

(٣) في ١ « والرابعة من الجدى ». (٤) لا توجد هذه العبارة في ب.

مساحات
الممالك وما بينها
من المسافة

زعم الفزاري أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان إلى طنجة
بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ، والعرض من باب الأبواب إلى جدة ستائة
فرسخ، ومن الباب إلى بغداد ثلثمائة فرسخ، ومن مكة إلى جدة اثنان وثلاثون ميلاً.
عمل الصين من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ في أحد عشر ألف فرسخ.
عمل الهند في المشرق أحد عشر ألف فرسخ في سبعة آلاف فرسخ.
عمل التبت خمسمائة فرسخ في مائتين وثلاثين فرسخاً.
عمل كابلشاه^(١) أربعمائة فرسخ في ستين فرسخاً.
عمل التفزغزغ^(٢) بالترك ألف فرسخ في خمسمائة فرسخ.
عمل الترك لخاقان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ.
[عمل الخزر واللان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ]^(٣)
عمل برجان ألف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ.
عمل الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ^(٤) وعشرين فرسخاً
عمل الروم [بقسطنطينية خمسة آلاف فرسخ في أربعمائة وعشرين فرسخاً
عمل رومية الروم]^(٥) ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمائة فرسخ.
عمل الأندلس لعبد الرحمن بن معاوية ثلثمائة فرسخ [في ثمانين فرسخاً]^(٦).
عمل إدريس الفاطمي ألف ومائتا فرسخ في مائة وعشرين فرسخاً.
عمل ساحل سجلماسة لبني المنتصر أربعمائة فرسخ في ثمانين فرسخاً.
عمل أنبيه ألفان وخمسمائة فرسخ في ستائة فرسخ.
عمل غانة بلاد الذهب ألف فرسخ في ثمانين فرسخاً
عمل ورام مائتا فرسخ في ثمانين فرسخاً.
عمل نخلة مائة فرسخ وعشرون فرسخاً في ستين فرسخاً.
عمل واح ستون فرسخاً في أربعين فرسخاً.

(٢) في ب « البلغار »

(١) في ب « ما بنشاه » .

(٤) في ا « سبعمائة فرسخ » .

(٣) لا توجد هذه العبارة في ب .

عمل البجة مائتا فرسخ في ثمانين فرسخاً .
 عمل النجاشي ألف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ .
 عمل الزنج بالشرق سبعة آلاف وستمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ .
 [عمل أسطولا لأحمد بن المنتصر أربعمائة فرسخ في مائتين وخمسين
 فرسخاً]^(١) .

فذلك الطول اثنان وسبعون ألفاً وأربعمائة وثمانون فرسخاً، والعرض خمسة
 وعشرون ألفاً ومائتان وخمسون فرسخاً .

وأما الكلام في وصف أصول الطب، وهل ذلك مأخوذ من طريق الرياضة أصول الطب
 والقياس أم من غيره، ووصف تنازع الناس في ذلك؛ فلم نتعرض لإيراده في هذا
 الباب، وإن كان متعلقاً ومتصلاً بالكلام في الطبائع وجمل المعاني المذكورة في
 هذا الباب؛ لأننا قد أوردناه فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار الواثق على إيضاح
 جرى بحضرتة، وقد حضر مجلسه حنين بن إسحاق وابن ماسويه [وبختيشوع
 وميخائيل]^(١) وغيرهم من الفلاسفة والمتطبيين، فأغنى ذلك عن إيراده في هذا
 الباب، ولولا أن الكتاب يرِدُ على أغراض مختلفة من الناس لما هم عليه من
 اختلاف الطبائع والتباين في المراد لما ذكرنا بعض ما نورد فيه من أنواع العلوم
 وفنون الأخبار، وقد يلحق الإنسان المائل لقراءتها ما لا تهوى نفسه فينتقل منه
 إلى غيره، فجمعنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوى المعرفة إلى علمه، ولما
 تفاعل بنا الكلام في نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعاني مما لم يتقدم ذكره،
 وقد أتينا على مبسوط سائر ما ذكرناه على الاتساع والإيضاح في كتابنا
 « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط، والله تعالى أعلم.

(١) ما بين المعقوفين هنا ساقط من ب .

ذكر البيوت للمظنة ، والهيكل المشرفة

وبيوت النيران والأصنام
وذكر الكواكب ، وغير ذلك من عجائب العالم

[قال المسعودي] :

كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله عز وجل جسم ، وأن الملائكة أجسام لها أقدار ، وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء ، فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة الباري عز وجل ، وبعضها على صورة الملائكة : مختلفة القدود والأشكال ، ومنها على صورة الإنسان وعلى خلافها من الصور ، يعبدونها ، وقربوا لها القرابين ، ونذروا لها النذور ؛ لشبهها عندهم بالباري وقربها منه ، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الأعصار . حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى ، وأنها حية باطقة ، وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله ، وأن كل ما يحدث في هذا العالم فإنما هو على قدر ما تجرى به الكواكب عن أمر الله ، فعظموها وقربوا لها القرابين لتتفهمهم ، فكثروا على ذلك دهرأ ، فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجوف من السواتر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما [وتماثيل على صورها وأشكالها ، فجعلوا لها أصناما وتماثيل]^(١) بعدد الكواكب الكبار المشهورة ، وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ، ويقرب لها نوعا من القرابين خلاف ما للآخر ، على أنهم إذا عظموها صوروا من الأصنام تحركت لهم الأجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون ، وبنوا لكل صنم بيتا وهيكلًا مفرداً ، وسموا تلك الهيكل بأسماء تلك الكواكب .

عبادة الهند
واتخاذهم
الأصنام

عبادتهم
الكواكب
واتخاذهم
أصناما لها

(١) ما بين العقوقين ساقط من ا

وقد ذهب قوم إلى أن البيت الحرام [هو بيت زُحَل، وإنما طال عندهم بقاء هذا البيت]^(١) على مرور الدهور معظماً في سائر الأعصار لأنه بيت زُحَل، وأن زحل تولاه، لأن زحل من شأنه البقاء والثبوت، فما كان له فغير زائل ولا دائر، وعن التعظيم غير حائل، وذكروا أموراً أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها. ولما طال عليهم العهد عبدوا الأصنام على أنها تقربهم إلى الله، وألقوا عبادة^(٢) الكواكب، فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر بوداسف بأرض الهند، وكان هندياً [وقد كان بوداسف] خرج من أرض الهند إلى السند، ثم سار إلى بلاد سجستان وبلاد زابلستان، وهي بلاد فيروز بن كبك، ثم دخل السند [ثم] إلى كرمان، فتنبأ وزعم أنه رسول الله، وأنه واسطة بين الله وبين خلقه، وأتى أرض فارس، وذلك في أوائل ملك طهمورث^(٣) ملك فارس، وقيل: ذلك في ملك جَم، وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفاً فيما سلف من هذا الكتاب، وقد كان بوداسف أمر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم؛ إذ كان من هنالك بدء النفوس، وإليها يقع الصدر من هذا العالم.

وجدد بوداسف عند الناس عبادة الأصنام، والسجود لها، لشبه ذكرها، وقرب لعقولهم عبادتها بضروب من الخيل والخدع.

وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم وأخبار ملوكهم أن جَم الملك أول من عظم النار، ودعا الناس إلى تعظيمها، وقال: إنها تشبه ضوء الشمس والكواكب؛ لأن النور عنده أفضل من الظلمة، وجعل للنور مراتب.

ثم تنازع هؤلاء بعده، فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الأسماء^(٤) تقريباً إلى الله بذلك [ثم تنازعوا برهة من الزمان].

(١) ما بين المعوقين ساقط من ب .

(٢) في ا « وألقوا عبادة الكواكب » .

(٣) في ب « طيموث »

(٤) في ا « من الأشياء »

بوداسف
أول الصابئة

جم أول
من دعا إلى
عبادة النار

عمرو بن لحي
أظهر الأصنام
بمكة

ونشأ عمرو بن لحي فساد قومه بمكة^(١) واستولى على أمر البيت ، ثم سار إلى مدينة البلقاء من عمل دمشق من أرض الشام ، فرأى قوماً يعبدون الأصنام ، فسألهم عنها ، فقالوا : هذه أرباب نتخذها : نستنصر بها فننصر ، ونسقى بها فسقى ، وكل ما نسألهم نعطى^(٢) ، فطاب منهم صنماً يدعوونه هبل^(٣) ، فار به إلى مكة ، ونصبه على الكعبة ومعه إساف ونائلة ، ودعا الناس إلى تعظيمها وعبادتها ، ففعلوا ذلك ، إلى أن أظهر الله الإسلام وبعث محمداً عليه الصلاة والسلام ؛ فطهر البلاد ، وأنقذ العباد .

البيت الحرام

وقد قال هؤلاء : إن البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة .

بيت للمجوس
بأصبهان

وبيت ثان معظم على رأس جبل بأصبهان يقال له مارس ، وكانت فيه أصنام ، إلى أن أخرجها منه يستأسف الملك لما تمجس وجعله بيت ناره ، وذلك على ثلاثة فراسخ من أصبهان ، وهذا البيت معظم عند المجوس^(٤) إلى هذه الغاية .

بيت بالهند

والبيت الثالث يدعى مندوسان^(٥) ببلاد الهند [وهذا البيت تعظمه الهند] وله قرابين تقرب ، وفيه أحجار المغناطيس الجاذبة والدافعة والمنفرة من أوصاف لا يسعنا الإخبار عنها ؛ فمن أراد أن يبحث عن ذكرها فليبحث ، فإنه بيت مشهور ببلاد الهند .

بيت البرامكة
يلبخ

والبيت الرابع هو النوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر ، وكان من بلى سدائته تعظمه الملوك في ذلك الصقع ، وتنقاد إلى أمره وترجع إلى حكمه ، وتحمل إليه الأموال ، وكانت عليه وقوف ، وكان الموكل بسدائته يدعى البرمك ، وهو سمة عامة لكل [من بلى] سدائته ، ومن أجل ذلك سميت

(١) في ب « فسار بقومه إلى مكة » . (٢) في ب « وكل من سأله أعطى »

(٣) في ا « فدفعوا إليه هبل » . (٤) في ب « عند اليهود » .

(٥) في ب « سندوساب » .

البرامكة ؛ لأن خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت ، وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييداً ، وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقاق الحرير الأخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح بما عليها من الحرير ، فيقال والله أعلم : إن الريح خطفت يوماً بعض تلك الشقاق ورمت به ، فأصيب على مسافة خمسين فرسخاً ، وقيل : أكثر من تلك المسافة ، وهذا يدل على زيادته في الجو وتشيد بنيانه ، وكان الحيز^(١) المحيط بهذا البنيان أميالاً لم نذكرها ؛ إذ كان أمر ذلك مشهوراً من وصف علو السور وعرضه .

قال المسعودي : وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقيب^(٢) أنه قرأ على [باب] النوبهار يبلغ كتاباً بالفارسية ترجمته « قال بوداسف : أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال : عقل ، وصبر ، ومال » وإذا تحته بالعربية « كذب بوداسف ، الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من [هذه الثلاث] الخصال أن لا يلزم باب السلطان » .

والبيت الخامس بيت غمندان الذي بمدينة صنعاء من بلاد اليمن ، وكان غمندان بصنعاء الضحاك بناء^(٣) على اسم الزهرة ، وخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ فهو في وقتنا هذا [وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة —] خراب قد هدم فصار تلا عظيماً ، وقد كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح — حين نفي إلى اليمن وصار إلى صنعاء — بنى فيه سقاية وحفر فيه بئراً .
ورأيت غمندان ردماً وتلا عظيماً قد انهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه

(١) في ب « وكانت مسافة البحر المحيط بهذا البنيان » .

(٢) في ا « الدراية والتنقيب » .

(٣) قوله « وكان الضحاك بناء » قال المجد : وغمندان كعثمان قصر باليمن بناء يشرخ بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر . وبني داخله قصرأ بسبعة سقف بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، وقوله « يشرخ » هو . ليشرخ بكسر اللام وفتح الياء وسكون الشين

لم يكن ، وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان النازل بها وصاحب مخالفين اليمن في هذا الوقت ، وهو المعظم في اليمن ، أراد أن يبنى غمدان ، فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني أن لا يتعرض لشيء من ذلك ؛ إذ كان بناؤه على يدي غلام يخرج من أرض سبأ وأرض مأرب يؤثر في صقع [من] هذا العالم تأثيراً عظيماً .

وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت [وقيل : هو أبو الصلت] أمية ، واسمه ربيعة^(١) في مدحه لسيف بن ذي يزن ، وقيل : إن المدوح بهذا الشعر معديكرب بن سيف حيث يقول :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتقياً برأس غمدان داراً منك محلاً

وكان أبو أمية جاهلياً ، وهو القائل في أصحاب الفيل :

[إن آيات ربنا بينات ما يماري بهن إلا كفور]

غلب الفيل بالمغمس حتى ظلّ يحبوا كأنه معقور^(٢)

حوله من شباب كندة فتياً ن ملاويث في الحروب صقور

[واضعاً خلفه الجرار كما قُطِر صخر من جانب محذور]^(٣)

(١) هكذا في ١ ، وقد وقع في ب « وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت أخو أمية واسمه ربيعة » وهي عبارة في غاية الفساد ، والذي في سيرة ابن إسحاق « قال ابن إسحاق : قال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي . قال ابن هشام : وزوي لأمية بن أبي الصلت » اه ، ولعل أصل عبارة الأصل ههنا : وقد ذكر هذا البيت أمية بن أبي الصلت ، وقيل : أبو أمية بن أبي ربيعة « ولكن أصابها تحريف النساخ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) الغمس — كعظم ومحدث — موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال

دليل أبرهة ويرجم ، قاله المجداه ، ووقع في ١ ، ب « ظل يحبوا » .

(٣) سقط من ١ أول هذه الأبيات ورابعها .

و [قد] قيل : إن ملوك اليمن كانوا إذا قعدوا في [أعلى] هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام^(١) .

بيت بفرغانة
بخراسان

والبيت السادس كاوسان ، بناه كاوس^(٢) الملك بناءً عجيباً على اسم المدبر الأعظم من الأجسام السماوية وهو الشمس ، بمدينة فرغانة من مدائن خراسان ، وخربه المعتصم بالله ، ولهدمه هذا البيت خبرٌ طريفٌ قد أتينا على ذكره في كتاب « أخبار الزمان » .

والبيت السابع بأعلى بلاد الصين ، بناه ولد عامور بن سوبل^(٣) بن يافث ابن نوح ، وأفرده العلة الأولى ؛ إذ كان منشأ هذا الملك ومبدأه وباعث الأنوار إليه ، وقيل : إنما بناه بعض ملوك الترك في قديم الزمان وجعله سبعة أبيات في كل بيت منها سبع كؤي يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة [كوكب] من الخمسة والنيرين من أنواع الجواهر المضافة إلى تأثير تلك الكواكب ، من ياقوت [أو عقيق] أو زمرد على اختلاف ألوان الجواهر ، ولهم في هذا الهيكل سِرٌّ يسرونه في بلاد الصين ، بما قد زخرَفَ لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ، ولهم في هذا الهيكل علوم في اتصال الأجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذي تحدثه ، وما يحدث فيه من الحركات والأفعال عند تحرك الأجسام السماوية ؛ [وقد قرب ذلك إلى عقولهم : بأن جعل لهم مثالا من الشاهد يدل على ما غاب عنهم من فعل الأجسام السماوية]^(٤) في هذا العالم ، وهو خشب الديباج الذي ينسج به ؛ فبضرب من حركات الصانع بذلك الخشب والخيوط الإبريسم تحدث ضروب من الحركات ، فإذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج

(١) في ا « رُئي ذلك على مسيرة أيام كثيرة » .

(٢) في ب « كارشان شاه ، بناه كارش الملك » .

(٣) في ب « عابور بن هويل » .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من ب . وفيها في مكانه « وهو على حسب الذي

نسج فيه بنصب من حركات الطبائع بتلك الخشب » .

للثوب الديباج تمت الصورة فيه ؛ فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر ،
وبآخر رأسه ، وبآخر رجلاه ؛ فلا يزال كذلك حتى تم الصورة على حسب
مراد الصانع لها ؛ فجعلوا هذا المثال واتصال الإبريسم بآلة النسيج وما يحدثه
الصانع في ذلك من الأفعال مثالا لما ذكرنا من الكواكب العلوية ، وهي
الأجسام السماوية ، فبضرب من الحركات ظهر في العالم الطائر [وبضرب آخر
بيضة] وبضرب آخر فرخ ، وكذلك سائر ما يحدث في العالم ، ويسكن ويتحرك
ويوجد ويعدم ، ويتصل وينفصل ، ويجتمع ويفترق ، ويزيد وينقص ، من جماد
أو نبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق ، فإنما يحدث عن حركات الكواكب
على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع ، وأهل صناعة النجوم
لا يتناكرون أن يقولوا : أعطته الزهرة كذا ، وأعطاه المريخ كذا ، كالشُّقْرة
وضُهوبة الشعر [وأعطاه زُحَلُ خفة العارضين وجُحوظَ العينين] وأعطاه
عُطَّارِد دقة الصنعة ، وأعطاه المشتري الحياء والعلم والدين ، وأعطته الشمس
كذا ، وأعطاه القمر كذا ، وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب
الناس فيه ، وما قالوه في بابه .

ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين

البيوت المضاف بناؤها إلى مَنْ سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت :

فبيت منها كان بأنطاكية من أرض الشام ، على جبل بها داخل المدينة ، بيت أنطاكية والصور محيط بها^(١) ، وقد جعل المسلمون في موضعه مَرَقَبًا لِيُنذِرَهُمْ مَنْ قَدَرْتُبَ فيه من الرجال بالروم إذا وردوا من البر والبحر ، وكانوا يعظّمونه ، ويقربون فيه القرابين ؛ فخرّب عند مجيء الإسلام ، وقد قيل : إن قسطنطين الأكبر بن هيلاني^(٢) الملكة المظهرة لدين النصرانية هو المخرب لهذا البيت ، وكانت فيه الأصنام والتماثيل من الذهب [والفضة] وأنواع الجواهر ، وقد قيل : إن هذا البيت هو بيت بمدينة أنطاكية على يسرة الجامع اليوم ، وكان هيكلا عظيما ، والصابئة تزعم أن الذي بناه سقلابيوس^(٣) ، وهو في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — [سوق] يعرف بسوق الجزارين^(٤) ، وقد كان ثابت بن قرّة بن كراخي^(٥) الصابئ الحراخي — حين وافي المعتضد بالله في سنة تسع وثمانين ومائتين في طلب وصيف الخادم — أتى هذا الهيكل وعظّمه ، وأحبر من شأنه ما وصفنا .

والبيت الثاني من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الأهرام التي ببلاد الأهرام بمصر مصر وهو يرى من الفسطاط على أميال منها .

والبيت الثالث هو بيت المقدس ، على ما زعم القوم ، و [أهل] الشريعة بيت المقدس إنما تجبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه ، والجوس تزعم

(١) في أ ه والصور محيط به . (٢) في ب « بن هيلانة » .

(٣) في ب « سقلاينوس » .

(٤) في ا ه يعرف بسوق الحرايين الزرادين .

(٥) في ب « بن كرابا » .

أن الذي بناه الضحاك ، وأنه سيكون له في المستقبل من الزمان خطب طويل ، ويقعد فيه ملك عظيم ، وذلك عند ظهور شوبين^(١) على بقرة من صفتها كذا ، ومعه من الناس كذا من العدد ، وأقاصيص تدعيها المجوس في هذا المعنى ، واختلاط طويل نزه كتابتا عن ذكره ، والله تعالى ولي التوفيق .

ذكر البيوت للمعظمة عند أوائل الروم

بيت قرطاجنة [كانت] البيوت المعظمة عند أوائل الروم قبل ظهور [دين] النصرانية
 بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة — وهي تونس — من وراء بلاد
 القيروان ، وهي من أرض الإفرنجية ، وبني على اسم الزهرة بأنواع من الرخام .
 بيت بإفرنجية والبيت الثاني بإفرنجية ، وهو بيت عظيم عندهم .
 بيت مقدونية والبيت الثالث [عندهم] بمقدونية^(٢) ، [وأمره مشهور في التشيد ،
 وما كان من خبره بمقدونية] ، وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف
 من كتبنا ، والله تعالى أعلم .

(١) في ب « عند ظهور موسى » . (٢) في ب « ب بمقدونية » وسقط منها ما وضعناه بين المقوفين بعد ذلك ، وهو ثابت في أ .

ذكر البيوت المعظمة عند الصقالية

كانت في ديار الصقالية بيوت تعظمها : منها بيت كان لهم في^(١) الجبل البيت الأول الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية ، وهذا البيت له خبر في كيفية بنائه ، وترتيب [أنواع] أحجاره ، واختلاف ألوانه^(٢) ، والمخاريق المصنوعة له ، [فيه على أعلاه ، وما من مطلع الشمس في تلك المخاريق المصنوعة] وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلية ، وما تُنذِر به تلك^(٣) الجواهر من الأحداث قبل كونها ، وظهور أصوات من أعاليه لهم ، وما كان يلحقهم عند سماع ذلك .

البيت الثاني وبيت آتخذ بعض ملوكهم على الجبل الأسود ، تحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع ، وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد^(٤) انحنى على نفسه ، وهو شيخ بيده عصا يحرك به عظام الموتى من النواويس ، وتحت رجله اليمنى صور أنواع من النمل ، وتحت الأخرى غرايب سود من صور الغداف^(٥) وغيرها ، وصور عجيبة لأنواع من الأحابيش والزنج .

البيت الثالث وبيت آخر على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى بأحجار المرجان الأحمر ، وأحجار الزمرد الأخضر ، في وسطه قبة عظيمة ، تحتها صنم [عظيم] أعضاؤه من جواهر أربعة: زمرد أخضر^(٦) ، وياقوت أحمر ، وعقيق أصفر ،

(١) في ب « كان لهم في هذا الجبل » .

(٢) في ا « واختلاف ألوانها » (٣) في ب « وماتدل به تلك الجواهر »

(٤) في ا « رجل قد آتخذ على هيئة شيخ بيده عصا » .

(٥) الغداف — كغراب — غراب القيط . والنسر الكثير الريش ، جمعه

غدقان ، اه قاله المجد .

(٦) في ا « زبرجد أخضر »

وبلور أبيض ، ورأسه من الذهب الأحمر ، وبإزائه صنم آخر على صورة
 جارية ، وكان يقرب له^(۱) قرابين ودخن ، وكان ينسب هذا البيت إلى
 حكيم كان لهم في قديم الزمان ، وقد أتينا على خبره ، وما كان من أمره
 بأرض الصقالبة ، وما أحدث فيهم من الدكوك^(۲) والحيل والمخاريق
 المصطنعة التي اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم
 مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم ، فيما سلف من كتبنا ،
 والله تعالى ولي التوفيق .

(۱) كذا ، ولعل الأصل « كأنها تقرب له القرابين » .

(۲) هكذا في ا ، ووقع في ب « من الديول والحيل » .

ذكر البيوت المعظمة، والهياكل المشرفة^(١)

للصابئة وغيرها [وغير ذلك] مما لحق بهذا الباب

[واتصل بهذا المعنى]

للصابئة من الحَرَانيين هياكل على أسماء الجواهر العقاية واللكواكب؛ فمن هياكل العقل ذلك هيكل العلة الأولى، وهياكل العقل، وما أدرى أشاروا إلى العقل الأول أم الثاني، وقد ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الأول الفعّال، والعقل الثاني، وذكر ذلك تامسطين^(٢) في كتابه في شرح كتاب النفس الذي عمله صاحب المنطق، وقد ذكر العقل الأول والثاني الإسكندر الأفروودوسي^(٣) في مقالة أفردها في ذلك قد ترجمها إسحاق بن حنين .

جملة من
هياكلهم

ومن هياكل الصابئة هيكل السلسلة^(٤)، وهيكل الصورة، وهيكل النفس، وهذه مُدَوَّرَات الشكل، وهيكل زُحَل مسدس، وهيكل المشتري مثلث، وهيكل المريخ [مربع] مستطيل، وهيكل الشمس مربع، وهيكل عطارد مثلث الشكل، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع مستطيل، وهيكل القمر مشمن الشكل [وللصابئة فيما ذكرنا رموز وأسرار يخفونها] .

وقد حكى رجل من ملكية النصارى من أهل حرّان يعرف بالحارث بن سبطاط^(٥) للصابئة الحَرَانيين أشياء، ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن لللكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل .

والذي بقي من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — بيت لهم بمدينة حرّان في باب الرقة يعرف بمغليزيا^(٦)، وهو هيكل آزر أبي إبراهيم الخليل عليه السلام عندهم، وللقوم في آزر وابنه إبراهيم كلام كثير

(١) في ب « ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة » .

(٢) في ب « معيطوس » . (٣) في ب « والإفردويس »

(٤) في ب « هيكل السنبلة » . (٥) في ب « بالحارث بن سبطاط »

(٦) في ب « يعرف بمغليزيا » .

ليس كتابنا هذا موضعاً له ، ولا بن عيشون^(١) الحراني القاضي — وكان ذا فهمٍ ومعرفة ، وتوفي بعد الثلاثمائة — قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرانيين المعروفين بالصابئة ، ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراذيب الأربعة المتخذة لأنواع صور الأصنام التي جطت مثالا للأجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الأشخاص العلوية ، وأسرار هذه الأصنام ، وكيفية إيرادهم لأطفالهم إلى هذه السراذيب وعرضهم لهم على هذه الأصنام ، وما يحدث ذلك في ألوان صبيانهم من الاستحالة إلى الصفرة وغيرها لما يسمعون [من] ظهور أنواع الأصوات وفنون اللغات من تلك الأصنام والأشخاص ، بحيل قد اتخذت ومنافخ قد عملت : تقف السدنة من وراء جذر فتتكلم بأنواع من الكلام ، فتجري الأصوات في تلك المنافخ والمخاريق والمنافذ إلى تلك الصور المحوفة والأصنام المشخصة ، فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل في قديم الزمان ، فيصطادون به العقول ، وتسترقُّ بها الرقاب ، ويقام بها الملك والمالك^(٢)] ومما ذكر في هذه القصيدة قوله :

إن نفيس العجائب بيت لهم في سرادب
تعبد فيه الكواكب أصنامهم خلف غائب

ولهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابئة فلاسفة ، إلا أنهم من حشوية الفلاسفة ، وعوامهم مبينون لخواص حكماؤهم^(٣) [في مذاهبهم ، وإنما أضفناهم إلى الفلاسفة] إضافة سبب لا إضافة حكمة ، لأنهم يونانية ، وليس كل اليونانيين فلاسفة ، وإنما الفلاسفة حكماؤهم .

ورأيت على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوباً [على مدقة الباب] بالسريانية قولاً لأفلاطون فسرّه مالك بن عقبون^(٤) [وغيره] منهم وهو « من عرف ذاته تأله » وقد قال أفلاطون « الإنسان نبات سماوي ، والدليل على هذا

(١) في ب « ولا بن عيشون » (٢) لا يوجد هذا الكلام في ا

(٣) في ب « مضافون لخواص حكماؤهم إضافة سبب » وسقط منها ما بين المعرفين

(٤) في ب « مالك بن عقنون » .

أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها إلى السماء وفروعها في الأرض «ولأفلاطون] وغيره
من سلك طريقه في النفس الناطقة [كلام كثير في هل النفس في البدن أو البدن
في النفس ، كالشمس أهي في الدار أو الدار في الشمس ، وهذا قول يتغلغل
بنا الكلام فيه إلى الكلام في تنقل الأرواح في أنواع الصور .

القول في تنقل
الأرواح

وقد تنازع أهل هذه الآراء من قصد هذه المقالة في النقلة على وجهين ،
فطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانيين والهند — ممن لم يثبت كلاماً منزلاً ولا نبياً
مرسلاً منهم أفلاطون ومن يمم طريقهم — حكى عنهم أنهم زعموا أن النفس
جوهر ليست بجسم ، وأنها حية عالمة مميزة لأجل ذاتها وجوهرها ، وأنها هي
المدبرة للأجسام المركبة من طبائع الأرض المتضادة ، وغرضها في ذلك أن
تقيمها^(١) على العدل وماتم به السياسة المستقيمة والنظام المتسق^(٢) وتردّها من
الحركة المضطربة إلى المنتظمة .

وزعموا أنها تلد وتأم وتموت ، وموتها عندهم انتقالها من جسد إلى جسد
بتدبير ، وبطلان ذلك الشخص الذي فسد ووصف بالموت ، لأن شخصها
يفسد ، ولأن جوهرها ينتقل .

وزعموا أنها عالمة بذاتها وجوهرها [عالمة بالمعقولات من ذاتها وجوهرها]
وفيهما قبول علم المحسوسات من جهة الحس .

ولأفلاطون وغيره في هذه المعاني كلام يطول ذكره ، ويعجز عن وصفه وإظهاره
لاعتياضه وغموضه ، وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممن
تقدم وتأخر ؛ لأن الطالب لعلم هذه الأشياء والإحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك
إلا نصبوا من الكتب ، ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية إلى معرفة [علومهم]
وأغراضهم التي إليها قصدوا في كتبهم وهي معرفة [الألفاظ الحس ، وهي :

(١) في ب « تقيمها مقام العدل » .

(٢) في ب « والنظام غير الفسد » .

المقولات

الجنس ، والفصل ، والنوع ، والخاصة ، والعرض ، ثم معرفة المقولات ، وهي عشرة : الجوهر ، والكمية ، والكيفية ، والإضافة — وهي النسبة — وهذه أربع بسائط ، والست الأخر مركبات ، وهي : الزمان ، والمكان ، والجدة — وهي المِلْكُ — والوضع ، والفاعل ، والمنفعل ، ثم ما بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب إلى أن ينتهي إلى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الأول والثاني.

عود إلى الكلام
عن الصابئة

ثم رجع بنا الإخبار عن مذاهب الصابئة من الحرائين ، وذكر مَنْ أَخْبَرَ
عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم .

فمن ذلك كتاب رأيت لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب
كتاب « المنصوري » في الطب وغيره ، ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرائين
منهم ، دون من خالفهم من الصابئة ، وهم الكياريون^(١) ، وذكر أشياء يطول
ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها ، أعرضنا عن حكايتها ، إذ كان
في ذلك خروج عن حد الغرض من كتابنا إلى وصف الآراء والديانات .

وقد خاطبت مالك بن عقبون^(٢) وغيره منهم بشيء مما ذكرنا وغيره مما
عنه كتبنا ، فمنهم من اعترف ببعضه ، وأنكر بعضاً من ذكر القرايين وغيره
[من الآراء] ، مثل فعلهم بالثور الأسود ، فإنه يضرب وجهه بالملح إذا
شدت عيناه ثم يذبح ، وبرأعي كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات
والاختلاج على ما يدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم
ومحالاتهم^(٣) وأحوال قرايينهم .

قال المسعودي : وقد ذكر جماعة — ممن له تأمل بشأن أمور هذا العالم والبحث
عن أخباره — أن بأقصى بلاد الصين هيكلاً مدوراً له سبعة أبواب ، في داخله
قبة مسبعة عظيمة الشأن عالية السمك ، في أعلى القبة شبه الجوهر [ة] يزيد

(١) في ب ١ وهم الكياريون .

(٢) في ب « وقد خاطب مالك بن عقنون . »

(٣) في ١ « وعجباتهم . »

على رأس العجل تضيء منه جميع أقطار ذلك الهيكل ، وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يذُنْ أحد منها على مقدار عشرة أذرع [إذْ - ميتاً] وإن حاول أحد منهم أخذ هذه الجوهرة بشيء من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت إلى هذا المقدار من الذَّرْع^(١) انعكست وعطلت ، وإن رميت بشيء كان كذلك ، فليس شيء من الحيل يؤدي إلى تناولها [بوجه] ولا بسبب ، وإن تعرض لشيء من هدم هذا الهيكل مات من يروم ذلك [وهذا عند جماعة] من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت من أنواع الأحجار المغناطيسية ، وفي هذا يكل بئر مسبعة الرأس متى أكبَّ الإنسان على رأس البئر إكباباً متمكناً تهوّر في البئر فصار في أسفلها^(٢) على أم رأسه ، وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السند^(٣) « هذه بئر تؤدي إلى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه ، وتؤدي هذه البئر أيضاً إلى خزائن رغائب هذا العالم ، لا يعمل إلى الوصول إليها والاقتراب منها إلا من وازت قدرته قدرتنا ، واتصل علمه بعلما ، وصارت حكمته حكمتنا ، فمن قدر على الوصول إلى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ، ومن عجز عن الوصول إلى ما وصفنا فليعلم أنا أشد منه بأساً ، وأقوى حكمة ، وأكثر علماً ، وأثقب^(٤) دراية ، وأتم عناية » ، والأرض التي عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض حجرية صلبة عالية من الأرض كالجبل الشامخ لا تُرَام قلعته ولا يتأذى نقب ما تحته ، فإذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرأى عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب للقباب إليه وحنين على إفساده وتأسف على إفساد شيء منه أو هدمه ، والله أعلم بذلك .

(١) في ١ « من الأذرع » . (٢) في ١ « صا . في قرارها » .

(٣) في ب « أراه بقلم الهند سند »

(٤) في ب « وأنت دراية »

ذكر الأخبار عن بيوت النيران ، وغيرها

فأما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الأولى والثانية فأول ما يحكى
 ذلك عنه أفريدون الملك ، وذلك أنه وجد ناراً يعظمها أهلها ، وهم معتكفون على
 عبادتها ، فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها ، فأخبروه [بأشياء
 اجتذبت نفسه إلى عبادتها ، و [أنها واسطة بين الله وبين خلقه ، وأنها من
 جنس الآلهة النورية ، وأشياء ذكروها أعرضنا عن ذكرها لاعتياصها^(١) ، وذلك
 أنهم جعلوا للنور مراتب ، وفرقوا بين طبع النار والنور ، وأن الحيوان يجتذب
 فيحرق نفسه كالقراش الطائر بالليل ، فما لطف يطرح نفسه في السراج فيحرقها ،
 وغير ذلك مما يقع في صيد الليالي من الغزلان والطيور والوحوش ، وكظهور
 الحيتان من الماء إذا قربت من السراج في الزوارق ، كما يصطاد ببلاد البصرة
 السمك في الليل يظهر من الماء طافياً حتى يقع في جوف المركب والشرج قد جعلت
 حوالبه ، وأن النور صلاح هذا العالم ، وشرف النار على الظلمة ومضادته لها ، ومرتبة
 الماء وزيادته على النار بإطفائه ومضادته لها وأنه أصل لكل حي ومبدأ لكل نام
 فلما أخبر أفريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها إلى خراسان ، فاتخذ لها
 بيتاً بطوس [واتخذ بيتاً آخر بمدينة بخارا يقال له برد سورة] وبني آخر من بيوت
 النار بسجستان يقال له كرا كرا كان اتخذها بهم من بن إسفنديار بن يستأسف ، وبيت آخر
 ببلاد الشيزو الران^(٢) ، وكان فيه أصنام فأخرجها أنوشروان ، وقيل : إن أنوشروان
 صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها إلى الموضع المعروف بالبركة ، وبيت آخر
 للنار يقال له كوسجة بناه كيخسر والملك ، وقد كان يقومس بيت للنار معظم لا يدري
 من بناء يقال له جريش^(٣) ، ويقال : إن الإسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها

أماكن بيوت
النيران

(١) في ١ ، لاغتياصها .

(٢) في ١ « السيروان والرى »

(٣) في ب « حريس » .

ويقال : إنه كان في ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيب البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فأخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ، ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار ، وبيت آخر [يسمى كنجده] بناه سیاوخس^(١) ابن كاوس الجبار ، وذلك في زمان لبته بمشرق الصين مما يلي البركند^(٢) ، وبيت نار بمدينة أرجان من أرض فارس اتخذ في أيام بهراسف .

زرادشت
والبيوت
التي اتخذها

وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن أسبمان^(٣) نبي المجوس ، ثم اتخذ زرادشت بن أسبمان بعد ذلك بيوت النيران ، وكان مما اتخذت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان ، وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس ، وقد كان زرادشت أمر يستأسف الملك أن يطلب ناراً كان يعظمها جم الملك ، فطابت فوجدت بمدينة خوارزم ، فنقلها بعد ذلك يستأسف إلى مدينة دراجرد من أرض فارس وكورها بهذا البيت ، وهذه النار تسمى في وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — آزر جوى^(٤) ، وتفسير ذلك نار النهر ، وذلك أن آزر أحد أسماء النار [وجوى أحد أسماء النهر] بالفارسية الأولى ، والمجوس تعظم هذه النار مالا تعظم غيرها من النيران والبيوت .

وذكرت الفرس أن كبخسرو لما خرج غازيا إلى الترك سار إلى خوارزم ، فر على تلك النار ، فلما وجدها عظمها وسجد لها ، ويقال : إن أنوشروان هو الذي نقلها إلى الكاريان ، فلما ظهر الإسلام تخوفت المجوس أن يطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكاريان ، ونقلوا بعضها إلى نسا والبيضاء من كورة فارس ؛ تبقى إحداها إن طفت الأخرى .

وللفرس بيت نار ياصطخر فارس تعظمه المجوس ، وكان في قديم الزمان فأخرجته حامية بنت بهمن بن اسفنديار وجعلته بيت نار ، ثم نقلت عنه النار

بيت ياصطخر

(١) في ب « بناه فارس بن كاوش الجبار » .

(٢) في ب « مما يلي البركة » (٣) في ب « زرادشت بن استيجان » .

(٤) في ب « آزر وحواء » .

فَتخرب ، والناس في وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود، وبه يعرف
وقد دخلته ، وهو على نحو فرسخ من مدينة إصطخر ، فرأيت بنياناً عجيباً ،
وهيكلًا عظيمًا ، وأساطين صخر عجيبية ، على أعلاها صور من الصخر طريفة
من الخيل وغيرها من الحيوان عظيمة القدر والأشكال ، يحيط بذلك حيز
عظيم وسور منيع من الحجر ، وفيه صور لأشخاص قد تشكلت وأتقت
صورها ، يزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء ، وهو في سفح جبل
والريح غير خارجة من ذلك الهيكل في ليل ولا نهار ، ولها هبوب ودوي ،
يذكر مَنْ هنالك [من المسلمين] أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح
في ذلك الموضع ، وأنه كان يتغدى بيبليك من أرض الشام ، ويتعشى في هذا
المسجد ، وينزل بينهما بمدينة تدمر وملعبها^(١) المتخذ فيها ، ومدينة تدمر في
البرية بين العراق ودمشق وحصن من أرض الشام يكون منها إلى الشام نحو خمسة
أيام أو ستة ، وهي بنيان عجيب من الحجر ، وكذلك الملعب الذي فيها ، وفيها
خَلق من الناس من العرب من قحطان .

يف يصف
بيتاً رآه
بإصطخر

وفي مدينة سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم ، اتخذ داراً
ابن داراً .

بيت بسابور

وفي مدينة جور من أرض فارس - وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجوري
وإليه يضاف - بيت للنار ، بناه أردشير بن بابك ، وقد رأيت ، وهو على ساعة منها
على عين هناك عجيبية ، وله عيد ، وهو أحد متزهات فارس ، وفي وسط مدينة
جور بنيان كان تعظمه الفرس يقال له الطربال^(٢) أخربه المسلمون ، وبين جور
ومدينة كوار عشرة فراسخ ، وبها يعمل ماء الورد الكواري وإليها يضاف ، وهذا
الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل في العالم ، لصحة التربة^(٣)

بيت بجور

(١) في ب « وقلعتها المتخذة فيها » ويؤيد ما أثبتناه العبارة التي بعد ذلك بقليل

(٢) في ب « البرمال » .

(٣) في ب « لصحة البرية » .

وصفاء الهواء ، وفي ألوان سكان هذه البلاد حمرة في بياض ليست لغيرهم من أهل الأمصار ، ومن كوار إلى مدينة شيراز — وهي قصبه فارس — عشرة فراسخ ، ولجور وكوار وشيراز وغيرها من كور فارس أخبار ، ولما فيها من البنيان أقاصيص بطول ذكرها قد دوتها الفرس ، وكذلك ما كان بأرض فارس من الموضع المعروف بماء النار ، وقد بنى عليه هيكل .

وكان كورش انك — حين ولد المسيح عليه السلام — بعث ثلاثة أنفس : دفع إلى أحدهم صرة من لبان ، وإلى آخر صرة من صر ، وإلى آخر صرة من تبر ، وسيرهم يهتدون بنجم وصنمهم ، فساروا حتى انتهوا إلى السيد المسيح وأمه [مريم] بأرض الشام ، والنصارى تغلو في قصة هؤلاء النفر ، وهذا الخبر موجود في الإنجيل ، وإن هذا الملك كورش نظر إلى نجم قد طلع بمولد انسيح عيسى ، فكانوا إذا ساروا سار معهم ذلك النجم ، وإذا وقفوا وقف بوقوفهم ، وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » على شرح هذا الخبر ، وما قالت فيه المجوس والنصارى ، وخبر الرُغفان التي دفعتها إليهم مريم ، وما كان من الرسل وجعلهم الخبز تحت الصخرة وغوصها في الأرض ، وذلك بفارس ، وكيف حفر عليها إلى الماء ^(١) وأنها وجدت وقد صارت شعلتي نار على وجه الأرض تنقدار ، وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر

وقد كان أردشير بنى بيتا آخر يقال له بارنوا ^(٢) ، وفي اليوم الثاني من غلبته على بيوت أخرى فارس ^(٣) ، وبيت نار على خليج القسطنطينية [من بلاد الروم ، بناه سابور بن أردشير بن بابك — وهو سابور الجنود — حين نزل على هذا الخليج ، وحاصر القسطنطينية] في عساكره ، فلم يزل هذا البيت هنالك إلى خلافة المهدي ، فخر به وله خبر عجيب ، وكان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية ، وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الأمم ، فسمى سابور الجنود ؛ لكثرة من تبعه من الجنود .

(١) في « وكيف حصر عليها الماء » . (٢) في ب « يقال له باربو »

(٣) في ب « من غلبة فارس » .

وقد كان سابور لما سار إلى بلاد الجزيرة^(١) عدك عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر، وقد كان هذا الحصن للساطرون بن اسيطرون^(٢) ملك السريانيين في رستاق يقال له أياجر^(٣) من بلاد الموصل، وقد ذكرته الشعراء؛ لعظم ملكه، وكثرة جيوشه وحسن بنائه لهذا الحصن المعروف بالحضر، فمن ذكره منهم أبو ذؤاد^(٤) جارية بن حجاج الإيادي بقوله:

حصن الحضر

وأرى الموت قد تدلى من الحظ
وأرى الموت قد تدلى من الحظ
وأنى كان آمناً للدواهي
وأنى كان آمناً للدواهي
ذا ثراء وجوهر مكنون

وقد قيل: إن النعمان بن المنذر من ولد الساطرون بن اسيطرون [يقال: هو النعمان ابن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن الساطرون بن اسيطرون] والساطرون واسيطرون هذه ألقاب، وهم ملوك ملكوا على السريانيين.

قول في نسب
النعمان
ابن المنذر

ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا ممن أفنهم الدهر الضيزن بن جبيلة، وجبيلة أمة^(٥) [وهو الضيزن بن معاوية ملكا على قومه من تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة] وهو الضيزن ابن معاوية بن العبيد^(٦) بن حرام بن سعد بن [سليح بن حنوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة، وكان كثير الجنود، مهدينا للروم، متحيزا إليهم، يغير رجاله على العراق والسواد، وكان في نفس سابور عليهم ذلك، فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن في الحصن، فأقام سابور عليه شهراً لا يجد سبيلاً إلى فتحه، ولا يتأقن له حيلة في دخوله، فنظرت النضيرة بنت الضيزن يوماً وقد أشرفت من الحصن

(١) في ب « إلى بلاد الحيرة » (٢) في ب « للساطرون بن اسيطرون »

(٣) في ب « يقال له أياجر » (٤) في ب « أبو داود بن خمران بن حجاج

الإيادي » وفي ب « أبو داود بن حارثة بن حجاج الإيادي » وكلاهما تحريف، أثبتناه

موافقاً لما في معجم الشعراء، والبيت الأول منسوب في البلدان إلى عدى بن زيد

(٥) كذا، والذي في معجم ياقوت (٣ : ٢٩٠) « الضيزن بن جلهمة أحد

الأحلاف » وفيه أنه، الضيزن بن معاوية بن عبيد بن الاحرام بن عمرو بن النخع

ابن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة (٦) في ب « معاوية بن العتيك »

إلى سابور فهو يته وأعجبها جماله ، وكان من أجل الناس وأمدّم قامه ، فأرسلت إليه : إن أنت ضمنت لي أن تزوجني وتفضلني على نساءك دللتك على فتح هذا الحصن ، فضمن لها ذلك ، فأرسلت إليه : أنت الثرثار^(١) — وهو نهر في أعلاه — فإنثر فيه تبنا ثم اتبعه فانظر أين يدخل فأدخل الرجال منه ، فإن ذلك المكان يُفضى إلى الحصن ، ففعل ذلك سابور ، فلم يشعر أهل الحصن إلا وأصحاب سابور معهم في الحصن ، وقد عمدت النصيرة فسقت أباهما [الخمر] حتى أسكرته طمعا في تزويج سابور إياها ، وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه ، وعرض [سابور] بالنصيرة بنت الضيزن فباتت مُسَهَّدة ، فقال لها سابور : مالك لاتنامين ؟ قالت : إن جنبي يتجافى عن فراشك ، قال : ولم فوالله ما نامت الملوك^(٢) على ألين منه وأوطأ وإن حشوة لزغب النعام؟! فلما أصبح سابور نظر فإذا ورقة آس بين عكفها^(٣) ، فتناولها فكاد بطنها أن يدمى ، فقال لها : ويحك!! بم كان أبواك يغذيانك ؟ فقالت : بالزبد والمخ^(٤) والثلج والشهد وصفوا الخمر ، فقال لها سابور : إني لجديران لا أستبقيك بعد إهلاك أبويك وقومك ، وكانت حالتك عندهم الحالة التي تصفين ، فأمر بها فربطت بقدأثرها إلى فرسين جموحين^(٥) ، ثم خلى سبيلهما ، فقطعاهما ؛ فنى هذا [الملك] المقتول ومن كان معه [في الحصن] يقول حرى ابن الدهاء^(٦) العبسي :

ألم يحزنك والأبناء تنمى بما لاقت سراً بنى العبيد
ومصرع ضيزن وبنى أبيه وأحلاف الكتائب من تزيد^(٧)

(١) في ب « البربار » . (٢) في ا « ما باتت الملوك » .
(٣) في ا « بين كتفها » . (٤) في ب « والمخ والقمح » .
(٥) في ا « فرسين حصانين » .
(٦) كذا في ا ، وفي ب « جدى بن الهمى » في ياقوت « الجدى بن الدهات » .
(٧) في ا « وأحلاف الكتائب من يزيد » .
(١ - صروج الذهب - ٢٠)

أناهم بالفيُولِ مجلات وبالأبطال سابور الجنود
 [فهدم من بروج الحصن صخوراً كان بناءه زُبُرُ الحديد] (١)
 وفي قتل سابور للنضيرة بنت الضيزن وما كان منها من الغدر بأبيها
 وفومها وإرشاد سابور إلى دخول الحصن يقول عدى بن زيد العبادي :
 والحضر صَبَّتْ عليه داهية من قصره قد أبدَّ ساكنها (٢)
 رَيْبِيَّةٌ لم تُوقِّ والدِها حينها إذ أضاع راقبها
 وأسامت أهلها ليلتها تظن أن الرئيس خاطبها
 وكان حظ العروس إذ جسر الصبح دماء تجرى سائها
 والشعر في هذه القصة كثير .

جملة من بيوت
النار

وبأرض العراق بيت للنار بالقرب من مدينة السلام ، بنته بوران بنت
 كسرى أبرويز الملكة في الموضع المعروف بأستنيا (٣) .

وبيوت النيران كثيرة مما بنته الجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان
 وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران، وفي الهند والسند
 والصين ، أعرضنا عن ذكرها ، وإنما ذكرنا ما اشتهر منها .

بيت بعل

والهياكل المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة : مثل بيت بعل ، وهو
 الصنم الذي ذكره الله عز وجل بقوله : (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين؟)
 وهو بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كورة سنير ، وقد كانت اليونانية اختارت
 لهذا الهيكل قطعة من الأرض بين جبل لبنان وجبل سنير (٤) فآخذته موضعاً
 للأصنام ، وهما بيتان عظيمان أحدهما أقدم من الآخر ، فيهما من النقوش العجيبة المحفورة

(١) لا يوجد هذا البيت في ا

(٢) كذا في ب . وفي ا « من قصره آبدت مناكبها » وفي سيرة ابن إسحاق

« من فوق أيد مناكبها » وفي ياقوت « شديدة أيد مناكبها » .

(٣) في ب « بأسيا » .

(٤) في ب « من حسابان وجبل نتر فأحدثه » .

في الحجر الذي لا يتأني حفر مثله في الخشب مع علو سمكهما وعظام أحجارهما، وطول أساطينهما، ووسع فتحهما، وعجيب بنيانها، وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء .

وهيكل عظيم البنيان^(١) في مدينة دمشق، وهو المعروف بجيرون، وقد جيرون بدمشق ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأن بانيه جيرون بن سعد^(٢) العادي، ونقل إليه عمد الرخام، وأنه إرم ذات العماد المذكورة في القرآن، إلا ما ذكر^(٣) عن كعب الأحبار حين دخل على معاوية بن أبي سفيان وسأله عن خبرها وذكروا عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وأنه يدخلها رجل من العرب يديه له جملان فيخرج في طلبهما فيقع إليهما، وذكروا حلية الرجل، ثم التفت في مجلس معاوية فقال: هذا هو الرجل، وكان الأعرابي قد دخلها يطلب ما ندَّ من إبله؛ فأجاز معاوية كعباً، وتبين صدق مقالته وإيضاح برهانه، فإن كان هذا الخبر عن كعب حقاً في هذه المدينة فهو حسن، وهو خبر يدخله الفساد من جهات من النقل وغيره، وهو من صنعة القصاص .

وقد تنازع الناس في هذه المدينة، وأين هي؟ ولم يصح عند كثير من الأخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية بأخبار الماضين وسير الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين [فيها]، إلا خبر عبيد بن شربة وإخباره إياه عما سلف من الأيام^(٤) وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الأنساب، وكتاب عبيد بن شربة متداول في أيدي الناس مشهور .

وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للملوك بروايتها، وصال على^(٥) أهل عصره

(١) في « عظيم الشأن » (٢) في ب « أسعد العادي »

(٣) في ب « لا ما ذكر عن كعب » (٤) زيادة في ا وحدها

(٥) في ا « وحال على أهل عصره »

بمحافظة والمداكرة بها ، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية ، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسانه ، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية [ألف خرافة ، والخرافة بالفارسية] ^(٤) يقال لها أفسانه ، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة ، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شيرزاد ^(٢) وديننا زاد ، ومثل كتاب فرزة وسياس ^(٣) وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ، ومثل كتاب السندباد ، وغيرها من الكتب في هذا المعنى .

كتاب
ألف ليلة وليلة

وقد كان مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلاً عظيماً فيه التماثيل والأصنام على رأس منارته تماثيل منصوبة ، وقد كان بنى على اسم المشتري وطالع سعد ، ثم ظهرت النصرانية فجعلته كنيسة ، وظهر الإسلام [فجعل مسجداً] وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك ، والصوامع منه لم تغير ، وهي منائر الأذان إلى هذا الوقت .

أصل مسجد
دمشق

وقد كان بدمشق أيضاً بناء عجيب يقال له البريص ^(٤) ، وهو مبقى إلى هذا الوقت في وسطها ، وكان يجري فيه الخمر في قديم الزمان ، وقد ذكرته الشعراء في مدحها لملوك غسان من مأرب وغيرهم .

البريص
بدمشق

وهيكل أنطاكية يعرف بالديماس ، على يمين مسجد جامع ، مبنى بالآجر العادي والحجر ، عظيم البنيان ، وفي كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من أبوابه ومن أعاليه ^(٥) في بعض الأهلة الصيفية ، وقد ذكر أن هذا الديماس من بناء الفرس حين ملكت أنطاكية ، وأنه بيت نار لها .

الديماس
بأنطاكية

قال المسعودي : وقد ذكر أبو معشر المنجم في كتابه المترجم بـ « كتاب الألوفا » الهياكل والبنيان العظيم الذي يحدث بناؤه في العالم في كل ألعام ، وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبي معشر في كتابه « المنتخب من كتاب

(١) زيادة عن اوحدها (٢) في ب ه ودايتها شيرزاد ورماس زاد «

(٣) في ب « وزره وشماش » (٤) في ب « البريص » محرفاً

(٥) في ا « أبوابه العالية في بعض الأهلة الصيفية » .

بعض
عجائب الدنيا

الألوف» وقد ذكر غيرهما من تقدم عصرهما ومن تأخر عنهما كثيراً من البنيان
والمعجائب في الأرض، وقد أعرضنا عن ذكرها، وذكر السد الأعظم — وهو سد
بأجوج وما أجوج — وقد تنازع الناس في كيفية بنائه كتنازعهم في إرم ذات العماد
على ما ذكرنا آنفاً، وكيفية بناء الأهرام الذي بأرض مصر وما عليها من الكتابة
المرسومة، وما بصعيد مصر من البرابي المصنوعة، وبغير أرض الصعيد من بلاد
مصر، وأخبار مدينة العقاب، وما ذكر الناس فيها، وكونها في وهادمصر وأنها
في جهة الواحات مما يلي المغرب والحبشة، وخبر العمود الذي ينزل منه الماء في
فصل من السنة بأرض عاد، وأخبار النمل الذي على قدر الذئب والكلاب، وقصة
أرض الذهب التي حذاء سجلماسة من أرض المغرب، ومن هنالك من وراء
النهر العظيم، ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم، وتركهم المتاع،
وغدو الناس إلى أمتعتهم فيجدون أعمدة الذهب وقد تركت إلى جنب كل متاع
من تلك الأمتعة، فإن شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع، وإن شاء
أخذ متاعه وترك الذهب، وإن أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع، وهذا مشهور
بأرض المغرب بسجلماسة، ومنها يحمل التجار الأمتعة إلى ساحل هذا النهر، وهو
نهر عظيم واسع الماء، وكذلك بأقاصي خراسان مما يلي بلاد الترك من أقاصي ديارهم
أمة تتبايع على [مثل] هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة، وهم هنالك على
نهر عظيم أيضاً، وخبر البئر المعلقة والقصر المشيد، وذلك ببلاد الشجر من بلاد
الأحقاف بين اليمن وحضرموت، والبئر وما فيها من الخرق^(١) واتصالها بالقرى
والقضاء من أعلاها [وأسفلها] وما قاله الناس في تأويل هذه الآية فيها، وهل
المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أم غيره؟ وأخبار مخاليف اليمن، وهي
القلاع والحصون كقلعة نحل وغيرها، وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته
من عجيب الهياكل والكنائس، والعمود الذي عليه السودانية من النحاس

(١) في ب « وما فيها من الخرق »

وما يحمل إليها من الزيتون في أيامه بالشام وغيره ، ويحمل ذلك الطائر^(١) المعروف بالسودانية في مخالبه ومنقاره ؛ فيطر حونه في تلك^(٢) السودانية النحاس ، فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك ، على حسب ما ذكرنا في أخبار الطلسمات عن بليمنوس^(٣) وغيره في كتابنا «أخبار الزمان» ثم أخبار البيوت السبعة التي ببلاد الأندلس وخبر مدينة الصُفْر وقبة الرصاص التي بمفاوز الأندلس ، وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول إليها ، ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك ابن مروان في نزوله عايبها ، وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها ، وإخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا إلى نعيم الدنيا والآخرة ، وخبر المدينة التي أسوارها من الصُفْر على ساحل البحر الحبشي في أطراف مفاوز الهند ، وما كان من أخبار ملوك الهند وعدم وصولهم إليها ، وما يجري من وادي الرمل نحوها ، وما ببلاد الهند من الهياكل المتخذة للأصنام التي على صورة البدر المتقدم ظهورها في قديم الزمان بأرض الهند ، وخبر الهيكل العظيم الذي ببلاد الهند المعروف بالأدرى^(٤) ، وهذا عند الهند يقصد من البلدان السابعة ، وله بلد قد وقف عليه وحواله ألف مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند ، وخبر الهيكل الذي فية الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند ، وخبر سندان كسرى ببلاد قرماسين من أعمال الدينور من ماء الكوفة ، وكثير من أخبار العالم وخواص بقاءه وأبنيته وجباله وبدائع ما فيه من الخلق [من الحيوان] وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا ، وكذلك ما خص به كل بلد من أنواع الفواكه دون غيره من البلدان ، في الإسلام وغيره من الممالك ، وما بان به أهل كل بلد من اللباس والأخلاق دون غيرهم ، وما انفردوا به من أنواع الأغذية والمآكل والمشارب والشيم ، ومعجائب كل بلد ، وذاكرنا

(١) في ب « ويحمل ذلك الزيتون المعروف بالسودانية طير »

(٢) في ب « فيطر حونه على السودانية النحاس »

(٣) في ب « ما يعاس » (٤) في ب « المعروف ببلاد الري »

أخبار البحار وما قيل في اتصال بعضها ببعض وتفاغل مياهها، وما يحدث في كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجواهر دون غيره من البحار، كتكون المرجان ببحر المغرب، وعدمه من غيره، ووجود اللؤلؤ في البحر الحبشي دون غيره.

محاولات قديمة
لوصل بحر
الروم بالبحر
الأحمر

وقد كان بعض من ملك من الروم^(١) حفر بين القلزم وبحر الروم طريقاً فلم يتأت له ذلك؛ لارتفاع القلزم، وانخفاض بحر الروم، وأن الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزاً على حسب ما أخبر في كتابه، والموضع الذي حفره ببحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم، عليه قنطرة عظيمة يختار عليها من يريد الحج من مصر، وأجرى خليجاً من هذا البحر إلى موضع يعرف بالهامة ضيعة لمحمد بن علي الماذراني^(٢) من أرض مصر في هذا الوقت— وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة— فلم يتأت له اتصال [ما] بين بحر الروم وبحر القلزم.

وحفر خليجاً آخر مما يلي بلاد تنيس ودمياط وبحيرتهما، ويعرف هذا الخليج بالبر والخبية^(٣)، واستمر الماء في هذا الخليج من بحر الروم [وبحيرة تنيس إلى موضع يعرف بنعنعان حتى اتصل بنحو بلاد الهامة، فكانت المراكب تدخل من بحر الروم] إلى نحو من هذه القرية، ومن بحر القلزم في خليج ذنب التمساح فيقتابع أرباب المراكب، ويقرب حمل ما في كل بحر إلى آخر، ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور، وملاؤه السوائف من الرمل وغيره.

وقد رام الرشيد أن يوصل بين هذين البحرين مما يلي النيل من أعلى مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقصى صعيد مصر؛ فلم تتأت له قسمة ماء النيل، فرام ذلك مما يلي بلاد الفرمأ نحو بلاد تنيس، على أن يكون مصب بحر القلزم إلى البحر الرومي، فقال يحيى بن خالد: يخطف^(٤) الروم الناس من

(١) في أ « بعض من ملك من ملوك العالم » .

(٢) في ب « صنعه محمد بن علي الحراني »

(٣) في ب « بالزبير والحمة »

(٤) في أ « يخطف الروم الناس »

المسجد الحرام والطواف ، وذلك أن مراكبهم تنتهي من بحر الروم إلى بحر
الحجاز ، فتطرح سراياها مما يلي جدة ، فيخطف الناس من المسجد الحرام
ومكة والمدينة على ما ذكرنا ، فامتنع من ذلك .
وقد حكى عن عمرو بن العاص — حين كان بمصر — أنه رام ذلك ؛
فمنعه منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك لما وصفنا من فعل الروم
وسراياهم ، وذلك في حال ما افتتحها عمرو بن العاص في خلافة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ، وآثار الحفر بين هذين البحرين — فيما ذكرنا من
المواضع والحاجبان — [بينة] على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفة طلباً
لعمارة الأرض ، وخصب البلاد ، وعيش الناس بالأقوات ، وأن يحمل إلى
كل بلد ما ليس فيه من الأقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب^(٢)
المرافق ، والله تعالى أعلم .

(١) زيادة وصنوف المرافق .

ذكر جامع التاريخ

من بدء العالم إلى [مولد] رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما لحق بهذا الباب

بعض قول
الطبيين

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملاً من تباين الناس في بدء العالم ، ممن أثبت حدوثه ونفاه ، وما جرت الآراء بهم فيه إلى جهات شتى ، وقد أخبرنا أنهم طوائف [الهند] وفرق من اليونانيين ، ومن وافقهم على القول بالقدم من الفلكيين والطبيين ، وما أوردته الفلكية من قولها : إن الحركة الصانعة للأشخاص المحيطة فيها الأرواح متى قطعت المسافة التي بين العقدة التي ابتدأت منها ، حتى تنتهي إليها راجعة ، ثم تنفصل عنها — أعادت كل ما بدأت به أولاً كهيئته وأشخاصه وصوره وضروب أشكاله ؛ إذ كانت العلة والسبب اللذان بوجودهما توجد الأشياء قد وجداً عوداً كما وجدنا بدءاً ، فوجب ظهور الأشياء متى عادت إلى المبدأ الذي كان عنه الصدر ، ثم ماتعقب هذا القول من قول الطبيعيين : إن علة كون الأشياء الجسمانية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها ؛ لأن الطبيعة عندهم تحركت في بدوها واختلطت فأظهر الحيوان والنبات وسائر الموجودات في العالم ، وجعلت لها أصلاً من التناسل ، لما عجزت عن تبقية الأشخاص وعدلت إلى النسل ، وإن الطبائع تنتقل من مركب إلى بسيط ، ومن بسيط إلى مركب ، حتى إذا أدى المركب كنهه ما فيه عادت الأشياء إلى البسيط إلى ، وابتدأ الكون [ماراً] على طريقه ؛ لأن الذي أوجبه أولاً قد وجد ، فحقه أن يوجد منه بوجود المعنى الذي أوجده ، فظهر ذلك الظهور ، كالنبات في الربيع ، وتحرك قوته تحت الثرى ، وذلك أن الشمس تارة في الربيع إلى رأس الحمل ، بادئة في شرفها ،

آخذت في ممرها ، وهي العلة الكبرى في إحياء النبات^(١) ويأخذ الثمر في الظهور^(٢) من الشجر بادئاً كما كان ظاهراً بالمثال الأول الذي قد باد في الشتاء ويبدسه وبرده ؛ لأن علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس ، فإذا انتقلت الأشياء من الحرارة والرطوبة إلى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد ، فإذا انتهى بها الفساد إلى غايته وأوصلها إلى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس إلى رأس الحمل ، فبدأ بها كعادته في إنشائها ، وأبرزها من خساسة الفساد إلى نفاسة الكون ، ولو كانت الحواس تضبط شأن الأجسام وتحيط بانتقالها من حال إلى حال لشاهدت ممرها في دائرة الزمان ، مبتدئة من رتبة ، راجعة إليها ، مشكلة في محيط الدائرة بأشكال توافق بعضها ، والشكول مختلفة باختلاف العلل ، متفرقة باختلاف الأسباب ، وفي هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول بالقدم وأبان عنه .

وقضية الفحص توجب أن الأشياء الموجودة غير خالية من إحدى المنزلتين : إما أن يكون بدء وانتهاء ، وإما أن يكون بلا بدء ولا انتهاء ، فإن [كان] بلا بدء ولا انتهاء فواجب أن تكون أجزاءها وأعضائها غير متناهية ، وواجب أن يكون الزمان غير عادياً لها ولا حاصراً لجميعها ، وقد وجدنا التناهي والابتداء في أجزائها وأعضائها على الدوام ، وأن في كل يوم جديد نعاين خلقاً جديداً ، وصوراً في العالم لم تكن وصوراً بادئة قد كانت متائلة ، وفي هذا ما يدل على حصر الأشياء ووقوعها في غاية انتهاء صورها ، وواجب أن الأشياء بدءاً وانتهاءً ، وبطل وهم المتوهم أن الأشياء بالانهاية ؛ وأن ليس لها ابتداء ولا غاية ، وذلك باطل ومحال فاسد ، ولو وجب أن تكون الأشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب أن لا يزول شيء من مركزه ، ولا يتحول عن رتبته ، ولبطلت الاستحالة ، وسقطت المضادة ، وهذا

دليل على
حدوث العالم

(١) في ب ه في الإحياء »

(٢) في ب ه وما حدث من الثمر والزهور في الشجر »

(٣) في ب ه « وإما أن يكون بدءاً وانتهاءً »

مستحيل ، [ولو] وجب أن تكون الأشياء على غير نهاية ، لما كان لقولنا اليوم وأمس وغداً معنى ؛ لأن هذه الأزمان تعد ما هو بالنهاية ، ويوجد في حوزتها إيجاد ما لم يكن وإدخالها في حوزتها ما هو كائن .

وفيما ذكرنا ما أوضح عن تنقل شأن المعاني ، ودل على حدوث الأجسام ، وهذه الدلالة مأخوذة من الحس ، ومستظهرة^(١) للعقول والبحث .

وإذ قد وضع أن الأشياء مُحدثة لكونها بعد أن لم تكن فلا بد لها من محدث المحدث للعالم هو بخلافها لا شكل له ولا مثل ؛ لأن العقل لا يقيم لشيء مثلاً حتى يعلم له قدرًا أو وزنًا ، ويعادله بمثله وشكاه ، وتعالى جل وعز من لا تُعبّر عن ذاته اللغات ، وتعجز العقول أن تحصره بالصفات ، وتدركه بالإشارات ، أو يكون ذا غايات ونهايات . قال المسعودي : فلنرجع الآن إلى الكلام في حصر تاريخ العالم [ووصف أقاويل الطوائف في ذلك المعنى ؛ لأننا إنما ذكرنا الكلام في حدوث العالم] لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته ، وقد تقدم ذكرنا لقول الهند في ذلك فيما سلف من هذا الكتاب .

وأما اليهود فإنهم زعموا أن عمر الدنيا ستة^(٢) آلاف سنة وأخذوا في ذلك مأخذاً شرعياً ، وذهبت النصارى إلى أن عمر العالم ما ذهبت إليه اليهود ، وأما الصابئة من الحرائين والكمارين^(٣) فقد ذكرنا قولهم في ذلك في جملة قول اليونانيين ، وأما المجوس فإنهم ذهبوا في ذلك إلى حد غير^(٤) معلوم من نفاذ قوة الهرمند وكيده ، وهو الشيطان ، ومنهم من ذهب في ذلك إلى نحو ما ذهب إليه أصحاب الاثنين في المزاج والخلاص^(٥) ، وأن العالم سيعود بدءاً متخلصاً من الشرور والآفات .

وزعمت المجوس أن من وقت زرادشت بن أسديان نبينهم إلى الإسكندر مائتين وثمانين^(٦) سنة ، وملك الإسكندر ست سنين ، ومن ملك الإسكندر

(١) في ١ « ومضطرة في العقل والبحث » (٢) في ب « سبعة آلاف سنة »

(٣) في ب « والكتابين » (٤) في ب « إلى حد معلوم »

(٥) في ب « أصحاب الأنيس والجلال » (٦) في ١ « مائتان وثمانون وخمسون سنة »

إلى ملك أردشير خمسمائة [سنة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك أردشير إلى
الهجرة خمسمائة]^(١) سنة وأربع وستون سنة ؛ فذلك من هبوط آدم إلى هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وست وعشرون سنة :
منها من هبوط آدم عليه السلام إلى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون
سنة ، ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم الخليل عليه السلام ألف وتسع وسبعون
سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى ظهور موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر
موسى بن عمران - وهو وقت خروجه بيني إسرائيل ، من مصر إلى
التيه - خمسمائة وخمس وستون سنة ، ومن خروجهم إلى سنة أربع من
ملك سليمان بن داود - عليه السلام ! - وذلك وقت ابتدائه في بناء بيت
المقدس - ستمائة وست وثلاثون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك
الإسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد المسيح
ثلاثمائة سنة وتسع وستون سنة ، ومن مولد المسيح إلى مولد النبي صلى الله
عليه وسلم خمسمائة سنة وإحدى وعشرون سنة ، وبين أن رفع الله المسيح ،
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة
[سنة]^(١) وست وأربعون سنة ، وبين مبعث المسيح وهجرة النبي صلى الله
عليه وسلم خمسمائة سنة [وأربع وتسعون سنة ، وكانت وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم
في سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من [سنّي] ذى القرنين ، ومن داود
إلى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وستين سنة وستة أشهر وعشرة
أيام ، ومن إبراهيم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وعشرون
سنة وستة أشهر وعشرة أيام]^(٢) [ومن نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة
آلاف سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وعشرة أيام]^(٣) فعلى هذا القول جميع
جملة التاريخ من هبوط آدم إلى الأرض إلى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ب .

(٢) ما بين هذين المعقوفين ساقط من ا .

أربعة آلاف سنة [وثمانمائة سنة]^(١) وإحدى عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، فجملة التاريخ من هبوط آدم إلى الأرض إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة ، من خلافة المتقي بالله وتزوله الرقة من ديار مضر — خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة .

وقد ذكرنا جملاً من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نُعدْ منه ما تقدم . وللهجوس في التواريخ أقاصيص يطول ذكرها ، وعود الملك إليهم وإلى غيرهم من الطوائف السالفة في بدو العالم وفنائه ، ومن قال منهم ببقائه ، وأن لا بدء له ولا نهاية ، ومن ذهب منهم إلى أن له انتهاء ولا بدء له^(٢) ، وقد أتينا على ذلك فيما ساف من كتبنا فأغنى ذلك عن الإعادة في هذا الكتاب ؛ لا شترطنا فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز والتنبيه على ما سلف لنا من الكتب .

رأى أهل
النظر من
المسلمين

وقد ذهب جماعة من أهل البحث والنظر من أهل الإسلام [إلى] أن الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن ، وأن المحدث له الخلق الباري جل وعز ، أحدثه لا من شيء ، ويبعثه لا من شيء في الآخرة^(٣) ليصح بذلك وعده ووعيده : إذ كان الصادق في وعده ووعيده لا مبدل لكلماته ، وأن أول العالم من لدن آدم ، وقد غاب عنا حصر السنين وإحصاؤها ، وتنازع الناس في بدء التاريخ ، والكتاب لم يخبر بمحصر أوقاته ولا بين عن كلفيته ولا أعداد سنه فيما مضى ، وإيس علم ذلك مما تهجم عليه الآراء ، ولا تحصره أقضية العقول وموجبات الفحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها لمحسوساتها ، فكيف توجب^(٤) أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة ، والله عز وجل يقول ، وقد ذكر الأجيال ومن ضمه الهلاك : (وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً) والله تعالى ذكره لا يقول

(١) لا توجد هذه الكلمة في ب

(٢) في ا « ومن ذهب منهم إلى أن له بدء ولا انتهاء له »

(٣) في ا « ويفنيه لما شاء من الآخرة » (٤) في ا « فكيف يجوز أن يوقت الخ »

الكثير إلا في الشيء الحقيقي الكثير ، وأعلمنا في كتابه خلقه آدم ، وما كان من أمره وأمر الأنبياء بعده ، وأخبر عن شأن بدء الخلق ، ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عندما أخبرنا به ، ولا سيما مع علمنا أن المدى^(١) بيننا وبينه متفاوت ، وأن الأرض كثرت بها المدن والملوك والعجائب ، فلا يحصر ما لم يحصره الله عز وجل ، ولا نقبل من اليهود ما أوردته ؛ لنطق القرآن أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون ، ونفيهم النبوات^(٢) وجحدهم ما أتوا به من الآيات مما أظهره الله عز وجل على يدى عيسى بن مريم من المعجزات ، وعلى يدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين الباهرات والدلائل والعلامات ، والله عز وجل يخبرنا بما أهلك من الأمم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم ، قال الله عز وجل : (الحاقة وما الحاقة ؟ وما أدراك ما الحاقة ؟ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) إلى قوله : (فهل ترى لهم من باقية ؟) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كذب النسابون » وأمر أن ينسب إلى معد^(٣) ، ونهى أن يتجاوز بالنسب إلى ما فوق ذلك ؛ لعلمه بما مضى من الأعصار الخالية والأمم الفانية ، ولولا أن النفوس إلى الطارف أحن ، وبالنوادر أشنف ، وإلى قصار الأحاديث أميل وبها أكلف ، لذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين ما لم نذكره في هذا الكتاب ، ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحاً بالقول دون الإيضاح والشرح ؛ إذ كان معولنا

(١) في ب « أن البدء »

(٢) في ا « ودفعهم النبوات »

(٣) المؤلف ذكر معدا ، وإنما هو عدنان ، كما ذكر في كثير من مصنفات التاريخ والحديث ، والإجماع على أن الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوز.

في جميع ذلك على ما سَأَفَّ من كتبنا وتقدم من تصنيفنا ، وإذا علم الله عز وجل موقع النبوة ووجه القصد^(١) أعان على السلامة من كل تخوفٍ .
وقد ذكرنا في هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب - على حسب الطاقة ومبلغ الاجتهاد والاختصار والإيجاز - لمعاً سيهر فيها^(٢) من تأمل ، وينبه بها مَنْ رآها .

وإذ قد ذكرنا جوامع ما يحتاج المبتدئ ، والمنتهى من علوم العالم وأخباره؛ فانذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولده ، ومبعثه ، وهجرته ، ووفاته ، وأيام الخلفاء والملوك : عصراً فعصراً ، إلى وقتنا هذا ، ولم نعرض في كتابنا هذا لكثير من الأخبار ، بل لَوَحْنَا بالقول بها تخوفاً من الإطالة ووقوع الملل ؛ إذ ليس ينبغي للعاقل أن يحمل البنية^(٣) على ما ليس في طاقتها ، ويسوم النفس ما ليس في جِبِلَّتِهَا^(٤) ، وإنما الألفاظ على قدر المعاني [فكثيرها لكثيرها] ، وقليلها لقليلها ، وهذا باب كبير ، وبعضه ينوب عن بعض ، والجزء منه يوهمك الكل ، والله تعالى ولي التوفيق .

(١) في « وحققة القصد » .

(٢) في « يشعر فيها من تأمله وينبه عليها من رآها » .

(٣) في « أن يحمل لسانه ما ليس في طاقتها » محرفاً

(٤) في ب « ما ليس في حيلتها »

ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

تقديم

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في أخبار العالم^(١) وأخبار الأنبياء والملوك ، ومعجائب البر والبحر ، وجوامع التاريخ لارس والروم والقبط ، وشهور الروم والقبط ، وما كان من مولد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مبعثه ، ومن آمن به قبل رسالته ، وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من أهل الفترة ، فانذكر الآن مولده ؛ إذ كان الطاهر المطهر الأغر^(٢) الأزهر ، الذي اتسعت أعلام نبوته ، وتواترت دلائل رسالته ، ونطقت الشهادات^(٣) له قبل بعثته .

نسبه الشريف

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن ناخور بن سود بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح ، وهو آزر بن تاخور بن ساروخ بن أرعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلح بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام^(٤) .

هذا ما في نسخة ابن هشام في كتاب المغازي والسير عن ابن إسحاق ،

والنسخ مختلفة الأسماء في النسب من نزار .

(١) في ١ « في خالق العالم » (٢) في ١ « الأعز الأزهر »

(٣) في ب « ونطقت له السموات قبل بعثته »

(٤) الأسماء من بعد عدنان فيها اختلاف كثير في العدة والضبط، وانظر سيرة

ابن هشام أول الجزء " ل

الحلاف في
نسب معد
ابن عدنان

وفي نسخة أن نزارا ابنُ معد بن عدنان بن أدد بن سام بن يشجب بن
يعرب بن الهميسع بن صنوع بن يامد بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح
ابن ناخور بن أرعواء بن أسروح بن فالغ بن شالح بن إرنخشد بن سام بن نوح
ابن متوشلخ بن أخنوخ بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم.

وفي رواية ابن الأعرابي عن هشام بن محمد الكلابي : هو نزار بن معد
ابن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن نبت بن سلامان بن قيذر بن إسماعيل بن
إبراهيم الخليل بن تارح بن ناخور بن أرعواء بن فالغ بن عابر بن شالح بن
إرنخشد بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل
ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .

وفي التوراة أن آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة ؛ فيجب
والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد ملك - وهو أبو نوح النبي عليه
السلام - ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة^(١) ، وشيث ابن سبعمائة وأربع
أربعين سنة ؛ فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام
كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم - على حسب ما ذكرنا من نهيه -
أن يتجاوز عن معد ؛ فقد ثبت أن نتوقف في النسب على [معد ، وقد
اختلف أهل النسب على] ما ذكرنا ، فالواجب الوقف عند أمره عليه
السلام ونهيه .

قال المسعودي : وقد وجدت نسب [معد] بن عدنان في السفر الذي أثبتته
باروخ بن ناريا^(٢) كاتب أرميا^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم أن معداً ابنُ عدنان

(١) في « وأربع وسبعين سنة » (٢) في ب « تاروح بن باريا »

(٣) في ب « كاتب أرميا » تحريف

(١٨ - مروج الذهب ٢)

ابن أدد بن الهيمس بن سلامان بن عوص بن برو بن متساويل بن أبي العوام
ابن ناسل بن حرا بن يلدارم بن بدلان بن كالح بن فاجم بن ناخور بن ماحي
ابن عسقي بن عنف بن عبيد بن الرعاء بن حمران بن يسن بن هري بن بحري
ابن يلخي بن أرعوا بن عنقاء بن حسان بن عيسى بن أقتاد بن إيهام بن معصر
ابن ناجب بن رزاح بن سماي بن مر بن عوص بن عوام بن قيدير بن إسماعيل
ابن إبراهيم الخليل عليه السلام^(١) .

وقد كان لأرمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها ، وما كان من
أمرها بالشام ، وقد أثبتنا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا ، وإنما ذكرنا هذا
النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس في ذلك .
وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد ؛ لعلمه من تباعد الأنساب
وكثرة الآراء في طول هذه المدة والأعصار .

كنية الرسول وكنيته صلى الله عليه وسلم : أبو القاسم ، وفي ذلك يقول الشاعر :

لله ممن قد برأ صفةً وصفوة الخلق بنو هاشم^(٢)
وصفوة الصفة من هاشم محمد النور أبو القاسم

وهو محمد ، وأحمد ، والماسح الذي يمحو الله به الذنوب ،
والعاقب ، والحاشر الذي يحشر [الله] الناس^(٣) على عقبه صلى الله
عليه وسلم .

مولده وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل ، و [كان] بين عام الفيل

(١) وكما اختلف النسابون في عدد هذه الأسماء والفاظها اختلفت نسخ
هذا الكتاب اختلافاً كثيراً ؛ وقد أثبتنا ما في ١ ، واعتمدنا لفظها وعددها .

(٢) برأ : أصله برأ ، ومعناه خلق ، فسهل الهمزة بقلبها ألفاً

(٣) في ١ « الذي يحشر الله الخلق على عقبه »

وعام الفِجَارِ عشرون سنة ، والفِجَارُ^(١) حرب كانت بين قيس عيلان حروب الفجار وبنى^(٢) كنانة ، استحلوا فيها القتال في الأشهر الحرم ، فسميت الفِجَارُ ، وكنانة : ابن خزيمة بن مدركة ، وهو عمرو ، بن إلياس بن مضر بن نزار ، وكان ولد^(٣) إلياس عمراً وعامراً وعميراً^(٤) ، فعمرو هو مُدْرَكَةُ ، وعامر هو طابخة ، وعمير هو قعدة ، وكانت أمهم ابلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة وهي خندف ؛ فغلب على من ذكرنا الألقاب ، ونسب ولد إلياس إلى أمهم خندف ، وفي ذلك يقول قصي بن كلاب بن مرة :

إني لدى الحرب وحى ، وأبى عند تناديهم بآل وهب^(٤)
معتم الصولة على النسب أمي خندف وإلياس أبي^(٥)

وقريش خمسة وعشرون بطناً ، وهم : بنوهاشم بن عبد مناف [بنو المطلب بطون قريش ابن عبد مناف] ، بنو الحارث بن عبد المطلب ، [بنو أمية بن عبد شمس ،

(١) قال الجوهري : « الفجار : يوم من أيام العرب ، وهي أربعة أجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان في الجاهلية وكانت الدبرة على قيس ، وإنما سميت قريش هذه الحرب فجارا لأنها كانت في الأشهر الحرم . فلما قاتلوا فيها قالوا : قد فجرنا ، فسميت فجارا » اهـ

(٢) في ب « بين قيس عيلان وبين كنانة »

(٣) قوله « وكان ولد إلياس » إلخ قال المجد : « وولد إلياس بن مضر عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قعدة ؛ وأمهم خندف كزبرج وهي ليلي بنت حلوان بن عمران ، وكان إلياس خرج في نجعة ، فنفرت إبلة من أرنب ؛ فخرج إليها عمرو فأدركها ، وخرج عامر فتصيدها وطبخها ، واتممع عمير في الحباء ، وخرجت أمهم تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندين ؟ فقالت : ما زلت أخندف في أثركم ، فلقبوا مدركة وطابخة وقعدة وخندف » اهـ

(٤) كذا في ا ، وفي ب « إني أرى الحرب لحي وأبى » محرفا

(٥) في ا « معتم الصولة »

بنو نَوْفَل بن عبد مناف ، بنو الحارث بن فِهْر^(۱) ، بنو أسد بن عبد العزّی
 بنو عبد الدار بن قُصَيّ - وهم حَجَبَة الكعبة - بنو زهرة بن كلاب ، بنو تَمِمْ
 ابن مرة ، بنو مخزوم ، بنو بَدَنَلَة ، بنو مرة ، بنو عَدِي بن كعب ، بنو سَهْم ،
 بنو جَحَح ، وإلى هنا تنتهي قريش البطاح على حسب ما قدمناه فيما سلف من
 هذا الكتاب ، بنو مالك بن حنبل ، بنو مُعَيْط بن عامر بن لُؤَيّ [بنو تزار
 ابن عامر] ، بنو سَامَة بن لُؤَيّ ، بنو الأدرم ، وهو تَمِمْ^(۲) بن غالب ،
 بنو محارب بن فِهْر^(۳) ، بنو الحارث بن عبد الله بن كنانة ، بنو عائذة ، وهو
 خزيمه بن لُؤَيّ ، بنو نباتة ، وهو سعد^(۴) بن لُؤَيّ ، ومن بنى مالك إلى آخر
 القبائل في قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب
 عند ذكرنا للمطيين وغيرهم من قريش .

حلف الفضول وكان من حرب الفِجَار ما ذكرنا للمتفاخرين بالعشائر والتكاثر ،
 وانتهى الفِجَار في شوال ، وكان حِلْفُ الفضول بعد منصرفهم من الفِجَار ،
 فقال بعضهم :

نحن كُنَّا المُلُوكَ من آل نجد وحماة الزمان عند الدِّمَار^(۵)
 ومنعنا الحُجُونَ من كل حى ومنعنا الفِجَار يوم الفِجَار
 وفي ذلك قال خِدَاشُ بن زهير العامري :

فلا توعديني بالفِجَار فإنه أَحَلَّ ببطحاء الحُجُونَ المخازيا

وقد كان الحِلْفُ في ذى القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن ، وكان باع
 سلعة له من العاص بن وائل السهمي ، فمطّله بالثمن حتى يئس ، فعاد جبل

سبب حلف
الفضول

(۱) ما وضعناه بين المعقوفين ساقط من ب ، ولا يتم العدد بدونه

(۲) في ب « وهم تميم بن غالب » (۳) في ب « محارب بن فهم »

(۱) في ب « وهم سعيد بن لؤي » (۵) في ب « وحماة الدمار عند الدمار »

أبي قُبَيْس ، وقريش في مجالسها حول الكعبة ، فنادى بشعر يصف فيه ظلامته .
رافعاً صوته منادياً يقول :

يا للرجال لمظلوم بضاعته بيطن مكة نادى الحى والنفر^(١)

إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر^(٢)

فمشت قريش بعضها إلى بعض ، وكان أول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، واجتمعت قبائل قريش في دار الندوة وكانت للحل والعقد ، وكان ممن اجتمع بهامن قريش بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف ، وزُهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، وبنو الحارث ابن فهر ، فاتفقوا على أنهم ينصفون المظلوم من الظالم ، فساروا إلى دار عبد الله ابن جدعان ، فتحالفوا هنالك ؛ ففي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب :

[حلفت لنعقدن حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار]^(٣)

[نسميه الفضول إذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار

ويعلم من حوالى البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار]^(٤)

الفجارات

وقد قدمنا في كتابنا الأوسط أخبار الأحلاف والفجارات الأربعة : فجار

الرجل ، أو فجار بدر^(٥) بن معشر ، وفجار القرد^(٦) ، وفجار المرأة ، والفجار الرابع هو

(١) في رواية « بيطن مكة نأى الحى والنفر » وهو الصواب

(٢) في « ولا حرام لمثوى لابس الغدر » وفي « ولا حرام كيومى لابس الغدر »

(٣) سقط هذان البيتان من ا

(٤) في ا « ويعلم من حوى للبيت » وفيها « تمنع كل عار »

(٥) في ب « وفجار زيد بن معشر » والتصويب عن ا موافقاً لما في الأغاني

(١٩ / ٧٤ بولاق) .

(٦) في ب « وفجار ألف ود ، وفجار المرأة » ولا معنى له ؛ وأثبتنا ما في ا ،

وانظر الأغاني ؛ واعلم أن الفجارات التي ذكرها المؤلف أربعة وهي أيام الفجار

الأول . وربما عد آخر ما ذكره هو من أيام الفجار الثاني . واطلب تفصيل ذلك

من الأغاني (١٩ / ٧٤ وما بعدها طبع بولاق)

فجار البراض ، وبين الفجار الرابع [الذي كان فيه القتال وبين بنيان الكعبة خمس عشرة سنة ، وكان من]^(١) حضور النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفِجَارَ الرابع إلى أن خرج إلى الشام في تجارة خديجة ، ونظر نسطور الراهب إليه وهو في صومعته ، والنبي صلى الله عليه وسلم مع مَيْسِرَةَ ، وقد أظلمته غمامة ، فقال : هذا نبي ، وهذا آخر الأنبياء — أربع سنين ، وتسعة أشهر ، وستة أيام ، وإلى أن تزوج خديجة بنت خُوَيْلِد شهران ، وأربعة وعشرون يوماً ، وإلى أن شهد بنيان الكعبة ، وحضر منازعة قريش في وضع الحجر الأسود عشر سنين .

قريش
بني الكعبة

وقد كان السيلُ هَدَمَ الكعبة فسرق^(٢) منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر ، فنقضتها قريش ، وكان في حيطانها صور كثيرة بأنواع من الأصباغ عجيبة : منها صورة إبراهيم الخليل في يده الأزام ، ويقابلها صورة إسماعيل ابنه على فرس يُجيز بالناس مُفِيضاً^(٣) ، والفاروق قائم على وفد من الناس يقسم فيهم ، وبعد هذه الصور صور كثير من أولادهم إلى قصي بن كلاب وغيرهم ، في نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور إله صاحبها ، وكيفية عبادته ، وما اشتهر من فعله .

وضع

ولما بنت قريش الكعبة ورفعت سَمَكها وتأتى لها ما أرادت في بنيانها من الحجر الأسود الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحرُ إلى ساحلهم التي بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة ، لتبني هنالك له كنيسة ، واتهوا إلى موضع الحجر على ما ذكرنا وتنازعوا أيهم يَضَعُهُ ، فاتفقوا أن يرضوا بأول مَنْ يطلع عليهم من باب بني شَيْبَةَ ، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب ، وكانوا يعرفونه بالأمين ؛ لوقاره وهدية وصدق .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ب . ولا يتم الكلام بدونه

(٢) في ب « فبرق منها » محرفاً

(٣) في ب « يخر الناس مقبضا ؛ والعاروب قائم — إلخ »

اللهجة ، واجتنابه القاذورات والأدناس ، فحكوه فيما تنازعوا فيه ، وانقادوا إلى قضائه ، فبطما كان عليه من رداء ، وقيل : كساء [طاروني] ، وأخذ عليه الصلاة والسلام الحجرَ فوضعه في وسطه ، ثم قال لأربعة رجال من قريش — [وهم] أهل الرياسة فيهم ، والزعماء منهم ، وهم : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأبو حذيفة بن المغيرة ابن عمرو بن مخزوم ، وقيس بن عدى السهمي — ليأخذ كل واحد منهم بحب من جنبات هذا الرداء ، فشالوه حتى ارتفع عن الأرض ، وأذنوه من موضعه ، فأخذ عليه الصلاة والسلام الحجرَ ووضعه في مكانه وقريش كلها حضور ، وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائه وأحكامه .

فقال قائل ممن حضر من قريش متعجباً من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم سنًا : واعجباً لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا إلى أصغرهم سنًا ، وأقاهم مالا ، فجعلوه عليهم رئيساً وحاكماً !! أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقاً ، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً^(١) وليكوننَّ له بعد هذا اليوم شأن ونباً عظيم .

وقد تنوزع في هذا القائل : فمن الناس من رأى أنه إبليس ظهر في ذلك اليوم في جمعهم في صورة رجل من قريش كان قد مات ، وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ، ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكائهم ومن كانت له فطنة .

فلما استتمت قريش^(٢) بناء الكعبة كسَّتها أردية الزعماء ، وهي الوصائل ، كسوة الكعبة وأعادوا الصور التي كانت مصورة في الكعبة ، وأتقنوا^(٣) شكل ذلك وإحكامه [وكان أبوطالب حاضراً فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل في النبي^(٤)

(١) في « حظوظا وحدوداً » (٢) في « فلما أتت قريش »

(٣) في ب « وأبقوا شكل ذلك وأحكامه »

(٤) سقط ما بين هذين العقوين من ا

صلى الله عليه وسلم ، وما يكون من أمره في المستقبل ، أنشأ يقول :
 إن لنا أوله وآخره في الحكم العدل الذي لا نكره
 وقد جهدنا جهدنا ليفغره وقد عهدنا أوله وآخره
 فإن يكن حقاً ففينا أكثره]

وكان من بناء الكعبة إلى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين ،
 ومن مولده إلى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم .

والذي صح من مولده عليه الصلاة والسلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل
 مكة بخمسين يوماً ، وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من
 المحرم سنة ثمانمائة واثنين وثمانين من عهد ذي القرنين ، وكان قدوم أبرهة مكة
 لسبع عشرة خلت من المحرم ولست عشرة ومائتين من تاريخ العرب ، الذي
 أوله حجة الفدر^(١) ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان .

وكان مولده عليه الصلاة والسلام لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة
 بمكة ، في دار ابن يوسف ، ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادي والرشيدي مسجداً
 وكان أبوه عبد الله غائباً بأرض الشام فانصرف مريضاً ، فمات بالمدينة ورسول
 الله صلى الله عليه وسلم حَمَلٌ ، وقد تنوزع في ذلك : فمنهم من قال : إنه مات
 بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بشهر ، ومنهم من قال : إنه مات في السنة
 الثانية من مولده .

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب
 وفي السنة الأولى من مولده دُفِعَ إلى حليمة^(٢) بنت عبد الله بن
 الحارث تَرْضِعُهُ ، وفي السنة الثانية من كونه في بني سعد كان أبو
 عبد^(٣) الله يقول :

نسب أمه
 عليه السلام

(١) في ب « حجة العدة »

(٢) في ب « رفع إلى حليمة » (٣) أبو عبد الله : هو عبد المطلب بن هاشم

الحمد لله الله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهدي على الغلمان أعينه بالبيت ذي الأركان

[وفي رواية أن عبد المطلب قال :

لاهمَّ ربِّ الراكب المسافر يحمد قلب بخير طائر
تنح عن طريقه الفواجر وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر في درج الريح والأعاصير^(١)

أحداث
قبل النبوة

وفي السنة الرابعة من مولده شقَّ الملكان بطنه ، واستخرجا قلبه ، فشقاه
وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلوا بطنه وقابه بالثلج ، وقال أحدهما لصاحبه :
زينةُ بعشرة من أمته ، فوزنه فرجَحَ ، ثم ما زال يزيد حتى بلغ الألف ، فقال
والله لو وزنته بأمته لوزنها .

وفي السنة الخامسة ردَّته إلى أمه مرضعته حليلة ؛ وقيل : في مستهل السادسة
وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام .

وفي السنة السابعة من مولده خرجت به أمه إلى أخواله تزورهم ، فتوفيت
بالأبواء ، وقدمت به أم أيمنَ إلى مكة بعد خامسة من موت أمه .

وفي السنة الثامنة من مولده توفي جده عبد المطلب ، وضمه عمه أبو طالب
إليه ، وكان في حجره ، وخرج مع عمه إلى الشام ، وله ثلاث عشرة سنة ، ثم
خرج في تجارة لخديجة بنت خويلد إلى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس
وعشرين سنة .

قال المسعودي : وقد أتينا على مبسوط هذا الباب ، في كتابينا : « أخبار
الزمان » والأوسط .

(١) سقطت هذه الأبيات من أوليت مستقيمة الوزن

(٢) في ب « وفي السنة الثالثة » وجعلت رد حليلة إياه في السنة الرابعة .

ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم

وما جاء في ذلك إلى هجرته

مجل
ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته ، بعد بنيان الكعبة بخمس سنين على ما قدمنا آنفاً ، وهو ابن أربعين سنة كاملة؛ فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وأخفى أمره ثلاث سنين ، ونكح خديجة بنت خويلد [وله خمس وعشرون سنة] وأنزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ، ونزل تمام بعضها بالمدينة ، وأول ما نزل عليه من القرآن (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ، وأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم في ليلة السبت ، ثم في ليلة الأحد ، وخاطبه بالرسالة في يوم الاثنين ، وذلك بحراء ، وهو أول موضع نزل فيه القرآن ، وخاطبه بأول السورة إلى قوله تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم) ونزل تمامها بعد ذلك ؛ وخوطف بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ، ثم أمر بإتمامها بعد ذلك ، وأقرت ركعتين في السفر وزيد في صلاة الخضر .

تحديد المبعث
وكان مبعثه صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز ، وذلك على رأس مائتي سنة من يوم التحالف بالربذة ، وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام ، وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب في صدر الإسلام عن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج منها ، وفي ذلك يقول في أرجوزة طويلة :

في رأس عشرة من السنين

إلى ثلاث حصلت يقين^(١)

(١) في ب ه في رأس ألف من السنين ه وأثبتنا ما في ا ، وعجز البيت في ا

« جعلت يقين »

والمائة المعدودة التمام إلى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا وكان فينا هادى السبيل^(١)

إسلام على
ابن أبي طالب

وقد تنوزع في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وإسلامه ، فذهب كثير من الناس إلى أنه لم يشرك بالله شيئاً فيستأنف الإسلام ، بل كان تابعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله مقتدياً به ، وبلغ وهو على ذلك ، وأن الله عصمه وسدده ووقفه لتبعية^(٢) لنبية عليه السلام ؛ لأنهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات ، بل مختارين قادرين ، فاختارا طاعة الرب ، وموافقة أمره ، واجتناب منهيته ، ومنهم من رأى أنه أول من آمن ، وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عز وجل : (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، وكان بدؤه بعلى إذ كان أقرب الناس إليه وأتبعهم له ، ومنهم من رأى غير ما وصفنا ، وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة ، وقد احتج كل فريق لقوله ممن قال بالنص في الإمامة والاختيار ، وأرضى كل فريق كيفية إسلامه ومقدار سنيه ، وقد أتينا على الكلام في ذلك على الشرح والإيضاح في كتابنا المترجم بـ « كتاب الصفوة في الإمامة » وفي كتاب « الاستبصار » وفي كتاب « الزاهي » وغيره من كتبنا في هذا المعنى .

إسلام أبي بكر
ومن أسلم
بإسلامه

ثم أسلم أبو بكر رضى الله عنه ، ودعا قومه إلى الإسلام ، فأسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطاحه بن عبيد الله^(٣) ؛ فجاء بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، فهؤلاء النفر سَبَقُوا الناس بالإيمان ، وقد قال بعض من تقدم من الشعراء في صدر الإسلام يذكرهم :

(١) كذا ؛ وهذه الآيات كلها ليست بشيء .

(٢) في ا ه ووقفه كعصمته لنبية ه وهو أدق وأظهر

(٣) في ب ه وطلعة وعبيد الله ه وليس بشيء .

فيا سائلي عن خيار العبا د ، صادفتَ ذا العلم والخبرة
 خِيارُ العباد جميعاً قرْبشٌ وخير قریش ذوو الهجرة
 وخير ذوى الهجرة السابقون ثمانية وحدهم نُصرة
 عَلِيٍّ وَعُثْمَانُ ثم الزبير وطاححة ، واثنان من زهرة
 وشيخان قد جاورا أحدا وجاورا قبراها قبرة
 فمن كان بعدها فاخراً فلا تذكروا عندهم فخره (١)

الخلاف في أول من أسلم
 وقد اختلف في أول من أسلم: فمنهم من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول
 الناس إسلاماً ، وأسبقتهم إيماناً ، ثم بلال بن حمارة ، ثم عمرو بن (٢) عبسة ،
 ومنهم من ذهب إلى أن أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الرجال (٣) عليّ ،
 ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة [حب النبي صلى الله عليه وسلم]
 ثم خديجة ، ثم عليّ كرم الله وجهه ، وقد ذكرنا ما اجتبتنا من القول في
 ذلك فيما قدمنا ذكره [من كتبنا] في هذا المعنى ، والله تعالى ولي التوفيق .

(١) في ا « فلا يذكرون عندهم فخره » بنون التوكيد الخفيفة

(٢) في ا « بلال بن حمارة بن عمرو بن عبسة » وفي ب « بلال بن حمارة ثم
 عمر بن عبسة » وفي كليهما خطأ . وذكرنا مانص عليه ابن حجر في الإصابة
 (٣) كان علي رضي الله عنه يوم أسلم صبياً يكفله رسول الله . وتام هذا القول .

أن أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الرجال أبو بكر ، ومن الصبيان علي
 ومن الموالى زيد ، رضي الله عنهم أجمعين ا

ذكر هجرته ، وجوامع مما كان في أيامه

صلى الله عليه وسلم

إلى وقت وفاته

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، وفرض عليه ^{تقدمة} الجهاد ، وذلك في سنة إحدى من [سني] الهجرة ، وهي السنة التي نزل فيها الأذان ، وكانت سنة أربع عشرة من المبعث .

وكان ابن عباس يقول : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر عشراً ، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وكانت سنة إحدى من الهجرة ، وهي سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى أبرويز ، وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية ، وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الإسكندر المقدوني .

قال المسعودي : وقد ذكرنا في الكتاب الأوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه من مكة [ودخوله الغار] واستئجار علي^(١) له الإبل ، ونومه على فراشه ؛ فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، ومعه أبو بكر ، وعامر بن قُهَيْرَة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أريقط الديلي^(٢) دليل لهم على الطريق ، ولم يكن مسلماً ، وكان مُقَام علي بن أبي طالب بعده بمكة ثلاثة أيام إلى أن أدى ما أمر بأدائه ، ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) كذا في ب، وفي ابن هشام وغيره أنه خرج على راحلة لأبي بكر ، وأنه اشتراها منه ، ووقع في أبا واستخلاف علي رضي الله عنه له ، وهي التي تطابق ما في كتب السيرة .

(٢) في ب « الديلي » محرفاً

دخول المدينة

وكان دخوله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، فأقام بها عشر سنين كوامل ، وكان نزوله عليه الصلاة والسلام في حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة [وابتنى المسجد]^(١) وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار ، وأنته الأنصار حيناً حياً يسأله كل فريق [منهم]^(٢) النزول عليه ، ويتعلقون بزمام راحلته وهي تجذبه^(٣) . فيقول عليه الصلاة والسلام : « خلوا عنها فإنها مأمورة » حتى أدركته الصلاة في بني سالم ، فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت في الإسلام ، وهذا موضع تنازع الفقهاء في العدد الذي تم بهم صلاة الجمعة : فذهب الشافعي في آخرين معه إلى أن الجمعة لا تجب إقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعداً ، وأقل من ذلك لا يجزى ، وخالفه غيره من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم ، وكانت صلواته في بطن الوادي المعروف بوادي رانونا^(٤) إلى هذه الغاية ، ثم استوى على ناقته ، فسارت لا تعرج على شيء ، ولا يرد هاراد ، حتى أتت إلى موضع مسجده عليه الصلاة والسلام ، والموضع يومئذ لفلامين يقيمون من بني النجار ، فبركت ، ثم سارت [فمضت]^(٥) غير بعيد ، ثم عادت إلى مبركها فبركت واطمأنت ، والنبي صلى الله عليه وسلم يراعي أحكام الباري فيه ، وتوفيقه له ، فنزل عنها ، وسار إلى منزل أبي أيوب الأنصاري — وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن سحيم بن مالك بن النجار^(٦) — فأقام في منزله شهراً حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع ، وأحدث به الأنصار واشتد سرورهم به ، وأظهروا التأسف على ما فاتهم من نصرته ، وفي ذلك يقول

(١) لا توجد هذه الكلمة في ب (٢) في ا « وهو يجنبهم » (٣) في ا « ذنوباً »

(٤) هكذا في ب ، وفي ا « خالد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن عتبان

ابن مالك بن النجار » وفي الإصابة « خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف

ابن غنم بن مالك بن النجار »

صرمة بن [أبي] أنس أحد بني عدى النجار من قصيدة:

ثوى في قريش بضع عشرة حجةً يذكر لا يلقى صديقاً موالياً^(١)

[ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يوفى، ولم ير داعياً]^(٢)

ولما أتانا أظهر الله دينه وأصبح مسروراً بطيبة راضياً

[وأصبح لا يخشى من الناس واحداً بعيداً، ولا يخشى من الناس دانياً]

[بذلنا له الأموال في كل ملكنا وأنفسنا عند الوغى والتأسيا]

[ونعلم أن الله لارب غيره وأن رسول الله للحق رائياً]

نعدي الذي عادى من الناس كلهم جميعاً، وإن كان الحبيب المصافياً

فافترض [صيام] شهر رمضان، وحوّلت القبلة إلى الكعبة بعد قدومه
بثمانية عشر شهراً، وقد قيل: إنه أنزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان
وثلاثون سورة.

ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة
عشر في الساعة التي دخل فيها المدينة، في منزل عائشة رضي الله عنها، وكانت
علته اثني عشر يوماً^(٣).

وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستاً وعشرين غزوة، ومنهم من
رأى أنها سبع وعشرون، الأولون جعلوا منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من
خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة، والذين جعلوها سبعاً وعشرين جعلوا غزوة
خيبر مفردة و وادي القرى منصرفه إليها غزوة أخرى غير خيبر؛ فوقع التنازع في
أعداد الغزوات من هذا الوجه، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح الله
خيبر انصرف منها إلى وادي القرى من غير أن يأتي المدينة.

وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه إلى ودّان، وهي

ترتيبها

(١) في ١ « يذكر لو يلقى صديقاً موالياً »

(٢) هذه الآيات التي وضعت بين المعقوفين لا توجد في ١

(٣) في ١ « ثلاثة عشر يوماً »

المعروفة بغزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط إلى ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العشيبة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، وكان خروجه طلباً لكرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، وهي بدر الثانية التي قُتل فيها صناديد قريش وأشرفها وأسر من أسر من زعمائهم ، ثم غزوة بني سُليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر^(١) ماء ابني سليم ، ثم غزوة السويق طلباً لأبي سفيان بن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ، ثم غزوة غطفان إلى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذي أمر ، ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز^(٢) من فوق الفرع ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نجد^(٣) ، ثم غزوة بدر الأخيرة ، ثم غزوة دومة الجندل [ثم غزوة المريسيج]^(٤) [ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني لحيان ابن هذيل بن مدركة ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالاً فصده المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ، ثم فتح مكة ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك .

قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، وخبير ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وتبوك .

قول الواقدي في غزواته هذا قول محمد بن إسحاق ، فأما ما ذهب إليه الواقدي فإنه وافق ابن إسحاق في قتال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه التسع الغزوات ، وزاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل في غزاة وادي القرى ، وذلك أن غلامه المعروف بمذغم^(٥) رمى بسهم فقتل ، وقاتل في يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر ، وقتل يومئذ محرز بن نضلة ففي قول الواقدي أنه قاتل في إحدى عشرة غزوة ، وفي قول ابن إسحاق

(١) في « بالكديد » (٢) في « وهو معدن بالحجاز »

(٣) في « ثم غزوة ذات الرقاع من نخل » (٤) لا توجد هذه العبارة في ا

(٥) في « المعروف بمذغم »

تسع ، فقتاله في التسع باتفاق منهما ، وزاد الواقدي على ما ذكرنا .

وقد قيل : إن أول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة .

وقد تنازع مَنْ سلف من أهل السير والأخبار في عدة سراياه وبعوثه : فقال سراياه وبعوثه قوم^(١) : إن عدة سراياه وبعوثه بين أن قدم المدينة و بين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثاً وسرية ، وذكر محمد بن جرير الطبري في كتابه في التاريخ قال : حدثني الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر الواقدي : كانت سرايا النبي صلى الله عليه وسلم ثمانياً وأربعين سريةً ، وقيل . إن سراياه صلى الله عليه وسلم وبعوثه كانت ستة وستين .

شاهير
الأحداث

وقبض صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم في صدر هذا الباب من قول ابن عباس ، ولم يخاف من الولد إلا فاطمة عليها السلام ، وتوفيت بعده بأربعين يوماً ، وقيل : سبعين يوماً ، وقيل غير ذلك . وكان تزوج علي بن أبي طالب لفاطمة عليهما السلام بعد سنة مضت من الهجرة ، وقيل أقل من ذلك .

وكانت أول امرأة تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكانت وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين^(٢) . وأسرى به وهو ابن إحدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوماً . وكانت وفاة عمه أبي طالب — واسمه عبد مناف [بن عبد المطلب] — بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام ، وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر ، وقد قيل : إن أبا طالب اسم له .

وتزوج بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة^(٣) بن قيس بن عبد ود بن نصر^(٤)

(١) في ١ « فذكر محمد بن إسحاق »

(٢) كذا ، وربما كان الأصل « بتسع سنين » أو « بعشر سنين » مع ترك الشهور أو جبرها ، وانظر ص ٢٩٤ الآتية (٣) في ١ « بسودة بنت زمعة » محرفاً .

(٤) في ب « بن نصر » بالصاد المهملة .

ابن مالك [بن حِسل] .

وتزوج بعائشة رضي الله عنها [قبل الهجرة بسنتين ، وقيل : تزوجها بعد وفاة خديجة ، ودخل بها]^(١) بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة أيام ، وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه في الكتاب الأوسط ؛ فأغنى [ذلك] عن إعادته .
 روى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين^(٢) بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إن الله عز وجل أدب محمداً صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه ، فقال [خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين] فلما كان كذلك قال الله تعالى [وإنك لعلی خلق عظیم] فلما قبل من الله فوض إليه^(٣) فقال [وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا] وكان يضمن على الله الجنة ، فأجيز له ذلك .

وكان عدة من تزوج من النساء خمس عشرة : دخل بإحدى عشرة منهن ، ولم يدخل بأربع ، وقبض عليه السلام عن تسع .

قال المسعودي : وقد تنوزع في مقدار عمره عليه السلام ، وقد قدمنا ما روى في ذلك عن ابن عباس ، وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس ، وقد روى عن أبي هريرة مثل قول ابن عباس ، وذكر عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكة عشرًا ، [وبالمدينة عشرًا] ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكذلك ذكر عن عائشة قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة ، وكذلك ذكر ابن هشام قال : حدثنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مهرا ، عن ابن عباس ،

الزاع في عمره عليه الصلاة والسلام

(١) بن العقوقين ساقط من ب (٢) في ا « علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٣) في ا « فلما قبل عن الله تعالى ما فرض إليه فقال » محرفاً .

وذكر قتادة عن الحسن عن دغفل^(١) — يعني ابن حنظلة — أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس وستين ، وقد قيل : إنه قبض وهو ابن ستين ، وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير ، وذكر حماد قال : أخبرنا عمرو بن دينار ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، ومات وهو ابن ستين ، وذكر شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال : حدثتني عائشة رضي الله عنها وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة ، فابث بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وقبض وهو ابن ستين ، صلى الله عليه وسلم .

وإنما حكينا هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا أننا لم نغفل شيئاً مما قالوه ، ولا تركنا شيئاً ذكره إلا ذكرنا منه ما تأنى لنا ذكره وأشارنا إليه ، ميلاً إلى الاختصار وطلباً للإيجاز ، والذي وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة ووفاته وتكفينه والسلام أنه قبض ابن ثلاث وستين سنة ، ولما غسل عليه الصلاة والسلام ودفنه عليه السلام كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها إدراجاً ، ونزل في قبره على بن أبي طالب والفضل وقم ابنا العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر في مقدار الثياب للكفن غير ما ذكرنا ، والله أعلم بكيفية ذلك .

ولنرجع الآن إلى ذكر لع من أموره وأخبار كانت من مولده إلى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم .

(١) في « عن دغفل » وفي ب « عن دجيل » وأحسب أنه دغفل بن حنظلة الشيباني الدهلي ، أحد العلماء بالنسب ، يروي عنه الحسن وابن سيرين .

ذكر أمور وأحوال^(۱) من مولده إلى وفاته

صلى الله عليه وسلم

تقدمة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع يكتفى بها العالم المستبصر ، ويتنبه بها الطالب المسترشد ، وذكرنا جُملاً من الكوائن والأحداث في تضاعيف ذلك ، وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جمل من السنين من مولده إلى وفاته ، وجمل أحداث كوائن كانت في أيامه ؛ ليقرب تناول ذلك على مریده ، ويسهل مأخذه على الطالب له ، وإن كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الأبواب إن شاء الله تعالى .

السنة الأولى من مولده ففي أول سنة من مولده، دفع إلى حليلة بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة^(۲) بن جابر بن رزام^(۳) بن ناصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(۴) .

السنة الخامسة وفي السنة الخامسة من مولده رَدَّتْهُ حليلة إلى أمه ، على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب .

السنة السادسة وفي السنة السادسة أخرجته أمه إلى أخواله زائرة فتوفيت بالأبواء بين مكة والمدينة ، ونحى ذلك إلى أم أيمن ؛ فخرجت إليه ؛ وقدمت به إلى مكة ؛

(۱) في ا « ذكر أمور وأخبار — إلخ » .

(۲) في ب « بن سحنة » بالسين والحاء المهملتين ، وفي ا « بن سحنة » بسين مهمله وحاء معجمة ، فلما اختلفا أثبتنا مانص على ضبطه عن ابن إسحاق .

(۳) في ا « بن درام » .

(۴) وقع في ب « بن جابر بن نصر بن معد بن عدنان » وهو نقص ، ولا يخلو ما ذكر من خطأ ، ووقع ما أثبتناه في ا مع بعض خطأ ذكرنا صوابه ، وفي ابن إسحاق « بن رزام بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن » .

وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه .

خروجه
إلى الشام

وفي السنة التاسعة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام ، وقيل : إنه خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام وله ثلاث عشرة سنة ، وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه ؛ فلذلك كَفَلَ بأمر النبي صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوته - وهم : العباس ، وحمة ، والزبير ، وحجل ، والمقوم ، وضرار ، والحارث ، وأبولهب - وهم عشرة بنو عبد المطلب ، وكان لعبد المطلب ستة عشر ولداً : عشرة ذكور ، وهم من سمينا ، وست إناث ، وهن : عاتكة ، وصفية ، وأميمة ، والبيضاء ، وبرّة^(١) ، وأروى ، ولم يسلم منهن إلا صفية أم الزبير بن العوام ، وقد تنوزع في أروى : فمنهم من قال : إنها أسلمت [ومنهم من خالف ذلك] .

وفي خروجه عليه السلام مع عمه في هذه السنة نظر إليه بِحَيْرَةِ الراهب ، وأوصاهم بمراعاته من اليهود فإنهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لخبر بِحَيْرَةِ الراهب وما كان من إخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام .

وقد قدمنا أنه عاينه السلام شهد يوم حرب الفِجَارِ ، وذلك في سنة إحدى وشهوده الفجار وعشرين ، وأنها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان ، فيما سلف من هذا الكتاب وغيره ، وأنها إنما سميت بهذا الاسم الذي هو الفِجَار لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وكانت لقيس على قريش ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاهدها صارت لقريش على قيس ، وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جُدْعَانَ التيمي ، وكان نخاساً في الجاهلية^(٢) بياعاً للجواري ، وكانت هذه إحدى الدلائل المنذرة بنبوته عليه السلام والتميم بحضوره .

(١) في ١٥ وقره «

(٢) في ب «نخاساً للجاهلية» .

ست وعشرين وفي سنة ست وعشرين كان تزويجه بخديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ بنت أربعين ، وقيل في سننها غير هذا .

ست وثلاثين وفي سنة ست وثلاثين بنت قريش الكعبة ، وتراضت به ، فوضع الحجرَ على حسب ما قدمنا .

إحدى وأربعين وفي سنة إحدى وأربعين بعثه الله نبياً ورسولاً إلى كافة الناس ، وذلك [يوم الاثنين] لعشر خلون من ربيع الأول ، على حسب تنازع الناس في تاريخ مبعثه عليه السلام .

ست وأربعين وفي سنة ست وأربعين كان حصار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني [عبد] المطلب في الشعب .

سنة خمسين وفي سنة خمسين كان خروجه عليه السلام ومن تبعه من الشعب (١) .
وفي هذه السنة كانت وفاة خديجة زوجته [وفيها كان خروجه إلى الطائف] (٢) على حسب ما ذكرنا .

إحدى وخمسين وفي سنة إحدى وخمسين كان الإسراء به صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، على حسب ما نطق به التنزيل .

أربع وخمسين وفي سنة أربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وفيها بنى صلى الله عليه وسلم مسجده ، وفيها دخل بعائشة بنت أبي بكر رضی الله عنها وهي ابنة تسع ، وتزوج بها [قبل الهجرة وهي بنت سبع ، وقيل : إنه تزوجها وهي بنت ست سنين ، وبني بها في المدينة] بعد الهجرة بسبعة أشهر ، وقيل عن عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهي بنت ثمان عشرة سنة ، وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة ، [بالمدينة ، وصلى عليها أبو هريرة في أيام معاوية بن أبي سفيان وقد قاربت السبعين] وفيها أمر رسول

(١) في ب « كان خروجه عليه السلام ومن تبعه إلى الطائف » وهو نقل للكلام من موضع إلى موضع آخر ، وهذه إحدى صنائع النساخين .
(٢) هذه الزيادة لا توجد في ب ، وهي التي تدل على ما قلناه .

الله صلى الله عليه وسلم بالأذان ، وأرى عبد الله بن زيد كيفية الأذان في منامه ،
وفيهما كان تزوج علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حسب ما ذكرنا من التنازع في التاريخ .

اثنتين
من الهجرة

وفي سنة اثنتين من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان ، وفي
هذه السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى الكعبة ، وفيها توفيت ابنته
رُقِيَّة ، وفي آخر هذه السنة — وهي سنة اثنتين من الهجرة — كان دخول علي
ابن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كانت وقعة
بدر ، وذلك في يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

ثلاث
من الهجرة

وفي سنة ثلاث كان تزويجه بزینب بنت خزيمة ، وكانت وفاتها بعد
شهرين ، وفي هذه السنة كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وفيها كان
تزوج عثمان بن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كان
مولد الحسن بن علي بن أبي طالب على ما في ذلك من التنازع في التاريخ ، وفيها
كانت غزوة أحد ، وفي هذه السنة^(١) استشهد حمزة بن عبد المطلب .

أربع
من الهجرة

وفي سنة أربع كانت غزوته المعروفة بذات الرقاع ، وفي هذه الغزاة صلى صلاة
الخوف بالناس ، على حسب ما ذكر في كيفية ذلك من التنازع ، وفيها كان
تزويجه بأم سلمة بنت [أبي] أمية ، وفيها كانت غزوته إلى اليهود من بني النضير
وأمتنعوا منه بحصونهم ، فقطعوا نخلمهم وشجرهم ، وأضرموا النار عليهم ، فلما
رأى ذلك صالحهم^(٢) ، وفيها كانت غزوته إلى بني المصطلق ، وفيها — وهي سنة
أربع — كان مولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وقد قيل :
إن مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها [كان] قبل الهجرة بثمان سنين .

خمس
من الهجرة

وفي سنة خمس كانت غزوة الخندق وما كان [فيها] من حفر الخندق ، وفيها غزا

(١) في ١ « وفي هذه الغزوة استشهد حمزة — إلخ »

(٢) في ١ « قطع نخلمهم وشجرهم ، وأضرم النار عليهم ، فلما رأوا ذلك صالحوه »

اليهود من بني قُرَيْظَةَ ، وكان من أمرهم ما قد شهر ، وفيها كان تزويجه بزَيْنَب بنت جَعَش ، وفيها كان تقوُّلُ أهل الإفك على عائشة رضي الله تعالى عنها .

ست من الهجرة

وفي سنة ست كان استنقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجذب ، وفيها اعتمر عمرته المعروفة بعمره الحديبية^(١) وواعد المشركين ، وفيها أخذ فِدْكَ ، وفيها تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ووجَّه بالرسُلِ إلى كسرى وقيصر ، وكان فيها أداؤه لكتابة جُويرية بنت الحارث وتزويجه بها .

وفي سنة سبع غزا خيبر فافتتحها ، واصطفى صفية بنت حيي بن أخطب

سبع
من الهجرة

لنفسه ، وفيها تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة عبد الله بن عباس في سفره حين اعتمر عمرة القضاء ، على ما ذكر من التنازع في نكاحه لها ، أفي حال حله نكحها أم في حال إحرامه؟ وما قال الفقهاء في ذلك ، وتنازع الناس في نكاح المحرم ، وفيها كان قدوم حاطب بن أبي بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس إليه ، وفيها كان قدوم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة [ومعه أولاده وزوجته وغيرهم من المسلمين ممن كان بأرض الحبشة]

ثمان من الهجرة

وفي سنة ثمان استشهد جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رَوَاحَة بأرض مؤتة من أرض البلقاء من أرض الشام وأعمال دمشق في وقتهم مع الروم ، وفيها كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : غير ذلك من التاريخ .

فتح مكة

وفي سنة ثمان كان افتتاح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، وقد تنازع الناس في فتحها ، أصلحاً كان أم عنوة^(٢)؟ وفيها كسرت الأصنام ، وهدمت العزى^(٣) ثم

(١) في ا « المعروفة بغزوة الحديبية وواعد المشركين »

(٢) في ب « أصلحاً كان أم غيره »

(٣) في ب « وهدمت العزى » محرفاً

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل بكم؟ » قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: « اذْهَبُوا فَاتِمِ الطُّلُقَاءَ، » وفيها غزاة غزوة حنين، وكان على هوازن مالك بن عوف النَّصْرِي^(١) ومعه دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ، وفيها كانت غزوة الطائف، وفيها كان إعطاؤه للمؤانفة قلوبهم وفيهم أبو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية، وفيها كان مولد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية.

تسع
من الهجرة

وفي سنة تسع حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس، وقرأ علي بن أبي طالب عليهم سورة براءة، وأمر أن لا يحج مشرك، وأنه لا يطوف بالبيت عريان، وفيها كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عشر
من الهجرة

وفي سنة عشر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، وقال: « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض »، وفيها كانت وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، وقيل غير ذلك، وفيها كان بعثه عليه الصلاة والسلام بعلي إلى اليمن، وأحرم كإحرام النبي صلى الله عليه وسلم.

إحدى عشرة
من الهجرة

[وفي سنة إحدى عشرة كانت وفاته صلى الله عليه وسلم] على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس في ذلك، وفيها كانت وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس في مقدار عمرها ومدة بقائها بعد أبيها، ومن الذي صلى عليها: العباس بن عبد المطلب أم بعلها علي؟ ولما قبضت جزع ثغابها بعلها علي جزعاً شديداً واشتد بكاءه وظهر أنينه وحنينه، وقال في ذلك:

لكل اجتماع من خباياين فرقة وكل الذي دون المات قليل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

(١) في « النصري » بالصاد المهملة

أولاده
له السلام
وكلُّ أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا إبراهيم : ولد له صلى الله عليه وسلم : القاسم ، وبه كان يكنى ، وكان أكبر بنيه سنًا ، ورقية وأم كلثوم ، وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابني أبي لهب [عمه] فطلقاهما لخبر يطول ذكره ، فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة ، وزينب ، وكانت تحت أبي العاص بن الربيع ، وفرق الإسلام بينهما ، ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الأول ، وهذا موضع خلاف بين أهل العلم في كيفية رده عليه الصلاة والسلام زينب على أبي العاص ، وولدت من أبي العاص أمامة ، وتزوجها عليّ بعد موت فاطمة عليهما السلام .

وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبدُ الله وهو الطيب والطاهر ، الثلاثة الأسماء له ؛ لأنه ولد في الإسلام ، وفاطمة ، وإبراهيم .

وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط على ما كان في سنة سنة من مولده عليه الصلاة والسلام إلى مبعثه ، ومن مبعثه إلى هجرته ، ومن هجرته إلى وفاته ، ومن وفاته إلى وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — وما كان في ذلك من المغازي [والفتوح] والسرايا والبعوث [والطرائق] والأحداث ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ، ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا ، وبالله التوفيق .

ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام

مما لم يحفظ قبله عن أحد من الأنام

تقدمة

قال أبو الحسن علي بن الحسين [بن^(١) علي] بن عبد الله المسعودي : بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ومبشراً للناس أجمعين ، وقرنه الله بالآيات^(٢) ، والبراهين النيرات ، وأتى بالقرآن المعجز ؛ فتحدّى به قوماً^(٣) وهم الغاية في الفصاحة ، والنهية في البلاغة ، وأولو العلم باللغة والمعرفة بأنواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقنّى والمنثور والمنظوم والأشعار في المكارم وفي الحث والزجر والتحضيض والإغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين ، فقرع به أسماعهم ، وأعجز به أذهانهم^(٤) وقبّح به أفعالهم ، ودم به آراءهم [وسفّه به أحلامهم] وأزال به دياناتهم ، وأبطل [به] سنتهم ، ثم أخبر عن عجزهم مع نظائرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، مع كونه عربياً مبيناً .

وقد تنازع الناس في نظم القرآن وإعجازه ، وإيس الغرض من هذا [الكتاب] وصف أقاويل المختلفين ، والإخبار عن كلام المتنازعين ؛ إذ كان كتاب خبر ، لا كتاب بحث ونظر .

آناه الله
الحكمة

ثبت عنه عليه الصلاة والسلام بالعلم الموروث ، ونقل إلينا الباقي عن الماضي من بعد قيام الأدلة على صدقه ، وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التي أظهر [ها] الله على يديه ليؤدي رسالات ربه إلى خلقه — أنه قال : أوتيت جوامع الكلم ، وقال : اختصر لي الكلام ، مخبراً عما أوتيه من الحكمة [والبيان غير القرآن المعجز ، وهو ما أوتيه عليه الصلاة والسلام من الحكمة] . والنطق اليسير ، والكلام القصير المفيد للمعاني الكثيرة والوجوه المتفرقة [مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة] .

(١) لا يوجد هذا الاسم في ا . وهو ثابت في ب ؛ وفي نسب المسعودي

(٢) في ب « وقرنه الله بالآيات »

(٣) في ا « وأتى بالقرآن المعجز ليتهدى به قومه وهم الغاية — إلخ »

(٤) في ب « وأعجب به أذهانهم »

وكان كلامه صلى الله عليه وسلم أحسنَ المقال وأوجزَه ؛ لقلة الفاظه
وكثرة معانيه .

من موجز
كلامه

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عند عرَضِه لنفسه على القبائل بمكة ومعه
أبو بكر وعلى ووقوفه على بكر بن وائل ، وتقدم أبي بكر إليهم ، وما جرى
بينه وبين دغفل من الكلام في النسب « البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق » وهذا مما
سَبَقَ إليه من الكلام^(١) ولم يصف إلى غيره من الأنام .

ثم إخباره عن الحرب وقوله « الحرب خُذْعَةٌ » فعلم بهذا اللفظ اليسير
والكلام الوجيز أن آخر مكاييد الحرب القتال بالسيف ؛ إذ كان بدؤها
خدعة ، كما قال عليه الصلاة والسلام ، وهذا يعرفه كل ذى رأى صحيح وذى
رياسة وسياسة .

ثم قال : « العائد في هبته كالعائد في قَيْئِهِ » زاجراً بهذا القول للواهب
أن يسترجع شيئاً وهبه ؛ إذ كان النية لا يرجع فيه مَنْ قاءه .

وللناس في هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل ، وإنا الغرض فيما نذكر إيراد
كلامه صلى الله عليه وسلم ، ووصف قوله الذى لم يتقدمه به أحد من الناس .
وقوله « احْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ » المراد من ذلك إذا كَذَبَ
المساح ، ولم يُرَدَّ عليه السلام إذا شكر الإنسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو
فيه أو قال ماله أن يقول أن يُحْثَى فِي وَجْهِهِ التُّرَابَ ، ولو كان هذا معنى قوله
صلى الله عليه وسلم إذا ما مَدَحَ أَحَدٌ أَحَدًا ؛ إذ كان هذا النهى عموماً للصادق
والكاذب ، وأن يحْثَى فِي وَجْهِهِ التُّرَابَ ، وهذا خلاف ما جاء به التنزيل
حيث يقول عز وجل مخبراً عن نبيه يوسف وقوله للملك : (أَجْعَلْنِي عَلَى
خِزَانِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) فقد مدح نفسه ووصف حاله .

وجميع ما يذكر في هذا الباب مستفيض في السير والأخبار متعارف عند
العلماء ، متداول بين الحكماء ، يتمثل به كثير من الناس ، وتستعمل

(١) في « وهذا مما لم يسبق إليه من الكلام »

العوام كثيراً منه في ألفاظها ، وتُورده في أمثالها وخطاباتها ، والأكثر منهم لا يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أول من تكلم به ، وسبق إلى إيراده] .

وقال عليه الصلاة والسلام : مَطْلُ الْغَنِيِّ ظَلَمٌ ، وَمَنْ أَتْبَعَ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتَّبِعْ ، وقوله : الأرواح جنود مجنودة ؛ فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، رأس الحكمة معرفة الله . يا خَيْلَ اللَّهِ اركبوا بشرى بالجنة . الآن حَمِيَّ الوطيس . لا ينتطح فيها عَنزَانٍ . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . لا ينحني على المرء إلا يده . ليس الخبز كالمعينة . الشديد من غلب نفسه . بورك لأمتي في بكورها . ساقى القوم آخرهم شرباً . المجالس بالأمانات . لو بقى جبل على جبل لذك الباغى منهما [ابدأ بمن تقول] مات حَتَفَ أَنفِهِ ، يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة [ولا حال أوجبت ولا سبب من أسباب الموت تقدمت]^(١) ، لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مَفْنَأً والزكاة مفرماً . قيدوا العلم بالكتابة . خير المال عين ساهرة لعين نائمة . المسلم مرآة المسلم . رحم الله من قال خيراً فغمم أو سكت [عن شر] فسلم . المرء كثير بأخيه . اليد العليا خير من اليد السفلى . ترك الشر صدقة . فضل العلم خير من فضل العبادة . الغنى غنى النفس . الأعمال بالنيات . أى داء أدوا من البخل ؟ الحياء خير كله . الخيل معقود بنواصبها الخير . السعيد من وعظ بغيره . عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ كَأَخْذِ الْبَلِيدِ . إن من الشعر لحكمة ومن البيان لسحراً . عفو الملوك بقاء للملك . ارحم من في الأرض يرحمك من السماء . المكر والخديعة في النار . المرء مع من أحب ، وله ما كتسب . ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا . المستشار مؤتمن . من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد . لا ينحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث . الدال على الخير كفاعله . الندم توبة . الولد للفراش وللعاهر الحجر . كل معروف صدقة . لا يشكر الله من لا يشكر الناس . لا يؤوى الضالة

(١) زيادة عن وحدها

إلا ضال ، حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَيَصْم ، السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ ، وَقَوْلُهُ
 لِلْأَنْصَارِ : إِنَّكُمْ رُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفِرْعِ ، وَقَوْلُهُ : الْمَسْلُومُونَ
 عِنْدَ شُرُوطِهِمْ إِلَّا شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا . الرَّجُلُ أَحَقُّ بِصَدْرِ
 مَجْلِسِهِ وَصَدْرِ دَابَّتِهِ . النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ [وَالْفِضَّةِ] . الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ . تَمَامُ التَّحِيَّةِ الْمَصَاحِفَةُ . جُبِلَتِ النَّفُوسُ ^(١) عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ
 إِلَيْهَا . أَمْنُكَ مِنْ أَعْتَبِكَ . مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ . التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ
 لَا ذَنْبَ لَهُ . الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ . خَذْ حَقَّكَ فِي عَفَافٍ وَافٍ أَوْ
 غَيْرِ وَافٍ . أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَجْفَ عِرْقَهُ . أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا
 أَهْلُ الْمَعْرُوفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ . لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ خَافَ
 جَارَهُ بَوَائِقَهُ . اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . أُعْرُوا النِّسَاءَ يَلْزِمُنَ الْحِجَابَ .
 الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ . لَا خَيْرَ لَكَ فِي صَحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ مَا يَرَى
 لِنَفْسِهِ . الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ . مَا أَمْلَقَ تَاجِرٌ صَدَقَ . الدُّعَاءُ
 سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ . خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا . إِذَا أَتَاكَ الزَّائِرُ فَأَكْرِمُوهُ . اشْفَعُوا
 تَحْمَدُوا أَوْ تَوَجَّرُوا . الْإِيمَانُ الصَّبْرُ وَالسَّمَاخَةُ أَفْضَلُكُمْ أَفْضَلُكُمْ مَعْرِفَةٌ .
 مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَنِ مَشُورَةٍ . مَا عَالَ امْرُؤٌ اقْتَبَصَ . مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ .
 شَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ . الْكُذْبُ مِجَانِبُ لِلْإِيمَانِ . مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ
 وَأَلْهِى ^(٢) . [مِنْ أَثْنَى فَقَدْ كَفَى] قَلَّةُ الْحَيَاءِ كُفْرٌ . الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ .
 شَرُّ النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . شَرُّ الْمَعْذِرَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ . أَقْبَلُوا عَثْرَاتَ الْكِرَامِ .
 اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ صَبَاحِ الْوَجُوهِ . الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنْ اللَّهُ مُسْتَعْمَلُكُمْ
 فِيهَا يَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ . انْتَظِرِ الْفَرَجَ عِبَادَةَ . كَادَتِ الْفَاقَةُ أَنْ تَكُونَ كَفْرًا .
 لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ . فِي كُلِّ عَامٍ تَرْدَلُونَ . زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا .
 الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، أَوْ قَالَ : جَمِيعُ النَّاسِ ،

(١) فِي أَدَا جِبِلَّتِ الْقُلُوبِ « وَعَمَى أَحْسَنَ

(٢) فِي أَدَا « خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَذَى »

وقوله : لا يلقى الله أحد إلا نادماً . من عمل خيراً قال يا ليتني ازددت ، ومن عمل غير ذلك قال يا ليتني قصرت ، وهذا مثل قوله : إياكم والتسوية وطول الأمل ؛ فإنه كان سبباً لهلاك الأمم . وقوله : ليس منا من غشَّنا ، وهذا القول يحتمل معاني كثيرة : منها أن يكون إخباراً أن من غش المسلمين على حسب الحال في الوقت أن بعض أهل الكتاب أو المنافقين أخبر عنه بما كان من فعله ، ويحتمل أن يكون على طريق الزجر والنهي عن الغش ، وقد قيل غير ذلك ، والله أعلم ، مثل ما روى عنه أبو مسعود البدرى [أنه] قال : لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة أحدٍ إلا مات ، فاستفاضت هذه الرواية عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فجزع الأكثر ، فأفضى ذلك إلى على رضى الله عنه ، فقال : صدق أبو مسعود فيما قال ، وذهب عنه المراد بذلك ، وإنما مراد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى على وجه الأرض أحد بعد رأس مائة ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم إلا مات [وقوله : استعينوا على أموركم بالكتمان ، وعلى قضاء حوائجكم بالإسرار]^(١) .

قال المسعودى : وقد جمع كثير من تقدم ومن شاهدناه كثيراً من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم [فأوردوها في كتبهم ، وذكروها في تصنيفهم ، وقد أفرد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد لذلك كتاباً ترجمه بكتاب « المجتبي » يذكر فيه جملاً من ألفاظه صلى الله عليه وسلم]^(٢) ، وكذلك ذكر أبو إسحاق الزجاجى النحوى صاحب أبى العباس البرد ، وأبو عبد الله نبطويه ، وجعفر ابن محمد بن حمدان الموصلى ، وغير هؤلاء ممن تقدّمهم وتأخر عنهم ، أوردنا من ذلك فى هذا الكتاب ما سهل إيرادها وتأتى لنا ذكره ، على حسب الحاجة إليه واستحقاق الموضوع له ، وإن كنا قد أتينا على جميع ما يحتاج إليه فى هذه المعانى فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا فأغنى ذلك عن إعادتها ، والله تعالى ولى التوفيق .

(٢) سقط هذا الكلام من ب

(١) لا توجد هذه الجملة فى ا

باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق

رضي الله تعالى عنه

جامع تاريخه

قال المسعودي : ثم بايعَ الناسُ أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، في سقيفة بني ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري ، في يوم الاثنين الذي توفِّي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، مستوفياً لعمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا اتفاق في سائر الروايات على ما ذكرنا ، وكان مولد أبي بكر بعد الفيل بثلاث سنين ، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، ودفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم [رأسه على كتف رسول الله صلى الله عليه وسلم]^(١) ، كذلك قالت عائشة ، وقد قيل : إن أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، وسندك فيما يرد من هذا الكتاب جملاً من أيامهم ومقادير ولايتهم ، وكذلك نورد فيما يرد^(٢) في هذا الكتاب - بعد ذكرنا لأيام بني أمية وبني العباس - باباً نذكر فيه جامع التاريخ الثاني من الهجرة إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - في خلافة أبي إسحاق المتقي لله ، أو بعد ذلك من الأوقات إلى حيث ينتهي بنا التصنيف ، وما ذكره أصحاب الزيجات في النجوم ، وما أرخوه في مقادير السنين والشهور والأيام [والخلاف بينهم وبين] تاريخ أصحاب السير والأخبار [وكتب التاريخ من الأخباريين] وغيرهم ؛ إذ كان التفاوت بين الفريقين يئناً ، ومَعَوْلنا في ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات .

(١) لا يوجد هذا الكلام في ب. ولعل الصواب « رأسه عند كتف - إلخ »

(٢) في ب « وكذلك نورد بعد ما نورد في هذا الكتاب » عرفا عما أثبتناه

ذکر نسبہ ، ولمع من أخبارہ وسیرہ

نسبہ کان اسم أبی بکر رضی اللہ عنہ عبد اللہ بن عثمان - وهو أبو قحافة^(۱) - بن عامر بن عمرو بن کعب بن سعد بن تميم بن مرثدة بن کعب ، وفي مرة يجتمع برسول^(۲) اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ، ولقبه عتيق ؛ لبشارة رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم [إياه] أنه عتيق اللہ من النار ، فسمى يومئذ عتيقاً [وهو الصحيح] وقيل : إنما سمي عتيقاً لعتق أمهاته ، واستخاف وأبوه في الحياة .

صفاته وكان أزهد الناس ، وأكثرهم تواضعاً في أخلاقه ولباسه ومطعمه [ومشربه] وكان لبسه في خلافته الشمة والعباءة .

تواضعه وزهده ونسكه وقدم إليه زعماء العرب وأشرفهم وملوك اليمن وعليهم الخليل [والخبر] وبرود الوشي المتقل بالذهب والتيجان ، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك ، وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم .

وفود العرب إليه وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ، ومعه ألف عبد دون من كان [معه] من عشيرته ، وعليه التاج وما وصفنا من البرود والخليل ، فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزياً بزيه ، حتى إنه روى يوماً في سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ، ففرغت عشيرته [لذلك] وقالوا له : [قد] فضحتنا بين المهاجرين والأنصار ، قال : أفأردتم [منى] أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية جباراً في الإسلام ، لاها الله ، لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا ، وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر ، وتذلوا بعد التجبر .

(۱) سقط هذا الاسم من ب (۲) في ا « وفي مرة يجتمع مع نسب رسول الله »

(۲۰ - صروج الذهب ۲)

بين أبي بكر وأبي سفيان وبلغ أبا بكر رضي الله عنه عن أبي سفيان صخر بن حرب أمراً، فأحضره وأقبل بصيحه عليه، وأبوسفيان يتملقه ويتذلل له، وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر، فقال لقائده: على من يصيح ابني؟ فقال له: على أبي سفيان، فدنا من أبي بكر وقال له: أعلَى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق [الله؟ وقد كان بالأمس سيد قريش في الجاهلية] ^(١) [لقد تعدت طورك وجزت مقدارك] ^(٢) فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار، وقال له: يا أبت، إن الله قد رفع بالإسلام قوماً وأذل به آخرين.

ولم يتقلد [أحد] الخلافة وأبوه باقٍ غير أبي بكر.

نسب أمه وأم أبي بكر سلمى - وتكنى: أم الخير - بنت صخر بن عمرو بن عامر ابن كعب بن سعد بن تميم بن مرة .
وارتدت العرب بعد استخلافه بعشرة أيام .

أولاده وكان له من الولد: عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد؛ فأما عبد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم فلحقته جراحة وبقي إلى خلافة [أبيه] أبي بكر، ومات في خلافته، وخلف سبعة دنائير، فاستكثرها أبو بكر، ولا عقب لعبد الله؛ وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه شهد [يوم بدر] مع المشركين، ثم أسلم فحسن إسلامه، ولعبد الرحمن أخبار، وله عقب كثير بدو وحضر في ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف بالصفينيات والمسح، ومحمد بن أبي بكر، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ومنها عقب جعفر بن أبي طالب، وخلف عليها حين استشهد عبد الله ^(٣) وعونا ومحمداً بنى جعفر، فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين بن علي، ولا عقب لها، وعقب [جعفر عن عبد الله بن جعفر،

(١) هذه الزيادة في ا وحدها . (٢) هذه الزيادة في ب وحدها

(٣) كذا والصواب ه وخلف عليها (أبو بكر) حين استشهد جعفر، وقد ولت لجعفر عبد الله وعونا ومحمداً أبناء جعفر، وانظر الإصابة في ترجمة أسماء بنت عميس

وولد لـ [(١) عبد الله بن جعفر : علي وإسماعيل وإسحاق ومعاوية ، وتزوجها بعده أبو بكر الصديق ، خلف منها محمدا ، ثم تزوجها علي بن أبي طالب فأولدها أولاداً [دَرَجُوا] ، ولا عقب له منها ، وأم أسماء العجوز الحريشية كان لها أربع بنات ، وهذه العجوز أكثر الناس أصهاراً (٢) ، كانت ميمونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب ، وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب ، وخالف منها بنتاً ، وأسماء تحت من ذكرنا [من جعفر وأبي بكر وعلي ، والعقب من محمد بن أبي بكر قليل] (٣) ، وأم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر [الصديق] . وكان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قریش لنسكه وزهده ، وربَّاه علي بن أبي طالب ، وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله في أخبار معاوية بن أبي سفيان (٤) .

ومات أبو قحافة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ! وهو ابن تسع وتسعين سنة ، وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهي السنة التي استخلف فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد قيل : إنه مات في سنة أربع عشرة .

ولما بويع أبو بكر في يوم السَّقِيفَةِ وجدَّت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج علي فقال : أفسدت (٥) علينا أمورنا ، ولم تستشر ، ولم ترزع لنا حقاً ، فقال أبو بكر : بلى ، ولكنني خشيت الفتنة ، وكان للمهاجر بن والأنصار يوم السَّقِيفَةِ خطب طويل ، ومجازبة في الإمامة (٥) ، وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع ،

(١) زيادة عن اوحدها .

(٢) في ا « وهذه العجوز أكرم الناس أصهاراً » وهي أنسب بما بعده .

(٣) في ب « في أيام معاوية بن أبي سفيان » .

(٤) في ا « افتت علينا أمرنا » ووقع محرفاً فيها « افتت علينا أمرنا » .

(٥) في ب « محادثة في الإمامة » وما هنا أحسن .

فصار إلى الشام ، قتل هناك في سنة خمس عشرة ، وليس كتابنا هذا موضعاً
لخبر مقتله ، ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها .

ولما أرادت العرب إلا أهل المسجدين^(۱) ، وَمَنْ بَيْنَهُمَا وَأُنَاسًا مِنَ الْعَرَبِ ؛
قدم عدی بن حاتم بإبل الصدقة^(۲) إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه ؛ ففي ذلك
يقول الحارث بن مالك الطائي :

عدی بن حاتم
الطائي

وَفِينَا وَفَاءَ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ وَسَرُّ بَلَدِنَا مِجْدًا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد سمته اليهود في شيء من الطعام ، وأكل
معه الحارث بن كلدة فعوى ، وكان السم لسنة ، ومرض أبو بكر قبل وفاته
بخمسة عشر يوماً .

عنه

ولما احتضِرَ قال : ما آسى^(۳) [على شيء] إلا على ثلاث فعلتها ووددت
أني تركتها ، وثلاث تركتها ووددت أني فعلتها ، وثلاث ووددت أني سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ؛ فأما الثلاث التي فعلتها ، ووددت أني
تركتها فوددت أني لم أكن قد قذفت بيت فاطمة ، وذكر في ذلك كلاماً
كثيراً ، ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجحاً أو قتله
صريحاً ، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت^(۴) الأمر في عنق أحد
الرجلين فكان أميراً وكنت وزيراً ، والثلاث التي تركتها ووددت أني
فعلتها ووددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه ؛ فإنه قد
خيل لي أنه لا يرى شرّاً إلا أعانه ، ووددت أني كنت قد قذفت المشرق
بعمر بن الخطاب ، فكنت قد بسطت يميني وشمالى في سبيل الله ، ووددت
أنى يوم جهّزت جيش الردة ورجعت أقتم مكاني فإن سلم المسلمون سلموا ،
وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مدداً ، وكان أبو بكر قد بلغ مع

كلام له

(۱) في ب « إلا أهل المستنجدين ومن بينهما » محرفاً .

(۲) في ب « بأهل الصدقة » محرفاً .

(۳) في ب « ما أنا على شيء » محرفاً . (۴) في ب « رميت الأمر »

الجيش إلى مرحلة من المدينة ، وهو الموضع المعروف بذي القصة ، والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها [ووددت أني كنت سألته في من هذا الأمر ؛ فلا ينازع الأمر أهله ، و^(١) وددت أني سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ فإن بنفسى منهما حاجة ، ووددت أني سألته هل للأنصار في هذا [الأمر] نصيب فنعطيتهم إياه .

وخلف من البنات : أسماء ذات النطاقين ، وهي أم عبد الله بن الزبير ، وعمرت مائة سنة حتى عميت ، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد تنوزع في بيعة علي بن أبي طالب إياه : فمنهم من قال : بايعه بعد موت فاطمة بعشرة أيام ، وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوماً ، وقيل : بثلاثة أشهر ، وقيل : ستة ، وقيل غير ذلك .

ولما أنفذ أبو بكر الأمراء إلى الشام كان فيما أوصى به يزيد بن أبي سفيان وهو مُشيع له ، فقال له : إذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده ، وإذا وعدت فأجز ، ولا تكثرن عليهم الكلام ، فإن بعضه ينسى بعضاً ، وأصاح نفسك يصلح الناس لك ، وإذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم^(٢) ، فإنه أول خيرك إليهم ، وأقلل حبسهم^(٣) حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت الذي تلي كلامهم ، ولا تجعل شرك مع عاليتك^(٤) فيمخرج عملك ، وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ، ولا تكلم المستشار فتوثي من قبل نفسك ، وإذا بلغك عن العدو عورة فاکتمها حتى تعانها ، واستر في عسكريك [الأخبار] وأذك حرسك ، وأكثر مفاجأتهم في ليك ونهارك ، وأصدق اللقاء إذا لقيت ، ولا تجبن فيجبن من سواك .

(١) زيادة ليست في ب ولا تم الثلاثة إلا بذكرها .

(٢) في ا ه فأكرم مشوام . (٣) في ب ه وأقلل جلوسهم .

(٤) في ا ه فيمخرج أمرك وفي ب فيمخرج عملك وكلاهما تحريف .

التنبؤون

وقد أعرضنا عن ذكر كثير من الأخبار في هذا الكتاب طلباً للاختصار والإيجاز : منها خبر العنسي الكذاب^(۱) المعروف بعيهله ، وما كان من خبره باليمن وصنعاء ، وتنبئه ومقتله ، وما كان من فيروز ، وغيره من الأنبياء في أمرهم ، وخبر طليحة وتنبئه ، وخبر سجاح بنت الحارث بن سويد ، وقيل : بنت غطفان وتكنى أم صادر^(۲) ، وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم :

أضحت نبينا أنتي نظيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكراً
وفيهما يقول الشاعر :

أضل الله سعيَ بني تميم كما ضلت بخطبتها سجاح
وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلة الكذاب ، ثم آمنت
بنبوته ، وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنه تزعم أن سبيلها سبيل سطيح
[وابن سلمة] والمأمون الحارثي ، وعمرو بن لُحَيَّ^(۳) ، وغيرهم من الكهان ،
وصارت إلى مسيلة فنكحها ، وما كان من خبر مسيلة كذاب اليمامة ،
وحر به لخالد بن الوليد ، وقتل وَحْشِيَّ له مع رجل من الأنصار ، وذلك
في سنة إحدى عشرة ، وما كان من أمره مع الأنصار في يوم سقيفة
بني ساعدة والمهاجرين ، وقول المنذر بن الحُبَاب : أنا جُذَيْلُهَا المحمك
وَعُدَيْقُهَا المرَجَب ، أما والله إن شتمت لنعيدنَّهَا جَدْعَةَ ، وقصة
سعد بن عبادة ، وما كان من بشر بن سعد^(۴) ، وتخلي الأوس عن
معاذة سعد خوفاً أن يفوز^(۵) بها الخزرج ، وأخبار من قعد عن البيعة
ومن تابع ، وما قالت بنو هاشم ، وما كان من قصة فدك ، وما قاله

(۱) في ب « لعيسى الكذاب المعروف بأهيلة » محرفاً .

(۲) في ب « وتكنى أم صادر » . (۳) في ب « وعمرو بن يحيى »

(۴) في ا « بشر بن سعد » .

(۵) في ب « أن يفوز » بغير معجمة وآخره راء مهملة - محرفاً .

أصحاب النص والاختيار في الإمامة ، وَمَنْ قَالَ بِإِمَامَةِ الْمَفْضُولِ وَغَيْرِهِ ،
وَمَا كَانَ مِنْ فَاطِمَةَ وَكَلَامِهَا مُتَمَثِّلَةً حِينَ عَدَلْتَ إِلَى قَبْرِ أَبِيهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ
مِنْ قَوْلِ (١) صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :
قَدْ كَانَ بِعَدِكَ أَنْبَاءٌ وَهَيْئَةٌ لَوْ كُنْتَ شَاهِدًا لَمْ تَكْثُرِ الْخُطْبُ (٢)
إِلَى آخِرِ الشُّعْرِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَرَكْنَا ذِكْرَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي هَذَا
الْكِتَابِ ؛ إِذْ كُنَّا قَدْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ « أَخْبَارِ الزَّمَانِ »
وَالْكِتَابِ الْأَوْسَطِ ، فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِهِ هَاهُنَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) فِي ب « مِنْ قَبْرِ صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ » .

(٢) فِي ب « قَدْ كَانَ بِعَدِكَ أَنْبَاءٌ وَهَيْئَةٌ » مَحْرَفًا .

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

موجز

وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا ، فأقام الحج في تلك السنة ، ثم أقبل حتى دخل المدينة ، فقتله فيروز أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة [تمام] (١) سنة ثلاث وعشرين ؛ فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليالٍ ، وقتل في صلاة الصبح ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إن قبورهم مسطرة : أبو بكر إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر إلى جنب أبي بكر ، وحج في خلافته تسع حجج ، وبعد أن قتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف ، وجعلها شورى إلى ستة ، وهم : علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وصلى عليه صهيب الرومي ، وكانت الشورى بعد [هـ] ثلاثة أيام .

(١) زيادة في اوحدها .

ذكر نسبه ولامع من أخباره وسيره

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط^(١) بن رباح بن عبد الله
ابن رزاح^(٢) بن عدى بن كعب ، وفي كعب يجتمع نسبه مع [نسب] النبي صلى
الله عليه وسلم ، وأمه حنتمة بنت هشام^(٣) بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
وكانت سوداء ، وإتنامسى الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل ، وكنيته
أبو حفص ، وهو أول من سمي بأمير المؤمنين ، سماه عدى بن حاتم ، وقيل غيره ،
والله أعلم ، وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة ، وأول من دعاه بهذا
الاسم على المنبر أبو موسى الأشعري [وأبو موسى أول من كتب إليه : لعبد الله
عمر أمير المؤمنين ، من أبي موسى الأشعري] فلما قرىء ذلك على عمر قال :
إني لعبد لله [وإني لعمر]^(٤) وإني لأمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين .

وكان متواضعاً ، خشن اللبس ، شديداً في ذات الله ، واتبعه عماله في سائر
أفعاله وشيمه وأخلاقه ، كل يتشبه به ممن غاب أو حضر ، وكان يلبس الجبة
الصوف المرقعة بالأديم [وغيره]^(٥) ، ويشتمل بالعباءة ، ويحمل القربة على كتفه
مع هبة قد رزقها ، وكان أكثر ركابه الإبل ، ورَحَله مشدودة بالليف ،
وكذلك عماله ، مع ما فتح الله عليهم من البلاد وأوسعهم من الأموال .

وكان من عماله سعيد^(٥) بن عامر [بن خريم] فشكاه أهل حمص إليه وسأله

(١) هكذا ورد في أصول الكتاب ، والذي في الإصابة أنه عمر بن الخطاب بن
نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ، وفي
أصول هذا الكتاب أن اسم أمه « خيثة » وهو تصحيف ، والتصويب عن
الإصابة (٤ : ٢٧٩) . (٢) في « رزام » بالميم .

(٣) ويقال : حنتمة بنت هاشم بن المغيرة . (٤) زيادة في أوحدتها

(٥) في ب « سعد بن عامر » ولم يذكر في « بن خريم » .

عزله ، فقال عمر : اللهم لا تُقِلِّ فراستي فيه ^(۱) اليوم [وقال لهم] : ماذا تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ، ولا يجيب أحداً بليل ، وله يوم في الشهر لا يخرج إلينا ، فقال عمر : على به ، فلما [جاء] جمع بينهم وبينه ، فقال : ماتنعمون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ، فقال : ماتقول ياسعيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس لأهلي خادم ، فأعجن عجيني ، ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ وأخرج إليهم ، قال : وماذا تنعمون منه ؟ قالوا : لا يجيب بليل ، قال : قد كنت أكره أن أذكر هذا ، إني جعلت الليل كله لربي ، وجعلت النهار لهم ، قال : وماذا تنعمون منه ؟ قالوا : له يوم في الشهر لا يخرج إلينا فيه ، قال : نعم ، ليس لي خادم فأغسل ثوبي ثم أجففه فأمسى ؛ فقال عمر : الحمد لله الذي لم يقل فراستي فيك ، يا أهل حمص ، استوصوا بواليكم خيراً ، قال : ثم بعث إليه عمر بألف دينار ، وقال : استعن بها ، فقالت له امرأته : قد أغنانا الله عن خدمتك ، فقال لها : ألا ندفعها إلى من يأتينا بها أخوج ما كنا إليه ؟ قالت : بلى ، فصرَّها صرراً ثم دفعها إلى من يثق به ، وقال : انطلق بهذه [الصرة] إلى فلان ، وبهذه إلى يقيم بني فلان ، وهذه إلى مسكين بني فلان ، حتى بقي منها شيء يسير ، فدفعه إلى امرأته ، وقال : أنفق هذا ، ثم عاد إلى خدمته ، فقالت له امرأته : ألا تبعث إلى بذلك المال فنشترى لنا منه خادماً ؟ فقال : سيأتيك أخوج ما تكونين إليه .

سلمان الفارسي ومن عماله على المدائن سلمان الفارسي ، وكان يلبس الصوف ، ويركب الحمار يردعته بغير إكاف ، ويأكل خبز الشعير ، وكان ناسكاً زاهداً ، فلما احتض بالمدائن قال له سعد بن وقاص : [أوصني] يا أبا عبد الله [قال : نعم] قال : - - - الله عندهمك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت ، فجعل

(۱) في ب ه اللهم لا تقل فراستي فيهم .

سلمان يبكي ، فقال له : يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون » وأرى هذه الأساودة حولي ، فنظروا فلم يجدوا في البيت إلا إداوة^(۱) وركوة ومطهرة .

وكان عامله على الشام أبا عبيدة بن الجراح ، وكان يظهر للناس وعليه أبو عبيدة الصوف الجاني ، فعذل على ذلك ، وقيل له : إنك بالشام و [والى] أمير المؤمنين^(۲) و حولنا الأعداء ، فغير من زيك ، وأصلح من شارتك^(۳) ، فقال : ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر الواقدي في كتابه في فتوح الأمصار أن عمر قام في المسجد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم دعاهم إلى الجهاد وحضهم عليه^(۴) وقال : إنكم قد أصبحتم في غير دار مقام بالحجاز ، وقد وعدكم النبي صلى الله عليه وسلم^(۵) فتح بلاد كسرى وقيصر ؛ فسيروا إلى أرض فارس ، فقام أبو عبيدة^(۶) فقال : يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس ، فلما انتدب أبو عبيدة انتدب الناس ، وقيل لعمر : أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الأنصار ، فقال : لا أؤمر عليهم إلا أول من انتدب فأمر أبو عبيدة ، وفي حديث آخر أنه قيل له : أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والأنصار ؟ فقال : كان أول من انتدب فوليته ، وقد أمرته أن لا يقطع أمر أدون مسألة بن أسلم بن حريش^(۷) وسليط بن قيس ، وأعلمته أنهما من أهل بدر ، وخرج فلقي جميعاً من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس ، فانهزم ، وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات ، وغدله بعض الدهاقين جسراً ، فلما خلف الفرات

(۱) في ب « إداوة » (۲) في ا « وأمر الجيش » (۳) في ا « وأصلح من آلتك »

(۴) في ا « وحضهم عليه » . (۵) في ا « وقد وعدكم الله » .

(۶) في ا « قام أبو عبيدة بن مسعود » ووقع في ب « أبو عبيدة » هنا وفي كل

ما يأتي ، والصواب ما في ا .

(۷) في ب « بن حويس » وهو خطأ ، والتصويب عن سيرة ابن إسحاق .

وفي ا « بن جريش » .

وراءه أمر بقطع الجسر ، فقال له مسلمة بن أسلم : أيها الرجل ، إنه ليس لك علم بما نرى ، وأنت تخالفنا ، وسوف يهلك من معك من المسلمين بسوء سياستك ، تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحارى والبرارى [فلا تريد إلا أن تهلكهم في هذه القطعة] فقال : أيها الرجل ، تقدم فقاتل فقد حُمَّ ما ترى ، وقال سليط : إن العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ، ولا كان لهم بقتالهم عادة ، فاجعل لهم ملجأ ومرجعاً من هزيمة إن كانت ، فقال : والله لافعلت جُبنت ياسليط ، فقال سليط : والله ما جنت ، وأنا أجزأ منك نفساً وقبيلاً ، ولكن والله أشرتُ بالرأى ؛ فلما قطع أبو عبيد الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب إلى الفيلة عليها التجيايف فرأوا شيئاً لم يروا مثله قط ، فانهزم الناس جميعاً ، ثم مات في الفرات أكثر ممن قتل بالسيف ، وخالف أبو عبيد سليطاً ، وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه ، وكان رأى سليط أن لا يعبر حتى يعبروا إليه ^(۱) ، ولا يقطع الجسر ، فخالفه ، وقال سليط في بعض قوله : لولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ، ولكنى أسمع وأطيع ، وإن كنت قد أخطأت وأشركنى عمر معك ، فقال له أبو عبيد : تقدم أيها الرجل ، فقال : افعل ، فتقدما فقتلا جميعاً ، وقد كان أبو عبيد في هذا اليوم ترجل ، وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف ، فدنا من الفيل ورمحه في يده فطعنه في عينه ، فخبط الفيل أبا عبيد ^(۲) بيده ؛ وجال الناس ، وتراجعت رجال فارس ^(۳) ، فأخذ الناس السيف لما قتل أبو عبيد ، وبادر رجل من بكر بن وائل [والمثنى بن حارثة] ^(۴) فحصى الناس حتى عقدوا

(۱) وقع في ب « ألا يغير حتى يغيروا عليه » .

(۲) في ب « فقتل الفيل أبا عبيد بيده » .

(۳) في ا « وجال المسلمون وتراجعت فلال فارس » .

(۴) لا يوجد هذا الاسم في ا .

الجسر فعبروا ومعهم المئتي حارثة ، وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقاً وقتلاً ، وكان على جيش فارس في هذا اليوم جاذويه ، ومعها راية فارس التي كانت لأفريدون ، حتى ثار الناس من الوهاد^(١) ، وهي المعروفة بدرفش كاويان^(٢) وكانت من جلود النمر طولها اثناعشر ذراعاً في عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل ، وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها في الأمر الشديد ، وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية في أحبار الفرس الأولى فيما سلف من هذا الكتاب .

ولما قتل أبو عبيد الثقفي بالجسر شق ذلك على عمرو وعلى المسلمين ، فخطب عمر الناس وحثهم على الجهاد ، وأمرهم بالتأهب لأرض العراق ، وعسكر عمر [بصرار] وهو يريد الشخص ، وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله ، وعلى يمينته الزبير بن العوام ، وعلى يسرته عبد الرحمن بن عوف ، ودعا الناس ، فاستشارهم فأشاروا عليه بالسير ، ثم قال لعلي : ما ترى يا أبا الحسن ، أسير أم أبعث ؟ قال : سر بنفسك فإنه أهيب العدو وأرهب له ، فخرج من عنده ، فدعا العباس في جلة من مشيخة قريش وشاورهم ، فقالوا : أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين إن انهزموا فئة ، وخرجوا ، فدخل إليه عبد الرحمن بن عوف ، فاستشاره ، فقال عبد الرحمن : فدبت بأبي وأمي ، أقم وابعث ؛ فإنه إن انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك ، وإنك إن تهزم أو تُقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً ، قال : أشر عليّ من أبعث ؟ قال : قلت : سعد بن أبي وقاص ، قال عمر : أعلم أن سعداً رجل شجاع ، ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب ، قال عبد الرحمن : هو على ما نصف من الشجاعة ، وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرأفأعهد إليه وشاورنا فيما أردت أن تحدث إليه ؛ فإنه لن يخالف أمرك ، ثم خرج فدخل عثمان عليه ، فقال له : يا أبا عبد الله

(١) في « حتى ثار الناس بالدهاك »

(٢) في ب « وهي المعروفة بدرفش كاسان » .

أشعر على أسير أم أقيم؟ فقال عثمان: أقم يا أمير المؤمنين وابعث بالجيوش، فإنه لا آمن إن أتى عليك آتٍ أن ترجع العرب عن الإسلام، ولكن ابعث الجيوش وداركها بعضها على بعض، وأبعث رجلاه تجربة بالحرب وبصربها، قال عمر: ومن هو؟ قال: علي بن أبي طالب، قال: فالفقه وكلمه وذاكره ذلك، فهل تراه مسرعاً إليه أو لا، فخرج عثمان فلقى علياً فذاكره ذلك، فأبى على ذلك وكرهه، فعاد عثمان [إلى عمر] فأخبره، فقال له عمر: ومن ترى؟ قال: سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل: قال: ليس بصاحب ذلك، قال عثمان: طلحة بن عبيد الله، قال له عمر: أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل، ولكنني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب؟ قال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: سعد ابن أبي وقاص، فقال عثمان: هو صاحب ذاك؛ ولكنه رجل غائب [وما معنى من ذكره إلا أني قلت: رجل غائب] في عمل، فقال عمر: أرى أن أوجهه، وأكتب إليه أن يسير من وجهه ذلك، فقال عثمان: ومُرّه فليشاور قومًا من أهل التجربة والبصر بالحرب، ولا يقطع الأمور حتى يشاورهم، ففعل عمر ذلك وكتب إلى سعد بالتوجه نحو العراق.

وقد كان جرير بن عبد الله البجلي قدم على عمر وقد اجتمعت إليه بجيلة فسرّحهم نحو العراق، وجعل لهم ربع ما ظهروا^(۱) عليه من السواد، وسأهمهم مع المسلمين، وخرج عمر فشيّعهم، ولحق جرير بناحية الأبدلة ثم صاعد إلى ناحية المدائن^(۲)، ونمى قدوم جرير إلى مرزبان المدائن وكان في عشرة آلاف [من فارس] من الأساورة، وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبي عبيد وسليط، فقال بجيلة لجرير: اعبر الدجلة إلى المدائن، فقال جرير: ليس ذلك بالرأي، وقد مضى لكم في ذلك عبرة بمن قتل من أخوانكم يوم الجسر، ولكن أمهلوا القوم؛ فإن جمعهم كثير حتى يعبروا إليكم، فإن فعلوا فهو الظفر إن شاء الله تعالى، فأقامت

(۱) في ب « وجعل لهم ربعاً فظهروا عليه » . (۲) في « ناحية المزار »

الفرس أياماً بالبدائن ، ثم أخذوا في العبور ، فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن تَسَرَّعَ معه من بجيلة ، فثبتوا ساعة ، فقتل المرزبان ، وأخذهم السيف ، وغرق أكثرهم في دجلة ، وأخذ المسلمون ما كان في عسكرهم ، وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالبجيلة^(١) ، فأقبل إليهما مهران في جيوشه ، فامتنع المسلمون من العبور إليهم ، فعبر مهران [وبغى على المسلمين ؛ فالتقوا وصبر الفريقان جميعاً حتى قتل مهران] قتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ، ضربه البجلي ، وطعنه الضبي ، وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان في أيهما القاتل لمهران ، وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ، وحسان في ذلك أبيات:

ألم ترني خالستُ مهران نفسه بأثمرَ فيه كالخلال طرير
[نخر صريعاً والتقاني برجله] وبادر في رأس الهمام جرير^(٢)
فقال : قتيل ، والحوادث حمة ، وكاد جرير للسرور يطير [
[فقال أبو عمرو : وقتلي قتلته ومثلي قليل والرجال كثير [
[فأرسيلُ يميناً أن رحمك ناله وأكرم أن تحلف وأنت أمير [

وقد تنازع أهل الأخبار والسير في جرير والمثنى : فمن الناس من ذهب إلى أن جريراً كان [هو] المولى على الجيش ، ومنهم من رأى أن جريراً على قومه والمثنى على قومه .

ولما قتل مهران أعظمت الفرس ذلك ، وسار شيرازاد في جمع فارس الأعظم وكنيته بوران ؛ وقد كانت جمهرة الأساورة تقدمت ونقدم أمامهم رستم ، فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره ، فلحق جرير بكازمة فنزلها ، وسار المثنى بقومه من بكر بن وائل فنزل بسيراف ، وبها آبار كثيرة بين الكوفة^(٣) وزباله على ثلاثة

(١) في ١ « بالبجيلة » . (٢) لا توجد هذه الأبيات في أوليست بذلك

(٣) في ب « وبها آثار كثيرة وهي من الكوفة على ثلاثة » .

أميال من المنزل المعروف بواقصة ، وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة في بدنه يوم الجسر وغيره فمات بسيراف ، رحمه الله تعالى ! .

والاورد كتاب عمر على سعد بن أبي وقاص نزل زبالة على حسب ما أمره به عمر ، ثم أتى سيراف ، وأتاه الناس من الشام وغيرها ، ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلي القادسية ، فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعاليهم رستم ، والمسلمون يومئذ في ثمانية وثمانين^(۱) ألفاً [وقيل : إن من أسهم له ثلاثون ألفاً]^(۲) والمشركون في ستين ألفاً ، أمام جيوشهم الفيلة عليها الرجال ، وحرص الناس بعضهم بعضاً ، وبرز أهل النجدات ، فأشبوا القتال ، وخرج إليهم أقرانهم من صناديد فارس ، فاعتوروا الضرب والطعن ، وخرج غالب بن عبد الله الأسدي في [من خرج] ذلك اليوم وهو يقول :

سعد بن أبي
وقاص

قد علمت واردة المسالح ذات البنان واللبان الواضح^(۳)

أنى سمامُ البطل المشايخ وفارج الأمر المهم الفادح^(۴)

نخرج إليه هرمز — وكان من ملوك الباب والأبواب ، وكان متوجاً — فأسره غالب [أسراً] ، فأتى به سعداً ، وكر راجعاً إلى المطاردة ، وحي الوطيس ، وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللجين يتغشاه الذهب

أنى امرؤ لا من يعنيه السبب [مثلى على مثلك يغريه العتب]^(۵)

فبرز إليه عظيم من أساورتهم ، فجالا ، ثم إن الفارسي ولى ، واتبعه عاصم حتى لجأ إلى صفوفهم ، وعموه ، وغاص عاصم بينهم حتى أيس الناس منه ، ثم خرج في مجنبات القلب ، وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة ،

(۱) في ا « في ثمانية وثلاثين ألفاً » . (۲) ما بين المعقوفين ساقط من ا

(۳) في ب « ذات البيان واللسان الواضح » محرفاً .

(۴) في ب « أنى سنام البطل » وفيها « وفادح الأمر » وفي ا « وفارج الأمر »

(۵) في ا « لا من يعنيه النسب » وسقط منها ما بين المعقوفين .

فأتى به سعد [بن مالك]^(۱) وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقانسوة مذَهَبَةٌ، وإذا هو خباز الملك، وفي الصناديق اطائف الملك من الأخبصة والعسل المعقود، فلما نظر إليه سعد قال : انظّموا [به] إلى أهل مَوْقِفِهِ، وقولوا : إن الأمير قد نَفَلَكم^(۲) هذا فكلوه [فنعلموا] .

وكانت وقعة القادسية في المحرم سنة أربع عشرة، ومال [من الفيلة] سبعة أيام القادسية عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا، وعلى الفيلة تجافيف الحديد والقرون مجللة بالديباج والحرير نحو بحيلة، وحول الفيلة الرجال والخيول، فبعث [سعد] إلى بني أسد لما نظر إلى المراكب والفيول قد مالت إلى بحيلة، فأمرهم بمعوتهم، ومالت عشرون فيلا نحو القلب، فخرج طلحة بن خويلد الأسدي مع فرسان بني أسد [فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم]^(۳) فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها، واشتد الجِلَادُ على بني أسد في هذا اليوم من سائر الناس، وهذا اليوم يعرف بيوم أغوات .

فلما أصبح الناس في اليوم الثاني أشرف على الناس خيول المسلمين من الشام، والأمداد سائرة قد غطت بأسننها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خمسة آلاف فارس من بني ربيعة ومضر وألف من اليمن، ومعهم القعقاع بن عمرو، وذلك بعد فتح دمشق بشهر، وقد كان عمر رضی اللہ عنہ كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد إلى العراق، ولم يذكر في كتابه خالدًا، فشح أبو عبيدة^(۴) بتخليه خالد عن يده، وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ما ذكرنا، وقد كان في نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبي بكر في قصة مالك بن نويرة، وغير ذلك، وكان خالد بن الوليد

(۱) زيادة في ب « ومالك اسم والد سعد بن أبي وقاص » .

(۲) في ا « إن الأمير قد أرسل لكم هذا » .

(۳) هذه الزيادة عن ب وحدها . (۴) في ا « فسح أبو عبيدة »

خال^(۱) عمر ، فتقدم القعقاع فی أوائل المدد ، فأبقن أهل القادسية بالذعر علی فارس ، وزال عنهم ما لحقهم بالأمن من القتل والجراح ، وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادی : هل من مبارز؟ فبرز إليه عظیم منهم ، فقال له القعقاع : من أنت؟ قال : أنا بهم بن جاذویه ، وهو انعروف بذي الحاجب ، فنادی القعقاع : بالثارات أبي عبيدوسليط وأصحابهم يوم الجسر !! وقد كان ذو الحاجب مبارزاً لهم علی ما ذكرنا من قتله إياهم ، فجالا ، فقتله القعقاع ، ويقال : إن القعقاع قتل فی ذلك اليوم ثلاثين رجلاً فی ثلاثين حملة ، كل حملة يقتل فيها [رجلاً] ، وكان آخر من قتل عظيماً من عظمائهم يقال له بزرجهر ، ففيه يقول القعقاع :

حَبَوْتُهُ جَيَّاشَةً بِالنَّفْسِ هَدَّارَةً مِثْلَ شِعَاعِ الشَّمْسِ^(۲)
فِي يَوْمِ أَغْوَاثِ قَتِيلِ الْفَرَسِ أَنَحْسُ بِالْقَوْمِ أَشَدَّ نَحْسِ^(۳)

حتى يفيض معشري ونفسي

وبارز في ذلك اليوم الأعور بن قطبة شهبان سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه [فقال أخو الأعور في ذلك :

لم أر يوماً كان أحلى وأمر من يوم أغواث إذا افتّر الثغر
من غير ضحك كان أسوا وأبر^(۴)

واعتل سعد فتخلف في حصن العذيب ، وجلس في أعلاه يشرف علی

(۱) في ب « وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر » وهو لا أصل له فأصلهنا كما ترى ؛ لأن خالداً هو ابن الوليد بن المغيرة ، وأم عمر هي حنمة بنت هشام (أو هاشم) بن المغيرة ؛ فخالد ابن عم أم عمر ؛ فهو خال عمر بنوع من التجوز ووقع في ا « ابن خالة عمر » .

(۲) في ا « حبوته جياشة » وفي ب « جياشة » وفي نسخة عند ا « هذارة » .

(۳) في ا « في يوم أغواث قتل العرس » أنحس . . . النحس » .

(۴) سقط هذا من ا ، وهو في ب موافقاً لما في تاريخ الطبري .

الناس ، وقد توافق الفريقان جميعاً ، وأمسى الناس ينتمون ، فلما سمع ذلك سعد قال لمن كان عنده في أعلى القصر : إن تم^(۱) الناس على الالتئاء فلا توقظوني فإنهم أقوياء على عدوهم ، وإن سكتوا فأيقظوني فإن ذلك شر ، واشتد القتال في الليل .

أبو محجن
الثقفي

وكان أبو محجن الثقفي محبوساً في أسفل القصر ، فسمع اتئاء الناس إلى آبائهم وعشائرتهم ، ووقع الحديد وشدة البأس ، فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف ، فحبا حتى^(۲) صعد إلى سعد يستشفعه ويستقبله ، ويسأله أن يخلي عنه ليخرج ، فزجره سعد وردّه ، فأنحدر راجعاً ، فنظر إلى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيباني ، وقد كان سعد تزوجها بعده ، فقال : يا بنت حفصة ، هل لك في خير ؟ فقالت : وما ذاك ؟ قال : تخاين عني وتعيريني باللقاء والله عليّ إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في القيد ، فقالت : وما أنا وذلك ؟ فرجع يرسف في قيده وهو يقول :

كفي حزنًا أن ترتدى الخيل بالقنًا وأترك مشدوداً على وثاقيا^(۳)
إذا قت عناني الحديد فأغلقت مصاريع من دوني تُصمُّ المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة فقد تركوني واحداً لا أخاليا
فله عهد لا أخيسُ بعده لئن فرجت أن لأزور الحوانيا

فقالت سلمى : إني استخرت الله ورضيت بمهدك ، فأطلقته ، وقالت : شأنك وما أردت ، فافتاد بقاء سعد ، وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق ، فركبها ثم دب عليها ، حتى إذا كان بحيال ميمنة المساهين كبر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمح وسلاحه بين الصفين ، فأوقف ميسرتهم وقتل رجالاً كثيراً من قنّاهم ، ونكس آخرين ، والفريقان يرمقونه بأبصارهم ، وقد تنوزع في اللقاء

(۱) في ا « إن تمادى الناس » . (۲) في ا « فجأ حق صعد » .

(۳) في ا « كفي حزنًا أني أرى الخيل » وفي الطبري « أن تردى الخيل »

وفي ديوان أبي محجن « أن تطعن الخيل بالقن » .

فمنهم من قال : إنه ركبها عُرْبًا ، ومنهم من قال : بل ركبها بسَرْجٍ ، ثم غاص في المسلمين ، فخرج في ميسرتهم ، وحمل على ميمنة القوم فأوقفهم ، وجعل يلعب برمح وسلاحه لا يبدوله^(١) فارس إلهتك ، فأوقفهم ، وهابته الرجال ، ثم رجع ففاص في قلب المسلمين ، ثم برز أمامهم ووقف بإزاء قلب المشركين ، ففعل مثل أفعاله في اليمنة والميسرة ، وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس إلا اختطفه ، وحمل عن المسلمين الحرب ، فتعجب الناس منه ، وقالوا : من هذا الفارس الذي لم نَرَهُ في يومنا^(٢) ؟ فقال بعضهم : هو من قدم علينا من إخواننا من الشام من أصحاب هاشم بن عتبة المرِّ قال ، وقال بعضهم : إن [كان] الخضر عليه السلام يشهد الحرب فمذا هو الخضر قدم من الله به علينا وهو علم نصرنا على عدونا ، وقال قائل منهم : لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا إنه ملك ، وأبو محجن كالليث الضَّرَّ عام قدهتك الفرسان كالعقاب يحول عليهم ، ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو بن معديكرب وطلحة بن خُوَيلِدٍ والتقعاق [بن عمرو] وهاشم بن عتبة المرِّ قال وسأرتُ فتاك العرب وأبطلها ينظرون إليه ، وقد حاروا في أمره ، وجعل سعد يفكرو ويقول وهو مُشْرِفٌ على الناس من فوق القصر : والله لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه الباقاء ، فلما انتصف الليل تحاجز الناس ، وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون إلى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ، وَرَدَّ البلقاء إلى مربطها [وعاد في محبسه] ووضع رجله في القيد ، ورفع عقيرته وهو يقول :

لقد علمت ثقيفٌ غير نخر بأننا نحن أكرمهم سيوفاً
وأكرمهم دُرُوعاً سابغاتٍ وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفاً^(٣)

(١) في ١ « لا يبرز له فارس » .

(٢) في ١ « لم نره في قومنا هذا » محرفاً .

(٣) في ١ « وأكرمهم دروعاً سابغات » وكذلك في تاريخ الطبري . وهذه

الآيات في الديوان (٧٠ ليدن) ببعض اختلاف .

وليلة قانس لم يشعروا بى ولم أشعر بمخرجى الزحوفاً^(١)
 وأنار فقدم فى كل يوم فإن عتبوا فسل بهم عريفاً
 فإن أحبس فذلكم بلائى وإن أترك أذيقهم الختوفاً
 فقالت له سلمى : يا أباحجن ، فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟ تعنى سعداً ،
 قال : والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى
 الجاهلية ، وأنا أمرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فأصف القهوة وتداخنى أريحية
 فالتذ بمدحى إياها ، فذلك حبسنى لأنى قلت فيها :

إذا مت فادفنى إلى جنت كرمة تروى عظامى بعد موتى عروفاً
 ولا تدفنى بالفلأة فإننى أخاف إذا ماتت أن لا أذوقها
 وهى أبيات .

وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها ، لذكرها المثنى عند
 مختلف القنا ، فأقامت مفاضبة له عشية أغواث وليلة الهرير وليلة السواد ، حتى إذا
 أصبحت أتته فترضته وصالحته ، ثم أخبرته خبرها مع أبى محجن ، فدعابه ، فأطلقه
 وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرم والله
 لا أجت لسانى إلى صفة قبيح أبداً .

وأصبح الناس فى اليوم الثالث وهم على مصافهم ، وهو يوم عماس ، وأصبحت
 الأعاجم على مواقفها ، وأصبح بين الفريقين كالدجلة الحمراء — يعنى الحرة —^(٢) فى
 عرض ما بين الصفين ، وقد قتل من المسلمين ألفان وخمسمائة ما بين رثيث وميت ،
 وقتل من الأعاجم ما لا يحصى ، فقال سعد : أيها الناس ، من شاء غسل الشهيد الميت
 والرثيث ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتالهم فأحرزوهم

(١) فى ب « ليلة فارس » وفى ا « وفارس ليلة لم يشعروا بى » وقد
 أثبتنا ما فى تاريخ الطبرى ، وهذا البث ليس فى الديوان .

(٢) وقع فى ب « كالدجلة الحمراء والقرات » وفى ب « كالدجلة الحمراء »

وأصل العبارة عن الطبرى فأثبتنا ما فيه .

وجعلوهم وراء ظهورهم ، وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث إلى النساء ويعالجونهم من كلومهم ، وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة ، فإذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر إلى تلك النخلة — ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها ، واليوم بها نخل كثير — قال الحامله : قد قربت من السوداء ، فأريحوني تحت ظل هذه النخلة ، فيراح تحتها ساعة ، فسمع رجل من الجرحى [يقال له بجير من طي ، وهو يجود بنفسه و] يقول :

ألا يا أسلمى يا نخلة بين قادس وبين العذيب ، لا يجاورك النخل^(۱)

وسمع آخر من بني تميم الله — وقد أريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه — وهو يقول :

أيا نخلة الجرعاً ، ويا نخلة العدا سقتك الفوادى والفيوث الهواطل^(۲)

[وأنحن الأعور بن قطبة^(۳) ، فحمل من المعركة ، فسأل حماله أن يريحه تحتها حتى إذا بلغ إليها قال :

أيا نخلة بين العذيب فتاعة سقتك الفوادى الداجنات من النخل^(۴)

وأصبح الناس صبيحة يوم القادسية ، وهي صبيحة ليلة الهرير ، وهي :

(۱) فى الأصول : « بين فارس » والتصويب عن الطبرى (٤ : ١٢٥) .

(۲) فى بعض الأصول « أيا نخلة الجرحى » وفى الطبرى :

* أيا نخلة الجرعاء يا جرعة العدى *

(۳) فى ب « بن قطنة » وسقط هذا الكلام من أ .

(۴) فى الطبرى (٤ : ١٢٥) يروى البيت هكذا :

أيا نخلة دون العذيب بتلعة سقت الفوادى المدجنات من النخل

والذى فى الطبرى أن هذا البيت يقوله عوف بن مالك التيمى ، تميم الرباب

وأن بيت الأعور هو قوله :

أيا نخلة الركبان لا زلت فانصرى ولا زال فى أكناف جرعائك النخل

تسمى ليلة القادسية من تلك الأيام ، والناس حيارى ولم يغمضوا لياتهم كلها ، وحرّض رؤساء القبائل عشائهم ، واشتد الجلاذ إلى أن جاء وقت الزوال ، فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان [والنيرمران] ^(۱) ، فتأخرا ، وثبتنا حيث اتهميا ، وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة ، وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريره ، فهوت في نهر العتيق والريح دبور ، فمال الغبار عليهم وانتهى القمعاق وأصحابه إلى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله ، وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي رستم في ظله فقطع حباله ، ووقع على رستم أحد العذائين ولا يراه هلال ولا يشعر به ، فأزال من ظهره فقارة [وضربه هلال ضربة فنفتحت مسكا] ^(۱) ، ومضى رستم إلى نحو نهر العتيق فرمى بنفسه فيه ، واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ، ثم خرج به إلى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ، ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى : قتل رستم ورب الكعبة ، إلى إلى ، فطاف به الناس لا يحسون السرير ولا يرونه ، وتنادوا ، وتجنبت قلوب المشركين عندها وانهمزوا وأخذهم السيف ، فمن غريق وقتيل ، وقد كان ثلاثون [ألفاً] منهم قرنوا أنفسهم بعضهم إلى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا ^(۲) ، فجمخوا على الركب ، وقرع بين أيديهم قناديل الذئاب ، فقتل القوم جميعاً .

وقد تنوزع فيمن قتل رستم : فذهب الأكثر إلى أن قاتله هلال بن علقمة من تيمم الرباب على ما قدمنا ، ومنهم من رأى أن قاتله رجل من بني أسد ، ولذلك يقول شاعرهم في ذلك اليوم — وهو عمرو بن شاس الأسدي — من أبيات :

(۱) ما بين المعقوفين ساقط من ب .

(۲) في ۱ « حتى يفتحوا أو يقتلوا »

جلبنا الخليل من أكناف نيق إلى كسرى فوافقها رعالاً^(١)
 [تركن بهم على الأقسام شجواً وبالحقوين أياماً طوالاً]^(٢)
 قتلنا رستا وبنيه قسراً تثير الخليل فوقهم الهبالاً^(٣)
 تركنا منهم حيث التقينا قياماً لا يريدون ارتحالاً
 وأخذ ضرار بن الخطاب في ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم
 ذكرها أنها من جلود النمر المعروفة بدرفش كاويان ، وكانت مرصعة بالياقوت
 واللؤلؤ وأنواع الجواهر ، فعوض منها بثلاثين ألفاً ، وكانت قيمتها ألفي ألف
 ومائتي ألف^(٤) ، وقتل في ذلك اليوم حول هذه الراية — غير ما ذكرنا من
 المقرنين^(٥) وغيرهم — عشرة آلاف .

محدد
تاريخ القادسية

وقد تنازع الناس ممن سلف وخلف في عام القادسية والعذيب ؛ فذهب كثير
 من الناس إلى أن ذلك [كان في سنة ست عشرة ، وهذا قول الواقدي عن
 آخرين من الناس ، ومنهم من ذهب إلى أن ذلك] كان في سنة خمس عشرة ،
 ومنهم من رأى أنه كان في سنة أربع عشرة ، والذي قطع عليه محمد بن إسحاق
 أنها كانت في سنة خمس عشرة ، وقال : في سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب
 بالقيام في شهر رمضان لصلاة التراويح [والذين ذهبوا إلى أن وقعة القادسية كانت
 في سنة أربع عشرة احتجاجوا بهذه الرواية ، وكتب عمر إلى الأمصار بإقامة صلاة
 التراويح] ، وذهب كثير من الناس منهم المدائني وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن
 غزوان في سنة أربع عشرة إلى البصرة فنزلها ومصرها ، وذهب كثير من الناس
 أنها مضرت في ربيع سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إليها
 من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب جلولاء وتكريت ،

تصير البصرة

(١) في ا « من أكناف نيق » وفي ب ، في أكناف هيق .
 (٢) سقط هذا البيت من ا ، ووقع في ب « تركن لهم على الأصنام سحراً » محرفاً
 (٣) في ب « فوقهم الهبالاً » . (٤) في ا « ألف ألف ومائتي ألف » .
 (٥) في ب « المقرنين » وأثبتنا ما في ا وهم الذين قرنوا أنفسهم بالسلاسل كما تقدم

وأن عتبة قدم البصرة وهي يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع
الْحُرَيْبَةَ^(١)، ومصر سعد بن أبي وقاص الكوفة في سنة خمس عشرة، ودلهم تمصير الكوفة
على موضعها [ابن] نفيمة الفسائي، وقال لسعد : أدلك على أرض ارتفعت عن البر
وانحدرت عن الفلاة، فدلّه على موضع الكوفة اليوم.

أبو لؤلؤة
غلام المغيرة
ابن شعبة

قال المسعودي : وكان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة، فكتب
إليه المغيرة بن شعبة : إن عندي غلاماً نقاشاً نجاراً حداداً فيه منافع لأهل المدينة،
فإن رأيت أن تأذن لي في الإرسال به ففعلت، فأذن له، وقد كان المغيرة جعل عليه
كل يوم درهمين، وكان يدعى أبا لؤلؤة، وكان مجوسياً من أهل نهاوند، فلبث
ما شاء الله، ثم أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجه، فقال له عمر : وما تحسن من
الأعمال ؟ قال : نقاش نجار حداد، فقال له عمر : ما خراجك بكثير في كنه
ما تحسن من الأعمال، فمضى عنه وهو يتذمر^(٢)، قال : ثم مر بعمر يوماً آخر وهو
قاعد، فقال له عمر : ألم أحدثُ عنك أنك تقول : لو شئت أن أصنع رَحاً تطحن
بالريح لفعلت، فقال أبو لؤلؤة : لأصنعن لك رَحاً يتحدث الناس بها، ومضى
أبو لؤلؤة، فقال عمر : أما العالج فقد توعّدني^(٣) آناً، فلما أزمع بالذي أوعد^(٤) به
أخذ خنجراً فاشتعل عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الفلّس، وكان عمر
يخرج في السحر فيوقظ الناس [للصلاة]، فمر به، فثار إليه فطعنه ثلاث طعنات
إحداهن تحت سرتة وهي التي قتلته، وطعن اثني عشر رجلاً من أهل المسجد
فمات منهم ستة وبقى ستة، ونحر نفسه بخنجره فمات، فدخل عليه ابنه عبد الله بن
عمر وهو يجود بنفسه، فقال له : يا أمير المؤمنين، استخلف على أمة محمد؛ فإنه
لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للهتة وقلت له :
كيف تركت أمانتك ضائعة؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟ فاستخلف

(١) في ب : الحريية « محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في الطبري (٤ / ١٤)

(٢) في ب : « وهو مدبر » محرفاً (٣) في ا « أما العبد فقد توعّدني »

(٤) في ا « فلما أزمع على الذي أزمع عليه » .

عليهم ، فقال : إن أستخلف عليهم فقد استخلف عليهم أبو بكر ، وإن أتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه . وكان إسلام عمر قبل الهجرة بأربع سنين [وكان يخطب بالحناء والكتم] (۱) وكان له من الولد : عبد الله ، وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعاصم ، وعبيد الله ، وزيد ، من أم ، وعبد الرحمن ، وفاطمة ، وبنات أخر ، وعبد الرحمن الأصغر — وهو المحدث في الشراب ، وهو المعروف بأبي شحمة — من أم .

أولاد عمر

وذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال : يا ابن عباس ، إن عامل حمض هلك ، وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن تكون منهم ، وفي نفسي منك شيء لم أراه منك ، وأعياني ذلك (۲) ، فما رأيك في العمل ؟ قال : لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك ، قال : وما تريد إلى ذلك ؟ قال : أريده ، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنني لست من أهله ، فقبلت عملك هنالك ، فإني كلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته ، فقال : يا ابن عباس ، إني خشيت أن يأتي عليّ الذي هو آتٍ وأنت في عملك فتقول : هلم إلينا ، ولا هلم إليكم دون غيركم ، إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعمل الناس وترككم ، قال : والله قد رأيت من ذلك ، فلم تراه فعل ذلك (۳) ؟ قال : والله ما أدرى أضنّ بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم ، أم خشيت أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب ، ولا بد من عتاب ، وقد فرغت لك من ذلك ، فما رأيك ؟ قال : قلت : أرى أن لا أعمل لك ، قال : ولم ؟ قلت : إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذّي في عينك ، قال : فأشر عليّ ، قلت : إني أرى أن تستعمل صحباً منك صحباً لك .

عمر
وابن عباس

(۱) زيادة في ب وحدها . (۲) في ا بدل هذه العبارة « وأخشاه عليك »

(۳) في ا « قال : قد قلت والله رأيت من ذلك ما رأيت فلم نره فعل غير

ذلك » وهي عبارة قلقة .

وذكر علقمة بن عبد الله المزني^(۱)، عن معقل بن يسار، أن عمر بن الخطاب عمر يستعمل
شاور الهرمزان في فارس وإصبهان وأذربيجان، فقال له : أصبهان الرأس،
وإصبهان الرأس، فأبدأ بالرأس، فدخل المسجد فإذا هو بالنعمان
ابن مقرن يصلي، فقدم إلى جنبه، فلما قضى صلاته قال : ما أراى إلا مستعملك،
قال : أما جايافلا، ولكن غازيا، قال : فإنك غازٍ، فوجهه وكتب إلى أهل الكوفة
أن يمدوهم، وبعث معه الزبير بن العوام، وعمرو بن معد يكرب، وحذيفة، وابن
عمرو، والأشعث بن قيس، فأرسل النعمان المغيرة بن شعبة إلى ملكهم، وهو
يقال له ذو الجناحين، فقطع إليهم نهرهم، فقيل لذي الجناحين : إن رسول
العرب ها هنا، وشاور أصحابه، فقال : ما ترون؟ فقالوا : أقعد له في بهجة الملك
[أو أقعد له في هيئة الحرب، فقال : بل أقعد له في بهجة الملك]، فصعد على
سريره ووضع التاج على رأسه وأقعداً بناء الملوك سماطين عليهم الأقراط وأسورة
الذهب والدياج، وأذن للمغيرة، فأخذ بضبعيه رجالان ومعه سيفه ورمحه قال :
فجعل المغيرة يطعن برمحه في بسطهم يخرقها لينظر وافيغضبهم بذلك^(۲) حتى قام بين
يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما . فقال : إنكم معشر العرب أصابكم
جهد، فإن شئتم مرناكم ورجعتم، فتكلم المغيرة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :
إننا معشر العرب كنا أذلة يطؤونا الناس ولا نطؤونهم، وناكل الكلاب والجيف، ثم
إن الله تعالى بعث منا نبيا في شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا، وبعث
النبي صلى الله عليه وسلم ببعثه، وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا، وإنه وعدنا
فيما وعدنا به أنا سنملك ما ها هنا ونقلب عليه، وإنى أرى ها هنا هيئة وبزة مامن

(۱) في ب « علقمة بن عبد الله المزني » .

(۲) في ا « فيغضبهم بذلك » .

خَلْفِي بِتَارِكِيهَا [حَتَّى] بِصَيْبِهَا أَوْ يَمُوتُوا ، فَقَالَتْ لِي نَفْسِي : لَوْ جَمَعْتَ جَرَامِي زَكَ
وَوَثَبْتَ فَقَعَدْتَ مَعَ الْعَلِجِ عَلَى سَرِيرِهِ حَتَّى يَتَطَيَّرَ ، قَالَ : فَوَثَبْتُ وَثَبَةً فَإِذَا أَنَا مَعَهُ
عَلَى سَرِيرِهِ ، فَجَعَلُوا يَلْكُرُونَنِي بِأَرْجَائِهِمْ وَيَجْذِبُونَنِي بِأَيْدِيهِمْ . فَقُلْتُ لَهُمْ : إِيَّا
لَا نَفْعَ بِرُسُلِكُمْ هَكَذَا ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ فَجَرْتُ وَاسْتَخَفْتُ فَلَا تُؤَاخِذُونِي ^(۱) ، فَإِنْ
الرَّسُلُ لَا يَصْنَعُ بِهَا هَكَذَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ : إِنْ شِئْتُمْ قَطَعْنَا إِلَيْكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ قَطَعْنَا
إِلَيْنَا ، قُلْتَ : بَلْ نَقْطَعُ إِلَيْكُمْ ، فَقَطَعْنَا إِلَيْهِمْ ، قَالَ : فَتَسَلُّوا كُلَّ خَمْسَةِ وَسْتَةٍ حَتَّى لَا يَفِرُوا .
فَدَنُونَا إِلَيْهِمْ ^(۲) فَضَايِقْنَا هُمْ ، فَرَشَقُونَا حَتَّى أَشْرَعُوا ^(۳) فِينَا ، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ لِلنِّعْمَانِ :
إِنَّهُ قَدْ أَشْرَعَ فِي النَّاسِ وَقَدْ جَرَّ حَوَا ، فَلَوْ حَمَلْتَ ، فَقَالَ النِّعْمَانُ : إِنَّكَ لَدُوٌّ مَنَاقِبَ ،
وَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ إِذَا لَمْ يِقَاتِلْ أَوَّلَ
النَّهَارِ انْتِظَارَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ وَتَهْبِ الرِّيَّاحُ وَيَنْزِلَ النُّصْرُ ، ثُمَّ قَالَ : إِيَّا هَازِ
لَوْ أُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَأَمَّا أَوَّلُ هَزَّةٍ فَلِيَقْضِيَ الرَّجُلُ حَاجَتَهُ وَلِيَتَوَضَّأَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ
فَلِيَنْظُرَ الرَّجُلُ إِلَى شِئْئِهِ وَلِيَلْزِمَ سِلَاحَهُ ^(۴) ، فَإِذَا هَزَزْتَ الثَّالِثَةَ فَاحْمَلُوا وَلَا
يَلْوِيَنَّ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَإِنْ قَتَلَ النِّعْمَانُ ، وَإِيَّا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ بِدَعْوَةٍ ، وَأَقْسَمْتَ
عَلَى كُلِّ أَمْرٍ ، مِنْكُمْ لِمَا أَمَّنَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقِ النِّعْمَانَ الْيَوْمَ شَهَادَةً
فِي نَصْرٍ وَفَتْحٍ عَلَيْهِمْ . فَأَمَّنَ الْقَوْمُ . فَهَزَزَ [لِوَاءَهُ] ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَدْنَى دَرْعَهُ ^(۵) وَحَمَلَ
ثُمَّ حَمَلَ النَّاسُ فَكَانَ أَوَّلَ صَرِيحٍ ، قَالَ مَعْقِلٌ : فَأَتَيْتُ عَلَيْهِ فَذَكَرْتُ عَزِيمَتَهُ أَلَا
أَقْفَ عَايِهِ ، وَأَعْلَمْتُ غُلْمَانَهُ لِأَعْرِفَ مَكَانَهُ ، وَأَمْعَدْنَا الْقِتْلَ فِيهِمْ ، وَوَقَعَ ذُو الْجَنَاحِينَ
عَنْ بَغْلَةٍ لَهُ شَهْبَاءٌ فَانْشَقَّ بَطْنُهُ ، وَفَتْحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَتَيْتُ إِلَى مَكَانِ النِّعْمَانِ
فَصَادَفْتُهُ وَبِهِ رَمَقٌ ، فَأَتَيْتُهُ بِإِدَاوَةٍ فَغَسَلْتُ وَجْهَهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : مَعْقِلٌ
ابْنُ يَسَّارٍ ، قَالَ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِالنَّاسِ ؟ قُلْتُ : فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا

(۱) فِي ۱ « وَإِنْ كُنْتُ عَجَزْتُ وَاسْتَحَمَمْتُ فَلَا تُؤَاخِذُونِي » .

(۲) فِي ۱ « وَشَقُونَا » .

(۳) فِي ۱ « فَجَبَرْنَا إِلَيْهِمْ » .

(۴) فِي ۱ « ثُمَّ ثَنَى دَرْعَهُ » .

(۵) فِي ۱ « وَيَلْزِمُ سِلَاحَهُ » .

اكتبوا بذلك إلى عمر ، وفاضت نفسه ، واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس ، وأرسلوا إلى أم ولده : هل عهد إليك النعمان عهداً له أم عندك كتاب؟ قالت: بل سنطفيه كتاب ، فأخرجوه فإذا فيه : [إذا قتل النعمان ففلان] وإن قتل فلان ففلان ، وإن قتل فلان ففلان ، فامتثلوا ، وفتح الله على المسلمين فتحاً عظيماً.

قال المسعودي رحمه الله : وهذه وقعة نهاوند ، وقد كان الأعاجم فيها جمع كثير شهداء نهاوند وقتل هنالك خلق كثير : منهم النعمان بن مقرن ، وعمر بن معد يكرب ، وغيرهما ، وقبورهم إلى هذا الوقت بينة معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدِّينور وقد أتينا على وصف هذه الواقعة فيما سلف من كتبنا.

وذكر أبو مخنف لو ط بن يحيى قال : لما قدم عمرو بن معد يكرب من الكوفة على عمر سأله عن سعد بن أبي وقاص ، فقال فيه ما قال من الثناء ، ثم سأله عن السلاح ، فأخبره بما علم ، ثم سأله عن قومه ، فقال له : أخبرني عن قومك منذ حج [ودع طيناً] قال : سئني عن أيهم شئت ، قال : أخبرني عن علة بن جلد ، قال : هم فرسان أعراضنا^(٢) ، وشفاة أمراضنا ، وهم أعتقنا ، وأنجبنا ، وأسر عنا طلبنا ، وأقلنا هربنا ، وهم أهل السلاح^(٣) والسماح والرماح ، قال عمر : فما أبقيت لسعد العشرة؟ قال : هم أعظما خميسا^(٤) ، وأسخانا نفوساً ، وخير نارئيساً ، قال : فما أبقيت لمراد؟ قال : هم أوسعناداراً ، وخير ناجاراً ، وأبعدنا آثاراً ، وهم الأتقياء البررة ، والساعون النخرة ، قال : فأخبرني عن بني زبيد ، قال : أنا عليهم ضنين ، ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الأذنان ، قال : فأخبرني عن طيء ، قال : خصوا بالجوود ، وهم جرة العرب ، قال : فما تقول في عبس؟ قال : حجم عظيم ، وزبن^(٥) أمير ، قال : أخبرني عن حمير ، قال : رَعَوْا العفو ، وشربوا الصَّفْو ،

(١) في ب « وقبورهم إلى هذا الوقت . بنية » .

(٢) في ا « فرسان أعراضنا » . (٣) في ب « أهل الصباح » .

(٤) في ا « وهم أعظما جسماً » . (٥) في ا « وذناب أمير » .

قال : فأخبرني عن كِنْدَةَ ، قال : ساسوا العباد ، وتمكنوا من البلاد^(۱) . قال :
 فأخبرني عن هَمْدَانَ . قال : أبناء الليل ، وأهل النيل ، يمنعون الجار ، ويوفون
 الذمَّار^(۲) [ويطلبون الثار]^(۳) قال : فأخبرني عن الأزدي . قال : هم أقدمنا ميلاً .
 وأوسعنا بلاداً ، قال : فأخبرني عن الحارث بن كعب ، قال : هم الحسكة المسكة ، تاتي
 المنايا على أطراف رماحهم . قال : فأخبرني عن نخم . قال : آخر ناماً ككأ ، وأولنا هلكاً ،
 قال : فأخبرني عن جُدَام . قال : أولئك كالعجوز العيراء^(۴) ، وهم أهل مقال وفعال ،
 قال : فأخبرني عن غسان . قال : أرباب في الجاهلية نجوم في الإسلام ، قال : فأخبرني
 عن الأوس والخزرج . قال [هم الأنصار و]^(۵) هم أعز ناداراً ، وأمنع ذماراً ، وقد
 كفانا الله مدحهم إذ يقول : (والذين تبوءوا الدار والإيمان - الآية) قال : فأخبرني
 عن خزاعة . قال : أولئك مع كنانة لنا نسبهم ، وبهم نصرنا^(۶) . قال : فأخبرني
 أبغض إليك أن تاقاه ؟ قال : أمامن قومي فوادعة من همدان ، وغطيف من مراد ،
 وبلحرت من مذحج ، وأمامن سعد فعدي من فزارة ، ومرة من ذبيان ، وكلاب
 من عامر ، وشيبان من بكر بن وائل . ثم لوجتُ بفرسي على مياه معد ما خفت هيج
 أحد ما لم يلقني حرّاًها وعبداها . قال : ومن حرّاًها ومن عبداها ؟ قال : أما حراها
 فعامر بن الطفيل وعيينة بن الحارث بن شهاب التيمي ، وأما عبداها فعنترة
 العبسي وسليك المقانب .

ويسأله ثم سأله عن الحرب فقال : سألت عنها خبيراً ، هي والله يا أمير المؤمنين مرة
 عن الحرب المذاق ، إذا شمّرت عن ساق ، من صبر فيها ظفر ، ومن ضعف فيها هلك^(۶) ،
 ولقد أحسن واصفها فأجاد :

الحرب أول ما تكون فتية
 تبدو بزيتها لكل جهول
 حتى إذا حميت وشبَّ ضرامها
 عادت عجوزاً غير ذات حليل

(۱) في ا « تمكنوا في البلاد »

(۲) في ا « ويوفون بالذمار »

(۳) زيادة عن ا

(۴) في ا « ولهم نصرهم »

(۵) في ا « من صبر فيها عرف ، ومن ضعف فيها تلف » وهي أوفق

شمطاء جُزَّتْ رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل^(١)
 ثم سأله عن السلاح ، فأخبره [بما عرف] حتى بلغ السيف ، قال : هنالك قارعتك
 أمك عن شكها^(٢) ، فعلاّه عمر بالدرّة ، وقال : بل أمك قارعتك [عن شكها] ،
 والله إنى لأهم أن أقطع أسانك ، فقال عمرو : الحقى أضرعتنى [لك] اليوم ، وخرج
 من عنده وهو يقول :

أتوعدنى كأنك ذو رُعينٍ بأنعم عيشة أو ذو نُوّاسٍ ؟
 فكم قد كان قبلك من مليك عظيم ظاهِرِ الجبروت قاس
 فأصبح أهله بادوا ، وأمسى ينقلُ من أناس في أناس
 فلا يفررك ملكك ، كلُّ ملك يصير مذلة بعد الشّمس

قال : فاعتذر عمر إليه ، وقال : ما فعلت ما فعلته إلا لتعلم أن الإسلام أفضل
 وأعز من الجاهلية ، وفضله على الوفد .

وقد كان عمر آنس عمرأ بعد ذلك ، وأقبل يسأله ويذاكره الحروب وأخبارها عمرو يحدث
 فى الجاهلية ، فقال له عمر : يا عمرو ، هل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيبة له ؟
 قال : نعم ، والله ما كنت أستحلُّ الكذب فى الجاهلية فكيف أستحلّه فى
 الإسلام ؟ لأحدثنك حديثاً لم أحدث به أحداً قبلك ، خرجت فى جريدة خيل
 لبني زبيد أريد الفارة^(٣) ، فأتينا قوماً سراً ، فقال عمر : وكيف عرفت أنهم سراً ؟
 قال : رأيت مزاداً ودوراً مكفأة وقباب آدم حمرأ ونعمأ كثيراً وشاء ، قال عمرو :
 فأهويت إلى أعظمها قبة بعدما حوينا السبي ، وكان متبدداً من البيوت ، وإذا امرأة
 بادية الجمال على فرش لها ، فلما نظرت إلى وإلى الخيل استعبرت ، فقلت :
 ما يبكيك ؟ قالت : والله ما أبكى على نفسى ، ولكنى أبكى حسداً لبنات عمى

(١) فى ١ « للشم والتقبيل »

(٢) فى ١ « عن الشكل » .

(٣) فى ١ « أريد بنى كنانة » .

يَسْلَمَن وَأَبْتَلِي أَنَا مِنْ بَيْنِهِن ، فَظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّهَا صَادِقَةٌ ، فَقُلْتُ لَهَا : وَأَيْنَ هُنَّ ؟
 قَالَتْ : فِي هَذَا الْوَادِي ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي : لَا تَخْذُوا شَيْئًا حَتَّى آتِيَكُمْ ، ثُمَّ هَمَزَتْ
 فَرَسِي حَتَّى عَلَوْتُ كَثِيبًا ، فَإِذَا أَنَا بِغَلَامٍ أَصْهَبَ الشَّعْرَ أَهْذَبَ [أَقْبَى أَقْبًا] يَخْصِفُ
 نَعَالَهُ وَسَيْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَفَرَسَهُ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ رَمَى النِّعْلَ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ أَخْضَرَ (۱) غَيْرَ
 مَكْتَرٍ ، فَأَخَذَ سِلَاحَهُ وَأَشْرَفَ عَلَى ثَنِيَّةٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْخَيْلِ مُحِيطَةً بِبَيْتِهِ [رَكِبَ
 ثُمَّ] أَقْبَلَ نَحْوِي وَهُوَ يَقُولُ :

أَقُولُ لَمَّا مَنَحْتَنِي فَاهَا وَأَلْبَسْتَنِي بِكَرَّةٍ رِداها
 إني سأحوي اليوم من حواها فإيت شعري اليوم من دهاها
 فحملت عليه وأنا أقول :

عمرو على طول الردي دهاها بالخيل يقيها على وجاها (۲)
 [حتى إذا حلَّ بها حواها]

ثم حملت عليه بالفرس [فإذا هو أروغ من هر ، فراغ عني ، ثم حمل علي
 فضربني بسيفه ضربة جرحتنني ، فلما أفتت [من ضربته] حملت عليه ، فراغ والله ،
 ثم حمل علي ، ثم صرعتني ، ثم استاق ما في أيدينا ، ثم استويت على فرسي ،
 فلما رأني أقبل وهو يقول :

أنا عبيد الله محمود الشيم وخير من يمشي بساق وقدام
 * عدوؤه يفديه من كل السقم *
 فحملت عليه وأنا أقول :

أنا ابن ذى التقليد في الشهر الأصم أنا ابن ذى الإكليل قتال البهم
 من يلقي يودي كما أودت إرم أتركه لهما على ظهر وضم

(۱) في ۱ « ثم قام غير مكترث » .

(۲) في ب « تبعها على هواها » محرفا .

فراغ والله عني ، ثم حمل على فضر بني ضربة أخرى ، ثم صرخ صرخة ، ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شيء ، وخيفته خوفا لم أخف [قط] أحداً مثله ، وقلت له : من أنت ثكلتك أمك ؟؟ فوالله ما اجترأ عليّ أحد قط إلا عامر بن الطفيل لإعجابه بنفسه ، وعمرو بن كلثوم لسينه وتجربته [فمن أنت؟] قال : بل من أنت ؟ خبرني وإلا قتلتك ، قلت : أنا عمرو بن معد يكرب ، قال : وأنا ربيعة بن مكدّم ، قلت : اختر مني إحدى ثلاث خصال : إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعمز منا ، وإن شئت اصطرعنا ، وإن شئت السلم ، وأنت يا ابن أخي حدث [وبقومك إليك حاجة ، قال : بل هي إليك ، فاختر لنفسك ، واخترت السلم ، ثم قال : انزل عن فرسك ، قلت : يا ابن أخي] قد جرحتنى جراحتين ولا نزول لي^(١) ، فوالله ما كفّ عني حتى نزلت عن فرسي ، فأخذ بعنانه ، ثم أخذ بيدي في يده وانصرفنا إلى الحى وأنا أجر رجلى ، حتى طلعت علينا الخليل ، فلما رأوني همزوا^(٢) خيولهم إلى فناديتهم : إليكم ، وأرادوا ربيعة ، فمضى والله كأنه ليث حتى شقّهم ، ثم أقبل على فقال : يا عمرو ، لعل أصحابك يريدون غير الذي تريد ، فصمت والله القوم ما فيهم أحد ينطق ، وأعظموا ما رأوا منه ، فقالت : يا ربيعة بن مكدّم لا يريدون إلا خيرا ، وإنما سميته ليعرفه القوم ، فقال لهم : ما تريدون ؟ فقالوا : وما تريد ؟ قد جرحت فارس العرب ، وأخذت سيفه وفرسه ، ومضى ومضينا معه ، حتى نزل ، فقامت إليه صاحبتة وهي ضاحكة تمسح وجهه ، ثم أمر بإبل فنحرت ، وضربت علينا قباب ، فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس [لربيعة] لم أر مثلها قط [فلما رأى نظري إليها قال : كيف ترى هذه الخيول ؟ قلت : لم أر

(١) في ب « ولا يزالان بي » وسقط منها ما بين المعقوفين قبلها .

(٢) في ب « غمزوا خيولهم إلى » .

مثلاً قط [قال : أما لو كان عندي بعضها ما لبثت في الدنيا إلا قليلاً ، فضحكتُ وما ينطق أحد من أصحابي ، فأقمنا عنده يومين ثم انصرفنا .

قال : وقد كان عمرو بن معد يكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد قومه ، فأخذ غنائمهم ، وأخذ امرأة ربيعة بن مُكَدَّم ، فبلغ ذلك ربيعة — وكان غير بعيد — فركب في الطلب على فرس عُرْمَى ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه ، فلما نظر إليه قال : يا عمرو ، خَلَّ عن الظعينة [ومامعك] فلم يلتفت إليه ، ثم أعاد عليه ، فلم يلتفت إليه ، فقال : يا عمرو ، إما أن تقف [لي وإما أن أقف لك] فوق عمرو ، وقال : لقد أنصف التَّارَةَ من رامها ، قف لي يا ابن أخي ، فوقف له ربيعة ، فحمل عليه عمرو وهو يقول :

أنا أبو ثَوْرٍ ووقاف الزلق لست بمأفون ولا في خُرُقٍ^(١)

وأسد القوم إذا احمر الحدق إذا الرجال عَصَّهم ناب الفرق^(٢)

* وجدتنى بالسيف هتاك الحاق *

حتى إذا ظنَّ أنه خالطه السنان إذا هو لبَّ لفرسه ، ومَرَّ السنان على ظهر الفرس ، ثم وقف له عمرو ، فحمل عليه ربيعة وهو يقول :

أنا الغلام ابن الكنانى لا بدخ كم من هزَّبِرٍ قد رآنى فانشدخ^(٣)

فقرع بالرمح رأسه ، ثم قال : خذها إليك يا عمرو ، ولولا أنى أكره قتل

مثلك لقتلتك ، فقال عمرو : لا ينصرف إلا أحدنا ، فقف لي ، فحمل عليه حتى

إذا ظن أنه قد خالطه السنان إذا هو حزام لفرسه [ومَرَّ السنان على ظهر الفرس]

ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح رأسه أيضاً ، وقال : خذها إليك يا عمرو ثانية ،

(١) في ب «أنا أبو ثوار» وفيها «لست بمأفون ولا في حرق» .

(٢) وقع هذا البيت في هكذا :

أشد القوم إذا احمر الحدق إذا الرجال غصم خوف الفرق

(٣) في أ * أنا الكنانى الغلام لا بدخ *

عمرو بن
معد يكرب
يغير على بني
كنانة

وإنما العفو مرتان ، وصاحت به امرأته : السنان لله درك ، فأخرج سناناً من
سِنخٍ إزاره كأنه شعله نارٍ ، فركبه على رمح ، فلما نظر إليه عمرو ، وذاكر طعنته
بلاسنان قال له عمرو : [ياربعة] خذ الغنيمة ، قال : دَعْمًا وَأَنْجُ ، فقالت
بنو زبيد : أنترك غنيمتنا لهذا الغلام ؟ فقال لهم عمرو : يا بني زبيد ، والله لقد
رأيت الموت الأحمر في سنانه ، وسمعت صريره في تركيبه ، فقالت بنو زبيد :
لا يتحدث العرب أن قوماً من بني زبيد فيهم عمرو بن معد يكرب تركوا غنيمتهم
لمثل هذا الغلام ، قال عمرو : [إنه] ^(١) لا طاقة لكم به ، ومارأيت مثله قط ،
فانصرفوا عنه ، وأخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد إلى قومه .

قال المسعودي رحمه الله تعالى : ولعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
أخبار كثيرة في أسفاره في الجاهلية إلى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب
والعجم ، وسير في الإسلام ، وأخبار وسياسات حسان ، وما كان في أيامه من
الكواثر والأحداث وفتوح مصر [والشام والعراق وغيرها من الأمصار] ^(١) ،
قد أتينا على مبسوطها في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وإنما
نذكر في هذا الكتاب لمعاً مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا ، وبالله التوفيق .

(١) زيادة في اوحدها

ذكر خلافة عثمان بن عفان

رضى الله تعالى عنه !

ببيع [عثمان] يوم الجمعة غرة المحرم [لليلة بقيت من ذى الحجة] سنة
ثلاث وعشرين [وقتل لائتي عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس
وثلاثين]^(۱) ، وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع [إلا أنه في
ذى الحجة]^(۱) ؛ فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة إلا ثمانية أيام ، وقتل وهو
ابن اثنتين وثمانين^(۲) سنة ، ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب [وكانت
خلافته رضى الله تعالى عنه اثنتى عشرة سنة إلا ثمانية أيام]^(۳) .

(۱) هذه الزيادة في ب وحدها ، ووقع فيها « وقيل لائتي عشرة » محرفاً .

(۲) في ب « وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة » وليس بذلك .

(۳) ثبتت هذه العبارة في ب ، وهي مكررة مع ما ذكر قبلها بسطر واحد .

ذكر نسبه ، ولمع من أخباره وسيره

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، نسبه ، وأولاده .
ويكنى بأبى عبد الله [وأبى عمرو ، والأغلب منهما أبو عبد الله] ، وأمه أروى بنت كريب^(١) بن جابر بن حبيب بن عبد شمس ، وكان له من الولد : عبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأبان ، وخالد ، وسعيد ، والوليد ، والمغيرة ، وعبد الملك ، وأم أبان ، وأم سعيد ، وأم عمرو^(٢) ، وعائشة ، وكان عبد الله الأكبر يلقب بالمطرف^(٣) لجماله وحسنه .
وكان كثير الزوج ، كثير الطلاق ، وكان أبان أُرْصَ أَحْوَالَ ، قد حمل عنه أصحاب الحديث عدة من السنن . وولى لبنى مروان مكة وغيرها . [وكان سعيد أَحْوَالَ بخيلاً . وقتل في زمن معاوية] وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجنون .
وقتل أبوه وهو مخنق الوجه سكران عليه مُصَبَّغَات واسعة . وبلغ عبد الله [الأصغر] من السن ستا وسبعين عاما . فنقره ديك في عينه ، فكان ذلك سبب موته ، وعبد الملك مات صغيراً ولا عقب له .

وكان عثمان في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد .
فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته ، وتأسوا [به] في فعله . وبنى داره في المدينة ، وشيدها بالحجر والكس ، وجعل أبوابها من الساج والعرعر واقنتى أموالا وجنانا وعيونا بالمدينة .

وذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان [له] عتد خازنه من المال خمسون

ثروته

(١) في ب « أروى بنت بكر » .

(٢) في ب « عمر » ولم يذكر عمر ولا عمراً في الذين ذكروا من أولاده .

(٣) في ب « بالمطرف » .

ومائة ألف دينار وألف ألف درهم ، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرها
مائة ألف دينار ، وخلف خيلاً كثيراً وإبلًا .

ثروة الزبير
ابن العوام
وفي أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور : منهم الزبير بن
العوام ، بنى داره بالبصرة ، وهي المعروفة في هذا الوقت -- وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة -- تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهازم من البحرين^(۱)
وغيرهم ، وابتنى أيضاً دوراً بمصر والكوفة والإسكندرية ، وما ذكرنا من دوره
وضياعه فمعلوم غير مجهول إلى هذه الغاية .

وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف الزبير ألف فرس ،
وألف [عبدو] أمة ، وخططاً بحيث ذكرنا من الأمصار .

ثروة طلحة
ابن عبيد الله
وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمي : ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا
الوقت ، المعروفة بالكناسة^(۲) بدار الطلحين ، وكان غلته من العراق كل يوم
ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك ، وبناحية الشراة^(۳) أكثر مما ذكرنا ،
وشيد داره بالمدينة وبنها بالآجر والجص والساج .

ثروة
عبد الرحمن
ابن عوف
وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري : ابتنى داره ووسعها ، وكان على
مربطه مائة فرس ، وله ألف بعير ، وعشرة آلاف [شاة] من الغنم ، وبلغ بعد
وفاته رُبْعُ ثَمْنِ مَالِهِ أَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا .

ثروة قوم
من الصحابة
وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ، فرفع سمكها ، ووسع فضاءها ،
وجعل أعلاها شُرْفَاتٍ .

وقد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب
والفضة ما كان يكسر بالفؤس ، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة
ألف دينار .

(۱) في ب « وأصحاب الجهات من البحرين -- إلخ » .

(۲) في ب « بالكناس » . (۳) في ب « وبناحية سراة » .

وابتني المقداد داره بالمدينة في الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات ، وجعلها مخصصة للظاهر والباطن .

ومات يعلى بن منية^(١) ، وخلف خمسمائة ألف دينار ، وديوناً على الناس ، وعقارات ، وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار^(٢) .

وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه ، فيمن تملك من الأموال في أيامه ، ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب ، بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة .

وحج عمر فانفق في ذهابه ومجيئه إلى المدينة ستة عشر ديناراً ، وقال لولده عبد الله : لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا .

ولقد شكوا الناس أميرهم [بالكوفة] سعد بن أبي وقاص — وذلك في سنة إحدى وعشرين — فبعث عمر محمد بن مسلمة الأنصاري حليف بني عبد الأشهل ، فخرق عليه باب قصر الكوفة ، وعرضه في مساجد الكوفة بسألمهم عنه ؛ فحمده بعضهم ، وشكاه بعض ، فعزله وبعث إلى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر ، وعثمان بن حنيفة على الخراج ، وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين ، وفرض لهم في كل يوم شاة ؛ فجعل شطرها وسواقطها لعمار ابن ياسر ، والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيفة ، فأين عمر ممن ذكرنا ؟ وأين هو عما وصفنا ؟

وقدم على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وغيرهما من بني أمية عمال عثمان — والحكم^(٣) هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غرّبه عن المدينة ، ونفاه عن جواره — وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة ،

(١) في ب « يعلى بن أمية »

(٢) في ب « مائة ألف دينار »

(٣) في ب « ومروان هو طريد رسول الله » .

وهو ممن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار ، وعبد الله بن أبي سرح على مصر ، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام ، وعبد الله بن عامر على البصرة ، وصرف عن الكوفة الوايد بن عقبة ، وولاها سعيد بن العاص .

الوايد بن عقبة وكان السبب في صرف الوايد [بن عقبة] وولاية سعيد — على ما روى — أن الوايد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح ، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلآئه ، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح ، فصلى بهم أربعاً ، وقال : أتريدن أن أزيدكم ؟ وقيل : إنه قال في سجوده وقد أطال : اشرب واسقني ، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول : ما تزيد لأزادك الله من الخير^(۱) . والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا واليا وعلينا أميراً ، وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفي .

وخطب الناس الوايد فحصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ، ويتمثلُ بأبيات لتأبط شرّاً :

ولست بعيداً عن مدام وقينة ولا بصفا صلد عن الخير معزل^(۲)
ولكنني أروى من الخمر هامتي وأمشي الملاً بالساحب المتسلل
وفي ذلك يقول الخطيئة :

شهد الخطيئة يوم يلقى ربه أن الوايد أحقُّ بالعذر
نادى وقد تَمَّتْ صَلَاتِهِمْ أَزِيدُكُمْ ؟ ! كَمَلًا وَمَا يَدْرِي
ليزيدهم أخرى ، ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك في الصلاة ، ولو خَلَوْا عنانك لم تزل تجرى^(۳)

(۱) في ۱ ، ب « مزيد الخير » .

(۲) في ۱ « ولست بعيداً غير خمر وقينة » .

(۳) في ۱ « حبسوا عنانك إذ جريت ولو »

وأشاعوا بالكوفة فعليه، وظهر فسقه ومداومته [على] شرب الخمر، فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الأزدي وجندب^(١) بن زهير الأزدي وغيرها، فوجدوه سكران مضطجعاً على سريريه لا يعقل، فأيقظوه من رقدته، فلم يستيقظ، ثم تقايا عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم إلى المدينة، فأتوا عثمان بن عفان، فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر، فقال عثمان: وما يدريكما أنه شرب خمرًا؟ فقالا: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية، وأخرجنا خاتمه فدفعاه إليه، فزجرهما^(٢) ودفع في صدورهما، وقال: تنحياً عني، فخرجا [من عنده] وأتيا على بن أبي طالب رضى الله عنه وأخبراه بالقصة، فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود، وأبطلت الحدود، فقال له عثمان: فماترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك [فتحضره] فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه ولم يدراً عن نفسه^(٣) بحجة أقمت عليه الحد، فلما حضر الوليد دعاها عثمان: فأقاما الشهادة عليه ولم يدل بحجة فألقى عثمان السوط إلى على، فقال على لابنه الحسن: قم يا بنى فأقم عليه ما أوجب الله عليه، فقال: يكفينيه بعض من ترعى، فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه توقياً لغضب عثمان لقرابته منه أخذ على السوط ودنا منه، فلما أقبل نحوه سبه الوليد، وقال: يا صاحب مكس، فقال عقيل بن أبي طالب وكان ممن حضر: إنك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت، وأنت عالج من أهل صفورية—وهي قرية بين عكاء واللجون، من أعمال الأردن، من بلاد طبرية، وكان ذكر أن أباه كان يهودياً منها— فأقبل الوليد يرؤغ من على، فاجتذبه على فضرب به الأرض، وعلاه بالسوط، فقال عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا، قال: بل وشرأ من هذا إذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه.

(١) في ب « وأبو جندب بن زهير » . (٢) في ب « فرزاها »

(٣) في ب « ولم يدل بحجة » .

سعيد بن العاص

وولى الكوفة بعده سعيد بن العاص ، فلما دخل سعيد الكوفة والياً أبى أن يصعد المنبر حتى يُغسل ، وأمر بغسله ، وقال : إن الوليد كان نجساً رجساً ، فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة ، فاستبد^(١) بالأموال ، وقال فى بعض الأيام أو كتب به عثمان : إنما هذا السواد^(٢) قطين لقريش ، فقال له الأشتر ، وهو مالك بن الحارث النخعي : أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكبنا بستاناً لك ولقومك ؟ ثم خرج إلى عثمان فى سبعين راكباً من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد [بن العاص] ، وسألوا عزله عنهم ، فمكث الأشتر وأصحابه أياماً لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شيء ، وامتدت أيامهم بالمدينة ، ووقدم على عثمان أمراؤه من الأمصار منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر ومعوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة ، فأقاموا بالمدينة أياماً لا يردهم إلى أمصارهم ، وكره أن يرد سعيداً إلى الكوفة ، وكره أن يعزله ، حتى كتب إليه من أمصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور ، فجمعهم عثمان وقال : ماترون ؟ فقال معاوية : أما أنا فراض بى جندى ، وقال عبد الله بن عامر بن كرز : ليكفك امرؤ ما قباه أ كُفِكَ ما قبلى ، وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره ، وقال سعيد بن العاص : إنك إن فعلت هذا كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون ، وقد صاروا حاققاً فى المسجد ليس لهم غير الأحاديث والخوض ، فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم أحدهم أن يموت^(٣) على ظهر دابته ، قال : فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج إلى المسجد ، فإذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه ، فقالا له : [تعال] إلينا ، فصار إليهما ، فقالا : ما وراءك ؟ قال : الشر ،

(١) فى ب « واشتبه بالأموال » .

(٢) فى ب « فطير لقريش » .

(٣) فى ا « أن يحرب على ظهر دابته » .

ما ترك شيئاً من المنكر إلا أتى به وأمره به ، وجاء الأشر فقالاته : إن عاملكم الذى قمت فيه خطباء قدرد عليكم وأمر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وبكذا ، فقال الأشر : والله لقد كنا نشكوا سوء سيرته وما قمنا فيه خطباء ، فكيف وقد قمنا ؟! وإيم الله على ذلك لولا أنى أنفدت النفقة وأنضيت الظهر لسبقته إلى الكوفة حتى أمنعه دخولها ، فقالاته : فعندنا حاجتك التى تقوم بك^(١) فى سفرك قال : فأسلفانى إذاً مائة ألف درهم ، قال : فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم ، فقسما بين أصحابه ، وخرج إلى الكوفة فسبق سعيداً ، وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ما وضعه بعد ، ثم قال : أما بعد ، فإن عاملكم الذى أنكرتم تعديه وسوء سيرته قدرد عليكم ، وأمر بتجهيزكم فى البعوث ، فبايعونى على أن لا يدخلها ، فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة وخرج راكباً متخفياً^(٢) يريد المدينة أو مكة ، فلقى سعيداً بواقصة فأخبره بالخبر ، فانصرف إلى المدينة ، وكتب الأشر إلى عثمان : إنا والله ما منعنا عاملك الدخول لنفسد عليك عملك ، [ولكن لسوء سيرته فينا وشدة عذابه ، فابعث إلى عاملك] من أحببت . فكتب إليهم : انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولوه ، فنظروا فإذا هو أبو موسى الأشعري ، فولوه .

بدء الطعن
على عثمان
وسببه

وفى سنة خمس وثلاثين كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه ، وظهر عليه النكير لأشياء ذكروها من فعله :

منها ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود ، وانحراف هذيل عن عثمان من أجله .

ومن ذلك ما نال عمار بن ياسر من الفتن^(٣) والضرب ، وانحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله .

(١) فى ب « حاجتك التى تقوتك » .

(٢) فى ا هـ وخرج راكباً فى ثيف .

(٣) فى ا هـ ما قال عمار بن ياسر من العنف .

الوليد بن عقبة
ويهودى مشعوذ

ومن ذلك فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة ، وذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال لها زرارة^(١) يعمل أنواعاً من الشعبة والسحر يعرف ببطروني^(٢) فأحضره [فأراه في المسجد ضرباً من التخيل ، وهو أن أظهر له في الليل قبلاً عظيماً على فرس [يركض] في صحن المسجد ، ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ، ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل ، وكان جماعة من أهل الكوفة حضوراً منهم جندي بن كعب الأزدي ، فجعل يستعبد بالله من فعل الشيطان ، ومن عمل يبعد من الرحمن ، وعلم أن ذلك [هو] ضرب من التخيل والسحر ، فاخترط سيفه وضرب به اليهودي ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه ، وقال : (جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً) ، وقد قيل : إن ذلك كان نهارة ، وإن جندياً خرج إلى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفاً ودخل فضرب به عنق اليهودي ، وقال : إن كنت صادقاً فأخني نفسك ، فأنكر عليه الوليد ذلك ، وأراد أن يقيد به ، فمنعته الأزدي ، فحبسه ، وأراد قتله غيلة^(٣) ، ونظر السجنان إلى قيامه ليلاً إلى الصبح ، فقال له : أنج نفسك ، فقال له جندي : تقتل بي ، قال : ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من أولياء الله فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده ، فسأل السجنان ، فأخبره بهر به ، فضرب عنق السجنان ، وصلبه بالكناسة .

بين عثمان
وأبي ذر

ومن ذلك ما فعل بأبي ذر ، وهو أنه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان : أرايتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره ؟ فقال كعب : لا يا أمير المؤمنين ، فدفع

(١) عن ب عبارة « يقال له زرارة » .

(٢) في ب « يعرف بمطروني » .

(٣) في ا « وأراد قتله بحيلة » .

أبو ذر في صدر كعب ، وقال له : كذبت يا ابن اليهودى ، ثم تلا (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب — الآية) فقال عثمان : أترون بأساً أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننقله فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب : لا بأس بذلك ، فرجع أبو ذر العاصدفع بها في صدر كعب وقال : يا ابن اليهودى^(١) ما أجراك على القول في ديننا ! فقال له عثمان : ما أكثر أذاك لي ! غيب وجهك عني فقد آذيتنا ، فخرج أبو ذر إلى الشام ، فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ، ولا آمن أن يفسدهم عليك ، فإن كان لك في القوم حاجة فأحمله إليك ، فكتب إليه عثمان بحمله ، فحمله على بعير عليه قتب^(٢) يابس معه خمسة من الصقالبة بطيرون به^(٣) ، حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أنفخاذه وكاد أن يتلف ، فقيل له : إنك تموت من ذلك ، فقال : هيهات لن أموت حتى أنفي ، وذكر جوامع ما ينزل به بعد ، ومن يتولى دفنه ، فأحسن إليه [عثمان] في داره أياما ، ثم دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء ، وذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خوفاً ، ومرّ في الخبر بطوله ، وتكلم بكلام كثير ، وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف [الزهرى] من المال ، فنثرت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم ، فقال عثمان : إني لأرجو لعبد الرحمن خيراً ؛ لأنه كان يتصدق ، ويقرى الضيف ، وترك ماترون ، فقال كعب الأحبار : صدقت يا أمير المؤمنين ، فشال أبو ذر العصا ، فضرب بها رأس كعب ، ولم يشغله ما كان فيه من الألم وقال : يا ابن اليهودى تقول لرجل مات وترك هذا المال : إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة ، وتقطع على الله بذلك ، وأنا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ما يسرنى أن

(١) في ا هنا « يابن السوداء » .

(٢) في ا « يطردون به » .

أموت وأدع ما يزن قبر اطا « فقال له عثمان : وَاِرِ عَنِي وَجْهَكَ، فقال : أسير إلى مكة ، قال : لا والله ، قال : فتمنعني من بيت ربي أعبد فيه حتى أموت ؟ قال : إِي وَ اللَّهِ ، قال : فإلى الشام ، قال : لا والله [قال . البصرة ؟ قال : لا والله] ^(۱) ، فاختر غير هذه البلدان ، قال : لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك ، ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان ، فَسَيَّرَنِي حَيْثُ شِئْتُ مِنَ الْبِلَادِ ، قَالَ فَإِنِّي مَسِيرٌ إِلَى الرَّبْدَةِ ، قال : الله أكبر ، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرني بكل ما أنا لاق ، قال عثمان : وما قال لك ؟ قال : أخبرني بأنني أمتنع عن مكة والمدينة وأموت بالرْبْدَةِ ، ويتولى مواراتي نفر ممن يرُدُّونَ من العراق نحو الحجاز ، وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل : ابنته وأمر عثمان أن يتجافاه الناس ^(۲) حتى يسير إلى الرَّبْدَةِ ، فلما طلع عن المدينة ومروان يسير عنها طلع عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه ابناه [الحسن والحسين] وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ، فاعترض مروان فقال : يا علي إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه ، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك ، فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط [وضرب] بين أذني راحلته ^(۳) ، وقال : تَنَحَّ نَحَاكَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ ، ومضى مع أبي ذر فشيعة ثم ودَّعه وانصرف ، فلما أراد على الانصراف بكى أبو ذر ، وقال : رحمكم الله أهل البيت ، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولديك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب ، فقال عثمان : يا معشر المسلمين من يعذرنني من علي ؟ ردَّ رسولِي عما وجهته له ، وفعل كذا ، والله لنعطينه حقه ، فلما رجع على استقباله الناس ، فقالوا له : إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر ، فقال علي : غَضِبَ الْخَيْلُ عَلَى اللَّجْمِ .

(۱) زيادة في ب

(۲) في ا « أن يتعاماه الناس » .

(۳) في ا « بين أذني ناقة مروان » .

فلما كان بالعشي جاء إلى عثمان ، فقال له : ما حملك على ما صنعت بمروان ولم اجترأت على وردت رسولى وأمرى ؟ ! قال : أما مروان فإنه أستقبلنى بردنى^(١) فردته عن ردى ، وأما أمرى فلم أردّه ، قال عثمان : ألم يبلغك أنى قد نهيت الناس عن أبى ذر وعن تشييعه ؟ فقال على : أو كل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحق فى خلافه اتبعنا فيه أمرى ؟ بالله لا نفعل ، قال عثمان : أقيد مروان ، قال : ومم أقيده ؟ قال : ضربت بين أذنى راحلته [وشمته ، فهو شاتمك وضارب بين أذنى راحلتك] قال على : أما راحلتى فهى تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل . وأما أنا فوالله لئن شتمنى لأشتمنك أنت مثلها بما لأ كذب فيه ولا أقول إلا حقا . قال عثمان : ولم لا يشتمك إذا شتمته ، فوالله ما أنت عندى بأفضل منه ؟ ! فغضب على بن أبى طالب وقال : ألى تقول هذا القول ؟ وبمروان تعدلنى ؟ فأننا والله أفضل منك ، وأبى أفضل من أبىك ، وأمى أفضل من أمك ، وهذه نبلى قد نثلتها ، وهلم فانشل بنبلك ، فغضب عثمان وأحمر وجهه ، فقام ودخل داره ، وانصرف على ، فاجتمع إليه أهل بيته ، ورجال من المهاجرين والأنصار .

فلما كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكوا إليهم عليا وقال : إنه يعيبنى ويُظاهر من يعيبنى^(٢) ، يريد بذلك أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما ، فدخل الناس بينهما [حتى اصطلحا] وقال له على : والله ما أردت بتشيع أبى ذر إلا الله تعالى .

وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبى سفیان صخر بن حرب فى دار عمار بن ياسر عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفیان : أفيكم أحد من غيركم ؟ وقد كان عمى ، قالوا : لا ، قال يا بنى أمية ، تلقفوها

(١) فى « استقبلنى بردى » .

(٢) فى « إنه يعشنى ويظاهر من يعشنى » وما نظنه صحيح الرواية وإن

كان له معنى لا يمتنع

تلقت الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنَّ إلى صبيانكم وراثته ، فاتته عثمان ، وساءه ما قال ، ونمى هذا القول إلى المهاجرين والأنصار [وغير ذلك الكلام] فقام عمار في المسجد فقال : يا معشر قريش ، أما إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمنٍ من أن ينزع الله [منكم] فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله وقام المقداد فقال : ما رأيت مثل ما أودى به أهل هذا البيت بعد نبيهم ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وما أنت وذاك يا مقداد [بن عمرو؟] فقال : إني والله لأحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم ، وإن الحق معهم وفيهم ، يا عبد الرحمن أعجب من قريش - وإنما تطوُّلهم على الناس بفضل أهل هذا البيت - قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد [هـ] من أيديهم أما وأيم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي عليه الصلاة والسلام يوم بدر ، وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره في كتابنا « أخبار الزمان » في أخبار الشُّورى والدار .

الثورة على
عثمان

ولما كان سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحارث النخعي من الكوفة في مائتي رجل ، وحكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من أهل البصرة ، ومن أهل مصر ستمائة رجل عابهم عبد الرحمن بن عديس الشُّورى^(١) ، وقد ذكر الواقدي وغيره من أصحاب السير أنه ممن باع تحت الشجرة ، إلى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحق الخزاعي وسعد بن حمران التُّجيب^(٢) ، ومعهم محمد أبي بكر الصديق ، وقد كان تكلم بمصر ، وحرَّضَ الناس على عثمان لأمر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم ، فنزلوا في الموضع المعروف بذي الخشب^(٣) فلما علم

(١) في ب « الشلوى » .

(٢) في ب « عمرو بن الجموع الخزاعي وسودان بن أحمد التُّجيب ، ومنهم

محمد بن أبي بكر » .

(٣) في ب « المعروف بخشب » .

عثمان بنزولهم بعث إلى علي بن أبي طالب فأحضره^(١) ، وسأله أن يخرج إليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة ، فسار علي إليهم ، فكان بينهم خطب طويل ، فأجابوه إلى ما أرادوا وانصرفوا ، فلما صاروا إلى الموضع المعروف بحسى^(٢) إذا هم بـغلام على بعير وهو مقبل من المدينة ، فتأملوه فإذا هو ورث غلام عثمان ، فقرروا ، فأقرروا وأظهروا كتاباً إلى ابن أبي سرح صاحب مصر [وفيه] « إذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان ، واقتل فلاناً ، وافعل بفلان كذا ، وأحصى أكثر من في الجيش ، وأصرفهم بما أمر » وعلم القوم أن الكتاب بخط مروان ، فرجعوا إلى المدينة ، واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق ، ونزلوا المسجد وتكلموا ، وذكروا ما نزل بهم من عمالهم ، ورجعوا إلى عثمان فحاصروه في داره ، ومنعوه الماء ، فأشرف على الناس وقال : ألا أحد يسقينا ، وقال : بم تستحلون قتلى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس » ؟ ووالله ما فعلت ذلك في جاهلية أو إسلام ، فبلغ علياً طلبه الماء ، فبعث إليه بثلاث قرب ماء ، فما وصل إليه ذلك حتى خرج جماعة من موالى بني هاشم وبني أمية ، وارتفع الصوت ، وكثر الضجيج ، وأخذوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان ، فأبى أن يخلى عنه ، وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود لأنه كان من أحلافها ، وهذيل لأنه [كان] منها ، وبنو مخزوم وأحلافها لعمار ، وغفار وأحلافها لأجل أبي ذر ، وتيم بن مرة مع محمد بن أبي بكر ، وغير هؤلاء ممن لا يحمل كتابنا ذكره ، فلما بلغ علياً أنهم^(٣) يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته ، وأمرهم أن يمنعوه منهم ، وبعث الزبير ابنه عبد الله ، وبعث طلحة ابنه محمداً ، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم

(١) في ١ « فأخبره »

(٢) في ب « بحسى » .

(٣) في ١ « فلما رأى على أنهم - إلخ »

(٢٣ - مروج الذهب ٢)

آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا ، فصدُّوهم عن الدار ، فرمى من وصفنا بالسهام ، واشتبك^(۱) القوم ، وجرح الحسن ، وشجَّ قنبر ، وجرح محمد بن طلحة ، فخشي القوم أن يتعصب بنوهاشم وبنو أمية ، فتركوا القوم في القتال على الباب ، ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها ، وكان ممن وصل إليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران ، وعند عثمان زوجته ، وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال ، فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته ، فقال : يا محمد ، والله لوراك أبوك لساءه^(۲) مكانك فتراخت يده ، وخرج عنه إلى الدار ، ودخل رجلان فوجداه قتيلا^(۳) ، وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه ، فصعدت امرأته فصرخت [وقالت : قد قتل أمير المؤمنين ، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية ، فوجدوه قد فاضت نفسه رضي الله عنه ، فبكوا ، فبلغ ذلك علياً وطلحة والزبير [وسعداً] وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، فاسترجع القوم ، ودخل على الدار ، وهو كالواله الحزين ، وقال لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب^(۴)؟ ولطم الحسن وضرب [صدر] الحسين ، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير ، فقال له طلحة : لا تضرب يا أبا الحسن ، ولا تشتم ، ولا تلعن ، لو دفع [إليهم] مروان ما قتل ، وهرب مروان وغيره من بني أمية ، وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا ، وقال علي لزوجته نائلة بنت الفرافصة : من قتل وأنت كنت معه؟ قالت : دخل إليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبي بكر ، فلم ينكر ما قالت ، وقال : والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله^(۵) ، فلما خاطبني بما قال خرجت ، ولا أعلم بتخلف الرجلين عني ، والله ما كان لي في قتله [من] سبب ، ولقد قتل وأنا لأعلم بقتله .

(۱) في ۱ « واشتد القوم »

(۲) في ۱ « لساءه ذلك » .

(۳) في ۱ « فوجئاه قتيلا » ووقع فيها « فرجئاه » بالراء - محرفا

(۴) في ۱ « وأنتما على الباب »

(۵) في ۱ « وإني أريد قتله »

وكانت مدة محاصر عثمان في داره تسعاً وأربعين يوماً ، وقيل : أكثر من ذلك .

وقتل في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة ، وذكر^(١) أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التميمي ، ضربه بعمود على جبهته ، والآخر منهما سعد بن حمران المرادي^(٢) ، ضربه بالسيف على حبل عاتقه فحله .

وقد قيل : إن عمرو بن الحمق طعنه بسهم تسع طعنات ، وكان فيمن مال عليه^(٣) عمير بن ضابي [البرجمي] التميمي ، وخضخض سيفه في بطنه .

ودفن على ما وصفنا في الموضع المعروف بحش كوكب ، وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ، ويعرف أيضاً بحلة^(٤) ، وصلى عليه جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة .

ولما حوَّصر عثمان كان أبو أيوب الأنصاري رضى الله عنه يصلى بالناس ، ثم امتنع ، فصلى بهم سهل بن حنيف ، فلما كان يوم النحر صلى بهم على ، وقيل : إن عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية ثمانية عشر رجلاً منهم مروان بن الحكم . وفي مقتله تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتل التميمي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غيبوا عنى فضول أبي عمرو
وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الأنصار وغيرهم ، وأعان
[عليه و] على قتله ، والله أعلم بما قاله ، من أبيات :

خذلت الأنصار إذ خضر الموت وكانت ولاية الأنصار

(١) في ١ « وقيل : إن أحد الرجلين هو كنانة بن بشر التميمي »

(٢) في ب « سودان بن حمران المرادي » وانظر ص ٣٥٢

(٣) في ١ « وكان فيمن مال إلى قتله »

(٤) في ب « بحل »

مَنْ عَذِيرِي مِنَ الزَّيْبِرِ وَمَنْ طَلَحَتْهُ إِذَا جَا أَمْرًا لَهُ مَقْدَارٌ
 فتولى محمد بن أبي بكر عياناً ، وخلفه عمار^(۱)
 في شعره طويل يذكر فيه غير من ذكرنا ، وينسبهم إلى التمالؤ على قتله ،
 والرضا بما فعل به ، والله أعلم ، وكان حسان عثمانياً منجرفاً عن غيره ، وكان
 عثمان إليه محسناً ، وهو المتوعد للأنصار في قوله في شعره :

[يَأْتِيَتْ شَعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تَخْبِرُنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَانَا]^(۲)
 لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكَا فِي دِيَارِهِمْ اللهُ أَكْبَرُ ، يَا ثَارَاتِ عُمَانَا
 وكان عثمان رضي الله عنه كثيراً ما ينشد أبياتاً قالها وبطيل ذكرها لا تعرف
 لغيره ، منها :

تَفْنَى اللَّذَاذَةَ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
 يَلْقَى عَوَاقِبَ سُوءٍ مِنْ مَغْبِتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ^(۳)

وكان الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لأمه ، فسمع في الليلة الثانية
 من مقتل عثمان يندبه ، وهو يقول :
 كَصَدْعِ الصَّفَا مَا يَوْمِضُ الدَّهْرُ شَاعِبُهُ بَنِي هَاشِمٍ ، إِنَا وَمَا كَانَ بَيْنَنَا
 وَسَيْفِ ابْنِ أَرْوَى عِنْدَكُمْ وَحَرَائِبِهِ بَنِي هَاشِمٍ ، كَيْفَ الْهَوَادَةِ بَيْنَنَا
 وَلَا تَنْهَبُوهُ ، لَا تَحُلُّ مَنَاهِبِهِ بَنِي هَاشِمٍ ، رَدُّوْا سِلَاحَ ابْنِ أَخْتِكُمْ
 كَمَا غَدَرْتُمْ بِهِ كَيْمَا تَكُونُوا مَكَانَهُ غَدَرْتُمْ يَوْمًا بِكَسْرِي مَرَّازِبُهُ
 وَهِيَ أَبْيَاتٌ :

فأجابه عن هذا الشعر ، وفيما رمى به بني هاشم ونسبه إليهم ، الفضل بن
 العباس [بن عتبة] بن أبي لهب فقال :
 فَلَا تَسْأَلُونَا سَيْفِكُمْ ؛ إِنْ سَيْفِكُمْ أَضْيَعُ ، وَأَلْقَاهُ لَدَى الرَّوْعِ صَاحِبِهِ

(۱) هذه الأبيات لا توجد في نسخ ديوان حسان بن ثابت .
 (۲) سقط هذا البيت من (۳) في « تبق عواقب سوء من مغيبها »

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا
وكان وليّ الأمر بعد محمد
علىّ وليّ الله أظهر دينه
وأنت امرؤ من أهل صفواء نازح
وقد أنزل الرحمنُ أنك فاسق
قال المسعودى رحمه الله : ولعثمان أخبار وسير وما أثر حسان ، قد أتينا على
ذكرها فى كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وكذلك ما كان
فى أيامه من الكوائن والأحداث والفتوح والحروب من الروم وغيرهم [والله
ولى التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم]^(٤).

(١) فى ب « وكان وليّ العهد بعد محمد »

(٢) فى ا « علىّ إلى أن أظهر الله دينه »

(٣) فى ب « وأنت امرؤ من أهل صفور مارخ » .

(٤) لا توجد هذه العبارات فى ا .

ذكر خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه !

موجز
 بويع علي^(۱) بن أبي طالب في اليوم الذي قُتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكانت خلافته إلى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل : أربع سنين وتسعة أشهر إلا يوماً ، وكانت الفرقة بينه وبين معاوية [ابن أبي سفيان] على ما ذكرنا في خلافته^(۲) ، وكان مولده في الكعبة ، وقيل : إن خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال ، واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت ، وتوفي ليلة الأحد ، وقد قيل في مقدار عمره أقل مما ذكرنا ، وقد تنوزع في موضع قبره ؛ فمنهم من قال : إنه دفن في مسجد الكوفة ، ومنهم من قال : إنه حمل إلى المدينة فدفن عند [قبر] فاطمة ، ومنهم من قال : [إنه] حمل في تابوت على جمل ، وإن الجمل تاه ووقع إلى وادي طيء ، وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط.

(۱) في « وبيع الناس على بن أبي طالب »

(۲) في « فيما ذكرنا من خلافته » .

ذكر نسبه ، ولع من أخباره وسيره

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويكنى
أبا الحسن ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، ولم يكن من عهد
النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا من خلافة المتقي [ممن ولي الخلافة] من
اسمه علي غيره ، و [غير] المكتفى بالله علي بن المعتضد ، وكان أول من ولده
هاشميان من الخلفاء ، وقد قيل : إنه ببيع البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة
أيام ، وقد ذكرنا البيعة الأولى فيما سلف من هذا الكتاب ، وتنازع الناس
في اسم أبي طالب أبيه ، وولد أبي طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان
فطالب وعقيل وجعفر وعلي وفاخته وجمانة^(١) لأب وأم ، أمهم فاطمة بنت
أسد بن هاشم ، وبين كل واحد من البنين عشر سنين : [فطالب الأكبر
وبينه وبين عقيل عشر سنين ، وبين عقيل وجعفر سنتان ، و]^(٢) بين جعفر
وعلي عشر سنين ، وأخرج شريك قريش طالب بن أبي طالب يوم بدر
إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهاً ، ومضى ولم يعرف له خبر ،
وحفظ من قوله في هذا اليوم :

إخوته
وأخواته

يارب إما خرجوا بطالب في مقنب من تلك المقائب

فاجعاهم المغلوب غير الغالب والرجل المسلوب غير السالب

وكان زوج فاخته بنت أبي طالب أبو وهب هبيرة بن عمرو بن عائذ^(٣) بن
عمرو بن مخزوم ، وخلف عايتها ابناً وبناتاً ، وهاجرت ، ومات زوجها بنجران
مشركاً ، وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة :

(١) في « وجمانة » بالحاء المهملة (٢) في ب يقع هذا الكلام متأخراً .

(٣) في ب « بن عابد » .

أشأقتك هند أم شآك سؤالها؟ كذاك النوى أسبابها وانتقالها^(١)
 وأرقني في رأس حصن ممرِّدٍ بنجران يسرى بعد نوم خيالها
 فإن تك قد تابعت دين محمد وقطعت الأرحام منك حبأها
 وهي طويلة، وكانت تكنى أم هاني، وقد استعمل علي — حين أفضت
 الخلافة إليه — ابنها جعدة بن هبيرة، وجعدة هو القائل :

أبي من بني مخزوم أن كنت سائلا ومن هاشم أمي لخير قبيل
 فمن ذا الذي يبأى عليَّ بخاله وخالي عليَّ ذو الندى وعقيل^(٢)

وجمانه بنت أبي طالب كان بعلمها سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهي
 أول هاشمية ولدت لهاشمي^(٣)، كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب
 قريش وأخبارها، وهاجرت وماتت بالمدينة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان مسير علي إلى البصرة في سنة ست وثلاثين، وفيها كانت وقعة الجمل،
 وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى منها، وقتل فيها من أصحاب
 الجمل من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً، وقتل من أصحاب علي خمسة آلاف،
 وقد تنازع الناس في مقدار من قتل من الفريقين : فمن مقلل ومكثر؛ فالقليل يقول :
 قتل منهم سبعة آلاف [والمكثري يقول : عشرة آلاف] على حسب ميل الناس
 وأهوائهم إلى كل فريق منهم، وكانت وقعة واحدة في يوم واحد.

وقيل : إنه كان بين خلافة علي إلى وقعة الجمل [خمسة أشهر وأحد وعشرون
 يوماً، وبين وقعة الجمل] وأول الهجرة خمس وثلاثون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام،
 وبين ذلك وبين دخول علي إلى الكوفة [شهر، وبين ذلك وبين أول الهجرة
 خمس وثلاثون سنة وستة أشهر وعشرة أيام، وبين دخول علي و [التقائه مع
 معاوية للقتال بصيفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وبين ذلك وأول الهجرة
 ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوماً.

(١) في « فآك سؤالها » وفي ب « نآك سؤالها ». (٢) يبأى : يفخر
 (٣) في ب « وهي أول هاشمية ولدت بهاشمي ».

وقتل بصفين سبعون ألفاً : من أهل الشام [خمس وأربعون ألفاً] ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام ، وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلاً : منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سَمِيَّة وهو ابن ثلاث وسبعين^(١) سنة .

قتلى صفين
وأيامها

وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة^(٢) .

وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكيم - وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري - بأرض البلقاء من أرض دمشق ، وقيل : بدومة الجندل ، وهي على [نحو] عشرة أميال من دمشق ، وكان من أمرهما ما قد شهر ، وسنورد في هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا . وفي هذه السنة حكمت الخوارج [وتحكمت] ، وهم الشُّرَاةُ .

وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً : منهم سبعة عشر من المهاجرين ، وسبعون من الأنصار ، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة ، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة .

حربه مع
الخوارج

وفي سنة ثمان وثلاثين كان حربه مع أهل النَّهْرَوَانَ من الخوارج ، وقعد عن بيعته جماعة عمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر : منهم سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ، ومنهم قُدَامَةُ بن مظعون ، وأهبان بن صيفي^(٣) ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة الثقفي ، ومن اعتزل من الأنصار كعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، وكانا شاعرين ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل ،

(١) في « ثلاث وتسعين سنة »

(٢) في « تسعون وقعة » .

(٣) في ب « ووهبان بن صيفي » .

[ویزید بن ثابت ، ورافع بن خدیج ، ونعمان بن بشیر]^(۱) وفضالة بن عبید ،
و کعب بن عجرة [ومسلمة بن خالد ، فی آخرین ممن لم نذكرهم من العثمانية
من الأنصار] وغيرهم من بنی أمیة وسواهم .

وانتزع علی أملاً كما كان عثمان أقطعها جماعةً من المسلمين^(۲) ، وقسم
ما فی بیت المال علی الناس ، ولم يُفَضَّلْ أحداً علی أحد ، وبعثت أم حبیبة
بنت أبی سفیان إلى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضباً بدمائه مع النعمان بن
بشیر الأنصاری ، واتصلت بیعة علی بالكوفة وغيرها من الأنصار ، وكان
أهل الكوفة أسرع [إجابة]^(۱) إلى بیعته ، وأخذ له البيعة علی أهلها
أبو موسى الأشعري ، حتى تكاثر الناس علیه ، وكان علیها عاملاً لعثمان .

بنو أمیة
عند علی

وأناه جماعة ممن تخلف عن بیعته من بنی أمیة : منهم سعید بن العاص ،
ومروان بن الحكم ، والولید بن عُقبَة بن أبی مُعَيْط ، فخرى بينه وبينهم
خطب طویل ، وقال له الولید : إنا لم نتخلف عنك رغبة عن بیعتك^(۳) ،
ولكننا قوم وترنا الناس ، وخفنا علی نفوسنا ، فعذرنا فيما نقول واضح ،
أما أنا فقتلت أبی صبراً ، وضربتني حداً ، وقال سعید بن العاص كلاماً كثيراً ،
وقال له الولید : أما سعید فقتلت أباه ، وأهنت مشواه ، وأما مروان فإنك
شمت أباه ، وعبت عثمان فی ضمه إياه^(۴) .

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وکعب بن مالك
والنعمان بن بشیر — قبل نفوذه بالتمیص — أتوا علیاً فی آخرین من العثمانية
فقال کعب بن مالك : یا أمیر المؤمنین ، لیس مسيئاً من عتب ، وخیر کفر
ما محاه عذر ، فی كلام كثير ، ثم باع وباع من ذکرنا جميعاً .

(۱) زیادة فی ا

(۲) فی ا « جماعة من الناس » .

(۳) فی ا « لم نتخلف عن بیعتك رغبة عنك » .

(۴) فی ب « وکبت عثمان فی ضمه إياه » .

وقد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لا يحرفه [عنه] وتوليته مصر غيره،
 فنزل الشام، فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي، كتب إلى معاوية
 يهزئه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان، وكان فيما كتب به إليه: ما كنت
 صانعاً إذا قشرت من كل شيء، تملكه فاصنع ما أنت صانع، فبعث إليه
 معاوية، فسار إليه، فقال له معاوية: بايعني، قال: لا، والله لا أعطيك
 من ديني حتى أنال من دنياك، قال: سل، قال: مصر طعمة، فأجابه إلى
 ذلك، وكتب له به كتاباً، وقال عمرو بن العاص في ذلك:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا، فانظرن كيف تصنع
 فإن تعطني مصر فأربح بصفقة أخذت بها شيخاً يضر وينفع^(١)

وأتى المغيرة بن شعبة علياً، فقال له: إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن المغيرة بن شعبة
 الرأي اليوم تحوز به ما في غد، وإن المضاع^(٢) اليوم تضيع به ما في غد، أقرر معاوية
 على عمله، وأقرر ابن عامر على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك
 طاعتهم وطاعة الجنود^(٣) استبدلت أو تركت، قال: حتى أنظر، فخرج من عنده
 وعاد إليه من الغد، فقال: إني أشرت عليك بالأمس برأى وتعقبته برأى، وإنما
 الرأي أن تعاجلهم بالنزع فتعرف السامع من غيره وتستقبل أمرك، ثم خرج [من
 عنده] فتلقاها ابن عباس خارجاً وهو داخل؛ فلما انتهى إلى علي قال: رأيت المغيرة خارجاً
 من عندك ففيم جاءك؟ قال: جاءني أمس بكيت وكيت؛ وجاءني اليوم بذيت وذيت؛
 فقال: أما أمس فقد نصحك؛ وأما اليوم فقد غشك؛ قال: فما الرأي؟ قال:
 كان الرأي أن تخرج حين قتل عثمان، أو قبل ذلك، فتأتي مكة فتدخل دارك
 فتلق عليك بابك؛ فإن كانت العرب ماثلة مضطرة في أترك لا تجد غيرك؛ فأما

(١) في ب « فأربح صفقة »

(٢) في ب « وإن التصارع اليوم » .

(٣) في ا « وبيعة الجنود » .

اليوم فإن بنى أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شُعبَةَ من هذا الأمر، ويشبهون فيك على الناس، وقال المغيرة : نصحته فلم يقبل، فغششته، وذكر أنه قال : والله ما نصحته قبأها، ولا أنصحه بعدها.

قال السعدي : ووجدت في وجه آخر من الروايات أن ابن عباس قال : قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال، فجئت علياً أدخل عليه، فقيل لي : عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة، فسلم علياً، وقال : متى قدمت؟ قلت : الساعة، ودخلت على عليّ وسلمت عليه، فقال : أين لقيت الزبير وطلحة؟ قلت : بالنواصف، قال : ومنَ معهما؟ قلت : أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فتية^(١) من قريش، فقال علي : أما إنهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، والله يعلم أنهم قتلَ عثمان، فقلت . أخبرني عن شأن المغيرة، ولم خلاً بك؟ قال : جاءني بعد مقتل عثمان بيومين، فقال : أخليني^(٢)، ففعلت، فقال : إن النصح رخيص وأنت بقية الناس، وأنا لك ناصح، وأنا أشير عليك أن لا ترد عمال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمان أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت، فقلت له : والله لا أداهن في ديني، ولا أعطي الرياء في أمري، قال : فإن كنت قد أبيت فاتزع من شئت واترك معاوية فإن له جراءة وهو في أهل الشام مسموع منه، ولك حجة في إثباته فقد كان عمر ولاء الشام كلها، فقلت له : لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً، فخرج من عندي على ما أشار به، ثم عاد، فقال : إني أشرت عليك بما أشرت به وأبيت علي، فنظرت في الأمر، وإذا أنت مصيب لا ينبغي أن تأخذ أمرك بخدعة، ولا يكون فيه دلسة^(٣)، قال ابن عباس : فقلت له : أما أول ما أشار [به] عليك فقد نصحتك، وأما الآخر فقد غشيتك، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية

(٢) يريد كني في خلوة .

(١) في ب « بن فتية »

(٣) في ب « دنسة » .

فإن بايع لك^(١) فعلى أن أقلمه من منزله ، قال : لا ، والله لأعطيه إلا السيف ،
ثم تمثل :

فما مِيتَةٌ إنْ مِئْتَهَا غيرَ عاجزٍ بَعَارٍ ، إذا ما غالتِ النَّفْسَ غَوْلَهَا
فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت رجل شجاع ، أما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « الحرب خدعة » ؟ فقال علي : بلى ، قلت :
أما والله لئن أطعتني لأصدرن بهم بعد ورود ، ولأتركنهم ينظرون في أدبار
الأمر ، ولا يدرون ما كان وجهها ، من غير نقص لك ، ولا إثم عليك ،
فقال لي : يا ابن عباس ، لست من هنياتك ولا هنيات معاوية في شيء تشير به
علي برأى ، فإذا عصيتك فأطعني ، فقلت أنا : أفعل ، فإن أيسر مالك عندي
الطاعة ، والله ولي التوفيق .

(١) في « فإن بايعك » .

ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه

وما كان فيه من الحرب ، وغير ذلك

تدبير الخروج
على علي

ودخل طلحة والزبير مكة ، وقد كانا استأذنا علياً في العمرة ، فقال لهما :
لعلكما تريدان البصرة أو الشام ، فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة ، وقد كانت
عائشة رضي الله عنها بمكة ، وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة
هرب عنها حين أخذ البيعة لعلي بها على الناس حارثة بن قدامة السعدي ،
ومسير عثمان بن حنيف الأنصاري إليها على خراجها من قبل علي رضي الله
عنه ! وانصرف عن اليمن عامل عثمان [وهو يعلى بن منية ، فأتى مكة وصادف
بها عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم في آخرين من بني أمية ، فكان
ممن حَرَّضَ على الطلب بدم عثمان^(١) ، وأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمائة
[ألف] درهم ، وكرّاعاً وسلاحاً ، وبعث إلى عائشة بالجمل المسمى عسكرياً ،
وكان شراؤه عليه باليمن مائتي دينار ، فأرادوا الشام ، فصدمهم ابن عامر ،
وقال : إن به معاوية ، ولا ينقاد إليكم ولا يطيعكم^(٢) ، لكن هذه البصرة
لي بها صنائع وعدد ، فجهزهم بألف ألف درهم ومائة من الإبل وغير ذلك .
وسار القوم نحو البصرة في ستمائة راكب ، فاتهموا في الليل إلى ماء لبني كلاب
يعرف بالحوّاب ، عليه ناس من بني كلاب ، فعوت كلابهم على الركب ،
فقال عائشة : ما اسم هذا الموضع ؟ فقال لها السائق لجلها : الحوّاب ،
فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك^(٣) ، فقالت : رُدُّوني إلى حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا حاجة لي في السير ، فقال الزبير : بالله ما هذا
الحوّاب ، ولقد غلط فيما أخبرك به ، وكان طلحة في ساقّة الناس ، فلحقها فأقسم

المسير
إلى البصرة

(١) زيادة في ا « ولا يعطيكم من نفسه النصفه » .

(٢) في ا « ولا يعطيكم من نفسه النصفه » .

(٣) يروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه « كَأَنِّي يَأْحَدُكُمْ وَقَدْ
نَبَحْتُمْ كِلَابَ الْحَوَّابِ » ثم قال لعائشة « إِيَّاكَ أَنْ تَكُونِيهَا » .

أن ذلك ليس بالحوأب ، وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم ، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت في الإسلام ، فأتوا البصرة فخرج إليهم عثمان ابن حنيفة فمأَنَعَهُمْ ، وجرى بينهم قتال ، ثم إنهم اصطَلَحُوا بعد ذلك على كَفِّ الحرب إلى قدوم علي ، فلما كان في بعض الليالي بَيَّتُوا عثمان بن حنيفة فأَسْرَوْه وضربوه وנתفوا لحيته ، ثم إن القوم استرجعوا وخافوا على مختلفيهم بالمدينة من أخيه سهل بن حنيفة وغيره من الأنصار ، فخلَّوْا عنه ، وأرادوا بيت المال فمأَنَعَهُم الخَزَّانُ والموكلون به وهم السابجة^(١) ، فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح ، وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبِرا [من] بعد الأسر ، وهؤلاء أول من قُتِلَ ظلماً في الإسلام وصبِرا ، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدى ، وكان من سادات عبد القيس وزُهَّاد ربيعة ونسَّاكها ، وتشاحَّ طلحة والزبير في الصلاة بالناس ، ثم اتفقوا على أن يصلى بالناس عبد الله ابن الزبير يوماً ، ومحمد بن طلحة يوماً ، في خطب طويل كان بين طلحة والزبير إلى أن اتفقا على ما وصفنا .

وسار علي من المدينة بعد أربعة أشهر ، وقيل غير ذلك ، في سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار منهم سبعون بَدْرِيًّا وباقيهم من الصحابة ، وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيفة الأنصارى ، فأنهى إلى الرَّبْدَةَ بين الكوفة ومكة من طريق الجادة ، وفاته طلحة وأصحابه^(٢) ، وقد كان عليُّ أرادهم ، فانصرف حين فاتوه إلى العراق في طلبهم ، ولحق بعلي من أهل المدينة جماعة من الأنصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأناه من طيء ستمائة راكب ، وكاتب علي من الرَّبْدَةَ أبا موسى الأشعري ليستنفر الناس ، فثبَّطهم

(١) في ب « وهم السابجون » وفي ا « وهم السابجة » .

(٢) في ب « وفاته طلحة والزبير » .

أبو موسى ، وقال : إنما هي فتنة ، فسمى ذلك إلى علي ، فولّى على الكوفة قرظة^(١) ابن كعب الأنصاري ، وكتب إلى أبي موسى : اعتزل عملنا يا ابن الحائك^(٢) مذموماً مدحوراً ، فما هذا أول يومنا منك ، وإن لك فينا لهنات وهنات . وسار علي بمن معه حتى نزل بذي قار ، وبعث بابنه الحسن وعمار [بن ياسر] إلى الكوفة يستنفران الناس ، فساراعنها ومعهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف ، وقيل : ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً [منهم الأشتر] فانتهى [علي] إلى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله ، فأبوا إلا قتاله .

قدم على
البصرة

وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو خليفة^(٣) الفضل بن الحباب الجمحي عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال : لما قدم علي رضي الله عنه البصرة دخل مما يلي الطفّ ، فأتى الزاوية فخرجت أنظر إليه ، فورد موكب في نحو ألف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قانسوة وثياب بيض متقلد سيفاً ومعه راية ، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأنصار وغيرهم ، ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا خزّيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين ، ثم مرّ بنا فارس آخر على فرس كميّ معتم بعمامة صفراء من تحتها قانسوة بيضاء وعليه قبّاء أبيض [مصقول] متقلد سيفاً متنكب قوساً في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية ، فقلت : من هذا ؟ فقيل لي : أبو قتادة بن ربيعي ، ثم مرّ بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدّها من بين يديه ومن خلفه

(١) في « قرظة » بالطاء مهملة ، وهو تحريف .

(٢) في ب « يا ابن الحائك » (٣) في ب « أبو خليفة » محرفاً

شديد الأدمة عليه سكينه^(١) ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب^(٢) كأنما قد أوقفوا للحساب، أثرُ السجود [قد أثر] في جباههم، فقلت: من هذا؟ فقيل: عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم، ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوساً متقلد سيفاً تخط رجلاه [في] الأرض في ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء، قلت: من هذا؟ قيل: هذا [قيس بن]^(٣) سعد بن عبادة في [عدة من] الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان، ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدّها من بين يديه بلواء، قلت: من هذا؟ قيل: هو عبد الله بن العباس في [وفده و] عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين، قلت: من هذا؟ قيل: [عبيد الله بن العباس، ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين، قلت: من هذا]^(٤) قيل: قثم بن العباس، أو معبد بن العباس^(٥) ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً، واشتبهت الرماح، ثم ورد موكب فيه خاق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات في أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسر وجبر [قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، وكذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر] كأنما على رؤسهم الطير، وعن [يمينه شاب حسن الوجه، وعن [يساره شاب حسن الوجه] وبين يديه شاب مثلها] قلت: من هؤلاء، قيل: هذا علي بن أبي طالب، وهذاان الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية

(١) في ١ « قد علته سكينه » . (٢) في ١ « وكهول ووشان » .

(٣) في ١ « هذا سعد بن عبادة » . (٤) سقط هذا من ب .

(٥) في ب « أو سعيد بن العاص » وسعيد كان عثمانياً .

العُظمى، وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء ولد عَقِيل وغيرهم من فتيان بني هاشم، وهؤلاء المشايخ [هم] أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

فساروا حتى تزلوا^(١) الموضع المعروف بالزاوية، فصلى أربع ركعات، وعفر خديه على التراب، وقد خالط ذلك دموعه، ثم رفع يديه يدعو: اللهم رب السموات وما أظلت، والأرضين وما أقلت، ورب العرش العظيم، هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرها، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللهم [إن] هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي، وبغوا علي ونكثوا بيعتي، اللهم احقن دماء المسلمين.

وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء، وقال: علام تقاتلونني؟ فأبوا إلا الحرب، فبعث [إليهم] رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعوهم [إلى] الله، فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إلى علي وقالت أمه:

يارب إن مسلماً أتاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
نفضبوا من دمه لحامه وأمه قائمة تراهم

مبدأ القتال وأمر علي رضي الله عنه أن يصفوهم، ولا يبدءوهم بقتال، ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم [بسيف] ولا يطعنوهم برمح، حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من اليمنة بأخ له مقتول، وجاء قوم من الميسرة برجل قدرمي بسهم فقتل، فقال علي: اللهم اشهد، وأعدروا إلى القوم.

ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال: أيها الناس، ما أنصقتم نبيكم حين كفتكم عقائلكم في الخدور^(٢) وأبرزتم عقيلته للسيوف، وعائشة على جمل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر، وجعلوا دونه اللبود، وقد غشى على ذلك بالدروع، فدنا عمار من موضعها، فنادى: إلى ماذا تدعين؟ قالت:

(١) في « فسار حتى تزل - إلخ » .

(٢) في ب « حيث كفتكم عقائل تلك الخدور » .

إلى الطلب بدم عثمان ، فقال : قَاتَلَ اللهُ في هذا اليوم الباغى والطالب بغير الحق ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم لتعلمون أيننا المالىء في قتل عثمان ؟ ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل :

فمنك البكاء ، ومنك العويل ومنك الرياح ، ومنك الأطره
وأنت أمرتَ بقتل الإمام وقاتله عندنا من أمر
وتواتر عليه الرمي واتصل ، فحرك فرسه ، وزال عن موضعه [وأتى علياً]
فقال : ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب !؟

خطبة لعل
قبل الالتحام

فقام على رضى الله عنه [في الناس خطيباً رافعاً صوته] فقال : أيها الناس
إذا هزمتهم فلا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً ، ولا تتبعوا مولياً ،
ولا تطلبوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، ولا تهتكوا ستر ،
ولا تقربوا [شيئاً] من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع
أو عبد أو أمة ، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله .

بين علي
والزبير

وخرج على نفسه حاسراً على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسلح عليه
فنادى : يا زبير ، اخرج إلى ، فخرج [إليه الزبير] شاكفاً سلاحه ، فقيل [ذلك]
لعائشة ، فقالت : وائكلك يا أسماء^(١) ، فقيل لها : إن علياً حاسر ، فاطمأنت ، واعتنق
كل واحد منهما صاحبه ، فقال له علي : ويحك يا زبير ! ما الذى أخرجك ؟ قال :
دم عثمان ، قال : قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بنى بياضة وهو راكب حماره ، فضحك إلى رسول الله ، وضحكت
[إليه ، و] أنت معه ، فقلت أنت : يا رسول الله ، ما يدع على زهوه ، فقال لك
« ليس به زهو : أتجبه يا زبير » فقلت : إني والله لأجبه ، فقال لك « إنك والله
ستقاتله وأنت له ظالم » فقال الزبير : أستغفر الله ، والله لو ذكرتها ما خرجت ،
فقال له : يا زبير ارجع ، فقال : وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقنا البطان ؟ هذا

(١) في ب « واحرباء بأسماء » .

والله العار الذي لا يُفْسَل ، فقال : يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار
فرجع الزبير وهو يقول :

اخترت عاراً على نار مؤجَّجَةٍ ما إن يقوم لها خلق من الطين^(۱)
نادى عليُّ بأمر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت : حسبك من عدل أباحسن فبعضُ هذا الذي قد قلت يكفيني

فقال ابنه عبد الله : أين [تذهب و] تدعنا؟ فقال : يا بني أذكرني أبو الحسن بأمر
كنت قد أنسيته . فقال : لا والله ، ولكنك فررت من سيف بني عبد المطلب ؛
فإنها أطوال حداد ، تحملها فتية أنجاد ، قال : لا والله ، ولكنني ذكرت ما أنسانيه
الدهر ، فاخترت العار على النار ، أبا لجبن تعيرني لأبالك ؟ ثم أمال سناناه وشدَّ في
الميمنة^(۲) فقال علي : أفرجوا له فقد هاجوه ، ثم رجع فشدَّ في اليسرة ، ثم رجع
فشدَّ في القلب ، ثم عاد إلى ابنه ، فقال : أيفعل هذا جبان ؟ ثم مضى منصورفاً ،
حتى أتى وادي السباع والأحنتف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم ، فأتاه آتٍ
فقال له : هذا الزبير ماراً ، فقال : ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين
من الناس يقتل بعضهم بعضاً وهو مار إلى منزله سالماً ؟ أفلحقه نفر من بني تميم
فسبقهم إليه عمرو بن جرهموز ، وقد نزل الزبير إلى الصلاة [فقال : أتؤمنني أو
أؤمك ؟! فأمه الزبير] فقتله عمرو في الصلاة ، وقتل الزبير رضي الله عنه وله خمس
وسبعون سنة ، وقد قيل : إن الأحنتف بن قيس قتله بإرساله مَنْ أرسل من قومه
وقدرته الشعراء وذكرت غدر [عمرو] بن جرهموز به ، وممن رثاه زوجته عاتكة
بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد ، فقالت :

مقتل الزبير
ورثاؤه

(۱) في ا « أنى يقوم لها خلق من الطين ؟ » .

(۲) في ا « ثم قلع سناناه من قناته وشد في ميمنة علي » .

غَدَرَ ابن جرموز بفارس بُهْمَهُ يوم اللقاء ، وكان غير مسدِّدٍ^(١)
 يا عمرو ، لو نَبَّهتَه لوجدته لاطائشاً رعرش الجنان ولا اليد
 [هَبِلْتِكَ إِن قَلتَ كَمَسَلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقوبَةُ التعمد]^(٢)
 [ما إِن رأيتَ ولا سمعتَ بمثلِه فيمن مضى ممن يروح ويفتدى]^(٣)
 وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه ، وقيل : إنه لم يأت برأسه ،
 فقال علي : سيف طالما جلا الكرب عن [وجه] رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، لكنه الحين^(٤) ومصارع السوء ، وقاتل ابن صفيّة في النار ؛ ففي ذلك
 يقول عمرو بن جرموز التميمي [في أبيات] :

أتيت علياً برأس الزبير وقد كنت أرجوبه الزلفه
 فبشّرَ بالنار قبل العيانِ وبئس بشارة ذى التحفة^(٥)
 لسيان عندي قتلُ الزبير وضرطة عنزبذى الجحفه^(٥)

ثم نادى علي رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير : يا أبا محمد ، ما الذي بين علي وطلحة
 أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قال علي : قتل الله أولانا بدم عثمان ،
 أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم وال من والاه ،
 وعاد من عاداه » وأنت أول من بايعني ثم نكثت ، وقد قال الله عز وجل
 (ومن نكث فإنما ينكث على نفسه) فقال : أستغفر الله ، ثم رجع ، فقال
 مروان بن الحكم : رجع الزبير ويرجع طلحة ، ما أبالي رميت ههنا أم ههنا ،
 فرماه في أكحله فقتله ، فمر به علي بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قره ،
 فوقف عليه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لقد كنت كارهاً لهذا ،
 أنت والله كما قال القائل :

فَتَى كان يُدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويُبِعدهُ الفقر

(١) في « وكان غير معدد » (٢) سقط هذان البيتان من ١ .

(٣) في ب « ولكنه الجين » .

(٤) في ا « وليست بشارة ذى التحفة » (٥) « وضرطة غير » .

كَانَ الثَّرِيْبًا عُلِّقَتْ فِي يَمِيْنِهِ وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى، وَفِي الْآخِرِ الْبَدْرُ (۱)

وَذَكَرَ أَنَّ طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا وَتَى سُمَيْعَ وَهُوَ يَقُولُ :

نَدَامَةٌ مَا نَدَمْتُ وَضَلَّ حَلْمِي وَهَلْفِي ثُمَّ لَهْفَ أَبِي وَأُمِّي

نَدَمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَمِيِّ لَمَّا طَلَبْتُ رِضَا بَنِي جَرْمٍ بِزَعْمِي

وَهُوَ يَمْسَحُ عَنِ جَبِيْنِهِ الْغُبَارَ وَيَقُولُ : (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدْرًا مَقْدُورًا)

وَقِيلَ : إِنَّهُ سَمِعَ وَهُوَ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ وَقَدْ جَرَّحَهُ فِي جَبِيْهِ [عَبْدُ الْمَلِكِ] وَرَمَاهُ

مِرْوَانَ فِي أَكْحَلِهِ وَقَدْ وَقَعَ صَرِيْعًا يَجُودُ بِنَفْسِهِ .

ترجمة طلحة وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن

تيم بن مرة ، وهو ابن عم أبي بكر الصديق ، ويكنى أبا محمد ، وأمه الصعبة ، وكانت

تحت أبي سفيان صخر بن حرب ، كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب

قريش ، وقتل وهو ابن أربع وستين سنة ، وقيل غير ذلك ، ودفن بالبصرة ،

وقبره ومسجده [فيها مشهور] إلى هذه الغاية ، وقبر الزبير بوادي السباع

وقتل محمد بن طلحة مع أبيه في ذلك اليوم ، ومروء به عليٌّ فقال : هذا رجل

قتله بره بأبيه وطاعته [له] وكان يدعى بالسَّجَّاد ، وقد تنوزع في كنيته ،

فقال الواقدي : كان يكنى بأبي سليمان ، وقال الهيثم بن عدى : كان يكنى

بأبي القاسم ، وفيه يقول قاتله :

وَأَشْعَثُ سَجَّادَ بآيَاتِ رَبِّهِ قَلِيلَ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مَسْلَمًا (۲)

شَكَكْتُ لَهُ بِالرَّمْحِ جَيْبَ قَيْصِهِ نَخْرًا صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَاللِّفْمِ

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا عَلِيًّا ، وَمَنْ لَا يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَنْدَمُ .

(۱) في ۱ « علقت في جبينه » وهي أفضل مما أثبتناه عن ب ، وهي المحفوظ

(۲) في ۱ « وأشعث قوام بآيات ربه » .

يذكرني حاميم والرمح شارع^(١) فهلا تلاً حاميم قبل التقدم^(١)
وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة علي وميسرته فكشتموها ، فأتاه
بعض ولد عقيل وعلي^(٢) يتحقق نعاساً على قرَبُوس سرجه ، فقال له : يا عم ، قد
بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى ، وأنت تحقق نعاساً ؟ قال : اسكت يا ابن
أخي ، فإن لعنك يوماً لا يعدوه ، والله ما يبالي عمك وقع على الموت أو وقع الموت
عليه ، ثم بعث إلى ولده محمد بن الحنفية ، وكان صاحب رايته : احمل على القوم
فأبطأ محمد بحملته^(٣) ، وكان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاذ سهامهم ، فأتاه علي
فقال : هلا حملت ، فقال : لأجد متقدماً إلا على سهم أو سنان ، وإني منتظر
نفاذ سهامهم وأحمل ، فقال [له] : احمل بين الأسننة ؛ فإن للموت عليك جنة ،
فحمل محمد ، فشك بين الرماح والنشاب فوقف ، فأتاه علي^(٤) فضربه بقائم سيفه
وقال : أدركك عرق من أمك ، وأخذ الراية وحمل ، وحمل الناس معه ، فما
كان القوم إلا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، وأطافت بنو ضبة^(٥)
بالجمل وأقبلوا يرتجزون ويقولون :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل [ننازل الموت إذا الموت نزل]^(٤)
رُدُّوا علينا شيخنا ثم بجَلَّ ننعى ابن عَفان بأطراف الأسل

والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يداً ، من بني ضبة منهم سعد بن سود^(٥)
القاضي متقلداً مصحفاً ، كلما قطعت يد واحد منهم [فصرع] قام آخر فأخذ
الخطام وقال : أنا الغلام الضبي ، ورُمي الهودج بالنشاب والنبيل حتى صار كأنه

(١) في ١ * يذكرني حاميم والرمح شاجر * وهو المحفوظ .

(٢) في ب « فأبطأ محمد عليه » (٣) في ب « وأطافت بنو أمية » محرفاً .

(٤) سقط ما بين المعقوفين من ١ .

(٥) في ب « معهم كعب بن سوار القاضي » .

قنفذ، وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت أعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط، ويقال: إن عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل، فصرخت عائشة - وكانت حالته - : وائكل أسماء، خل الخطام، وناشدته، فخلى عنه، ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبي بكر، فأدخل يده فقالت: من أنت؟ قال: أقرب الناس [منك] قرابة، وأبغضهم إليك، أنا محمد أخوك، يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شيء؟ قالت: ما أصابني إلا سهم لم يضرنى، فجاء على حتى وقف عليها، فضرب الهودج بقضيب، وقال: يا حميراء، رسول الله أمرك^(۱) بهذا؟ ألم يأمرك أن تقرى في بيتك؟ والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ صانوا عقائلهم^(۲) وأبرزوك، وأمرأخاها محمداً فأنزلهما في دار صفية بنت الحارث بن طلحة العبدى^(۳) [وهي أم طلحة الطلحات] ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون، والتقى الأشتر مالك بن الحارث النخعي وعبد الله بن الزبير فاعتراكا وسقطا على الأرض عن فرسهما [وطال اعتراضهما على وجه الأرض، فعلاه الأشتر ولم يجد سبيلا إلى قتله لشدة اضطرابه من تحته] والناس حولهما يجولون، وابن الزبير نادى:

أقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

فلا يسمعه أحد لشدة الجلاذ ووقع الحديد [على الحديد] ولا يراها راء لظلمة النقع، وترادف العجاج، وجاء ذو الشهادتين خزيمه بن ثابت إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، لا تنكس اليوم رأس محمد، وردد إليه الراية، فدعا به، ورد عليه الراية، وقال:

أطعنهم طعن أبيك محمد لا خير في الحرب إذا لم توقد

بالمشرفي والقنا المسرد^(۴)

(۱) كذا في ب، ا، ولعله « يا حميراء رسول الله، آله أمرك بهذا؟ » .

(۲) في ب « إذا صانوا حلائلهم وأبرزوك » .

(۳) في ب « بن أبي طلحة العبدى » .

(۴) في ا « والقنا المسدد » وما هنا عن ب أحسن .

ثم استسقى ، فأتى بعسل وماء ، فحسامنه حُسْوَةً ، وقال : هذا الطائفي ، وهو غريب [بهذا] البلد ، فقال له عبد الله بن جعفر : أما شغلكَ ما نحن فيه عن علم هذا ؟ قال : إنه والله يا بني ما ملأَ صدر عمك ^(١) شئ قط من أمر الدنيا .

ثم دخل البصرة ، وكانت الوقعة في الموضع المعروف بالخرّيبة [وذلك] يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، على حسب ما قدمنا آنفاً من التاريخ ، وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التي يقول فيها : يا أهل السبخة ^(٢) يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلك من الدهر ثلاثاً ، وعلى الله تمام الرابعة ، يا جُند المرأة ، يا أتباع البهيمة ، رغما فأجتم ، وعقر فانهزمت ^(٣) ، أخلاقكم رقاق ، وأعمالكم نفاق ، ودينكم زيغ وشقاق ، وماؤكم أجاج [و] وزعاق ، وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مراراً كثيرة .

وبعث بعبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالخروج إلى المدينة ، فدخل عليها بغير إذنها ، واجتذب وسادة فجلس عليها ، فقالت [له] : يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها ، دخلت إلينا بغير إذنتنا ، وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها : لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا إلا بإذنك ، وما جلسنا على رحلك إلا بأمرك ، وإن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة ، والتأهب للخروج إلى المدينة ، فقالت : أبيتُ ما قلت وخالفت ما وصفت ، فمضى إلى علي ، فغيره بامتناعها ، فردّه إليها ، وقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي ، فأنعمت وأجابت إلى الخروج ، وجهرها على وأناها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد إخوته وفتيان أهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان ، فلما بصرت به النسوان صحن

(١) في ب « ما حلا بصدر عمك »

(٢) في ب « يا أهل المسجد » وفي ا « السنعة » .

(٣) في ا « رغما جتم ، وعقوقا تهرجتم فانهزمت » وهو تحريف .

في وجهه وقان : يا قاتل الأحبة ، فقال : لو كنت قاتل الأحيّة لقتلت من في هذا البيت ، وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم ، فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا منه فيقتالوه ، فقالت له عائشة بعد خطب طويل كان بينهما : إني أحب أن أقيم معك فأسير إلى قتال عدوك عند سيرك ، فقال : بل ارجعي إلى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله بن الزبير ، فأمنه ، وتكلم الحسن والحسين في مروان ، فأمنه ، وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية ، وأمن الناس جميعاً ، وقد كان نادى يوم الواقعة : من ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن .

واشتد حزن عليّ علي من قتل من ربيعة قبل وروده البصرة ، وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة ، وجدّد حزنه قتل زيد بن صوحان [العبدى] قتله في ذلك اليوم عمرو بن سبرة^(١) ، ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة في ذلك اليوم أيضاً ، وكان علي يكثر من قوله :

يا كُفّ نفسى على ربيعه ربيعة السامعة المطيعة

وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف [في] القتلى ، فوجدت ابنين لها قد قُتلا ، وقد كان [قُتِلَ] زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجيء علي البصرة ، فأنشأت تقول :

شهدت الحروب فثيبني فلم أر يوماً كيوم الجمل
أضرت على مؤمنٍ فتنةً وأقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة في بيتها وليتك عسكر لم ترتحل

(١) في « عمرو بن شري »

وقد ذكر المدائني أنه رأى بالبصرة رجلا مصطم الأذن ، فسأله عن قصته ، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى ، فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا فلم تنصرف إلا ونحن رواء
أطعنا بني تميم لشقوة جدنا وما تيم إلا أعبد وإماء^(١)

فقلت : سبحان الله ! أتقول هذا عند الموت ؟ قل لا إله إلا الله ، فقال :
يا ابن اللخناء ، إياي تأمر بالجزع عند الموت ؟ فوليت عنه متعجبا منه ، فصاح بي
اذن مني [و] لقني الشهادة ، فصرت إليه ، فلما قربت منه استدناني ، ثم التقم
أذني فذهب بها ، فجعلت ألعنه وأدعو عليه ، فقال : إذا صرت إلى أمك فقالت
من فعل هذا بك ؟ فقل عمير بن الأهلبي الضبي مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون
أمير المؤمنين .

خروج عائشة
من البصرة

وخرجت عائشة من البصرة ، وقد بعث معها على أخاها عبد الرحمن [بن
أبي بكر] وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس [وهمدان
وغيرها] ، ألبسهن المأثم وقلدهن السيوف ، وقال لهن : لا تعلمن عائشة أنكن نسوة
[وتلثمن] كأنكن رجال ، وكُنَّ اللاتي تلين خدمتها وحماتها ، فلما أتت المدينة
قيل لها : كيف رأيت مسيرك ؟ قالت : كنت بخير والله ، لقد أعطى علي بن
أبي طالب فأكثر ، ولكنه بعث معي رجالا [أنكرتهم] فعرفها النسوة أمرهن ،
فسجدت وقالت : ما زددت والله يا ابن أبي طالب إلا كرما ، ووددت أني لم أخرج
وإن أصابني كيت وكيت^(٢) من أمور ذكرتها [شاقة] ، وإنا قليل لي : تخرجين
فتصلحين بين الناس ، فكان ما كان ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن

(١) في ا ه وما تيم إلا أعبد وإماء .

(٢) في ا ه وإني أصابني كيت وكيت .

الذي قتل من أصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف [نفس] ومن أصحاب الجمل [وغيرهم] من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً ، وقيل غير ذلك .
 ووقف عليُّ على عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وهو قتيل يوم الجمل فقال : لهني عليك يعسوب قريش ، قتلت الفطازيف من بني عبد مناف ، شفيت نفسي وجدعت أنفي ، فقال له الأشتر^(١) : ما أشدَّ جزعَكَ عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم ! فقال : إنه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك [وقد كان قتاهُ في ذلك اليوم الأشتر النخعي] وأصيب كف ابن عتاب بمنى [وقيل باليمامة] ألقته عقاب وفيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وكان اليوم الذي وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام .

ودخل عليُّ بيت مال البصرة^(٢) في جماعة من المهاجرين والأنصار ، فنظر إلى ما فيه من العين والورق فجعل يقول : يا صفراء ، غرّى غبرى [ويا بيضاء ، غرى غبرى] وأدام النظر إلى المال مفكراً ، ثم قال : اقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة ، ففعلوا فما نقص درهم واحد ، وعدد الرجال اثنا عشر ألفاً .
 وقبض ما كان في معسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين أصحابه ، وأخذ لنفسه كما أخذ لكل واحد ممن معه من أصحابه وأهله [وولده] خمسمائة درهم ، فأناه رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين إني لم آخذ شيئاً ، وخلفني عن الحضور كذا ، وأدلى بعذر ، فأعطاه الخمسمائة التي كانت له .

وقيل لأبي لبيد الجهمي من الأزدي : أتحب علياً؟ قال : وكيف أحب رجلاً قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسمائة ، وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحداً ، واشتغل أهل كل بيت بمن لهم؟

(١) في ١ « فقال له رجل من أصحابه » .

(٢) في ب « بيت مال الكوفة » محرفاً .

وولى على البصرة عبد الله بن عباس، وسار إلى الكوفة، فكان دخوله إليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب؛ وبعث إلى الأشعث بن قيس يمهله عن أذر بيجان وأرمينية، وكان عاملاً لعثمان [عليها، وصرف عن همدان جرير بن عبد الله البجلي، وكان عاملاً لعثمان]، فكان في نفس الأشعث على علي ما ذكرنا من العزل، وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الأموال.

ووجه جرير بن عبد الله إلى معاوية [وقد كان الأشتر حذره من ذلك، وخوفه من جرير]، وقد كان جرير قال لعلي: ابعثني إليه، فإنه لم يزل [لي] مستنصحا وواذاً، فآتبه وأدعوه إلى أن يسلم لك هذا الأمر، وأدعوا أهل الشام إلى طاعتك، فقال الأشتر: لا تبعه ولا تصدقه، فوالله إني لأظن هواه هوهم ونيته نيتهم، فقال علي: دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا، فبعث به وكتب إلى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والأنصار إياه واجتماعهم عليه، ونكث الزبير وطلحة، وما أوقع الله بهما، ويأمره بالدخول في طاعته، ويعلم أنه من الطلقاء الذين لا تحمل لهم الخلافة، فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله أن ينتظره وكتب إلى عمرو بن العاص علي ما قدمنا [فقدم عليه فأعطاه مصر طعمة علي ما قدمنا] في صدر هذا الباب، فأشار إليه عمرو بالبعث إلى وجوه الشام وأن يلزم علياً دم عثمان، ويقائله بهم؛ فقدم جرير علي علي فأخبره خبرهم، واجتماع أهل الشام مع معاوية على قتاله، وأنهم سيكونون على عثمان ويقولون: إن علياً قتله، وأوى قتلته ومنع منهم، وإنهم لا بد لهم من قتاله حتى يفتنوه أو يفنيهم، فقال الأشتر: قد كنت أخبرتك يا أمير المؤمنين بعداوته وغشه، ولو بعثتني لكنت خيراً من هذا الذي أرخى خناقه وأقام حتى لم يدع باباً نرجو روحه إلا فتحه، ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه، فقال جرير: لو كنت ثم لقتلوك، والله لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان، قال الأشتر: لو أتيتهم والله يا جرير لم يُعِينِي جوابهم،

ولا ثقل على خطابهم ، ولحملت معاوية على خطاة أعجائته فيها عن الفكر ، ولو أطاعني أمير المؤمنين فيك لحبسك وأشباهك في محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الأمر .

فخرج جرير عند ذلك إلى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطيء الفرات ، وكتب إلى معاوية يعلمه بما نزل به ، وأنه أحب مجاورته والمقام في داره ، فكتب إليه معاوية يأمره بالمسير إليه .

وبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبة الثقفي — عند مُنْصَرَفِ علي من الجمل ، وقبل مسيره إلى صِفِّينَ — بكتاب يقول فيه : لقد ظهر من رأي ابن أبي طالب ما كان تقدم من وعده لك في طلحة والزبير ، فما الذي بقي من رأيه فينا ؟ وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وباع الناسُ عليا دخل عليه المغيرة فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لك عندي نصيحة ، فقال : وما هي ؟ قال : إن أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة ، والزبير بن العوام على البصرة ، وابعث إلى معاوية بعهد علي الشام حتى تلزمه طاعتك ، فإذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك ، قال : أما طلحة والزبير فسأري رأيي فيهما ، وأما معاوية فلا والله لا يراني الله أستعين به مادام علي حاله أبداً ، ولكني أدعوه إلى ما عرفته ، فإن أجاب وإلا حاكته إلى الله ، فانصرف المغيرة [مغضباً] وقال :

بين المغيرة
ومعاوية

نصحت عليا في ابن هند مقالةً فردت ، فلا يسمع لها الدهر ثانياً
وقلت له : أرسل إليه بعهد علي الشام ، حتى يستقر معاوية
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته وأم ابن هند عند ذلك هاوية
فلم يقبل النصح الذي جئته به وكانت له تلك النصيحة كافية

قال السعدي رحمه الله : وقد قدمنا^(١) فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع علي ، وما أشار به ، وهذا أحد الوجوه المروية في ذلك .

فهذه جوامع ما يُحتَاج إليه من أخبار يوم الجمل وما كان فيه ، دون الإكثار والتطويل وتكرار الأسانيد [في ذلك] والله ولي التوفيق .

(١) انظر ص ٣٦٣ السابقة

ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق^(١)

وأهل الشام بصيفين

قال المسعودي رحمه الله : قد ذكرنا جملاً وجوامع من أخبار علي رضي الله عنه بالبصرة، وما كان يوم الجمل ؛ فليذكر الآن جوامع من سيره^(٢) إلى صيفين ، وما كان فيها من الحروب ، ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهرَوان ، ومقتله عليه السلام .

وكان سير^(٢) علي من الكوفة إلى صيفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين ، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقيبته بن عامر الأنصاري^(٣) فاجتاز في مسيره بالمدائن ، ثم أتى الأنبار ، وسار حتى نزل الرقة ، فمقد له هنالك جسر ، فعبر إلى جانب الشام .

وقد تنوزع في مقدار ما كان معه من الجيش ، فكثرت ومقتل ، والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفاً ، وقال رجل من أصحاب علي لما استقروا مما يلي الشام من أبيات كتب بها إلى معاوية [حيث يقول] :

اثبت معاوي قد أتاك الخافلُ تسعون ألفاً كلهم مقاتلُ
* عما قليل يضمحلُّ الباطلُ *^(٤)

وسار معاوية من الشام ، وقد تنوزع في مقدار من كان معه [أيضاً] فكثرت ومقتل ، والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفاً ، فسبق علياً إلى صيفين ،

(١) في « ذكر جوامع ما كان بين أهل العراق - إلخ » .
(٢) في « مسيره » (٣) في « عقيبته بن عمرو الأنصاري » .
(٤) في « أسرع ما يقشع عنك الباطل » .

وعسكر في موضع سهل أفصح اختاره قبل قدوم علي، علي شريعة لم يكن علي الفرات [في ذلك الموضع] أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها أخراق عالية^(١)، ومواضع إلى الماء وعرة، ووكل أبا الأعور السلي بالشريعة مع أربعين ألفاً، وكان علي مقدمته، وبات علي وجيشه في البر عطاشاً قد حيل بينهم وبين الورود [إلى الماء] فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إن علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم، واسكن دعوتهم يشربون ونشرب، فقال معاوية: لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان، و[خرج] علي يدور في عسكره بالليل، فسمع قائلاً [وهو] يقول:

[أيمننا القوم ماء الفرات وفينا علي وفينا الهدى؟
وفينا الصلاة، وفينا الصيام، وفينا المناجون تحت الدجى
ثم مرةً بآخر عند راية ربيعة، وهو يقول:

أيمننا القوم ماء الفرات وفينا الرماح وفينا الحجف؟
[وفينا علي له صولة إذا خوفوه الردى لم يخف]
ومن غداة لقينا الزبير وطلحة خضناً غمار التلف
فما بالنا أمس أسد العرين وما بالنا اليوم شاء النجف^(٢)

وألقي في فسطاط الأشعث بن قيس رقعة فيها:

لئن لم يجلّ الأشعث اليوم كربةً من الموت فيها للنفوس تفلت
فتشرب من ماء الفرات بسيفه فمبنا أناماً قبل كانوا فوتوا

فلما قرأها حمي وأتى علياً رضي الله عنه، فقال له: أخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم بهم في وسط عسكر معاوية فتشرب وتستقي لأصحابك أو تموتوا عن آخركم، وأنا مسير الأشر في خيل ورجالة وراءك، فسار الأشعث [في أربعة آلاف من الخيل] وهو يقول مرتجزاً:

(١) في «فأجواف علي» (٢) في «شاء عجب» وليس بشيء.

لأوردن خيل الفراتا شعث النواصي أو يقال ماتا
ثم دعا علي الأشتر فسرحه في أربعة آلاف من الخيل والرجالة ، فصار يوم
الأشعث [و] صاحب رايته وهو رجل من الذخج [وهو] يرتجز ويقول :
يا أشتر الخيرات يا خير الذخج وصاحب النصر إذا عمّ الفزع
قد جزع القوم وعموا بالفزع إن تسقنا اليوم فما هو بالبدع^(۱)
ثم سار علي رضي الله عنه وراء الأشتر بباقي الجيش ، ومضى الأشعث فمرد
وجبه [أحد] حتى هجم على عسكر معاوية ، فأزال أبا الأعور عن الشريعة ،
وغرق منهم بشراً وخيلاً ، وأورد خيله الفرات ، وذلك أن الأشعث داخلته الحمية
في هذا اليوم ، وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول : ارجوهم^(۲) مقدار هذا
الرمح ، فيزيلوهم عن ذلك المكان ، فبلغ ذلك من فعل الأشعث علياً ، فقال :
هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية ، وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق :

كشفت الأشعث عنا كربة الموت عياناً
بعد ما طارت طلاقاً طيرةً مست لها نأ
فله المن علينا وبه دارت رحانا

وارتحل معاوية عن الموضع ، وورد الأشتر ، وقد كشف الأشعث القوم عن
الماء ، وأزالهم عن مواضعهم ، وورد علي فنزل في الموضع الذي كان فيه معاوية
فقال معاوية لعمر بن العاص : يا أبا عبد الله ، ما ظنك بالرجل أترأه يمنعنا الماء
لمنعنا إياه^(۳) ؟ وقد [كان] انجاز بأهل الشام إلى ناحية في البر نائية عن الماء ، فقال له
عمر بن العاص : لا ، إن الرجل جاء لغير هذا ، وإنه لا يرضى حتى تدخل في طاعته أو يقطع
حبل عاتقك ، فأرسل إليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعه واستقاء الناس^(۴)
من طريقه ودخول رساله في عسكره ، فأباحه علي كل ما سأل وطلب منه .

(۱) في ا ، ب « قد خرج القوم وعالوا بالفزع » .

(۲) في ب « ارجوهم » .

(۳) في ا « كمنعنا إياه » .

(۴) في ا « واستقاء الماء » .

ولما كان أول يوم من ذى الحجة — بعد نزول عليّ على هذا الموضع بيومين — بعث إلى معاوية يدعوهُ إلى اتحاد الكلمة^(١) والدخول في جماعة المسلمين ، وطالت المراسلة بينهما ، فانفقوا على المواجهة إلى آخر المحرم من سنة سبع وثلاثين ، وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب ، وقد كان معاوية صالح الملك الروم على مالٍ يحمله إليه لشغله بعلي ، ولم يتم بين علي ومعاوية صلح على غير ما اتفقا [عليه من المواجهة في المحرم ، وعزَم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم] ففي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي صاحب راية معاوية :

فما دون المنايا غيرُ سبعِ بقين من المحرم أو ثمان
ولما كان في اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث [عليّ] إلى أهل الشام : إني قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم إليه ، وإني قد نبذت إليكم على سِوَاء ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين ، فلم يردوا عليه جواباً إلا « السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعمى منا » .

مبدأ الحرب

وأصبح علي يوم الأربعاء — وكان أول يوم من صفر — فعبأ الجيش ، وأخرج الأشتر أمام الناس ، وأخرج إليه معاوية — وقد تصافَّ أهل الشام وأهل العراق — حبيب بن مسلمة الفهري ، وكان بينهم قتال شديد [سائر يومهم] ، وأسفرت عن قتلى من الفريقين^(٢) جميعاً ، وانصرفوا .

فلما كان يوم الخميس — وهو اليوم الثاني — أخرج علي هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقال ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وإنما سمي المرقال لأنه كان يرقل في الحرب ، وكان أعور ذهب عينه يوم اليرموك ، وكان من شيعة علي ، وقد أتينا على خبره في اليوم الذي ذهب فيه عينه ، وحسن بلائه في ذلك

(١) في ١٥ إلى اجتماع الكلمة .

(٢) في ١٥ واستقرت عن قتلى « في كل المواضع هذا وما بعده .

اليوم ، في الكتاب الأوسط في فتوح الشام ، فأخرج إليه معاوية أبنا الأعور السلمي وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي ، فكانت بينهم [الحرب] سجّالاً ، وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير .

وأخرج علي في اليوم الثالث — وهو يوم الجمعة — أبان اليقظان عمار بن ياسر في عدة من البدرين وغيرهم من المهاجرين والأنصار فيمن تسرع معهم^(١) من الناس ، وأخرج إليه معاوية عمرو بن العاص في تنوخ وبهراء^(٢) وغيرهما من أهل الشام ، فكانت بينهم سجّالاً إلى الظهر ، ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا ، فأزال عمراً عن موضعه وألحقه بمسكر معاوية ، وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق .

وأخرج علي في اليوم الرابع — وهو يوم السبت — ابنه محمد بن الحنفية في همدان وغيرها من خفّ معه من الناس ، فأخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر ابن الخطاب في حمير ونخم وجدّام ، وقد كان عبيد الله [بن عمر] لحق بمعاوية خوفاً من عليّ أن يقيد به بالهرمز — وذلك أن أبان لؤلؤة [غلام المغيرة بن شعبة] قاتل عمر ، وكان في أرض العجم غلاماً للهرمزان ، فلما قتل عمر شدّ عبيد الله على الهرمزان فقتله ، وقال : لا أترك بالمدينة فارسياً ولا في غيرها إلا قتله بأبي ، وكان الهرمزان عليلاً في الوقت الذي قتل فيه عمر — فلما صارت الخلافة إلى عليّ أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله إياه ظلماً من غير سبب استحقه فلجأ إلى معاوية ، فاقتلوا في ذلك اليوم ، وكانت عليّ أهل الشام ، ونجا ابن عمر في آخر النهار هرباً .

وأخرج عليّ في اليوم الخامس — وهو يوم الأحد — عبد الله بن العباس فأخرج إليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فاقتلوا ، وأكثر الوليد من

(١) في ب « فيمن شرع معهم » .

(٢) في ب « في تنوخ ونهد » .

سَبَّ بنى عبد المطلب بن هاشم ، فقاتله ابن عباس قتالا شديداً ، وناداه : ابرز إلى يا صفوان ، وكان لقب الوليد ، وكانت الغلبة لابن عباس ، وكان يوماً صعباً .

وأخرج علي في اليوم السادس — وهو يوم الأثنين — سعيد ابن قيس الهمداني ، وهو سيد همدان يومئذ ، فأخرج إليه معاوية ذا الكلاع ، وكانت بينهما إلى آخر النهار ، وأسفرت عن قتلى ، وانصرف الفريقان جميعاً .

وأخرج علي في اليوم السابع — وهو يوم الثلاثاء — الأشر في النخع وغيرهم ، فأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، فكانت [الحرب] بينهم سجالات ، وصبر كلا الفريقين وتكافتوا وتواقفوا^(١) للموت [ثم انصرف الفريقان] وأسفرت عن قتلى منهما ، والجراح في أهل الشام أعم .

وأخرج علي في اليوم الثامن — وهو يوم الأربعاء — على رضى الله تعالى عنه بنفسه في الصحابة من البدرين وغيرهم من المهاجرين والأنصار وربيعه وحمدان .

قال ابن عباس : رأيت في هذا اليوم علياً وعليه عمامة بيضاء ، وكان عينيه سراجاً سليطاً ، وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم^(٢) ، حتى انتهى إلى وأنا في كثيف من الناس ، فقال : يا معشر المسلمين ، عموا الأصوات ، وأكملوا اللامة ، واستشعروا الخشية ، وأقلقوا السيوف في الأجنان قبل السلة ، والحظو الشزر ، واطعنوا الهبر ، وناخوا بالظبا^(٣) ، وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح ، وطيبوا عن أنفسكم أنفساً ، فإنكم بعين الله ، ومع ابن عم رسول الله ، عاودوا الكفر ، واستقبحوا الفر ، فإنه عار في الأعقاب ، ونار يوم الحساب

(١) في ب « وتكافروا وتواقفوا للحرب » .

(٢) في ا « ويحرضهم » .

(٣) في ب « وناخوا الصبا » .

ودونكم هذا السواد الأعظم ، والرواق المُطَنَّب ، فاضربوا نَهْجَه (١) ، فإن
الشیطان راكب صمیده ، مفترش (٢) ذراعیه ، قد قَدَّمَ للوثبة يداً وأخَّرَ
للنكوص رِجْلاً ، فصبراً جميلاً حتى تنجلي عن وجه الحق ، وأتم الأعلون
والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

وتقدم عليٌّ للحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ، وخرج
معاوية في عدد أهل الشام ، فانصرفوا عند المساء وكلُّ غير ظافر .

وخرج في اليوم التاسع — وهو يوم الخميس — عليٌّ ، وخرج معاوية ،
فاقتلوا إلى ضحوة من النهار ، وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب
في أربعة آلاف من الحضرية معممين بشقاق الحرر الأخضر متقدمين للموت
يطلبون بدم عثمان ، وابن عمر يقدمهم وهو يقول :

أنا عبيد الله ينميني عمرُ خير قريس من مضى ومن غيرِ
غير نبي الله والشيخ الأغر قد أبطأت في نصر عثمان مضرُ
والربيعيون ، فلا أسقوا المطر

فناداه عليٌّ : ويحك يا ابن عمر ، علام تقاتلني ؟ والله لو كان أبوك حياً
ماقاتلني ، قال : أطلب بدم عثمان ، قال : أنت تطلب بدم عثمان ، والله يطلبك
بدم الهرمران ، وأمر عليٌّ الأشتر [النخعي] بالخروج إليه ، فخرج الأشتر
إليه وهو يقول :

إني أنا الأشتر معروف السير إني أنا الأفعي العراقيُّ الذِّكْرُ
لست من الحى ربيع أو مضر لكنني من مذحج البيض الفرزُ
فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه ، وكثرت القتلى يومئذ .

(١) في ا « فاضربوا نهجة » .

(٢) في ب « معترض ذراعیه » .

وقال عمار بن ياسر : إني لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب عمار بن ياسر المبتلون ، والله لو هزمونا حتى يباغوا بنا سَعَفَاتِ هَجَرَ^(١) لكننا على الحق وكانوا على الباطل .

وتقدم عمار فقاتل ثم رجع إلى موضعه فاستقى ، فأنته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم بعسّ فيه ابن ، فدفعته إليه ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، اليوم ألقى الأجابة تحت الأسنّة ، صدّق الصادق ، وبذلك أخبرني الناطق ، وهو اليوم الذي وعدت فيه ، ثم قال : أيها الناس ، هل من رآح إلى الله تحت العوالي ؟ والذي نفسي بيده لنقاتلنهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله ، وتقدم وهو يقول :

نحن ضربناكم على تنزيله فالיום نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيبه ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

فتوسط القوم ، واشتبكت عليه الأسنّة ، فقتله أبو العادية العاملي^(٢) وابن جّون السكسكي ، واختلفا في سلبه ؛ فاحتكما إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال لهما : اخرجاني ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وولعت قريش بعمار^(٣) « ما لهم ولعمار ؟ يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار » وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة ، وقبره بصفين وصلى عليه عليّ عليه السلام ولم يفساه ، وكان بغير شيبه . وقد تنوزع في نسبه فمن الناس من ألحقه ببني مخزوم ، ومنهم من رأى أنه من حلفائهم ، ومنهم من رأى غير ذلك ، وقد أتينا على خبره في كتاب « مزار الأخبار وطرائف الآثار »

(١) في « شعبات هجر » محرفا وفي الطبري (٦ / ٢١) مثل ما أثبتنا عن ب .

(٢) في « أبو العادية العاملي وابن حوين السكسكي » وفي ب « أبو الهادية

العاملي وأبو حواء السكسكي » وفي شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة (٣ /

٢٧٤) « ابن حوى السكسكي » وأحسب الأصل « ابن جّون السكوني » .

(٣) في ب « وبغت قريش بعمار » .

عند ذكرنا الأشرافَ الحسينَ الذين بايعوا عليًّا على الموت ، وفي قتله يقول
الحجاج ابن عَزِيَّة (١) الأنصاري أبياتاً رثاه بها :

يَا لِلرَّجَالِ لَعِينِ دَمُهَا جَارِي قَدْ هَاجَ حُزْنِي أَبُو الْيَقْظَانِ عَمَّارُ
أَهْوَى إِلَيْهِ أَبُو حَوْأَ فَوَارِسَهُ يَدْعُو السَّكُونُ وَاللَّجِيشِينَ إِعْصَارُ (٢)
فَاخْتَلَّ صَدْرُ أَبِي الْيَقْظَانِ مَعْتَرِضًا لِلرَّمْحِ ، قَدْ وَجِبَتْ فِينَالَهُ النَّارُ
اللَّهُ عَنْ جَمْعِهِمْ لَأَشْكُ كَانَ عَفَاً أَتَتْ بِذَلِكَ آيَاتُ وَأَثَارُ
مَنْ يَنْزِعُ اللَّهُ غَلًّا مِنْ صَدُورِهِمْ عَلَى الْأَسْرَةِ لَمْ تَمْسَسْهُمْ النَّارُ
قَالَ النَّبِيُّ لَهُ تَقْتَلُكَ شَرْدَمَةٌ سَيَطُتْ لِحُومِهِمْ بِالْبَغْيِ ، فُجَّارُ
فَالْيَوْمَ يَعْرِفُ أَهْلُ الشَّامِ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ تِلْكَ وَفِيهَا النَّارُ وَالْعَارُ

ولما صرع عمار تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان ، وتقدم [قيس
ابن] سعد بن عبادة الأنصاري في الأنصار وربيعه ، وعدى بن حاتم في طيء
وسعيد بن قيس الهمداني في أول الناس ، فخلطوا الجمع بالجمع ، واشتدَّ القتال
وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفهم إلى معاوية ، وقد كان معاوية صمداً
فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان ، وأمر على الأشتر أن
يتقدم باللواء إلى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين ، فأكثر القتل في
أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء ، وأبلى المرقال (٣) يومئذ بمن معه
فلا يقوم له شيء ، وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده ، وعلى وراءه يقول
له : يا أعور ، لا تكن جباناً ، تقدم ، والمرقال يقول :

قَدْ أَكْثَرَ الْقَوْمُ وَمَا أَقْلًا أَعُورٌ يَبْنِي أَهْلَهُ مَحَلًّا (٤)

(١) في ب « الحجاج بن عربة الأنصاري » ولم يذكر في امن الشعر غير
البيتين الأخيرين ، وفي أول الأبيات المذكورة هنا عيب الإيطاء .

(٢) كذا في ب ، وأحسب الأصل « أهوى إليه ابن جون في فوارسه » .

(٣) في ب « وأبلى المرقال » (٤) في ا « قد أكثر القوم » .

قد عالج الحياة حتى ملاً لا بُدَّ أن يُقْلَ أو يُفَلَّ
أَسْلُهُمْ بَدَى الكعوب سلاً^(١)

ثم صمدها شمس بن عتبة المرقي قال لذي الكلاع وهو في حمير، فحمل عليه صاحب
لواء ذي الكلاع، وكان رجلاً من عذرة وهو يقول:

أثبت فإني لست من فرعى مضر نحن اليمانيون ما فينا ضجر
كيف ترى وقع غلام من عذر ينعي ابن عفان وبلحى من عذر
[يا أعور العين رمى فيها العور] سيان عندي من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين، فطعنه هاشم المرقي فقتله، وقتل بعده تسعة عشر رجلاً،
وحمل هاشم المرقي وحمل ذو الكلاع ومع المرقي جماعة من أسلم قد آلوا أن
لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا، فاجتلد الناس، فقتل هاشم المرقي، وقتل
ذو الكلاع جميعاً، فتناول ابن المرقي اللواء حين قبل أبوه في وسط المعركة
وكر في العجاج وهو يقول:

يا هاشم بن عتبة بن مالك أعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيلات بالسنايك أبشِرْ بحور العين في الأرائك

والرَّوْحِ والرَّيحان عند ذلك

ووقف على رضى الله عنه عند مصرع المرقي قال ومن صرع حوله من الأسلميين
وغيرهم، فدعاهم وترحم عليهم، وقال من أبيات:

جزى الله خيراً عصابة أسلمية صباح الوجوه صرَّعُوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر بن معبد وسفيان وابنا هاشم ذي الكارم^(٢)
وعروة لا ينفد ثناه وذكره إذا اخترت يوماً خفاف الصوارم^(٣)

(١) في ب « أسلمهم بذي الكعوب سلاً » وما أثبتناه عن أدق، ومعنى أسلمهم:
أطردهم وأسوقهم كما تطرد الأنعام وتساق، وفي الطبري (٦/٢٤) « يتلهم بذي الكعوب
تلاه ومعنى يتلهم يصرعهم. (٢) في وقعة صفين « يزيد وعبد الله بشر ومعبد ». .
(٣) هذا البيت والذي قبله لا يوجدان في أ، ووقع عجز هذا البيت في ب
« إذا سل بالبيض الخفاف الصوارم » محرفاً عما أثبتناه عن وقعة صفين .

حذيفة بن
اليمان ، وابناه

واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليمان ، وقد كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ست وثلاثين ، فبأذنه قتل عثمان وبيعة الناس لعلی فقال : أخرجوني وادعوا الصلاة جامعةً فوضع على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ، ثم قال : أيها الناس ، إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً ووازرروه ؛ فوالله إنه لعلی الحق آخراً وأولاً^(۱) ، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى يوم القيامة ، ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال : اللهم اشهد ، إني قد بايعت علياً ، وقال : الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم ، وقال لابنيه صفوان وسعد : احتملاني وكونا معه ، فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس ، فاجتهدا^(۲) أن تستشهدا معه ، فإنه والله على الحق ، ومن خالفه على الباطل ، ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام ، وقيل : بأربعين يوماً [واستشهد عبدالله بن الحارث النخعي أخو الأشتر] واستشهد فيه عبدالله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي في خلق من خزاعة ، وكان عبد الله في ميسرة على وهو يرتجز ويقول :

لم يبق إلا الصبر والتوكل وأخذك الترس وسيف مصقل
ثم التمشي في الرعيل الأول

فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده ، فيمن ذكرنا من خزاعة . ولما رأى معاوية القتل في أهل الشام وكتب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان ابن جبلة التنوخي -- وكان صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء^(۳) -- وقال له لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منك مقدماً ، وأنصح منك^(۴) ديناً ، فقال له النعمان : إنالو كنانة دعو قومنا إلى جيش مجموع لكان في كسع الرجال بعض الأناة

(۱) في «أولاً وآخراً» .

(۲) في «فاجتهدا» .

(۳) في «أناصح جيباً» .

(۴) في ب «تنوخ ونهد» .

فكيف ونحن ندعوم إلى سيوف قاطعة، ورُدَيْنِيَةَ شَاجِرَةَ^(١)، وقوم ذوى بصائر نافذة، والله لقد نصحتك على نفسى، وآثرتُ ملكك على دينى، وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه، وحذتُ عن الحق وأنا أبصره، وما وُفِّقْتُ لرشد حين أقاتل على ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه، ولو أعطينا ما أعطيناك لكان أراف بالرعية، وأجزل في العطية، ولكن قد بذلنا لك الأمر ولا بد من إتمامه كان غيا أو رشداً، وحاشا أن يكون رشداً، وسنقاتل عن تين الفوطة وزيتونها إذ حرمنا أثمار الجنة وأنهارها، وخرج إلى قومه، وصمد إلى الحرب^(٢).

وكان عبيد الله بن عمر إذا خرج إلى القتال قام إليه نساؤه فشدن عليه مقل عبيد الله
ابن عمر
سلاحه، ما خلا الشيبانية بنت هانىء بن قبيصة، فخرج في هذا اليوم، وأقبل على الشيبانية، وقال لها: إني قد عبت اليوم لقومك، وإيم الله إني لأرجو أن أربط بكل طنْب من أطناب فسطاطى سيداً منهم، فقالت له: ما أبغض إلا أن تقاتلهم قال: ولم؟ قالت: لأنه لم يتوجه إليهم صنيدي [فى جاهلية ولا إسلام وفى رأسه صعر] إلا أبادوه، وأخاف أن يقتلوك، وكأني بك قتيلا وقد أتيتهم أسألمهم أن يهبوا لي جيفتك، فرماها بقوس فشجها وقال لها: ستعلمين بمن آتيتك من زعماء قومك، ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجمعى فطعنه فقتله، وقيل: إن الأستر النخى هو الذى قتله، وقيل: إن علياً ضربه [ضربة] فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حُشوة جوفه، وإن علياً قال حين هرب فطابه ليقيد منه بالهرمزان: لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره، وكلم نساؤه معاوية في جيفته، فأمر أن تاتين ربيعة فتبذلن في جيفته عشرة آلاف، ففعلن ذلك، فاستأمرت ربيعة علياً، فقال لهم: إنما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها، ولكن

(١) فى ١ « وردينية شارجة » .

(٢) فى ١ « وصمد للعرب » .

قد أجبتهم^(١) إلى ذلك ؛ فاجعلوا جيفته لبنت هانيء بن قبيصة الشيباني زوجته ، فقالوا لنسوة عبيد الله : إن شئت شددناه إلى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل إلى عسكر معاوية ، فصرخن وقلن : هذا أشد علينا ، وأخبرن معاوية بذلك ، فقال هن : اثتوا الشيبانية فسأوها أن تكلمهم في جيفته ، ففعلن ، وأتت القوم وقالت : أنا بنت هانيء بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم وقد حذرتة ما صار إليه فهبوا إلى جيفته ، ففعلوا ، وألقت إليهم بمطرف خزفأدرجوه فيه ودفعوه إليها [فمضت به ، وكان] قد شد في رجله إلى طناب فسطاط من فساطيطهم .

ولما قتل عمار ومن ذكرنا في هذا اليوم حرض على عليه السلام الناس وقال لربيعة : أنتم درعي ورمحي ، فانتدب له مائين عشرة آلاف إلى أكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم ، قد جادوا بأنفسهم لله عز وجل ، وعلى أمامهم على البغلة الشهباء ، وهو يقول :

من أي يومى من الموت أفر أيوم لم يُقدر أم يوم قدر^(٢)

وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض ، وأهدوا كل ما أتوا عليه ، حتى أتوا إلى قبة معاوية ، وعلى لايمر بفارس إلا قدّه وهو يقول :

أضربهم ولا أرى معاوية الأخرز العين العظيم الحاوية^(٣)
* تهوى به في النار أم هاويه *

وقيل : إن هذا الشعر لبديل بن ورقاء ، قاله في ذلك اليوم .
ثم نادى على : يا معاوية ، علام يقتل الناس بيني وبينك ؟ هلم أحاكك إلى

(١) في ١ « ولكن إذا أجبتهم فاجعلوا جيفته - إلخ » .

(٢) في ١ « أيوم لا يقدر أم يوم قدر » وفي صفين « أيوم ما قدر - إلخ » .

(٣) في ب « العظيم الحاوية » محرفا .

الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال له عمرو : قد أنصفك الرجل ، فقال له معاوية : ما أنصفت ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله أو أسره ، فقال له عمرو : وما يحمل بك إلا مبارزته ، فقال له معاوية : طمعت فيها بعدى ، وحقها عليه .

وقد قيل في بعض الروايات : إن معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا أن يبرز إلى علي ، فلم يجد عمرو من ذلك بداً ، فبرز ، فلما التقيا عرفه عليٌّ وشال السيف ليضربه به ، فكشف عمرو عن عورته ، وقال : مُكْرَهُ أَخُوكَ لَا بَطْلَ (١) فحول عليٌّ وجهه [عنه] ، وقال : قبحت ! ورجع عمرو إلى مصافه .

وقد ذكر هشام بن محمد الكلبي عن الشرقى بن القطامي أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب : هل غششتني منذ نصحتني؟ قال : لا ، قال : بلى والله يوم أشرت علي بمبارزة علي وأنت تعلم ما هو ، قال : دعاك إلى المبارزة فكنت من مبارزته علي إحدى الحسينين : إما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الأقران وتزداد شرفاً إلى شرفك ، وإما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، فقال معاوية : يا عمرو ، الثانية أشد (٢) من الأولى .

وكان في هذا اليوم من القتال ما لم يكن قبل ، ووجدت في بعض النسخ من أخبار صفين أن هاشمًا المير قال لما وقع إلى الأرض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فإذا عبيد الله بن عمر مطروحاً (٣) إلى قربه جريحاً ، فحبا (٤) حتى دنا منه ، فلم يزل بعض علي تديبه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة ؛ لأنه أصيب فوقه ميتاً هو ورجل من بكر بن وائل ، قد زحفاً إلى عبيد الله [جميعاً] فهشاه (٥) ، وانصرف القوم إلى مواضعهم ، وخرج كل فريق منهم يحملون ما أمكن من قتالهم .

(١) يروى النحاة هذا المثل « مكره أخاك لا بطل » على اللغة غير المشهورة من لغات العرب .

(٢) في ب « أشر من الأولى »

(٣) في ب « مطروح »

(٤) في ب « فحبا حتى دنا منه »

(٥) في ب « فحشاه »

وسر معاوية في خواص من أصحابه في الموضع الذي كانت ميمنته فيه ، فنظر إلى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي مُعَفِّراً بدمائه ، وقد كان على ميسرة علي ، فحمل علي ميمنة معاوية فأصيب على ما قدمنا آتفاً ، فأراد معاوية أن يمثل به ، فقال له عبد الله بن عاصم وكان صديقاً لابن بديل : والله لا تركتك وإياه ، فوهبه له ، ففظاه بعمامة [وجملة] فواراه ، فقال له معاوية : قد والله وارىت كبشاً من كباش القوم وسيداً من سادات خزاعة غير مدافع ، والله لو ظفرت بنا خزاعة لأكلونا ، ولو أنا من جندل ، دون هذا الكبش ، وأنشأ يقول متمثلاً :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شئت يوماً به الحرب شمرا
كليت هزبرٍ كان يحمى ذماره رمته المنى أيا قصدها فتقطراً

ونظر علي إلى غسان في مصافهم لا يزولون^(١) ، فحرض أصحابه عليهم ، وقال : إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم ، وضرب بفلق الهام وبصبح العظام^(٢) ، وتسقط منه المعاصم والأكف ، وحتى تشدخ جباههم بعمد الحديد^(٣) ، وتنتثر لمهم^(٤) على الصدور والأذقان ، أين أهل الصبر وطلاب الأجر ؟ فتاب إليه عصابة من المسلمين من سائر الناس ، فدعا ابنه محمداً ، فدفع إليه الراية وقال : امش بها نحو هذه الراية مشياً رويداً ، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح ، فأمسك حتى يأتبك أمرى ، ففعل ، وأتاه عليٌّ ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة ، وقد كرس الخيل ، فحملوا على غسان ومن بابها ، فقتلوا منها بشراً كثيراً ، وعادت الحرب في آخر النهار كحاله في أوله ، وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون ألفاً مقنعون في الحديد على ميسرة علي ، فاقتطعوا ألف فارس ، فانتدب من أصحاب علي عبد العزيز بن الحارث الجعفي ، وقال لعليٌّ : مرني بأمرك ، فقال : شدَّ

() في ب « ويطفع الطعام » .

(١) في ا « لا يزالون »

(٤) في ب « وتنتثر حواجمهم » .

(٣) في ب « بعدد الحديد »

الله ركنك^(١) ! سِرْ حتى تنتهي إلى إخواننا الحاط بهم ، وقل لهم : يقول ليلة الهريز لكم على : كبروا ثم احموا ونحمل حتى نلتقى ، فحمل الجعفي ، فطعن في عرضهم حتى انتهى إليهم ، فأخبرهم بمقالة علي ، فكبروا ، ثم شدوا حتى التَقُوا^(٢) بعلي ، وشدَّخُوا سبعمائة من أهل الشام ، وقتل حوشب ذو ظليم ، وهو كبش من كباش اليمن من أهل الشام ، وكان علي راية ذُهل بن شيبان^(٣) وغيرها من ربيعة الحُصَيْن^(٤) بن المنذر بن الحارث بن وعله الدهلي ، وفيه يقول علي في هذا اليوم :

لمن راية سَوْدَاءٍ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قَلَّتْ قَدَمُهَا حُصَيْنٌ تَقْدَمَا

فأسره بالتقدم ، واختلط الناس ، وبطل النبل ، واستعملت السيوف ، وجنَّهم الليل ، وتنادوا بالشعار ، وتقصفت الرماح ، وتكادم القوم^(٥) ، وكان يعتنق الفارسُ الفارسَ ويقعان جميعاً إلى الأرض عن فرسيها ، وكانت ليلة الجمعة — وهي ليلة الهريز — فكان جملة من قتلَ عليُّ بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً أكثرهم في اليوم ، وذلك أنه كان إذا قتل رجلاً كبيراً إذا ضرب ، ولم يكن يضرب إلا قتل ، ذكر ذلك عنه مَرْنُ كان يليه في حربه ، ولا يفارقه من ولده وغيرهم .

وأصبح القوم على قتالهم ، وكسفت الشمس^(٦) ، وارتفع القذام ، وتقطعت الألوية [والرايات] ولم يعرفوا مواقيت الصلاة ، وغدا الأشرير تجز وهو يقول :

نَحْنُ قَتَلْنَا حَوْشِبَا لَمَّا غَدَا قَدَ أَعْلَمَا
وَذَا الْكَلَّاعِ قَبْلَهُ وَمَعْبَدَا إِذَا أَدَمَا

- (١) في ب « شد الله ركبك » (٢) في ا « حتى لحقوا بعلي » .
(٣) في ب « هذيل بن سنان » محرفاً .
(٤) في ا ، ب « حصين » بالصاد ، هملة ، محرفاً .
(٥) في ب « وتكادم القوم » (٦) في ا « وكسفت الشمس » تحريف .

إن تقتلوا منا أبا السيقطان شيخنا مسلماً
فقد قتلنا منكم سبعين رأساً مجرماً
[أضحوا بصفين وقد لاقوا نكالا مؤلماً]^(١)

خدعة رفع
المصاحف

وكان الأشتر في هذا اليوم — وهو يوم الجمعة — على ميمنة علي، وقد أشرف على الفتح، ونادت مشيخة أهل الشام : [يا معشر العرب] الله في الحرمات والنساء والبنات، وقال معاوية: هلم نجبا نك يا ابن العاص فقد هلكنا، وتذكر ولاية مصر، فقال عمرو: أيها الناس، من كان معه مصحف فليرفعه على رُمحه، فكثرت في الجيش رفع المصاحف، وارتفعت الضجة ونادوا: كتاب الله بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور العراق بعد أهل العراق؟ ومن لجهاد الروم؟ ومن للترك؟ ومن للكفار؟ ورفع في عكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف، وفي ذلك يقول النجاشي بن الحارث:

فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنأ عليها كتاب الله خير قرآن
ونادوا عليا: يا ابن عم محمد أما تتق أن يهلك الثقلان؟

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا: نجيب إلى كتاب الله وننيب^(٢) إليه، وأحب القوم المواعدة، وقيل لعلي: قد أعطاك معاوية الحق، ودعاك إلى كتاب الله فاقبل منه، وكان أشدهم في ذلك [اليوم] الأشعث بن قيس، فقال علي: أيها الناس، إنه لم يزل^(٣) من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وإني كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وقد أحببتكم البقاء، فقال الأشتر: إن معاوية لا خلف له من رجاله،

(١) هذا البيت لا يوجد في أ، وفي ص « نكالا مؤلماً » .

(٢) في ب « وتوب إليه »

(٣) في ب « إنه لم يكن من أمركم - إلخ » .

ولك بحمد الله الخلف ، ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك ، فاقرع الحديد^(١) [بالحديد] واستعن بالله^(٢) ، وتكلم رؤساء أصحاب علي بنحو من كلام الأشتر ، فقال الأشعث [بن قيس] : إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولنا ندرى ما يكون غداً ، وقد والله فلَّ الحديد ، وكَلَّت البصائر^(٣) ، وتكلم معه غيره بكلام كثير ، فقال علي : ويحكم [إنهم] ما رفعوها لأنكم تعلمونها ولا يعلمون بها^(٤) ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهاء ومكيدة ، فقالوا له : إنه ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ، فقال : ويحكم إنا قائلتهم ليدينوا بحكم الكتاب ، فقد عصوا الله فيما أمرهم به ، ونبذوا كتابه ، فامضوا على حكم وقصدكم ، وخذوا في قتال^(٥) عدوكم ؛ فإن معاوية وابن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدداً غير هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنا أعرفُ بهم منكم ؛ صحبتهم أطفالا [ورجالا] ، فهم شر أطفال ورجال ، وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا ببعضه ، وتهددوه أن يُصنَّعَ به ما صنع بعثمان ، وقال الأشعث : إن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ، قال : ذلك إليك فاتِه إن شئت ، فاتاه الأشعث فسأله ، فقال له معاوية : ترجع نحن وأنتم إلى كتاب [الله ، و] إلى ما أمر به في كتابه : تبعثون منكم رجلاً ترضونه وتختارونه ، ونبعث رجلاً ، ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملوا بما في كتاب الله ولا يخرجوا عنه ، وننقاد جميعاً إلى ما اتفقا عليه من حكم الله ، فصوّب الأشعث قوله ، وانصرف إلى علي ، فأخبره ذلك ، فقال أ كثر الناس : رضينا وقبلنا وسمعنا

(١) في ب « فاقرع الحديد »

(٢) في ب « واستعن بالله » (٣) في ا « كل الحديد وقلت البصائر »

(٤) في ا « لأنهم يعلمونها ولا يعملون بها »

(٥) في ا « وجدوا في قتال عدوكم »

وأطعنا ، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص ، وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج : رضينا نحن بأبي موسى الأشعري ، فقال علي : قد عصيتموني في أول [هذا] الأمر فلا تعصوني الآن ، إني لا أرى أن أوليَّ أبا موسى الأشعري ، فقال الأشعث ومن معه : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري ، قال : ويحكم ! هو ليس بثقة : قد فارقتني وخذلت الناس [مني] وفعل كذا وكذا ، وذكر أشياء فعلها أبو موسى ، ثم إنه هرب شهوراً حتى أمنتته ، لكن هذا عبد الله بن عباس أوليَّه ذلك ، فقال الأثمت وأصحابه : والله لا يحكم فينا مَضْرِيان^(١) ، قال علي - : فالأشتر ، قالوا : وهل حاج هذا^(٢) الأمر إلا الأشتر ، قال : فاصنعوا الآن ما أردتم ، وافعلوا ما بدا لكم ان تفعلوه ، فبعثوا إلى أبي موسى وكتبوا له القصة^(٣) ، وقيل لأبي موسى : إن الناس قد اصطلحوا ، فقال : الحمد لله ، قيل : وقد جعلوك حكماً ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) في ب « مضرى » وما هنا عن أدق ، فإن عمرو بن العاص الذى اختاره معاوية مضرى ، فإذا انضم إليه ابن العباس ، وهو مضرى أيضاً ، كانت الحكومة لمضريين ، وأكثر التكلمين من أصحاب على قحطانيون .

(٢) في ا « وهل أشعل ما نحن فيه إلا الأشتر » .

(٣) في ب « وكتبوا له القضية » .

ذكر الحكمين وبدء التحكيم

كان أبو موسى الأشعريُّ يحدثُ قبل وقعة صفين ويقول : إن الفتن لم تزل في بني إسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى بعثوا الحكمين يحكمان بحكم لا يرضى به من اتبعهما [وإن هذه الأمة لا تزال بها الفتن ترفعها وتخفضها حتى يبعثوا حكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما] ^(١) ، فقال [له] سويد بن غفلة ^(٢) : إياك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحدَ الحكمين ، قال : أنا؟ قال : نعم أنت ، قال : فكان يخلع قيصه ويقول : لا جعل الله لي إذا في السماء مصعداً ، ولا في الأرض مقعداً ، فلقبه سويد بن غفلة بعد ذلك فقال : يا أبا موسى ، أتذكر مقاتلك؟ قال : سل ربك العافية .

وكان فيما كتب في الصحيفة أن يُحْيِي الحكمان ما أحيا القرآن [ويميتا ما شروط الحكم
أمات القرآن] ، ولا يتبعان الهوى ، ولا يبدآن في شيء [من ذلك] فإن فعلا
وموعدا
الاجتماع
فلا حكم لهما ، والمسلمون من حكمهما برآء ، وقال عليٌّ للحكمين حين أكره عليٌّ أمرهما ورد الأشر وكان قد أشرف في ذلك اليوم على الفتح فأخبره مخبر بما قالوا في عليٍّ وأنه إن لم يرِده سلم إلى معاوية يفعل به ما فعل بابن عفان ، فأنصرف الأشرخو فاعلى عليٌّ [فقال لهما عليٌّ] : عليٌّ أن تحكما بما في كتاب الله ، وكتابُ الله كله لي ، فإن لم تحكما بما في كتاب فلا حكم لكما ، وصَيَّرُوا الأجل إلى شهر رمضان على اجتماع الحكمين في موضع بين الكوفة والشام ، وكان الوقت الذي كتبت فيه الصحيفة لأيام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين ، وقيل : بعد هذا الشهر منها ، ومَرَّ الأشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحاً مسروراً ، حتى انتهى إلى مجلسِ بنى تميم ، فيه جماعة من زعمائهم ، منهم عروة بن أذينة ^(٣) التميمي ، وهو أخو بلال الخارجي ، فقرأها عليهم ، فخرى بين الأشعث وبين

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ب (٢) في ب « سويد بن علقمة » .

(٣) في أ « عروة بن أذينة » بالذال معجمة .

أناس منهم خطب طويل ، وإن الأشعث كان بدء هذا الأمر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيثوا إلى أمر الله ، وقال له عروة بن أدية : أتحكامون في دين الله وأمره ونهيه الرجال؟ لا حكم إلا لله ، فكان أول من قالها وحكم بها ، وقد تنوزع في ذلك ، وشد بسيفه على الأشعث فضم فرسه عن الضربة^(١) فوقعت في عجز الفرس ونجا الأشعث ، وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية ، لولا اختلاف كلمتهم في الديانة والتحكيم .

وفي فعل عروة بن أدية بالأشعث يقول رجل من بني تميم في أبيات :
 [عُرُو يا عرو كلُّ فتنة قوم سَلَفَتْ إِنَّمَا تَكُونُ فَتِيَّةً]^(٢)
 [نَم تَنَمِّي وَيَعْظُمُ الْخَطْبُ فِيهَا فَاحْذَرْنَ غِيبًا مَا أَنْتِ عُرْبِيَّةٌ]
 [أَعْلَى الْأَشْعَثِ الْمَعْصَبُ بِالْأَجْحَلِ حَمَلْتَ السَّلَاحَ يَا ابْنَ أَدِيَّةِ ؟]
 [إِنَّمَا فَتْنَةٌ كَفَتْنَةُ ذِي الْعَجَلِ لَ ، أَيَا عُرْوَةَ الْعَصَا وَالْعَصِيَّةِ]
 فانظر اليوم ما يقول عليّ وَاتَّبِعِهِ ، فَذَاكَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

وقد تنوزع في مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين : فذكر أحد ابن الدورقي عن يحيى بن معين أن عدة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس : من أهل الشام تسعون ألفاً ، ومن أهل العراق عشرون [ألفاً] ، ونحن نذهب إلى أن عدد من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر مما قيل في هذا الباب ، وهو خمسون ومائة ألف مقاتل ، سوى الخدم والأتباع ، وعلى هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعاً من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلاثمائة ألف ، بل أكثر من ذلك ؛ لأن أقل من فيهم معه واحد يخدمه ، وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والأتباع وأكثر من ذلك ، وأهل العراق كانوا في عشرين ومائة ألف مقاتل دون الأتباع والخدم

عدة قتلى
صفين

(١) في ١٠ فعر فرسه عن الضربة ٥ .

(٢) هذه الأبيات لا توجد في ١ .

وأما الهيثم بن عدي [الطائي] وغيره مثل الشرقي بن القطامي وأبي مخنف لوط ابن يحيى فذكر واما قدمنا ، وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعاً سبعمون ألفاً : من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، فيهم خمسة وعشرون بدرية ، وأن العدد كان يقع بالتقصي^(١) والإحصاء للقتلى في كل وقعة ، وتحصيل هذا يتفاوت ؛ لأن في قتلى الفريقين من يُعرف ومن لا يعرف ، وفيهم من غرق ، وفيهم من قتل في البر ؛ فأكلته السباع فلم يدركهم الإحصاء ، وغير ذلك مما يعثور^(٢) ما وصفنا ، وسمعت امرأة بصفين [من أهل العراق] وقد قتل لها ثلاثة أولاد وهي تقول :

أعينيَّ جوداً بدمع سربٍ على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير حنّ النفوس بأى امرئ من قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعاً^(٣) [وأقبل بعضهم يتبرأ من بعض] : بعد التحكيم يتبرأ الأخ من أخيه ، والابن من أبيه ، وأمر عليٌّ بالرحيل ، لعلمه باختلاف الكلمة ، وتفاوت الرأي ، وعدم النظام لأموارهم ، وما لحقه من الخلاف منهم ، وكثر التحكيم في جيش أهل العراق ، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف ، وتسابوا ، ولام كل فريق منهم الآخر في رأيه ، وسار على يؤم الكوفة ، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام ، وفرّق عساكره فلاحق كل جندهم ببلده .
ولما دخل عليٌّ رضي الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفاً من القراء وغيرهم فلاحقوا بحرّ وراء - قرية من قرى الكوفة - وجعلوا عابثهم شبيب بن ربيعي التميمي ، وعلى صلواتهم عبد الله بن الكوّاء اليشكري من بكر بن وائل ، فخرج عليٌّ إليهم وكانت لهم معهم مناظرات ، فدخلوا جميعاً الكوفة ، وإنما سموا الحرورية لاجتماعهم في هذه القرية ، وانحيازهم إليها .

الخوارج
الحرورية

(١) في ب « بالتقصي والإحصاء » محرفاً .

(٢) في ب « مما يصر ما وصفنا » .

(٣) في ا « تباين القوم جميعاً » .

وقد ذكر يحيى بن معين قال : حدثنا وهب بن جابر بن حازم ، عن الصلتِ ابن بهرام ، قال : لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر : جزعت من البلية ، ورضيت بالقضية ، وقبلت الدنية ، لا حكم إلا لله ، فيقول : حُكْمُ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ ، فيقولون (واتقدأوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فيقول على : (فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفك الذين لا يوقنون) .

التقاء
الحكمين

وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل ، وقيل : بغيرها ، على ما قدمنا من وصف التنازع في ذلك ، وبعث على عبد الله بن العباس وشرح ابن هانيء الهمداني في أربعائة رجل فيهم أبو موسى الأشعري ، وبعث معاوية بعمر بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط^(١) في أربعائة ، فلما تدانى القوم من الموضع الذي كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لأبي موسى : إن علياً لم يرض بك حكماً لفضل عندك^(٢) والمتقدمون عليك كثير ، وإن الناس أبوا غيرك ، وإني لأظن ذلك لشريراً بهم ، وقد ضم داهية العرب معك ، إن نسيت فلا تنس أن علياً يابعه الذين يابعوا أبابكر وعمر وثمان ، وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة ، وليس في معاوية خصلة تقربه من الخلافة ، ووصى معاوية عمرأ حين فارقوه وهو يريد الاجتماع بأبي موسى ، فقال : يا أبا عبد الله ، إن أهل العراق قد أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك ، وقد ضم إليك رجل طويل اللسان قصير الرأي ، فأخر الحزب^(٣) ، وطبق المفصل ، ولا تلقه برأيتك كله ، ووافقهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو [وعبد الرحمن بن عوف الزهري] والمغيرة ابن شعبة الثقفي وغيرهم ، وهؤلاء ممن قعد عن بيعة علي ، في آخرين من الناس ،

(١) في ب « شرحبيل بن السمط » .

(٢) في ا « لفضل ما عندك » وفي ب « لفضل غيرك » .

(٣) في ب « فأخذ الجدد » .

وذلك في شهر رمضان [من سنة ثمان وثلاثين] ، فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لأبي موسى : تكلم وقل خيراً ، فقال أبو موسى : بل تكلم أنت يا عمرو فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأقدم نفسي قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة لسنتك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ضيف ، فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه ، وذكر الحدث الذي حلَّ^(١) بالإسلام ، والخلاف الواقع بأهله ، ثم قال : يا عمرو : هلم إلى أمر يجمع الله به الألفة ، ويلم الشَّعَثَ ، ويصلح ذات البين ؟ فجزاه عمرو خيراً ، وقال : إن لك كلاماً أولاً وآخرًا ، ومتى تنازعنا الكلام خطبًا لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله ، فاجعل ما كان من كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا ، قال : فاكتب ، فدعا عمرو بصحيفة وكتب ، وكان الكاتب غلاماً لعمرو ، فتقدم إليه ليبدأ به أولاً دون أبي موسى ؛ لما أراد من المكر به ، ثم قال له بحضرة الجماعة : اكتب فإنك شاهد علينا ، ولا تكتب شيئاً يأمرك به أحدنا حتى تستأمر الآخر فيه ، فإذا أمرك فاكتب ، وإذا نهاك فانتهِ حتى يجتمع رأينا ، اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب ، وبدأ بعمرو ، فقال له عمرو : لا أم لك ! أتقدمني قبله كأنك جاهل بحقه ؟ فبدأ باسم عبد الله بن قيس ، وكتب : تقاضياً على أنهما يشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم قال عمرو : ونشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله إليه ، وقد أدَّى الحق الذي عاينه ، قال أبو موسى : اكتب ، ثم قال في عمر مثل ذلك ، [فقال أبو موسى : اكتب] ثم قال عمرو : واكتب « وأن عثمان ولي هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله

(١) في « الذي أخل بالإسلام » .

صلى الله عليه وسلم ورضاً منهم ، وأنه كان مؤمناً ، فقال أبو موسى الأشعري :
ليس هذا مما قعدنا له ، قال عمرو : والله لا بد من أن يكون مؤمناً أو كافراً [فقال
أبو موسى : كان مؤمناً ، قال عمرو : فمره يكتب] : قال أبو موسى : اكتب ،
قال عمرو : فظالم قتل عثمان أو مظلوما ، قال أبو موسى : بل قتل مظلوما ، قال
عمرو : أفليس قد جعل الله لولي المظلوم سلطانا يطلب بدمه ؟ قال أبو موسى :
نعم ، قال عمرو : فهل تعلم لعثمان ولياً أولى من معاوية ؟ قال أبو موسى : لا ، قال
عمرو : أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجز [عنه] ؟
قال أبو موسى : بلى ، قال عمرو ولا كتاب : اكتب ، وأمره أبو موسى فكتب ،
قال عمرو : فإننا نقيم البيعة أن علياً قتل عثمان ، قال أبو موسى : هذا أمر قد
حدّث في الإسلام ، وإنما اجتمعنا لغيره ، فهل إلى أمر يصلح الله به [أمر] أمة
محمد ، قال عمرو : وما هو ؟ قال أبو موسى : قد علمت أن أهل العراق لا يحبون
معاوية أبداً ، وأن أهل الشام لا يحبون علياً أبداً ؛ فهل نخلعهما جميعاً ونستخلف
عبد الله بن عمر ؟ وكان عبد الله بن عمر على بنت أبي موسى ، قال عمرو : أيفعل
ذلك عبد الله بن عمر ؟ قال أبو موسى : نعم إذا حمّاه الناس على ذلك فعل ، فعمد
عمرو إلى كل ما مال إليه أبو موسى فصوّبه ، وقال له : هل لك في سعد ؟ قال له
أبو موسى : لا ، فعدّ ذلك عمرو وجماعة وأبو موسى يأبى ذلك إلا ابن عمر ، فأخذ
عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختمها جميعاً ، وقال عمرو : أرايت
إن رضى أهل العراق بعبد الله بن عمر وأباه أهل الشام أتقاتل أهل الشام ؟ قال
أبو موسى : لا ، قال عمرو : فإن رضى أهل الشام وأبى أهل العراق أتقاتل أهل
العراق ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أما إذا رأيت الصلاح في هذا الأمر
والخير للمسلمين فقم فاخطب الناس ، واخلع صاحبينا [معاً] وتكلم باسم هذا
الرجل الذي تستخلفه ، فقال أبو موسى : بل أنت قم فاخطب فأنت أحق
بذلك ، قال عمرو : ما أحب أن أتقدمك ، وما قولى وقولك للناس إلا قول
واحد ، فقم راشداً .

فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمرنا ، فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشَّعْتِ وَحَقَّنَ الدِّمَاءَ وَجَمَعَ الْأَلْفَةَ خَلَعْنَا عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ، وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه ، ثم أهوى إلى عمامته فخلعها ، واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ، فبرز في سابقته ، وهو عبد الله بن عمر ، وأطراه ، ورغَّبَ الناس فيه ، ثم نزل .

فقام عمرو فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليا وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإني قد خلعت علياً معه ، وأثبت معاوية علياً وعليكم ، وإن أبا موسى قد كتب في الصحيفة أن عثمان قد قتل مظلوماً شهيداً وأن لوليه [سلطاناً] أن يطلب بدمه حيث كان ، وقد صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ، [وأطراه ، ورغَّبَ الناس فيه ، وقال] : هو الخليفة علينا ، وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان ، فقال أبو موسى : كذب عمرو ، لم نستخلف معاوية ، ولكننا خلعنا معاوية وعلياً معا ، فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس ، قد خلع علياً ولم أخاع معاوية .

قال المسعودي رحمه الله : ووجدت في وجه آخر من الروايات أنهما اتفقا على خلع علي ومعاوية ، وأن يجعل الأمر بعد ذلك شورى : يختار الناس رجلاً يصلح لهم ، فقدَّم عمرو أبا موسى ، فقال أبو موسى : إني قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمرهم ، وتنحى ، وقام عمرو مكانه فقال : إن هذا قد خاع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خاعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فقال أبو موسى : مالك

لا وفقك الله غدرتَ وفجرتَ؟ إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً ،
فقال له عمرو : بل إياك يلعن الله ، كذبت وغدرت ، إنما مثلك مثل الكلب
إن تحمل عليه باهت أو تتركه باهت ، ثم وكز أبو موسى ^(١) فألقاه لجنبه ،
فما رأى ذلك شريح بن هانيء قنع عمرأ بالسوط ، وانخزل أبو موسى ^(٢) ،
فاستوى على راحلته ولحق بمكة ، ولم يعد إلى الكوفة ، وقد كانت خطته
وأهله وولده بها ، وآلى أن لا ينظر إلى وجهه على ما بقي ، ومضى ابن عمر
وسعد إلى بيت المقدس [فأحرما] .

وفي فعل الحكيم يقول أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي :

لو كانَ للقومِ رأى يعصمون به عند الخطوب رموكم يا بن عباس
لكن رموكم بوغدٍ من ذوى يمن لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس

ما قيل من
الشعر في
التحكيم

وفي اختلاف الحكيم والمحكمة يقول بعض من حضر ذلك :

رضينا بحكم الله لا حكم غيره وباللَّهِ رَبًّا والنبي وبالذكر
وبالأصلح الهادي على إمامنا رضينا بذلك الشيخ في العسر واليسر
رَضِينَا بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ؛ فإنه إمام الهدى في موقف النهي والأمر
ولأبي موسى يقول ابن أعين ^(٣) :

أبا موسى ، بليت وأنت شيخ قريب العفو مخزون اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس فيا لله من شيخ يمانى ^(٤)
فأمسيت العشيَّة ذا اعتذار ضعيف الركن منكوب الجنان
تعض الكف من ندمٍ ، وماذا يرد عليك عضك للبنان ؟

(٢) في ب « وتحول أبو موسى »

(١) في ا « ثم ركل أبو موسى » .

(٣) في ب « يقول ابن عباس » .

(٤) في ا و ما عمرو صفاتك » .

وقيل : إنه لم يكن بينهما غير ما كتباه في الصحيفة وإقرار أبي موسى بأن عثمان قتل مظلوماً وغير ذلك مما قدمنا ، وإنهما لم يخطبا ، وذلك أن عمرأ قال لأبي موسى : سَمَّ من شئت حتى أنظر معك ، فسمى أبو موسى ابن عمر [وغيره] ثم قال لعمر : قد سميت أنا قَسَمٌ أنت ، قال : نعم ، أسمى لك أقوى هذه الأمة عليها ، وأسَدَّها رأياً ، وأعلمها بالسياسة ، معاوية بن أبي سفيان ، قال : لا والله ما هو لذلك بأهل ، قال : فأتيتك بأخر ليس هو بدونه ، قال : من هو ؟ قال : أبو عبد الله عمرو بن العاص ، فلما قالها علم أبو موسى أنه يلعب به ، فقال : فعلتها لعنك الله ، فتَسَابَّاً ، فلحق أبو موسى بمكة .

فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص إلى منزله ، ولم يأت إلى معاوية ، فأرسل إليه معاوية يدعوه ، فقال : إنما كنت أجيئك إذ كانت لي إليك حاجة ، فأما إذا كانت الحاجة إلينا فأنت أحق أن تأتينا ، فلم معاوية ما قد دُفِعَ^(١) إليه ، فحمر الرأي وأعمل الحيلة ، وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ، ثم دعا بخاصته ومواليه وأهله ، فقال : إني سأغدو إلى عمرو ، فإذا دعوت بالطعام فدعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم ، فإذا شبع رجل [منهم] وقام فليجلس رجل منكم مكانه ، فإذا خرجوا ولم يبق في البيت أحد منهم فأغلقوا باب البيت ، واحذروا أن يدخل أحد منهم إلا أن آمركم .

خدعة معاوية
لعمر بن
العاص

وغدا إليه معاوية وعمرو جالس على فراشه ، فلم يقم له عنها ، ولا دعاه فجاء معاوية وجلس على الأرض ، واتكأ على [ناحية] الفراش ، وذلك أن عمرأ كان يحدث نفسه أنه قد ملك الأمر وإليه العقد ، يضعها فيمن يرى ، ويندب للخلافة من يشاء ، فخرى بينهما كلام كثير ، وكان مما قال له عمرو : هذا الكتاب الذي

(١) في ب و ما قد وقع إليه ، فخذ الرأي ه .

بینی و بینہ علیہ خاتمی وخاتمہ ، وقد أقرَّ بأن عثمان قتل مظلوماً ، وأخرج عائياً من هذا الأمر ، وعرض على رجالاً لم أرهم أهلاً لها ، وهذا الأمر إلى أن استخلف من شنته ، وقد أعطاني أهل الشام عهدهم ومواثيقهم ، فحادثه معاوية ساعة وأخرجه عما كانوا عليه ، وضاحكه وداعبه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، هل من غداء ؟ قال : أمّا شيء يشبع من ترى فلا والله ، فقال معاوية : هلم يا غلامی غداءك ، فجىء بالطعام المستعد ، فوضع ، فقال : يا أبا عبد الله ، ادع مواليك وأهلك ، فدعاهم ، ثم قال له عمرو : وادع أنت أصحابك ، قال : نسيمياً كل أصحابك [أولاً] ثم يجلس هؤلاء بعد ، فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو فعد موضعه رجل من حاشية معاوية ، حتى خرج أصحاب عمرو وبقى أصحاب معاوية ، فقام الذي وكله بفتح الباب ، فأغلق الباب ، فقال له عمرو : فعلتها ، فقال : إى والله بينى وبينك أمران فاختر أيهما شئت : البيعة لى ، أو أقتلك ، ليس والله غيرها ، قال عمرو : فأذّن لغلامى وردان حتى أشاوره وأنظر رأيه ، قال : لا تراه والله ولا يراك إلا قتيلاً أو على ما قلت لك ، قال : فالوفاء إذن بطعمة مصر^(١) ، قال : هى لك ما عشت ، فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه ، وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام ، ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو ، فقال لهم عمرو : قد رأيت أن أبايع معاوية ، فلم أر أحداً أقوى على هذا الأمر منه ، فبايعه أهل الشام ، وانصرف [معاوية] إلى منزله^(٢) خليفة .

بين على
وأصحابه

ولما بلغ علياً ما كان من أمر أبى موسى وعمرو قال : إني كنت تقدمت إليكم فى هذه الحكومة ونهيتكم عنها ، فأبيتكم إلا عصياني ، فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذا ببيتكم على ؟ والله إني لأعرف من حملكم على خلافى والترك لأمرى ، ولو أشاء أخذه لفعلت ، ولكن الله من ورائه ، يريد بذلك الأشعث بن قيس

(١) فى ب « قال : فأولتى إذا ، صر » .

(٢) فى ا « وانصرف معاوية إلى أهله خليفة » .

والله أعلم ، وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني خشم^(١) :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

من دعا إلى هذه الحكومة فافتلوه قتاه الله ولو كان تحت عمامتي هذه ،
ألا إن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموها حكيمين قد تركا حكم الله ،
وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف ، فأمانا ما أحيا القرآن ،
وأحييا ما أماته ، واختلف في حكمهما كلامهما ، ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما ،
فبرى الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ، فتأهبوا للجهاد^(٢) واستعدوا للسير ،
وأصبحوا في عساكرهم^(٣) إن شاء الله تعالى .

قال المسعودي : وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا في الحكمين ، وقالوا
في ذلك أقاويل كثيرة ، وقد أتينا على ما ذهبوا إليه في ذلك وما قاله كل فريق
منهم ، ومن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعمة وغيرهم من فرق هذه الأمة
في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » وذكرنا في كتاب « أخبار الزمان »
قول علي في موافقه وخطبه ، وما قاله في ذلك ، وما أكره عليه ، وتأنيبه^(٤) لهم
بعد الحكومة ، وما تقدم الحكومة من تحذيره إيهم منها حين ألحوا في تحكيم
أبي موسى الأشعري وعمرو ، حيث قال : ألا إن القوم قد اختاروا أنفسهم
أقرب الناس مما يحبون ، واخترتم لأنفسكم أقرب الناس مما تكرهون ،
إنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس وهو يقول ألا إنها فتنة ، فقطعوا فيها
أوتاركم وكسروا قسيكم ، فإن يك صادقا فقد أخطأ في مسيره غير مستكره عليه ،
وإن يك كاذبا فقد لزمته التهمة ، وهذا كلام أبي موسى في تحذيله الناس ،

(١) في ١٠ كما قال أبو هيثم .

(٢) في ١ « قهيبوا للقتال » . (٣) في ب « وأصبحوا في عساكرهم »

(٤) في ب « وما بينه لهم بعد الحكومة » .

وتحريضهم على الجلوس [وتثبيطهم] عن أمير المؤمنين عليّ في حروبه ومسيره إلى الجمل وغيره ، ثم ما قاله في بعض مقاماته في معانفته لقريش ، وقد باغاه عن أناس منهم ممن قعد عن بيعته ونافق في خلافته كلام كثير ، فقال : وقد زعمت قريش أن ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب ، تربت أيديهم ! وهل فيهم أشدّ مرآسا لها مني ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين^(١) ، وها أنا ذا قد أريت^(٢) عليّ نيف وستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

قال المسعودي : وإذا قد تقدم ذكرنا لجمل من أخبار الجمل وصفين والحكمين ؛ فلنذكر الآن جوامع من أخبار يوم النهروان ، ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا في هذا الكتاب وما تأخر ، فيما سلف من كتبنا ، والله أعلم .

(١) في ب « وما بلغت الثلاثين » وليس بدقيق ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي ربه وعلى رضى الله عنه ابن ثلاثين سنة تقريبا ، وقد حارب رسول الله قبل انتقاله للرفيق الأعلى عشر سنين أو يزيد .

(٢) في ا « وقد أتيت على نيف وستين » .

ذكر حروبه^(١) رضى الله عنه مع أهل النهروان

وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه
والأشتر النخعي ، وغير ذلك

واجتمعت الخوارج في أربعة آلاف ، فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي ، اجتمع الخوارج
ولحقوا بالبدائي ، وقتلوا عبد الله بن حباب عامل على عايبها : ذبحوه ذبحاً ، ومسير على إليهم
وبقروا بطن امرأته وكانت حاملاً ، وقتلوا غيرها من النساء ، وقد كان على
انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين^(٢) ألفاً ، وأتاه من البصرة ، من قبل
ابن عباس — وكان عامله عليها — عشرة آلاف^(٣) فيهم الأحنف بن قيس
وحارثة بن قدامة السعدي ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين ، فنزل على الأنبار ،
والتأمت إليه العساكر ، فخطب الناس وحرصهم على الجهاد ، وقال : سيروا
إلى قتلة المهاجرين والأنصار قُدماً ، فإنهم طالما سَعَوْا في إطفاء نور الله ،
وحرصوا على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، ألا إن رسول الله
أمرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم ، والناكثين وهم هؤلاء
الذين فرغنا منهم ، والمارقين ولم نلقهم بعد ، فسيروا إلى القاسطين ، فهم أهم
علينا من الخوارج ، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبارين يتخذهم
الناس أرباباً ، ويتخذون عباد الله خولاً ومالهم دُولاً ، فأبوا إلا أن يبدؤوا
بالخوارج ، فسار على إليهم ، حتى أتى النهروان ، فبعث إليهم بالحارث بن
مرة العبدي رسولا يدعوهم إلى الرجوع ، فقتلوه ، وبعثوا إلى علي : إن تُبِتَ
من حكومتك وشهدت على نفسك [بالكفر] بايعناك ، وإن أبيت فاعتزلنا
حتى نختار لأنفسنا إماماً فإننا منك برّاء ، فبعث إليهم على : أن ابعثوا إلى^(٤)

(١) في ١ « ذكر حربه » (٢) في ١ « خمسة وستين ألفاً » .

(٣) في ١ « ثلاثة آلاف » .

(٤) في ١ « أن ادفعوا إلى قتلة إخواني فأقتلهم » .

بقتلة إخواني فأقتلهم ثم أثاركم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب ، ولعل
الله يُقَلِّبُ قلوبكم ، فبعثوا إليه : كلنا قتلة أصحابك ، وكلنا مستحلُّ دماءهم ،
مشاركون في قتلهم ، وأخبره الرسول — وكان من يهود السواد — أن القوم
قد عبروا نهر طبرستان^(١) ، وهذا النهر عايه قنطرة ، تعرف بقنطرة طبرستان ،
بين حلوان وبغداد ، من بلاد^(٢) خراسان ، فقال علي : والله ما عبروه
ولا يقطعونه ، حتى نقتلهم بالرميلة دونه ، ثم تواترت عايه الأخبار بقطعهم
لهذا النهر ، وعبورهم هذا الجسر ، وهو يأبى ذلك ، ويحلف أنهم لم يعبروه ،
وأن مصارعهم دونه . ثم قال : سيروا إلى القوم ، فوالله لا يفلت منهم
إلا عشرة ، ولا يقتل منكم إلا عشرة ، فسار علي ، فأشرف عليهم ، وقد عسكروا
بالموضع المعروف بالرميلة علي [حسب] ما قال لأصحابه . فلما أشرف عليهم قال :
الله أكبر ، صدق [الله و] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصاف القوم ،
ووقف عليهم بنفسه ، فدعاهم إلى الرجوع والتوبة ، فأبوا ورموا أصحابه ،
فقتل له : قد رمونا ، فقال : كفوا ، فكررُوا القول عليه ثلاثاً وهو يأمرهم
بالكف ، حتى أتى برجل قتيل متشحطٍ بدمه ، فقال علي : الله أكبر ، الآن
حلَّ قتالهم ، احملوا على القوم ، فحمل رجل من الخوارج على أصحاب علي ،
فجرح^(٣) فيهم ، وجعل يفشى كل ناحية ، ويقول :

أضربهم ولو أرى علياً ألبسته أبيضَ مشرفياً

فخرج إليه علي رضي الله عنه ، وهو يقول :

يا أيُّهَذَا المبتغى علياً إلى أراك جاهلاً شقيماً
قد كنت عن كفاحه غنياً هلم فابرز هاهنا إلياً^(٤)

(١) في ١ « نهر طبرستان » (٢) في ١ « من جادة خراسان » .
(٣) في ب « فخرج فيهم » (٤) في ١ « قد كنت عن لقاءه غنياً » .

وحمل عليه عليٌّ ، فقتله .

ثم خرج منهم آخر ، فحمل على الناس ، ففتك فيهم^(١) ، وجعل يكر عليهم ، وهو يقول :

أضربهم ولو أرى أبا حسنٍ ألبسته بصارمي ثوب غبن^(٢)
نخرج إليه عليٌّ وهو يقول :

يا أيهذا المتغنى أبا حسنٍ إليك فانظر أينما يلقى الغبن

وحمل عليه عليٌّ وشكّه بالرمح ، وترك الرمح فيه ، فانصرف على وهو يقول : لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره .

وحمل أبو أيوب الأنصاري على زيد بن حصن فقتله ، وقتل عبد الله بن وهب الراسي ، قتله^(٣) هاني ، بن حاطب الأزدي ، وزيد بن حفصة ، وقتل حرقوص بن زهير السعدي ، وكان جملة من قتل من أصحاب علي تسعة ، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة ، وأتى عليٌّ على التوم ، وهم أربعة آلاف ، فيهم المخدج [ذو الثديّة] إلا من ذكرنا من هؤلاء العشرة ، وأمر علي بطاب المخدج ، فطالبوه ، فلم يقدرُوا عليه ، فقام عليٌّ وعليه أثر الحزن لفقده المخدج ، فأنهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض ، فقال : أفرجوا ، ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه ، فقال علي رضي الله عنه : الله أكبر ، ما كذبتُ علي محمد ، وإنه لناقص اليد ليس فيها عظم ، طرفها حلة مثل ثدي المرأة ، عليها خمس شعرات أو سبع ، رؤوسها معقفة ، ثم قال : ائتوني به ، فنظر إلى عضده ، فإذا اللحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود إذا مدت اللحم امتدت حتى تحاذي بطن يده الأخرى ، ثم تترك فتعود إلى منكبه ، فشنى رجله ونزل ، وخر لله ساجداً .

(١) في ١ « فقتل فيهم » . (٢) في ٢ يروي هذان البيتان هكذا :

أضربهم ولو أرى أبا حسنٍ ذاك الذي لهذه الدنيا ركن

(٣) في ب « وقتل عبد الله بن وهب الذي قتل هاني بن حاطب »

(٢٧ - مروج الذهب ٢)

ثم ركبوا ومرّ بهم وهم صرّعى، فقال: لقد صرّ عكم من غركم، قيل: ومن غركم؟ قال: الشيطان وأنفسُ السوء، فقال أصحابه: قد قطع الله أبرهم إلى آخر الدهر، فقال: كلا والذي نسي بيده، وإنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط^(١) يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتاه^(٢)، ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة .

وجمع على ما كان في عسكر الخوارج، فقسم السلاح والدواب بين المسلمين، وردّ المتاع والعبيد والإماء إلى أهلهم، ثم خطب الناس. فقال: إن الله قد أحسن إليكم وأعز نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين قد كَلَّتْ سيوفنا، ونفدت نبالنا، ونصلت أسنة رماحنا، فدعنا نستعد بأحسن عدتنا، وكان الذي كلمه بهذا الأشعث بن قيس، فمسكر على بالانخيلة .

تفرق أصحاب علي وردتهم فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون بأوطانهم، فلم يبق معه إلا نفر يسير، ومضى الحارث بن راشد الناجي في ثلاثمائة من الناس فارتدوا إلى دين النصرانية، وهم من ولد سامة بن لؤي [بن غالب، من ولد إسماعيل] عند أنفسهم، وقد أبا ذلك كثير من الناس، وذكروا أن سامة بن لؤي ما أعقب، وقد حكى عن علي فيهم ما قد ذكرناه في كتابنا في «أخبار الزمان» .

ولد سامة ابن لؤي وعلي الشاعر السامي من النصب^(٣) والانحراف، وقد أتينا على لمع من شعره وأخباره في الكتاب الأوسط، ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلي عليه السلام أنه

(١) في ب « الأشمط » بالسين المهملة، تحريف (٢) في ب « فيقتلهم »

(٣) في ب « من النصب والانحراف » والنصب: كراهية آل بيت رسول

الله، ويسمى معتقو ذلك ناصبة .

كان يلعن أباه ، فسئل عن ذلك ، وبم استحق اللعن منه ؟ فقال : بتسميته إياي عليا .

فَسَرَّحَ إِلَيْهِمْ^(١) عليُّ معقلَ بن قيس الرياحي ، فقتل الحارث ومن معه من المرتدين بسيف البحر ، وسبى عيالهم وذرايرهم ، وذلك بساحل البحرين ، فنزل معقل بن قيس بعض كَوَرِ الأهواز بسبى القوم ، وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملاً لعلی ، فصاح به النسوة : امنن علينا ، فاشتراهم بثأمائة ألف [درهم] وأعتقهم ، وأدَّى من المال مائتي ألف وهرب إلى معاوية ، فقال علي : قبح الله مصقلة ، فعل فعل السيد وفر فرار العبد ، لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه ، فإن أعسر أنظرناه ، وإن عجز لم نأخذه^(٢) بشيء ، وأنفذ العتق وفي ذلك يقول مصقلة بن هبيرة ، من أبيات :

تركت نساء الحى بكر بن وائل وأعتقت سبياً من لؤى بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد لمالٍ قليلٍ لا محالة ذاهب
وفي ذلك يقول الآخر :

ومصقلة الذى قد باع بيعاً ربيعاً يوم ناجية بن سامه
ولمصقلة أفعال أتاها ، وحيل عملها قد ذكرناها وما قال فى ذلك من الشعر
فى الكتاب الأوسط .

وقال علي بن محمد بن جعفر [العلوى] فيمن اتنى إلى سامة بن لؤى
ابن غالب^(٣) .

وسامة منّا ، فأما بنوه فأسرهم عندنا مُظلم

(١) فى ب « فرح عليهم » (٢) فى ب « لم نؤاخذه بشيء »
(٣) فى ب « سامة بن لؤى بن غالب بن محمد » وكلمة « بن محمد » خطأ ،
فلم تذكرها ، وكلمة « بن غالب » ساقطة من ا

أناس أتونا بأنسابهم خرافة مضطجع يحلم
 وقلنا لهم مثل قول الوصي وكل أقاويله محكم
 إذا ما سئلت فلم تدّر ما تقول ، فقل : ربنا أعلم

عمرو بن العاص ومحمد بن أبي بكر في مصر
 وفي سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص إلى مصر في أربعة آلاف ، ومعه معاوية بن خديج^(١) ، وأبو الأعور السلمي ، واستعمل عمرًا عليها حيانه ، ووفى له بما تقدم من ضمانه ، فالتقواهم ومحمد بن أبي بكر — وكان عامل على عليها — بالموضع المعروف بالسنة^(٢) ، فاقتلوا ، فانهزم محمد لإسلام أصحابه إياه وتركهم له ، وصار إلى موضع بمصر ، فاختنى فيه ، فأحيط بالدار ، فخرج إليهم محذومين معه من أصحابه ، فقاتلهم حتى قتل ، فأخذ معاوية بن خديج^(١) وعمرو بن العاص وغيرهما ، فجعلوه في جلد حمار وأضرموه بالنار ، وذلك بموضع في مصر ، يقال له : كوم شريك ، وقيل : إنه فعل به ذلك ، وبه شيء من الحياة ، وبلغ معاوية قتل محذوم أصحابه ، فأظهر الفرح والسرور . وبلغ عاليا قتل محذوم و سرور معاوية ، فقال : جزعنا عليه على قدر سرورهم ، فما جزعتُ على هالك منذ دخلت هذه الحروب جزع عي عليه ، كان لي ريباً ، وكنت أعدّه ولداً ، وكان بي برأ ، وكان ابن أخي ، فعلى مثل هذا نحزن^(٣) ، وعند الله نحسبه .

ولاية الأشر ومقتله بالعريش مسموماً
 وولى على الأشر مصر وأنفذه إليها في جيش ، فلما بلغ ذلك معاوية دس إلى دهقان كان بالعريش ، فأرغبه ، وقال : أترك خراجك عشرين سنة ، واحتل للأشر بالسلم في طعامه ، فلما نزل الأشر العريش سأل الدهقان : أي الطعام والشراب أحبُّ إليه ؟ قيل له : العسل ، فأهدى له عسلاً ، وقال :

(١) في « معاوية بن خديج » بالحاء المهملة .

(٢) في ب « المعروف بالمشاة » .

(٣) في ا « فقل مثل هذا الحزن ، وعند الله حسبه »

إن من أمره وشأنه كذا وكذا ، ووصفه للأشتر ، وكان الأشتر صائماً ، فتناول منه شربة ، فما استقرت في جوفه حتى تلف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه ، وقيل : كان ذلك بالقزم ، والأول أثبت ، فبلغ ذلك عالياً ، فقال : لليدين والقم ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : إن لله جنداً من العسل .

وقبض أصحابه عن علي في هذه السنة ثلاثة أرزاق علي^(١) حسب ما كان يحمل إليه من المال من أعماله ، ثم ورد عليه مال من أصبهان ، فخطب الناس ، وقال : اغدوا إلى عطاء رابع ، فوالله ما أنا لكم بخازن ، وكان في عطائه [أسوة للناس] يأخذ كما يأخذ الواحد منهم .

ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب إلا ما وصفنا بصفين ، وكان معاوية في بقية أيام^(٢) علي يبعث سرايا تُغِيرُ ، وكذلك علي كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس ، وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا .

قال المسعودي رحمه الله : وقد تكلم طوائف من الناس ممن ساف وخلف فرق المعاملة بين الجمل وصفين وسره من أهل الآراء من الخوارج وغيرهم في فعل علي يوم الجمل ، وصفين ، وتباين حكمه فيهما ، من قتله من أهل صفين ، مقباين ومدبرين ، وإجهازه على جرّ حاهم ، ويوم الجمل لم يتبع مؤكياً ، ولا أجهز على جريح ، ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمناً ، وما أجابهم به شيعة علي في تباين حكم علي في هذين اليومين لاختلاف حكمهما ، وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون إليها ، وإتباع القوم إلى منازلهم ، غير محاربين ولا منابذين ، ولا الأمره مخالفين^(٣) ، فرضوا بالكف عنهم ، وكان الحكم فيهم رفع السيف

(١) في ا « وقبض علي أصحابه في هذه السنة ثلث رزق علي » .

(٢) في ب « بقية أعمال علي »

(٣) في ا « ولا لإمامته مخالفين »

إذ لم يطلبوا عليه أعواناً ، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئمة مستعدة ، وإمام منتصب ، يجمع لهم السلاح ، ويُسني لهم الأَعْطِيَةَ ، ويقسم لهم الأموال ^(١) ، ويجبر كسيرهم ^(٢) ، ويحمل راجلهم ، ويردهم ، فيرجعون إلى الحرب ، وهم إلى إمامته منقادون ، ولرأيه متبعون ، ولغيره مخالفون ، ولإمامته تاركون ، ولحقه جاحدون ، وبأنه يطلب ما ليس له قائلون ^(٣) ، فاختلف الحكم لما وصفنا ^(٤) ، وتباين حكماهما لما ذكرنا ، ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه ، وقد أتينا على استيعابه ^(٥) ، وما ذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا ، فأغنى ذلك عن إعادته ، والله أعلم .

(١) في ١ « ويقسم لهم الأَنْزَالَ »
 (٢) في ١ « ويجبر كسيرهم »
 (٣) في ١ « ما ليس له قائلون » (٤) في ١ « فاختلف حكم اليومين لما وصفنا »
 (٥) في ١ « أتينا على استيعابه » .

ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضى الله عنه !

المؤامرة

وفي سنة أربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج ، فتذاكروا الناس ، وما هم فيه من الحرب والفتنة ، وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، وتواعدوا ، وانفقوا [علي] أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه ، حتى يقتله أو يُقتلَ دونه ، وهم : عبد الرحمن ابن مُلْجَم ، لعنه الله ! وكان من تُجيب ، وكان عداهم في مُراد ، فنسب إليهم ، وحجاج بن عبد الله الصريمي ، ولقبه : البركُ ، وزادويه : مولى بني العنبر ، فقال ابن مُلْجَم — لعنه الله ! — : أنا أقتل علياً ، وقال البرك : أنا أقتل معاوية ، وقال زادويه : أنا أقتل عمرو بن العاص ، وَاتَّعَدُوا أن يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، وقيل : ليلة إحدى وعشرين .

ابن ماجه
وقتيام

نخرج عبد الرحمن بن مُلْجَم المرادى إلى علي ، فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه ، وكان [علي] قد قتل أباه وأخاه يوم النهروان ، وكانت أجمل أهل زمانها ، فخطبها ، فقالت : لا أتزوج حتى ^(١) تسمى لي ، قال : لا تسأليني شيئاً إلا أعطيته ، فقالت : ثلاثة آلاف وعبداً وقينة ، وقتل علي ، فقال : ما سألت هو لك مهر إلا قتل علي ، فلا أراك تدركينه ، قالت : فالتمس غرته ، فإن أصبته شفيت نفسي وَنَفَعَك العيشُ معي ، وإن هلكتَ فما عند الله خير لك من الدنيا ، فقال : والله ما جاء بي إلى هذا المصير ، وقد كنت هارباً منه إلا ذلك ، وقد أعطيتك ما سألت ، وخرج من عندها وهو يقول :

ثلاثة آلاف وعبدٌ وقينةٌ وقتلُ علي بالحسام المصم

(١) « تسمى لي » أي : تذكر مقدار المهر . وفي « حتى تسمى لي » .

فلا مَهْرَ أَعْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتَكَ ابْنِ مُلْجَمٍ^(١)
 فلقبه رجل من أشجع يقال له شبيب بن نجدة^(٢) من الخوارج ، فقال له :
 هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك ؟ قال : تساعدني على قتل
 عليّ ، قال : ثكلتك أمك ! لقد جئت شيئاً إداً ، قد عرفت غناءه^(٣)
 في الإسلام ، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن ملجم : ويحك !
 أما تعلم أنه قد حَكَمَ الرجال في كتاب الله ، وقتل إخواننا المصلين ؟ فنقتله
 ببعض إخواننا ، فأقبل معه حتى دخل على قَطَامٍ ، وهي في المسجد الأعظم ،
 وقد ضربت كِلَّةً لها^(٤) وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من
 شهر رمضان ، فأعلمتهما أن مجاشع بن وردان [بن علقمة] قد انتدب لقتله
 معهما ، فدعت لهما بحريز فعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب
 السدة التي يخرج منها على المسجد ، وكان علي يخرج كل غداة أول الأذان
 [يوقظ الناس] للصلاة ، وقد كان ابن ملجم مرّاً بالأشعث وهو في المسجد ،
 فقال له : فَضَحَكَ الصَّبْحُ^(٥) ، فسمعها حُجْرُ بن عدي ، فقال : قتلته يا أعور
 قتلك الله ، وخرج علي رضي الله عنه ينادي : أيها الناس ، الصلاة ، فشد عليه
 ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون : الحكم لله ، لا لك ، وضربه ابن ملجم على
 رأسه بالسيف في قرّنه ، وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب ، وأما
 [مجاشع] بن وردان فهرب ، وقال علي : لا يفوتنكم الرجل ، وشدّ الناس على
 ابن ملجم يرمونه بالحصباء ، ويتناولونه ويصيحون ، فضرب ساقه رجل من
 همدان برجله ، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وجهه
 فصرعه ، وأقبل به إلى الحسن ، ودخل ابن وردان بين الناس ، فنجا
 بنفسه ، وهرب شبيب حتى أتى رحله ، فدخل إليه عبد الله بن نجدة — وهو

(١) في ب « أعلى من علي وإن علا » . (٢) في ب « شبيب بن بحيرة »

محرراً . (٣) في ا « لقد عرفت بلاءه في الإسلام » .

(٤) في ب « وقد ضربت كلة به » (٥) في ب « فضحك الله »

أحد بنى أبيه — فرآه ينزع الحرير عن صدره ، فسأله عن ذلك ، فخبره [خبره] فانصرف عبد الله إلى رحاه ، وأقبل إليه بسيفه فضربه حتى قتله .

وقيل : إن علياً لم يَنَمْ تلك الليلة ، وإنه لم يزل يمشى بين الباب والحجرة ، وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، وإنها لليلة التي وعدت [فيها] فلما [خرج] ^(١) صاح بط كان للصبيان ، فصاح بهن بعض من في الدار ، فقال علي : ويحك ! دعهن فإنهن نواضح .

وقد ذكرت طائفة من الناس أن علياً رضى الله عنه أوصى [إلى] ابنه الحسن والحسين ؛ لأنهما شريكاه في آية التطهير ، وهذا قول كثير ممن ذهب إلى القول بالنص .

وصية علي
لأولاده

ودخل عليه الناس يسألونه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن فقدناك ، ولا نفقدك ، أنبايع الحسن ؟ قال : لا آمركم ولا أنهاكم ، وأنتم أبصر ، ثم دعا الحسن والحسين ، فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله وحده ، ولا تبغيا الدنيا وإن بفتكما ، ولا تأسفا على شيء منها ، قولوا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الضعيف ، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ؛ ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال : هل سمعت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، وتزيين أمرهما ، ولا تقطننَّ أمراً دونهما ، ثم قال لهما : أوصيكما به ، فإنه سيفكما وابن أبيكما ^(٢) ، فأكرمناه واعرفنا حقه .

فقال له رجل من القوم : ألا تعهد يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكني أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فماذا تقول لربك إذا أتيته ؟ قال : أقول : اللهم [إنك] أبقيتني فيهم ماشئت أن تبقيني ، ثم قبضتني وتركتك فيهم فإن شئت أفسدتهم ، وإن شئت أصلحتهم ، ثم قال : أما والله إنها الليلة التي

(١) في ب « فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن — إلخ » .

(٢) في ا ه فإنه صغير كما وابن أبيكما .

(٢٨) — مروج الذهب ٢

ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة ، وقبض ليلة إحدى وعشرين .
وبقي على الجمعة والسبت ، وقبض ليلة الأحد ، ودفن بالرحبة عند مسجد
الكوفة^(١) .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخباره تنازع للناس في موضع
قبره ، وما قيل في ذلك .

سنة وفضله
وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة^(٢) ، وقيل : اثنتان وستون ، وقد
قدمنا تنازع الناس في مقدار سنة ، وكان كما قال الحسن : والله لقد قبض فيكم
الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوة ، ولا يدركه الآخرون ، وإن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن
يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه .

تركته
وكان الذي صلى عليه الحسن ابنه ، وكبر عليه سبعاً^(٣) ، وقيل غير ذلك .
ولم يترك صفراء ولا بيضاء ، إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه ، أراد أن
يشترى بها خادماً لأهله ، وقال بعضهم : ترك لأهله مائتين وخمسين درهماً
ومصحفه وسيفه .

فعاهم
بابن ملجم
ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر : دعوني حتى أشفي نفسي
منه ، فقطع يديه ورجليه وأحى له مسماراً حتى إذا صار جمره كحله به ، فقال : سبحان
الذي خاق الإنسان ، إنك لتكحل عمك^(٤) بماء الرصاص ، ثم إن الناس أخذوه
وأدرجوه في بوارى ثم طلوه بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق ، وفيه يقول عمران
ابن حطان الرقاشي يمدحه في ضربته من شعره طويل :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

(١) في ١ « عند المسجد بالكوفة » .

() في ١ « اثنتان وستون سنة » ولم يذكر القول الأول فيها .

(٣) في ١ « وكبر تسعاً » . (٤) في ١ « إنك لتكحل عينك - إلخ »

إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
[فأجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي : (١)

إني لأبرأ مما أنت قاتله عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليهدم للإسلام أركاناً
إني لأذكره يوماً فالعنه دنيا ، وألعن عمراناً وحطائناً
عليه ثم عليه الدهر متصلاً لعائن الله إسراراً وإعلاناً
فأتنا من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهاناً وتبياناً

وزاد بعضهم على هذه الأبيات بيتاً آخر، وهو :

عليك لعنة الجبار ما طلعت شمس، وما أوقد وافي الكون نيراناً
معارضة لبيتي اللعين ابن حطان لعنه الله في ابن ملجم أخزاه الله:
قل لابن ملجم، والأقدار غالبية، هدمت وملك للإسلام أركاناً
قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناس إسلاماً وإيماناً
وأعلم الناس بالقرآن، ثم بما سنَّ الرسول لنا شرعاً وتبياناً
ضهر النبي، ومولانا، وناصره أضحت مناقبه نوراً وبرهاناً
وكان منه على رغم الحسودله مكان هارون من موسى بن عمران
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً لينا إذا ما لقي الأقران أقراناً
ذكرت قاتله والدمع منحدر فقلت : سبحان رب الناس سبحاننا
إني لأحسبه ما كان من بشر يخشى المعاد ولكن كان شيطاناً
أشقى مراد إذا عدت قبائلها وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها قبل المنية أزماناً فأزماناً
فلا عفاً الله عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطابا

(١) من هنا إلى آخر الشعر الوارد في ص ٤٢٨ ساقط من ١ ، وهو الصواب ولا يكون ذلك مما كتبه المسعودي ، والغالب أنه زيادة كتبها بعض النساخ .

لقوله في شقى ظل مجترماً ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
 (يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا)
 بل ضربة من غوى أورثته لظى مخلداً قد أتى الرحمن غضباناً
 كأنه لم يرد قصداً بضربته إلا ليصلى عذاب الخلد نيراناً^(١)
 ولعمران بن حطان ولأبيه حطان أخبار كثيرة قد أتينا على ذكرها في كتابنا
 «أخبار الزمان» في باب أخبار الخوارج من الأزارقة والأباضية والحمرية والصفرية
 والنجدية^(٢) وغيرهم من فرق الخوارج إلى سنة ثمان عشرة وثلثمائة .
 وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بغيرون^(٣)، فأدخل على المقتدر
 بالله، بعث به ابن حمدان من كفرتوتا^(٤)، وقد كان خرج في أيامه أيضاً
 المعروف بأبي شعيب .

وقدرنى الناس أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه في ذلك الوقت وإلى هذه
 الغاية، وذكروا مقتله، وممن رثاه في ذلك الوقت أبو الأسود الدؤلى من أبيات
 ألا أبلغ معاوية بن حربٍ فلا قرّت عيونُ الشامتينا^(٥)
 أفى شهر الصيام فجمعتمونا بخير الناس طرّاً أجمعينا؟
 قتلتم خير من ركب المطايا وذللها ومن ركب السفينا
 ومن لبس النعال ومن حدّاها ومن قرأ المثنى والمبينا
 إذا استقبلت وجهه أبي حسين رأيت النور فوق الناظرينا
 لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرهم حسباً ودينا

البرك ومعاوية وانطلق البرك الصريمى إلى معاوية قطعنه بمنجر في أليته وهو بصلى فأخذ
 وأوقف بين يديه، فقال له: ويلك! وما أنت؟ وما خبرك؟ قال: لا تقتلنى
 وأخبره، قال: إنا تبايعنا في هذه الليلة عليك وعلى على عمرو؛ فإن أردت

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من ا
 (٢) فى ب « والهجرية » مكان
 « النجدية » محرفاً
 (٣) فى ب « المعروف بفروان »
 (٤) فى ب « من هرموناء »
 (٥) فى ا « معاوية بن صخر »

فاحبسني عندك ، فإن كانا قتلا وإلا خلّيت سبيلي فطلبت قتل عليّ ، ولك عليّ أن أقتله وأن آتيك حتى أضع يدي في يدك ، فقال بعض الناس : قتله يومئذ ، وقال بعضهم : حبسه حتى جاءه خبر قتل علي فأطلقه .

وانطلق زادويه — [وقيل : إنه] عمرو بن بكر التميمي — إلى عمرو بن العاص ، زادويه وعمرو ابن العاص فوجد خارجة قاضي مصر جالسا على السرير يطعم الناس في مجلس عمرو ، وقيل : بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم ، وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض ، فضربه بالسيف ، فدخل عليه عمرو وبه رمق ، فقال له خارجة : والله ما أريد غيرك ، فقال عمرو : ولكن الله أراد خارجة ، وأوقف الرجل بين يدي عمرو ، فسأله عن خبره ؛ فقص عليه القصة وأخبره أن عليا ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة ، فقال : إن قتلا أو لم يقتلا فلا بد من قتلك ، فبكى ، فقيل له : أجزعا من الموت مع هذا الإقدام ؟ قال : لا والله ، ولكن غما أن يفوز صاحباي بقتل علي ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو ، فضربت عنقه وصلب .

وكان علي رضي الله عنه كثيراً ما يتمثل :

تِلْكَ قَرِيشٌ تَمَنَّانِي لِتَقْتُلَنِي فَلَ وَرَبِّكَ مَا بَرُّوا وَمَا ظَفَرُوا
فَإِنْ هَلَكْتَ فَرَهْنٌ ذِمَّتِي لَهُمْ بَدَاتِ وَدَقَّيْنِ لَا يَعْفُو لَهَا أَثْرُ^(١)
وكان يكثر من ذكر هذين البيتين :

أَشَدُّ حِيَازِيْمِكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيْكَ
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيْكَ
وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه ، فإنه قد خرج إلى المسجد ، وقد عسر عليه فتح باب داره ، وكان من جذوع النخل ، فاقتلعه وجعله ناحية ، وانحل إزاره ، فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين .

وقد كان معاوية دمساً أناساً [من أصحابه] إلى الكوفة يشيعون موته ،

(١) في ١ هـ بدات ردفين لا يعفو لها أثر .

وأكثر الناس القول في ذلك حتى باغ عليا ، فقال في مجلسه : قد أكثرتم من نعي معاوية ، والله ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت قدمي ، وإنما أراد ابن آكلة الأكباد^(١) أن يعلم ذلك مني ، فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندي فيه ، وما يكون من أمر ، في المستقبل من الزمان ، ومرّ في كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاه من يزيد و مروان و بنيه و ذكر الحجاج و ما يسوهم من العذاب ، فارتفع الضجيج ، وكثر البكاء والشهيق ، فقام قائم من الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، ولقد وصفت أموراً عظيمة ، الله إن ذلك كأن ؟ قال علي : والله إن ذلك لكأن ، ما كذبت ولا كذبت ، فقال آخرون : متى [يكون] ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا خُصِبَتْ هذه من هذه ، ووضع إحدى يديه على لحيته والأخرى على رأسه ، فأكثر الناس من البكاء ، فقال : لا تبكوا في وقتكم هذا فستبكون بعدى طويلاً ، فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سراً في أمورهم ، واتخذوا عنده الأيادي ، فوالله ما مضت إلا أيام قلائل حتى كان ذلك ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب - بعد ذكرنا لزهده وابع من كلامه - جملاً من أخباره أيضاً في أيام معاوية بن أبي سفيان^(٢) ، والله ولي التوفيق .

(١) في « آكلة الكبود » .

(٢) في ب « وجملاً من أخباره أيضاً أخبار معاوية بن أبي سفيان » وليس

ذلك بمستقيم .

ذكر لمع من كلامه ، وأخباره ، وزهده

رضوان الله عليه !

لم يابس عليه السلام في أيامه ثوبا جديداً ، ولا اقتنى ضيعة ولا ربعةً^(١) ،
إلا شيئاً كان له ينبع^(٢) مما تصدق به وحبسه .

والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعائة خطبة ونيف
وثمانون خطبة يوردها على البديهة ؛ وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً .

وقيل له : مَنْ خيار العباد ؟ قال : الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا
أساؤا استغفروا [وإذا أعطوا شكروا] وإذا ابتلوا صبروا ، وإذا أغضبوا غفروا .

وكان يقول : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار
غنى لمن تزود منها ، الدنيا مسجد أحبب الله^(٣) ، ومصلى ملائكة الله ، ومهبط
وحيه ، ومثجراً أوليائه ، اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة ، ومن ذا يذمها
وقد آذنت بينها ، ونادت بفراقها ، ونعت نفسها وأهلها ، ومثلت لهم بيلاتها
البلاء ، وشوقت بسرورها إلى السرور ، وراحت بفجيعة ، وابتكرت بعافية ؛
تحذيراً وترغيباً وتخويفاً ، فذمها رجال غب الندامة^(٤) ، وحمدوا آخرون غب
المكافأة ، ذكرتهم فذكروا تصاريفها ، وصدقتم فصدقوا حديثها^(٥) ، فيا أيها
الذامُّ للدنيا المغتر بسرورها ، متى استدامت لك الدنيا ؟ بل متى غرتك من نفسها ؟
أبمضاجع آباتك من البلى ؟ أم بمصارع أمهاتك من الثرى ؟ كم قد علت بكفك
ومرّضت بيدك من تبغى له الشفاء وتستوصف له [الدواء من] الأطباء ! لم تنفعه
بشفائك ، ولم تسعف له بطلبتك^(٦) ، وقد مثلت لك به الدنيا نفسك ، وبمصرعه

(١) في ب ه ولا ربعة »

(٢) في ب « بسرف »

(٣) في ا « مسجد أنبياء الله »

(٤) في ا « غداة الندامة »

(٥) في ا « تصدقوا خدمتها »

(٦) في ا « ولم تستشف بطلبك »

مصرعك : غداً لا ينفعك بكاؤك ، ولا بغنى عنك أحتاؤك — ولا تسمع
في مدح الدنيا^(١) أحسن من هذا .

ومما حفظ من كلامه في بعض مقاماته في صفة الدنيا أنه قال : ألا إن الدنيا
قد ارتحلت مُدْبِرَةً ، وإن الآخرة قد دنت مُقْبِلَةً^(٢) ، ولهذا أبناء ، ولهذا أبناء ،
فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وكونوا من الزاهدين
في الدنيا ، والراغبين في الآخرة ، إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً
والتراب فراشاً والماء طيباً ، وقوّضوا الدنيا تقويضاً ، ألا ومن اشتاق إلى الجنة
سلاً عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا
هانت عاياه المصيبات ، ومن راقب الآخرة سارع في الخيرات ، ألا وإن لله عبداً
[كأنهم] يرون أهل الجنة في الجنة منعمين مخلدين ، [ويرون أهل النار في النار
معذبين] قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ، أنفسهم عفيفة ، وحاجتهم خفيفة
صبروا أياماً قليلة فصارت لهم العتي ، راحة طويلة ، أما الليل فصافوا أقدامهم ،
تجرى دموعهم على خدودهم ، يجسأرون إلى ربهم ، ويسعون في فكك رقابهم ،
وأما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء ، كأنهم القِدَاح^(٣) برّاهم الخوف والعبادة
ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى ، وما بالقوم من مرض ، إن خولطوا فقد
خالطهم أمر عظيم من ذكر النار ومن فيها .

وقال لابنه الحسن : يا بني ، استغن عن شئت تكن نظيره ، وسل من
شئت تكن حقيره^(٤) ، وأعط من شئت تكن أميره .

ودخل عليه رجل من أصحابه فقال : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ قال :
أصبحت ضعيفاً مُذنباً ، آكل رزقي ، وأنتظر أجلي ، قال : وما تقول في الدنيا ؟

(١) في ا « ولم يسمع في مدح الدنيا — إلخ » .

(٢) في ا « قد ارتحلت . مقبلة » (٣) في ا « كأنهم الفراخ ، محرفاً

(٤) في ا « تكن أسيره » وهو المحفوظ .

قال : وما أقول في دار أولها غم ، وآخرها موت ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، قال : فأى الخلق أنعم ؟ قال : أجساد تحت التراب ، قد أمنت [من] العقاب ، وهي تنتظر الثواب . ودخل ضرار بن ضمرة^(١) — وكان من خواص علي — على معاوية وافداً ، فقال له : صف لي علياً ، قال : أعفني يا أمير المؤمنين ، قال معاوية : لا بد من ذلك ، فقال : أما إذا كان لا بد من ذلك فإنه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يعجبه من الطعام ما خشن ، ومن اللباس ما قصر [وكان والله] يجيبنا إذا دعونا ، ويعطينا إذا سألناه ، وكنا والله — على تربيته لنا وقربه منا — لانكامة هيبته ، ولا نبتدئه لعظمته في نفوسنا^(٢) ، يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويرحم المساكين ، ويطعم في أسفبه يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ، يكسو العريان ، وينصر الأثمنان ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، وكأني به وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وهو في محرابه قابض على لحيته يتمامل تملل السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرري غيري ، ألى تعرضت أم إلى تشوفت ؟ هيهات هيهات !! لا حان حينك ، قد أبتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، عمرك قصير ، وعيشك حقير^(٣) ، وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد [وبعد السفر] ووحشة الطريق .

فقال له معاوية : زدني شيئاً من كلامه ، فقال ضرار : كان يقول : أعجب ما في الإنسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافها ، فإن سَنَحَ له الرجاء أماله الطمع ، وإن مال به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه القنوط

(١) في ب « ضرار بن حمزة » محرراً

(٢) في ا « ولا تدبه لعظمته في نفوسنا » وليس بشيء

(٣) في ا « وغنيك حقير » وهي أحسن مما هنا عن ب

قتله الأسف ، وإن عَرَضَ له الغضب اشتد به الفيظ ، وإن أسعده الرضا نسي التحفظ^(١) ، وإن ناله^(٢) الخوف فضحه الجزع ، وإن أفاد مالاً أطفاه الغنى ، وإن عضته فاقة فضحه الفقر ، وإن أجهده الجوع أقعده الضعف ، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل إفراط له مفسد .

فقال له معاوية : زدني كلما وعيته من كلامه ، قال : هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه ، ثم قال : سمعته يوصي كميل بن زياد [ذات يوم فقال له] : يا كميل ذبَّ عن المؤمن فإن ظهره حيى الله ، ونفسه كريمة على الله ، وظالمه خصم الله ، وأحذركم من ليس له ناصر إلا الله .

قال : وسمعته يقول ذات يوم : إن هذه الدنيا إذا أقبلت على قوم أعارتهم محاسن غيرهم ، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم .
قال : وسمعته يقول : بَطَّرَ الغنى يمنع من عز الصبر .
قال : وسمعته يقول : ينبغى للمؤمن أن يكون نظره عبرة ، وسكوته فكرة ، وكلامه حكمة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار بمؤتة من أرض الشام — لا يبعث بعلى في وجه من الوجوه إلا يقول : (رب لا تذرنى فرداً ، وأنت خير الوارثين) .

وحمل على يوم أحد على كردوس من المشركين [خشن] فكشفهم ، فقال جبريل : يا محمد ، إن هذه هى المواساة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل إن علياً منى » قال جبريل : وأنا منكم ، كذلك ذكره إسحاق عن ابن إسرائيل^(٣) وغيره .

ووقف على عليّ سائل ، فقال للحسن : قل لأملك تدفع إليه درهما ، فقال : إنما

(١) فى ا « نسى الحفظ » (٢) فى ب « وإن أماله الخوف »

(٣) فى ب « ذكره إسحاق بن إبراهيم »

عندنا ستة دراهم للدقيق ، فقال علي : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون بما في يد الله أو ثق منه بما في يده ، ثم أمر للسائل بالسته الدراهم كلها ، فما برح علي رضي الله عنه حتى مر به رجل يهود بغيراً ؛ فاشتراه منه بتائة وأربعين درهماً ، وأنساً أجله ثمانية^(١) أيام ، فلم يحلَّ أجله^(٢) حتى مر به رجل والبعير معقول فقال : بكم هذا؟ فقال : بمائتي درهم ، فقال : قد أخذته ، فوزن له الثمن ، فدفعت علي منه مائة وأربعين درهماً للذي ابتاعه منه ، ودخل بالستين الباقية على فاطمة عايتها السلام ، فسألته : من أين هي ؟ فقال : هذه تصديق لما جاء به أبو بكر صلى الله عليه وسلم : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) .

ومرَّ ابن عباس بقوم ينالون من علي ويسبونونه ، فقال لقائده : أدبني بهم ، فأدناه ، فقال : أيكم الساب لله ؟ قالوا : نعوذ بالله أن نسب الله ، فقال : أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : نعوذ بالله أن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيكم الساب علي بن أبي طالب ؟ قالوا : أما هذه فنعم ، قال : أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سبني فقد سب الله ، ومن سب علياً فقد سبني » فاطرقوا ، فلما ولي قال لقائده : كيف رأيتهم ؟ فقال : نظروا إليك بأعين مزرورة^(٣) نظر التيوس إلى شفار الجازر^(٤) فقال : زدني فداك أبي وأمي ، فقال : خزر العيون منكسي أذقانهم^(٤) نظر الدليل إلى العزيز القاهر^(٤) قال : زدني فداك أبي وأمي ، قال : ما عندي مزيد ، [قال] : ولكن عندي :

أحياؤهم تبني على أمواتهم واليتون فضيحة للغار

(١) في ١ « واستأجله ثمانية أيام » (٢) في ١ « فلم يحلَّ حبله »

(٣) في ١ « بأعين محمرة »

(٤) في ١ « خزر العيون نواكسي أبصارهم »

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد ابن علي بن الحسين بن علي أن علياً قال في صبيحة الليلة التي ضرب فيها عبد الرحمن ابن ملجم ، بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم : كل امرئ ما يفر منه ، والأجل تساق النفس إليه ، والهرب منه موافاته ، كم اطردت الأيام أتحنينها عن^(١) مكنون هذا الأمر فأبى الله عز وجل إلا إخفاءه ، هيهات علم مكنون ، أما وصيتي فالله لا تشركو أبه شيئاً ، ومحمداً لا تضيعوا سنته ، أقيموا هذين العمودين ، حمل كل امرئ منكم مجهوده ، وخفف عن الحمله رب رحيم ، ودين قويم ، وإمام عليم ، كنفاني إعصار ذي رباح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فحطها من الأرض حيا ، وبقي من بعدى جنة جاواء ، ساكنة بعد حركة ، كاظمة بعد نطق ، ليعظكم هدوئي وخفوت أطرافي ، إنه أو عظلكم من نطق البليغ ، ودعتكم وداع امرئ مرصد لتلاق ، وغدا ترون ويكشف عن ساق ، عليكم السلام إلى يوم المرام ، كنت بالأمس صاحبكم واليوم عظة لكم وغداً أفارقكم ، إن أفق فأنا ولي دمي ، وإن أمت فالقيامة ميعادي ، والعفو أقرب للتقوى ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم .

وصيته
يوم موته

ومن خطبه قبل هذا وتزهيده في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته وخطبه :
إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أشرفت وأقبلت باطلاع ، وإن المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا إنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن أخلص في أيام أمه قبل حضور أجله فقد حسن عمله^(٢) ، [وما قصر أجله ، ومن قصر في أيام أجله خسر أجله ، ألا] فاعملوا لله في الرغبة ، كما تعملون في الرهبة ، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه من لم ينفعه الحق بضره الباطل ، ومن لا يستقيم له الهدى يخزيه^(٣) الضلال

(١) في ١ « أبجتها عن مكنون هذا الأمر »

(٢) في ١ « يحويه الضلال »

(٣) في ١ « فقد ربح عمله »

وقد أمرتم بالظعن ودلتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

وفضائل علي ومقاماته ومناقبه و[وصف] زهده ونسكه أكثر من أن يأتي عليه كتابنا هذا أو غيره من الكتب ، أو يباغته إسهاب مسهب ، أو إطناب مُطنب ، وقد أتينا على جمل من أخباره وزهده وسيره ، وأنواع من كلامه وخطبه في كتابنا المترجم بكتاب « حدائق الأذهان ، في أخبار آل محمد عليه السلام » وفي كتاب « مظاهر الأخبار ، وطرائف الآثار ، للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينايع الحكمة » .

فضائله
رضي الله عنه

قال السعدي : والأشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هي : السبق إلى الإيمان ، والهجرة ، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقربى منه [والقناعة] وبذل النفس له ، والعلم بالكتاب والتنزيل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع ، والزهد ، والقضاء ، والحكم ، والفقهاء^(١) والعلم وكل ذلك لملي عليه السلام منه النصيب الأوفر ، والحظ الأكبر ، إلى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه « أنت أخي » وهو صلى الله عليه وسلم لا ضده ، ولا نده ، وقوله صلوات الله عليه : « أنت مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » وقوله عليه الصلاة والسلام : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم الـ من والاه ، وعاد من عاداه » ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم إليه أنس الطائر : اللهم أدخلني إلى أحب خالقك إليك يا كل معي من هذا الطائر ، فدخل عليه علي ، إلى آخر الحديث ، فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق في غيره^(٢) ، ولكل فضائل ممن تقدم

(١) في ب « وانفة والعلم »

(٢) في ا « مما لم يوجد في غيره » وما هنا عن ب أحسن

وتأخر ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو راضٍ عنهم، نُخْبِرُ^(١) عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالإيمان ، وبذلك نزل التنزيل ، وتولى بعضهم بعضاً ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي حدثت أمور تنازع الناس في صحتها [منهم ، وذلك غير يقين]^(٢) ، ولا يُقَطَّعُ عليهم بها ، واليقين من أمورهم ما تقدم ، وما روى مما كان في أحداثهم بعد نبئهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن ، بل هو ممكن ، ونحن نعتقد فيهم ما تقدم ، والله أعلم بما حدث ، والله ولي التوفيق .

قد تم — بحمد الله تعالى وحسن توفيقه — تحقيق الجزء الثاني من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجواهر » للعلامة المسعودي ، وبليته — إن شاء الله — الجزء الثالث منه ، مفتتحاً بخلافة الحسن بن علي بن أبي طالب ، نسأل الله القدير أن يمن علينا بإكمالها ، ويوفقنا ويعيننا على ضبطه وتجويده ، إنه ولي ذلك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(٢) زيادة في وحدها

(١) في ١ « نخبر عن بواطنهم »

فهرس الجزء الثاني من كتاب
مروج الذهب ،ومعادن الجواهر

فهرس الموضوعات الواردة فى الجزء الثانى

من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجواهر »
لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
ذكر الإفرنجية ، والجلالقة وملوكها	٣٤	ذكر السودان ، وأنسابهم ، واختلاف أجناسهم ، وأنواعهم ، وتباينهم فى ديارهم ، وأخبار ملوكهم	٤
ذكر النوكرد وملوكها	٣٩	الزرافة ، وأكثنة وجودها	٤
ذكر عاد وملوكها	٤٠	وقليمى ملك الزنج	٦
ذكر ثمود وملوكها	٤٢	صيد الفيلة	٦
صالح نبي الله إلى ثمود	٤٣	لعب الشطرنج ، ومقامة الهند به	٧
ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ، وذكر من تداوله	٤٦	الفيل ببلاد الهند	٨
زيارة إبراهيم خليل الله لمكة	٤٧	الزبرقان حيوان عجيب	٨
تزوج إسماعيل من جرم	٤٧	عود إلى الفيلة ووصفها	١١
زيارة إبراهيم لمكة ثانية	٤٨	بعض عادات الزنج فى لباسهم وحلام	١٥
سبب تسمية إسماعيل	٤٨	البجعة وملوكهم	١٨
أبناء إسماعيل	٤٩	الحبش	١٨
بناء الكعبة	٤٩	جزيرة سقوطرة	١٩
ولاية البيت من جرم ، ومن أبناء إسماعيل	٤٩	الزمرد ، وأنواعه	٢٣
إساف ونائلة صنمان	٥٠	قوص وقفط من بلاد مصر	٢٦
رواية أخرى فى ولاية مكة	٥١	الواحات	٢٦
العماليق	٥٢	أنواع الطعوم	٢٧
طسم وجديس	٥٢	ذكر الصقالبة ، ومساكنها ، وأخبار ملوكها ، وأجناسها	٣٢
أصحاب الرس	٥٢	أجناس الصقالبة	٣٢
دعوى الشعوبية ، والرد عليهم	٥٣		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٦٤	أرض الهند والصين وبلاد الروم	٥٦	حزاعة تلى أمر البيت
٦٤	سؤال عمر بن الخطاب لكعب	٥٦	عمرو بن لحي أول من عبد الأصنام
	الأخبار عن العراق ، وجواب		بمكة
	كعب له	٥٧	أنواع ولاية البيت ثلاثة
٦٥	المؤلف يصف موطنه إقليم بابل	٥٧	النساء
٦٦	الحنين إلى الأوطان	٥٩	قريش البطاح
٦٧	متزلة علم الأخبار ، وكلمة عن فوائد	٥٩	قريش الطواهر
	الكتب	٥٩	الأحلاف
٦٩	ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من	٥٩	المطيون
	أجله سمي اليمن يمنا ، والعراق عراقا	٥٩	الإيلاف والتقریش
	والشام شاما ، والحجاز حجازا	٦٠	رحلتا قريش
٧٠	ذكر اليمن وأنسابها ، وما قاله	٦١	ذكر جوامع الأخبار ، ووصف الأرض
	الناس في ذلك		والبلدان ، وحنين النفس إلى الأوطان
٧١	لغة إسماعيل بن إبراهيم الخليل	٦١	كتاب عمر بن الخطاب يصف البلاد
٧٢	جرهم هو قحطان عند الهيثم بن عدى	٦١	الجواب على كتاب عمر بن الخطاب
٧٣	نسب أعمار ، واختلاف الناس فيه	٦١	وصف بلاد الشام
٧٤	ذكر اليمن ، وملوكها ، ومقدار	٦٢	وصف بلاد مصر
	سنيها	٦٢	وصف بلاد اليمن
٧٤	أولهم سبأ بن يشجب بن يعرب	٦٢	وصف بلاد الحجاز
	ابن قحطان	٦٢	وصف بلاد المغرب
٧٤	ملك حمير بن سبأ	٦٣	وصف بلاد العراق
٧٤	ملك أبي مالك عمرو بن سبأ	٦٣	وصف مكى الجبال
٧٤	ملك جبار بن غالب	٦٣	تأثير البيئة الطبيعية
٧٤	ملك أبرهة ذى المنار	٦٣	وصف بلاد خراسان
٧٥	ذكر بقية ملوك اليمن	٦٣	بلاد فارس
٧٥	أبرهة	٦٤	خوزستان
٧٥	تبع الأول	٦٤	أرض الجزيرة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٥	مقتل معديكرب	٧٥	بلقيس وسليمان بن داود
٨٥	رواية أخرى في ترتيب ملوك اليمن	٧٦	ناشر النعم بن عمرو بن يعفر
٨٧	ملوك اليمن من الفرس	٧٦	كليكرب بن تبع
٨٨	ملوك اليمن من أبناء إبراهيم الخليل	٧٦	حسان بن تبع
٨٨	ظفار عاصمة بلاد اليمن	٧٦	عمرو بن تبع
٨٩	حدود اليمن	٧٦	تبع بن حسان بن كليكرب
٩٠	ذكر ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم	٧٧	مرثد بن كلال
٩٠	جذيمة الوضاح صاحب الزباء	٧٧	أبرهة بن الصباح
٩٠	ملك عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الوضاح	٧٧	ملك ذى شنار
٩١	قصة زواج عدى بن نصر برفاش أخت جذيمة الوضاح	٧٧	يوسف ذو نواس، وذكر أصحاب الأخدود
٩٣	الزباء تستدعى جذيمة الوضاح	٧٨	قصة أبي رغال الذي رجم قبره بالمعس بين الطائف ومكة
٩٥	مقتل جذيمة الوضاح	٧٩	قبر العبادى
٩٨	ملك عمرو بن امرئ القيس الملقب بمحرق	٨٠	ملك يكسوم بن أبرهة
٩٨	ملك المنذر بن النعمان، وابنه النعمان فارس حليلة	٨٠	ملك مسروق بن أبرهة
٩٩	ملك عمرو بن المنذر	٨١	حرب الفرس مع الحبشة باليمن
٩٩	ملك قابوس بن المنذر	٨٢	ملك معديكرب
٩٩	ملك النعمان بن المنذر	٨٣	وفود العرب إلى معديكرب، وفيهم عبد المطلب بن هاشم، جد النبي صلى الله عليه وسلم
٩٩	النابعة الديباني والنعمان بن المنذر	٨٣	أشهر أسماء وفد العرب إلى معديكرب
١٠٠	تكيل كسرى بالنعمان بن المنذر بسعاية عدى بن زيد	٨٣	خطبة عبد المطلب بين يدي معديكرب
		٨٤	أبوزمعة الثقفي (جد أمية بن أبي الصلت) بين يدي معديكرب

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٢	وفاء هاني، بن مسعود الشيباني	١٣٣	سير عاد إلى الأحقاف
١٠٢	حرقة بنت النعمان بن المنذر وسعد ابن أبي وقاص	١٣٣	إرم ذات العماد بدمشق
١٠٤	إحصاء بملوك الحيرة ومدتهم	١٣٣	زول ثمود الحجر
١٠٦	ذكر ملوك الشام من غسان وغيرها	١٣٤	سير جديس إلى اليمامة
١١١	ذكر البوادي من العرب وغيرها	١٣٤	سير عملاق ، وتفرق بنيه في جهات مختلفة
١١٣	قصة أولاد نزار بن معد مع الأفعى الجرهمي، وصاحب البعير الشارد	١٣٥	سير طسم نحو البحرين
١١٨	تفرق الناس بعد الطوفان	١٣٦	خبر عمليق ملك طسم الظالم ومقتله ووقتل قومه
١١٩	علة سكنى العرب الخيام	١٣٩	رباح بن مرة الطسمي يفر من القتل فيستجد بحمير على جديس
١٢١	كسرى يسأل عن اختيار العرب سكنى البدو	١٤٠	خبر زرقاء اليمامة
١٢٢	الأكراد، وأصلهم، وسكناهم	١٤١	سير وبار بن أميم إلى رمل عاج
١٢٣	الترك	١٤١	أرض وبار مسكن الجن في زعم العرب
١٢٤	رأى آخر في أصل الأكراد	١٤٣	سير عبد ضخم بن إرم إلى الطائف
١٢٤	بعض أيام العرب	١٤٣	بدء الكتابة
١٢٦	ذكر ديانات العرب، وآرائها في الجاهلية، وتفرقها في البلاد	١٤٣	سير جرهم إلى مكة
١٢٦	تعدد دياناتهم	١٤٣	سير أميم بن لاوذ بن إرم إلى بلاد فارس
١٢٧	سير أبرهة بالفيل إلى مكة	١٤٤	أول من بنى البيوت أميم بن لاوذ
١٣١	اختلاف الناس في تدين عبدالمطلب	١٤٤	تنازع الناس في نسب البربر
١٣٢	اختلاط الألسنة	١٤٤	الشام بلاد كنعان
١٣٢	سير يعرب وسكناه اليمن	١٤٤	سير نوفير بن فوط إلى الهند
		١٤٥	بغى عاد، وذكر أصنامها، وبعثة هود إليهم، وهلاكهم، وبعض ما قيل في ذلك

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٦٥	الخلاف في القيافة ، وجواز الاستدلال بها	١٤٨	الجحفة ، وسبب تسميتها بذلك
١٦٥	اختصاص العرب بذلك	١٤٨	يثرب ، وسبب تسميتها بذلك
١٦٦	منشأ القيافة ، وذكر علل طبيعتها لها	١٤٨	تنازع الناس في شعيب ونسبه
١٦٨	الزجر وبعض أخباره	١٥٠	بنو حضورا ، وتنازع الناس في أنسابهم
١٦٩	اختصاص بعض العرب ببعض هذه الأمور	١٥١	تنازع الناس في ديارهم
١٦٩	القيافة	١٥٣	ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس والهام والصفير
١٧٠	القيافة عند أهل النرع ، وهل يجوز الاستدلال بها؟	١٥٣	الاختلاف في النفس ماهي
١٧٢	ذكر الكهانة ، وما قيل في ذلك وما اصل به ، وحد النفس الناطقة	١٥٣	الهام ، وما قيل فيه
١٧٢	أصل ادعاء علم الغيب ، وتنازع الأئمة في الكهانة ماهي وما سببها	١٥٥	آراء العرب في الغيلان ، والتغول ، وما ورد من الأخبار في ذلك
١٧٣	استراق السمع سبب الكهانة عند بعضهم	١٥٥	يروون أن الغول تلون وتضلل
١٧٣	سبب الكهانة عند بعضهم علل فلكية	١٥٥	عمر بن الخطاب والتغول قبل الإسلام
١٧٤	وعند آخرين علل نفسية	١٥٥	التغول عند الفلاسفة والمنجمين
١٧٤	العرافة ، وبعض العرافين	١٥٦	تلون الغول أيضاً
١٧٥	الكهانة في العرب	١٥٧	السعلاة
١٧٥	الرؤيا ، وأسبابها ، واختلاف الناس فيها	١٥٧	بعض إيذاء الغيلان والشياطين للناس
١٧٨	تحديد النفس ، واختلاف الفلاسفة فيه	١٦٠	ذكر قول العرب في الهواتف والجان
١٨٠	ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم	١٦٠	الهاتف ، واختلاف أقوالهم فيه
		١٦١	علقمة بن صفوان والهاتف
		١٦١	بعض الذين قتلهم الجن
		١٦٢	زعموا أن تبر - اتم الطائي يقرى الضيف
		١٦٥	ذكر ما ذهب إليه العرب من القيافة والزجر والسامح والبارح

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٨٠	ملوك سبأ وذكر بعض عاداتهم	١٨٠	وصف بلاد سبأ
١٨٢	العرم	١٨٣	مفاخرة بين القحطانيين والزاريين في مجلس السفاح العباسي
١٨٣	العرم في شعر العرب	١٨٤	طول العمر ، وعمر النور ، وما قيل في ذلك من الشعر
١٨٥	اختلاف الناس في علة طول العمر	١٨٥	طريقة الخير الكاهنة تنذر بسيل العرم
١٨٨	عمرو بن عامر يتحيل للخروج من بلاده بعدما أنذرتة طريقة بالسيل	١٨٩	تفرق أهل سبأ في البلاد
١٨٩	خزاعة تنزل بطن مر	١٩٠	غسان تنزل بالعراق
١٩١	ديانة أهل مأرب	١٩٢	عود إلى حديث الكهانة ، وذكر سطح الكاهن ، وبيان أول كهاته
١٩٤	ذكر سني العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها واختلف	١٩٥	ذكر شهور القبط ، وما يقابلها عند السريان
١٩٥	أيام لواحق للأقباط (الذيء)	١٩٥	مبدأ التاريخ عند الأقباط
١٩٧	ذكر شهور السريان ووصف موافقتها لشهور العرب	١٩٧	زمن المهرجان ، ومعناه ، وأصله
١٩٨	ليلة القلندس ، وما يحدث فيها بمصر والشام	١٩٩	بطارقة النصرانية ، وأما كنهم
١٩٩	كنائس أنطاكية ، وعجائبها	٢٠٠	زمن إيام برد العجوز ، وأسمائها
٢٠٠	استواء الليل والنهار ومنزلة الشمس حينئذ	٢٠١	ذكر شهور الفرس وأسمائها
٢٠٢	ذكر أيام الفرس وأسمائها	٢٠٤	ذكر سني العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها
٢٠٤	تعليل تسمية الشهور عند العرب	٢٠٥	اختصاص بعض الشهور ببعض الأسماء
٢٠٥	اختصاص بعض الأيام ببعض الأسماء	٢٠٦	تسميه أيام التثريق والاختلاف في سببها
٢٠٦	الأيام النجسات	٢٠٦	أسماء أيام الأسبوع ، وعلتها
٢٠٦	أسماء الأيام عند العرب قديما	٢٠٦	أسماء الشهور عند العرب قديما
٢٠٧	الأزمنة الأربعة	٢٠٧	شهور الروم مرتبة على الفصول
٢٠٧	شهور الروم مرتبة على الفصول	٢٠٩	ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية

الموضوع	ص	الموضوع	ص
عود إلى ذكر أرباع ، العالم والطبائع	٢٢٩	تقسيم ليالى الشهر ثلاثا ثلاثا وتسمية كل ثلاث منها باسم	٢١٠
الكلام على عمور الإنسان وما يظهر عنده من الطبائع فى كل عمر منها	٢٣٠	أسماء الهلال والليالى عند العرب بحسبه	٢١٠
رأى أبقراط فى أعمار الإنسان	٢٣٠	ذكر القبول فى تأثير النيرين فى العالم	٢١٢
الهواء وأثره فى الإنسان	٢٣١	رأى اليونانيين الحكاء فى ذلك	٢١٢
الاستدلال بتغاير أهل الأقاليم على تأثير الهواء فى الإنسان	٢٣٢	تصور الجنين فى رحم أمه ، ومسيه	٢١٢
اختلاف الحكاء فى ذلك	٢٣٢	يشبه الولد أباه وأهل بيت أليه	٢١٣
الرياح الأربعة	٢٣٣	الاختلاف فى تأثير النيرين	٢١٤
ساحة المالك وما بينها من المسافات	٢٣٤	كروية الأرض وجميع أجزائها	٢١٥
اعتذار للمؤلف عن استطراداته	٢٣٥	ذكر أرباع العالم والطبائع	٢١٨
ذكر البيوت المعظمة والهياكل وبيوت النيران والأصنام	٢٣٦	الطبائع الأربعة	٢١٨
الهند والصين تتخذ أصناما تمثل الملائكة	٢٣٦	أرباع العالم ، وما خص به كل ربع منها	٢١٨
اتخاذهم الكواكب آلهة	٢٣٦	علة عدم سكنى بعض الأرض	٢١٩
اتخاذهم أصناما تمثل الكواكب	٢٣٦	مدة سلطان الكوكب	٢٢٠
عقيدة العالم فى البيت الحرام	٢٣٧	أجناس الأجسام وخاصة كل نوع منها	٢٢٠
يوداسف ، متنبى الهند يدعو إلى مذهب الصابئة	٢٣٧	أنواع الجن	٢٢٢
دعوته إلى عبادة النار	٢٣٧	النسب ، والاختلاف فى وجوده ، وذكر شبهه بالآدميين	٢٢٢
عمرو بن لحي أول من نصب الأصنام بمكة	٢٣٨	العنقاء	٢٢٥
البيوت السبعة المعظمة	٢٣٨	خالد بن سنان نبي بنى عبس	٢٢٦
البرمك سادن النوبهار ، وهو بيت النار بخراسان ، ومنهم جد البرامكة	٢٣٨	خبر خلق الخيل	٢٢٧
قصر غمدان وما قيل فيه	٢٣٩	بحث فى بيان ما يجوز أن يؤخذ به من الأخبار ، وما لا يجوز	٢٢٨
		بعض الإسرائيليات التى لا يؤخذ بمثلها	٢٢٩

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٥٨	المهاكل المعظمة عند اليونانيين	٢٤٣	اليوت المعظمة عند اليونانيين
٢٥٨	بيت بعل	٢٤٣	البيت الأول بأنطاكية
٢٥٩	جيرون ، ووصف ها كلها	٢٤٣	الثاني بمصر
٢٦٠	مسجد دمشق ، وأصله	٢٤٣	الثالث بيت المقدس في زعمهم
٢٦٠	البريص بناء بدمشق	٢٤٤	اليوت المعظمة عند أوائل
٢٦٠	الديعاس هيكل بأنطاكية		الروم .
٢٦٠	مجل بذكر بعض البنايات العجيبة	٢٤٥	اليوت المعظمة عند الصقالبة
	في العالم	٢٤٧	اليوت المعظمة عند الصابئة
٢٦٣	ذكر محاولات قدومه لوصل البحر	٢٤٧	هاكل العقول
	الأحمر بالبحر الأبيض	٢٤٧	هاكل الكواكب
٢٦٥	ذكر جامع التاريخ من بدء	٢٤٧	قرايبتهم
	العالم إلى رسول الله صلى الله	٢٤٧	الباقي من هاكلهم إلى عصر
	عليه وسلم .		المؤلف
٢٦٥	اختلاف الناس في حدوث العالم	٢٤٩	بحث في النفس
٢٦٧	اختلاف الناس في مدة العالم	٢٤٩	استطراد بذكر الكليات الخمس
	منذ نشأته		والمقولات العشر
٢٦٩	رأى أهل الآثار من المسلمين في	٢٥٠	عود إلى الكلام عن الصابئة
	مبدأ العالم ، وفي المدة التي مضت	٢٥٠	وصف هيكل بأقصى بلاد الصين
	منه إلى التاريخ المعلوم لهم على	٢٥٢	ذكر الأخبار عن بيوت النيران
	سبيل الجزم .		وغيرها
٢٧٢	ذكر مولد النبي صلى الله عليه	٢٥٢	رأى الفرس الأولى في النار والنور
	وسلم ونسبه ، وغير ذلك مما لحق	٢٥٢	أماكن بيوت النيران
	بهذا الباب	٢٥٤	المؤلف يصف بيتا من بيوت
٢٧٢	نسبه صلى الله عليه وسلم ،		النيران رآه بإصطخر
	واختلاف الروايات فيه	٢٥٤	المؤلف يصف بيتا آخر رآه بجور
٢٧٣	نبي رسول الله أن يتجاوز		من بلاد فارس ، ويتعرض
	النسابون عدنان		لبعض وصف جور
٢٧٤	كنيته صلى الله عليه وسلم	٢٥٦	حصن الحضرم واستيلاء سابور
٢٧٤	أسماءه صلى الله عليه وسلم		عليه وقتله الساطرون ملك
			الحضرم وابنته

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٧٤	زمن مولده عليه الصلاة والسلام	٢٧٤	زمن مولده عليه الصلاة والسلام
٢٧٥	حرب الفجار	٢٧٥	حرب الفجار
٢٧٦	بطون قريش	٢٧٦	بطون قريش
٢٧٦	عود لحروب الفجار ، وحلف الفضول وسببه ، وما قيل في ذلك وتاريخه .	٢٧٦	عود لحروب الفجار ، وحلف الفضول وسببه ، وما قيل في ذلك وتاريخه .
٢٧٨	بناء قريش الكعبة واختلافهم في وضع الحجر الاسود ، وحكم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم	٢٧٨	بناء قريش الكعبة واختلافهم في وضع الحجر الاسود ، وحكم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم
٢٧٩	نخار أبي طالب بحكم النبي	٢٧٩	نخار أبي طالب بحكم النبي
٢٨٠	تحديد يوم مولده صلى الله عليه وسلم	٢٨٠	تحديد يوم مولده صلى الله عليه وسلم
٢٨٠	جماع الحوادث من مبدأ مولده عليه الصلاة والسلام	٢٨٠	جماع الحوادث من مبدأ مولده عليه الصلاة والسلام
٢٨٢	ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وما جاء في ذلك إلى هجرته	٢٨٢	ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وما جاء في ذلك إلى هجرته
٢٨٣	إسلام علي بن أبي طالب	٢٨٣	إسلام علي بن أبي طالب
٢٨٣	إسلام أبي بكر ومن أسلم من الصحابة بإسلامه	٢٨٣	إسلام أبي بكر ومن أسلم من الصحابة بإسلامه
٢٨٥	ذكر هجرته وجوامع ما كان في أيامه صلى الله عليه وسلم إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى	٢٨٥	ذكر هجرته وجوامع ما كان في أيامه صلى الله عليه وسلم إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى
٢٨٥	فرض الجهاد	٢٨٥	فرض الجهاد
٢٨٥	تاريخ الهجرة	٢٨٥	تاريخ الهجرة
٢٨٦	تحديد يوم قدومه المدينة ، ولقاء أهل المدينة له	٢٨٦	تحديد يوم قدومه المدينة ، ولقاء أهل المدينة له
٢٨٧	زمن وفاته صلى الله عليه وسلم	٢٨٧	زمن وفاته صلى الله عليه وسلم
٢٨٧	عدة غزواته	٢٨٧	عدة غزواته
٢٨٧	ترتيب مغازيه	٢٨٧	ترتيب مغازيه
٢٨٨	بيان المغازي التي قاتل فيها واختلاف الرواة فيها	٢٨٨	بيان المغازي التي قاتل فيها واختلاف الرواة فيها
٢٨٩	السرائيا والبعوث	٢٨٩	السرائيا والبعوث
٢٨٩	أشهر الحوادث التي تتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٨٩	أشهر الحوادث التي تتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٩٠	اختلاف العلماء في مقدار سنة صلى الله عليه وسلم	٢٩٠	اختلاف العلماء في مقدار سنة صلى الله عليه وسلم
٢٩١	وفاته ، وتكفينه ، ودفنه	٢٩١	وفاته ، وتكفينه ، ودفنه
٢٩٢	أشهر الأمور التي حدثت من مولده إلى وفاته صلى الله عليه وسلم .	٢٩٢	أشهر الأمور التي حدثت من مولده إلى وفاته صلى الله عليه وسلم .
٢٩٢	ما حدث في السنة الأولى من مولده	٢٩٢	ما حدث في السنة الأولى من مولده
٢٩٢	ما حدث في السنة الخامسة	٢٩٢	ما حدث في السنة الخامسة
٢٩٢	ما حدث في السنة السادسة	٢٩٢	ما حدث في السنة السادسة
٢٩٣	ما حدث في السنة السابعة	٢٩٣	ما حدث في السنة السابعة
٢٩٣	أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته	٢٩٣	أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته
٢٩٤	ما حدث في سنة ست وعشرين من مولده	٢٩٤	ما حدث في سنة ست وعشرين من مولده
٢٩٤	ما حدث في سنة ست وثلاثين	٢٩٤	ما حدث في سنة ست وثلاثين
٢٩٤	» » » إحدى وأربعين	٢٩٤	» » » إحدى وأربعين
٢٩٤	» » » ست وأربعين	٢٩٤	» » » ست وأربعين
٢٩٤	» » » خمسين	٢٩٤	» » » خمسين
٢٩٤	» » » إحدى وخمسين	٢٩٤	» » » إحدى وخمسين
٢٩٤	» » » أربع وخمسين وهي سنة المعرة	٢٩٤	» » » أربع وخمسين وهي سنة المعرة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٠٨	عدى بن حاتم	٢٩٥	ما حدث في سنة اثنتين من الهجرة
٣٠٨	مرض أبي بكر ، وذكره لعواده	٢٩٥	» » ثلاث » »
	أسفه على أمور فاته	٢٩٥	» » أربع » »
٣٠٩	بنات أبي بكر	٢٩٥	» » خمس » »
٣٠٩	بيعة على لأبي بكر	٢٩٦	» » ست » »
٣٠٩	وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان	٢٩٦	» » سبع » »
٣٠٩	ثبت بجماح الحوادث في عهد أبي بكر	٢٩٦	» » ثمان » »
٣١٢	ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه !	٢٩٧	» » تسع » »
٣١٢	مجل تاريخه	٢٩٧	» » عشر » »
٣١٣	ذكر نسبه ولع من أخباره وسيره	٢٩٨	ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم
٣١٣	نسبه من جهة أبيه ، ومن جهة أمه	٢٩٩	ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن أحد من الناس
٣١٣	أخلاقه وتواضعه	٣٠٤	باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه !
٣١٣	ورع سعد بن عامر بن خريم أحد عمال عمر ، وكان عامله على حمص	٣٠٤	مجل تاريخه من خلافته إلى وفاته
٣١٤	سلمان الفارسي عامل عمر على المدائن	٣٠٥	ذكر نسبه ولع من أخباره وسيره
٣١٥	أبو عبيدة بن الجراح عامل عمر على الشام	٣٠٥	اسمه ونسبه
٣١٥	عمر يحرض على الجهاد ، ويؤمر أبا عبيد على جيوشه	٣٠٥	تواضعه ولباسه
٣١٥	مسير أبي عبيدة لقتال الفرس	٣٠٥	وفود ذى الكلاع الحميري على أبي بكر رضى الله عنه ، وتأسيه به في لباسه
٣١٧	شأن جرير بن عبد الله البجلي والثني بن حارثة	٣٠٦	أبو بكر وأبو سفيان بن حرب
٣٢٠	وفاة الثني بن حارثة بسيراف	٣٠٦	نسب أبي بكر من جهة أمه
٣٢٠	شأن سعد بن أبي وقاص	٣٠٦	أولاد أبي بكر ، وبيان أمهاتهم ، ومن أعقب منهم
		٣٠٨	مات أبو قحافة والد أبي بكر في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهم

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٤٢	زيد بن ثابت، وثرته	٣٢٠	شأن عاصم بن عمر في حروب الفرس
٣٤٣	المقداد يبنى دارا بالمدينة ذات شرفات	٣٢١	يوم أغوات
٣٤٣	يعلى بن منية، وثرته	٣٢٣	شأن أبي محجن الثقفي، وبلاؤه وشجاعته، وتوبته
٣٤٣	شدة عمر بن الخطاب فيما هو صلحة للرعية	٣٢٥	يوم عماس
٣٤٣	ذكر بعض عمال عثمان على الأمصار	٣٢٨	مسير البصرة والكوفة
٣٤٤	الوليد بن عقبة بن أبي معيط والى الكوفة وصرفه عنها، وتولية سعيد بن العاص	٣٢٩	أبو لؤلؤة المجوسي غلام الغيرة ابن شعبة، وهو قاتل عمر رضى رضى الله عنه
٣٤٦	أمر سعيد بن العاص في ولايته الكوفة	٣٣٠	أولاد عمر بن الخطاب
٣٤٧	مبدأ إنكار الناس على عثمان وأسبابه	٣٣٠	عمر وعبد الله بن العباس
٣٤٨	أبو ذر وعثمان، وتقى أبي ذر إلى الشام ثم إلى الريدة	٣٣١	خبر وقعة نهاوند
٣٤٥	خروج أبي ذر، وتوديع على بن أبي طالب إياه، وتلاحى على مع مروان بن الحكم بسبب ذلك	٣٣٣	عمرو بن معديكرب يصف قومه لعمر بن الخطاب بطنا فطنا
٣٥١	بين على وعثمان	٣٣٥	عمرو بن معديكرب يصف لعمر لقاءه مع ربيعة بن مكرم
٣٥٢	عمار بن ياسر والمقداد بن عمرو يظاهران على بنى أمية، ويعلنان حب آل الرسول	٣٤٠	ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه
٣٥٢	قدوم الثأرين على عثمان من الأمصار	٣٤٠	مجموع تاريخه
٣٥٣	حصار دار عثمان	٣٤١	دار نسبه ولمع من أخباره وسيره
٣٥٤	وصول محمد بن أبي بكر إلى عثمان أمام الثوار	٣٤١	نسبه من جهة أبيه وأمه، وذكر أولاده
٣٥٤	وصول الثوار إلى عثمان بعد تسلقهم إليه	٣٤١	أخلافه رضى الله عنه
٣٥٥	مقتل عثمان وتاريخه، ومدة حصاره	٣٤١	ثرته
		٣٤٢	الزبير بن العوام، وثرته
		٣٤٢	طلحة بن عبيد الله، وثرته
		٣٤٢	عبد الرحمن بن عوف، وثرته
		٣٤٢	سعد بن أبي رقاص، وثرته

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٧٠	دعاء على ربه قبل القتال	٣٥٥	قتل عثمان
٣٧٠	على يرسل إلى الخارئين عليه من يدعوهم إلى السلم ، فيأبون	٣٥٥	مدفن عثمان وذكر الدين صلوا عليه
٣٧٠	عمار بن ياسر يدعو إلى حقن الدماء	٣٥٥	بيان الدين صلوا بالناس أيام حصار الخليفة
٣٧١	وصية على لأصحابه قبل القتال	٣٥٥	بعض ما قيل من الشعر في مقتل عثمان
٣٧١	على يدعو الزبير إلى قتاله ، فإذا التقيا ذكره بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم له في شأنه ، فيعزم على ترك القتال ، ويأخذه الده	٣٥٦	حسان بن ثابت وموقفه
٣٧٢	الزبير ينصرف عن القتال ، فيقوم ابنه عبد الله في وجهه بحجزه ، فيأبى	٣٥٨	ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه !
٣٧٢	مقتل الزبير ، وما قيل فيه	٣٥٨	مجل تاريخه ، وبيان موضع قبره
٣٧٣	على يدعو طلحة إلى القتال ، وإذا التقيا عاتبه على خروجه وذكره بما قال رسول الله فيه ، فيعزم على الرجوع	٣٥٩	نسبه من جهة أبيه ، ومن جهة أمه
٣٧٣	مقتل طلحة	٣٥٩	إخوته ، وأمهاتهم
٣٧٤	مقتل محمد بن طلحة وترجمته	٣٦٠	أوان مصيره إلى البصرة
٣٧٥	بنو ضبة يحيطون بالجل ، فيموت منهم عدد حوله	٣٦١	ثبت الحوادث في أيامه ، وتواريخها
٣٧٦	عبد الله بن الزبير والأشتر النخعي	٣٦١	شهود وقائمه من الصحابة
٣٧٧	خطبة طويلة لأمر المؤمنين على بن أبي طالب بالبصرة	٣٦١	القاعدون عن بيعته من الصحابة وبعض ما جرى بينهم
٣٧٧	ابن عباس وعائشة أم المؤمنين	٣٦٣	عمرو بن العاص يعاهد معاوية على الانتصار له في مقابل توليته مصر
٣٧٨	امرأة من عبد القيس مجد ولديها	٣٦٣	نصيحة المغيرة بن شعبة لعلي رضي الله عنه
٣٧٩	عمير بن الأهلبي الضبي وشجاعته	٣٦٤	رواية أخرى في شأن نصيحة المغيرة
		٣٦٦	ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره
		٣٦٦	سير طلحة والزبير وعائشة
		٣٦٧	سير على من المدينة
		٣٦٨	دخول على البصرة ، وذكر أنصاره وقواد جيشه من الصحابة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٨٧	مبدأ القتال، وذكر ما كان في اليوم الأول	٣٧٩	عودة عائشة رضي الله عنها عن شهود القتال، وإكرام علي إياها
٣٨٧	ذكر ما كان في اليوم الثاني	٣٨٠	عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، يعسوب قريش
٣٨٨	ذكر ما كان في اليوم الثالث	٣٨٠	استيلاء علي رضي الله عنه على أموال البصرة
٣٨٨	ذكر ما كان في اليوم الرابع	٣٨١	علي رضي الله عنه يولي عبد الله بن عباس على البصرة
٣٨٨	شأن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، والسبب في خروجه على علي رضي الله عنه	٣٨١	علي رضي الله عنه يبعث جرير بن عبد الله إلى معاوية
٣٨٨	ما كان في اليوم الخامس من أيام الحرب	٣٨٢	معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة
٣٨٩	ما كان في اليوم السادس	٣٨٤	ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام
٣٨٩	ما كان في اليوم السابع	٣٨٤	سير علي رضي الله عنه إلى صفين، ووقته
٣٨٩	ما كان في اليوم الثامن	٣٨٤	عدة جيشه
٣٩٠	ما كان في اليوم التاسع	٣٨٤	عدة جيش معاوية بن أبي سفيان ومنزله للقتال
٣٩١	مقتل عمار بن ياسر، وترجمته	٣٨٥	معاوية يمنع جيش علي من ورود الماء، فيأمر علي أصحابه أن يقتحموا إلى الماء وينزلوا عنده ويتردوا عنه جيش معاوية
٣٩٤	موقف حذيفة بن اليمان من علي ومقتل ولديه صفوان بن حذيفة وسعد بن حذيفة	٣٨٦	جيش علي يرد الماء ويترد عنه جيش معاوية
٣٩٤	معاوية بن أبي سفيان والنعمان بن جبلة التنوخي أحد قواده	٣٨٧	اتفاق الفريقين على ترك القتال شهر المحرم
٣٩٥	مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب		
٣٩٦	علي رضي الله عنه يحرض أصحابه		
٣٩٦	علي رضي الله عنه يدعو معاوية إلى القتال، فيخرج له عمرو بن العاص، فيرد عليا بكشف سواته		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٩٠	معاوية يحاول أن يمثل بعبد الله	٥١١	مكر معاوية بعمر بن العاص
	ابن بديل بن ورقاء الخزاعي	٤١٢	تأنيب علي لأهل العراق ،
	فيمنعه عبد الله بن عامر		وتحريضهم على الاستعداد للحرب
٣٩٨	علي رضي الله عنه يحرص أصحابه	٤١٥	ذكر حروب علي مع أهل النهروان
	على غسان	٤١٥	الحوارج وفعالهم بالمدائن
٣٩٩	ليلة الهدير	٤١٥	مسير علي إلى النهروان ، والتفاؤء
	بالحوارج		
٤٠٠	خديعة رفع المصاحف	٤١٦	موقعة الرملة
٤٠٠	أهل العراق يندعون فيثورون	٤١٧	ذو الثدية المخدج
	علي رضي الله عنه	٤١٨	غنائم علي ، ودعوته أصحابه إلى
٤٠٩	الاختلاف في اختيار الحكم عن		الاستمرار على الحرب
	أهل العراق	٤١٨	بعض جيش علي يرتدون عن
٤٠٣	ذكر الحكمين ، وبدء التحكيم		الإسلام
٤٠٣	اتفق القوم على المبدأ الذي	٤١٩	علي يرسل من يحارب المرتدين
	يحكمان بمقتضاه ، وكتبوا	٤٢٠	عمر بن العاص يسير إلى مصر
	بذلك صحيفة	٤٢٠	مقتل محمد بن أبي بكر
٤٠٤	عدة القتلى أيام صفين	٤٢٠	علي يولي الأثر مصر فيدس له السم
٤٠٥	اختلاف أهل العراق في التحكيم		رجل بالعريش بإيعاز معاوية
٤٠٥	الحرورية (الحوارج)	٤٢١	بعض الفروق بين وقعتي صفين
٤٠٦	أول التقاء الحكمين		والجمل
٤٠٦	وصية ابن عباس لأبي موسى	٤٢٣	ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي
٤٠٧	الحكمان يكتبان كتاب التحكيم		الله عنه !
٤٠٩	عمر بن الخطاب يقدم أبا موسى للكلام	٤٢٣	تعاهد ثلاثة من الحوارج على
٤٠٩	أبو موسى يتقدم فيخلع عليا		قتل علي ، ومعاوية ، وعمر بن
	ومعاوية ويرشح عبد الله بن عمر		بن العاص
٤٠٩	عمر بن الخطاب يخطب فيخلع عليا ويثبت	٤٢٣	مسير عبد الرحمن بن ملجم إلى
	معاوية		الكوفة لقتل علي ونزوله على ابنة
٤٠٩	رواية أخرى في هذا الشأن		عمه قطام وخطبته إياها

الموضوع	ص
٣١ : وصف الدنيا من كلام علي، رضي الله تعالى عنه	٤٢٥ طالب اصحاب علي منه أن يهد بالخلافة، فأبى
٤٣٣ ضرار بن ضمرة بعض خالصان علي يصفه معاوية، ويذكر له من روائع كلامه	٤٢٦ وفاة علي رضي الله تعالى عنه
٤٣٤ ثقة علي رضي الله عنه بما عند الله	٤٢٦ تركه علي
٤٣٥ دفاع ابن عباس عن علي، وقد سمع قوما ينالون منه	٤٢٦ قتل ابن ملجم وبعض ما قيل في شأنه
٤٣٦ مقالة علي صبيحة مقتله	٤٢٨ رثاء أبي الأسود لعل رضي الله عنه
٤٣٦ خطبة له في الزهد في الدنيا	٤٢٨ مسير البرك التميمي لقتل معاوية
٤٣٧ جماع فضائله	٤٢٩ مسير زادويه بن عمرو بن بكر التميمي لقتل عمرو
٤٣٨ خاتمة الجزء الثاني .	٤٣٠ معاوية يأمر بعض أنصاره أن يذيعوا في الناس أنه قتل ليبلغ ذلك عليا
	٤٣١ ذكر ليع من كلام علي رضي الله عنه . وأخباره ، وزهده

قد تمت - بحمد الله تعالى - فهرس الجزء الثاني
من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجوهر » للسعودي
والحمد لله أولا وآخرا ، وصلاته على سيدنا محمد وآله

